المجلد الحادي والأربعون

العدد الثاني   شوال ١٤١٦هـ - فبراير - مارس ١٩٩٦م

في هذا العدد

تصدرها:
مؤسسة الصحافة والنشر
ندوة العلماء، ص ب ٩٣ لكهنؤ (الهند)

الاشتراكات السنوية :

★ فى الهند : مائة و خمسون (١٥٠) روبية :
ثمن النسخة (١٥) روبية .

★ فى العالم العربى و فى جميع دول العالم .
٢٠/ دولاراً بالبريد السطحى
و ٣٦/ دولاراً بالبريد الجوى

عنوان المراسلات :

ترسل الاشتراكات بالشيك باسم « البعث الاسلامى »
(ALBAAS-EL-ISLAMI)
و ذلك بالعنوان التالى
مكتب البعث الاسلامى ،
(مؤسسة الصحافة والنشر)
ندوة العلماء ص . ب ٩٣
لكناؤ (الهـــــــند)

ALBAAS - EL - ISLAMI
C/o NADWATUL-ULAMA
P O Box 93, Lucknow
Pin-226 007 (INDIA)

★ المجـلة غير ملتزمــــة بكل فكر ينشر فيها .

حضرات أخواننا القراء !

السلام عليكم و رحمــــة الله و بركاته

و بعد فأحمد الله سبحانه و تعالى على هذا التوفيق الغالى الذى أكرمنا به من الاستمرار فى خدمة العقيدة و الفكر و فى مجال البعث الاسلامى ، بطريق مجلة « البعث الاسلامى » التى تجتاز الآن عامها **الحادى و الأربعين** ، راجياً من الله سبحانه أن يكرمنا بالتأييد الدائم وبروح من الاستقامة و الصمود ، و الثبات على هذه الجبهة الدقيقة فى ظروف صعبة و أوضاع متأزمة تمر بها الأمة و يتعرض لها المسلمون اليوم فى كل مكان نحو دينهم و شريعتهم ورسالتهم العالمية

و بمجرد توفيق الله و مشيئته استطعنا أن ندخل بعض التحسينات المطبعية فى المجلة كما يراها و يسر بها القارىء الكريم ، ولا يخفى عليكم أن تكاليف المجلة قد تضاعفت كثيراً بغلاء أسعار الورق و الطباعة و أجور العمال ، فنرجو أن يتكرم كل أخ كريم ببذل مجهوداته فى سبيل دعم المجلة و توسعة نطاق المشتركين الجدد فيها ، و يشاطرنا فى أداء بعض الواجب الذى نتحمله الآن ، ويسمح لنا بزيادة قليلة فى قيمة الاشتراكات .

و التحديات تتجدد كل يوم ، وهى تنذر بشر مستطير ، فنرجو أن تتعاونوا معنا على كل جبهة ، و لكم شكرنا و تقديرنا

و الله من وراء القصد وهو يهدى السبيل .

بسم الله الرحمن الرحيم

أنشأها :

فقيد الدعوة الإسلامية الأستاذ محمد الحسني - رحمه الله تعالى -

في عام ١٣٧٥هـ-١٩٥٥م

البعث الإسلامي

العدد الثاني - المجلد الحادي والأربعون

شوال ١٤١٦هـ - فبراير - مارس ١٩٩٦م

منهج ندوة العلماء

[تقوم فكرة ندوة العلماء ودعوتها في الدين والعقيدة على الدين الخالص، النقي من الشوائب، البعيد عن تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين، وعلى العودة في تلقيه وفهمه وتفسيره، إلى منابعه الصافية الأولى، ومصادره الصحيحة الأصيلة، وفي العمل والسلوك، على التمسك بلباب الدين، والعمل بأحكامه والتحلي بحقيقته وروحه الربانية المشرقة الصافية، وفي تصورها للتاريخ على أن خير العصور هو العصر الذي ظهر فيه الإسلام، والجيل المثالي هو الجيل الذي نشأ في أحضان النبوة، وتخرج في مدرسة القرآن والإيمان الأولى] .

أبو الحسن علي الندوي

رئاسة التحرير

سعيد الأعظمي

واضح رشيد الندوي

==================

المراسلات

بعنوان مكتب البعث الإسلامي

مؤسسة الصحافة والنشر

ص ب ٩٣ - لكناؤ (الهند)

ALBAAS-EL-ISLAMI

C/o NADWATUL ULAMA

P.O.Box. 93, LUCKNOW

Pin : 226 007 (INDIA)

محتويات العدد

بسم الله الرحمن الرحيم

الافتتاحية

حضارة العلم والإيمان
لا حضارة الميوعة والانحلال

هذا الكوكب الأرضي الذي نعيش فوقه ، والذي هو يمتد على مسافة أربعين ألف كيلومتر ، يتحوّل اليوم إلى مدينة صغيرة يتصل فيها البعض بالبعض ، وتتداخل فيها الحياة بحيث يسمع فيه الناس دقات القلوب ، ويشاهدون الأحداث ، ويتبادلون الأفكار والمعلومات بأقل من لحظة ومن مسافات بعيدة ، وذلك بالتسهيلات الحيوية التي وفّرتها الحضارة الإنسانية في ضوء العلم والتقنية ، ورفعت قيمة الإنسان الإبداعية و وصلته بالملكوت الأعلى لكي يعيش في ظله آمنًا مطمئنًا ، يحنّ إلى ربه الكريم ويطلق لسانه وجوارحه بالشكر له ، والخضوع أمامه ، والتدبر في شئون الخلق والأمر واختلاف الليل والنهار .

ومن هنالك تسنّى للإنسان المعاصر أن يكتشف الكون بآيات الله وقدراته الواسعة ، والطاقات الهائلة التي أودعها في ذراته ومكنوناته وما يحويه البر والبحر والجوّ من دلالات وآيات وآثار وأنوار ، ذات أهمية بالغة تعجز عن إدراكها عقول البشر ، وتحتار في آفاقها الواسعة البعيدة المدى مدارك الإنسان ، ﴿ سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق ﴾ ولا يزال الإنسان في بحث مستمر عن هذه الآيات التي صرح بها الله سبحانه وتعالى في قوله ، وأشار إلى أنها مستمرة لا تنفد ولا تقف عند حد ، مهما نفدت طاقات الإنسان وعجزت [illegible] استقصائها والتنبأ باتساعها ومساحاتها الممتدة في الآفاق [illegible] التي ليس من وسع البشر أن يحدها ويتوصل إلى [illegible]

حدودها .

إن الاطلاع على آيات الله تعالى والانتفاع بها في مصالح الحياة والمجتمع ، والاعتماد عليها في تسيير دفة النشاطات والأعمال لمن مظاهر الحضارة التي تساعد المرء على العيش في هدوء و أمن و سلام ودعة ، وتمنحه القوة على مواجهة الظروف المضادة التي تحول دون تقدمه نحو الوجهة الصحيحة ، وتمنعه عن القيام بوظيفة الحياة في مجالاتها المختلفة ، وعن أداء مسئولية الإنسان الذي خلق لبناء العالم وإسعاد البشرية ، وتحسين العلاقات بين الله والناس وبين الناس والناس .

وهذه الحضارة التي يوجه إليها الإسلام ويشجعها وينميها ، ثم بزيّنها بالآيات الكونية ، ودلائل القدرة الإلهية التي تخلق وتأمر « ألا له الخلق والأمر • تبارك الله رب العالمين » إنها حضارة الإنسان التي تنسجم مع الطبيعة ، وتهديها إلى جميع ما تحتاج إليه من وسائل وآلات وأدوات وأساليب فتوفر لها العيش في ظل من الأمن والسعادة والمتعة الروحية واللذة الجسدية ، والراحة القلبية ، يتجلى لها النور الإيماني وتتنور لها البصيرة التي ترى في ضوئها طريقًا واضحًا مستقيمًا تتابع عليه سيرها نحو الغاية الواضحة المطلوبة تحت ظلال وارفة من العلم والإيمان والعمل الهادف الصالح الذي يعين على الرؤية الواضحة للنظر من خلالها إلى الأشياء ، ويعيّن موقف الإنسان من نفسه والكون والحياة .

جاء الإسلام بالحضارة الإنسانية بكل ما فيها من معنى ، فشملت الحياة من جميع النواحي المعنوية والمادية ، شملتها بتوجيهات واضحة في كل مجال ولدى كل نشاط وعمل ، وفتح أبواب العلوم والمعارف وشجع الإنسان للتنقيب في أسرار وحقائق الكون ، والكشف عن خباياه ، ومنحه قوة الإبداع العلمي والصناعي والتقني ، وجعل في حوزته كل الإمكانيات من غير تخصيص المسلم عن غيره ، والمطيع عن العاصي ، فكان

ذلك حافزًا كبيرًا للإنسان على استخدام مواهبه العقلية في الإبداعات والتسهيلات الحضارية وتفجير الطاقات الكونية بما أودع الله في الكون والنفس ، حتى يتبين للناس أنه الحق ، ويتقوى إيمانهم بربهم وتتوثق صلتهم به طوال رحلة الحياة ، دون أن يبحثوا عن القوة الكامنة الخارقة في الأدوات والآلات تارة ، وفي الحديد والطاقات الالكترونية تارة أخرى ، وينصرفوا عن التفكير في ذات الإله الذي ليس له ند ولا شريك في أي شئ ، ولكنه على كل شئ قدير ﴿ تبارك الذي بيده الملك وهو على كل شئ قدير ﴾ ﴿ تبارك الذي جعل في السماء بروجًا وجعل فيها سراجًا وقمرًا منيرًا • وهو الذي جعل الليل والنهار خلفة لمن أراد أن يذّكّر أو أراد شكورًا ﴾ .

ولكن الغرب المتمرد لم يرض بإدراك هذا السرّ ، وظل في علو ونسيان بزعم أنه هو صاحب الامتياز وحده ، وكل ما يعيشه العالم الحديث من تقدم واتساع في الحضارة الآلية والمدنية الفاخرة إنما هو نتيجة للجهود العقلية التي بذلها أهله في مجالات العلم والتقنية ، ليس غير ، ومن هذا المنطلق جاءت الحضارة الغربية بحدها وحديدها ، وأدواتها و وسائلها تدوس القيم وترفص العلاقات ، وتتخذها وسيلة للاستعمار والاستعباد ، وتوزيع العالم البشري بين واقف على قمة العلوم والتكنولوجيا ، ومتقدم في الحضارة ، ومتخلف تابع يقلد الغرب في كل ما يأتي منه ، وسمى جزءًا كبيرًا من العالم بالعالم الثالث ، الذي يعنى العجز عن كل تقدم ، والافتقار إليه في كل مجال من التعليم والاجتماع والسياسة والاقتصاد ، وهو متطلع إلى ما يرمى إليه الغرب من فتات مائدته .

ويأتي في هذا النوع من العالم جميع بلدان المسلمين أو العالم الإسلامي

حيث يعيش المسلمون ملتزمين بالقيم والأخلاق والعقيدة والسلوك ، ويتمتعون بالطمأنينة والأمن والهدوء ، ويتمسكون بالشريعة الإلهية ويطبقونها على الحياة الفردية والجماعية ، فيعيشون أمة متميزة ذات طابع خلقي عقدي ، وعلاقات إنسانية وأخوية ، وثقة إيمانية ، يرتبط كل فرد منها بآخر برباط وثيق من الحب والاحترام والنصح والخير وتبادل المنافع والتعاون على البر والتقوى ، والأسرة لها مكانتها ودورها في بناء المجتمع الأفضل السعيد ، يقوم أعضاؤه بوظائفهم التي نيطت بهم ويؤدي كل واحد مسئوليته بغاية من الدقة والأمانة ، ولا يتجاوزون الحدود التي قررها الإسلام ، لا في الشئون الاجتماعية ولا في الأمور التعبدية أو فيما يتعلق بأداء الحقوق ، ولكل واحد من الرجال والنساء دور سلوكي مهم جدًا في بناء الإنسان المثالي المطلوب في هذا العالم ، الذي يسهم في تشكيل الحضارة وتسييرها على الخط الطبيعي .

وبأداء هذا الدور في العالم يتسلم المسلم زمام القيادة العالمية ، ويوفر الوسائل للسعادة والرخاء من كل نوع ويمهد الطريق نحو تعميم الأمن والرفاهية في العالم كله فتتحقق العدالة الاجتماعية في الأرض ، وتنطلق الحياة من أسار الظلم والاضطهاد وذلة العبودية للإنسان ، إلى ساحة من حرية العمل البنّاء ، ونشر الحب والسلام ورسالة الإنسانية بين عباد الله ، وإخلاص العبادة لله تعالى ، وتأكيد مفهوم الحضارة الإيمانية وتمثيل آياتها وأشكالها الجميلة النيرة بين سُكان العالم ، حيث يتعارفون بالفضائل الخلقية والقيم الإنسانية ، ويتبيّنون الهدف الواضح المبين من الحياة ، والموقف الصريح المعلوم من الكون والإنسان .

ولكن الحضارة المادية الغربية الحديثة التي تتبجح بالتطور الهائل وتتبجح بالتقدم العلمي والتقني الذي أصبح ظاهرة عالمية ، ودليلاً على

قدرة الله تعالى وآيات الباهرة التي يريها في الآفاق وفي الأنفس ، إنما يستخدمها الماديون الغربيون ضد تعاليم الإسلام وبناء الإنسان الذي تتوخاه الحضارة الإسلامية ، وقد بدأوا بهدم المعنويات والقيم الإنسانية بالوسائل الإعلامية التي كان اختراعها بإذن من الله لصالح العالم وتحويله إلى حيّ واحد ، أو بالأصح إلى أسرة واحدة ، يرتبط فيها كل فرد بالآخر ويسمع دقات قلبه ، إلا أن أجهزة الاعلام التي تملأ العالم كله اليوم ببرامجها المسموعة والمقروءة والمرئية ، وبقنواتها التلفازية التي تقوم بالبث المباشر وتغزو غرف النوم من غير انقطاع وبأفلام عارية هدامة ، إن هي إلا مؤامرة خطيرة دبرها اليهود وأتباعهم لتحطيم أواصر القرابات وتمزيق جسم المجتمع المسلم والأسر والعائلات المسلمة ، وانتهاك حرمات وأعراض المسلمين التي تحمل قيمة كبيرة في الشريعة الإسلامية ، على قارعة الطريق .

يركز الغرب اليوم باسم الحضارة على تعرية المسلم والمسلمة عن كل لباس من الحشمة والحياء ونشر ميكروبات الفساد والجنس والإباحية بين الذكور والإناث من أفراد العائلة صغارًا وكبارًا ، وأبوين وأبناءً ، وأخوات وإخوانًا ، ذاك لكي يذوب الفرق بين المحارم وغير المحارم ، ويتصل كل فرد من أفراد المجتمع أو الأسرة على أساس الشهوة الجنسية ، وإشباع الغرائز ، فيتهدم السور المنيع الذي أقامه الإسلام لصيانة الروابط العائلية والعلاقات الإنسانية ، وإضفاء اللون الثابت لقدسية العرض والروح والمال على حياة الإنسان ، ومجتمعه الذي يبنيه .

منذ أن غزت رزيئة البث المباشر عقر الديار ومخادع البيوت ، وبدأت الرغبة تتضاعف في مشاهدة الصور الخليعة والبرامج الماجنة من الأفلام والمسلسلات الخبيثة ، أقبلت علاقات الأسر والبيوتات على

الانهيار ، وذوبان الحياء والعار ، وجعلت تنتشر الأوبئة الخلقية والخلاعة والاستهتار بين أفرادها . وتنجح مكايد العدو في إذابة المسلمين خلقيًا وعقائديًا وعلاقات اجتماعية ، ومهما حاول كبار الأسر والبيوت وضع الحد على رؤية الأفلام والصور العارية ولكن دون جدوى ، بل الواقع أن كبير العائلة ينضم كذلك إلى أولاده وأحفاده ويتمتع بمشاهدة ما هم يشاهدون .

نشرت بعض الجرائد أخبارا عن انتشار عوامل الفاحشة بين الأشقاء والشقيقات ، وحتى بين الأبناء والأمهات ، وهل نصدق أن يطالب الابن الشاب الذي تعوّد على مشاهدة هذه البرامج الخليعة عبر قنوات البث المباشر ، أن يطالب أمه بإشباع شهوته الجنسية ويعامل معها معاملة الصديقة ، وتلوذ أمه بالفرار خوفًا من ابنها الوحشي ، وتستغيث الناس لكي يدركوها من ابنها الذئب .

هل تستطيع القنابل النووية أن تدمر بلدان وأسر المسلمين كما تدمرها هذه المؤامرة الإعلامية ، والمخططات الإجرامية التي تنفذ باسم الحضارة والتطور ، وباسم التكنولوجيا الحديثة .

كلا ! إن هذه الجريمة التي تقع فريستها العائلات والأسر والبلدان التي تنتمي إلى المسلمين ، تبلغ في الخطورة والفاعلية والعمق إلى ما لا تبلغه الحروب التي تنشب بأحدث ما يُنتج اليوم من الأسلحة المدمرة ، والمفاعل الذرية ، في مصانع الغرب .

فهل نشعر بمسئوليتنا نحو هذا الواقع الأليم ، وننهض بما يسعنا من مقاومةٍ ضده ؟ كلنا في نطاقه ، وبحسب إمكانياته ، لكي لا يصدق علينا نحن المسلمين ما قد قال عزّ من قائل : ﴿ إن الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا لهم عذاب أليم في الدنيا والآخرة والله يعلم وأنتم لا تعلمون ﴾ .

سعيد الأعظمي

شيخ الاسلام أحمد بن عبد الرحيم الدهلوي وخطته في الإصلاح والتجديد

بقلم سماحة العلامة الشيخ السيد ابي الحسن علي الحسني الندوي

قام الشيخ احمد بن عبد الرحيم الدهلوي (١١١٤-١١٧٦هـ) المشهور بالشيخ ولي الله بعملية التجديد والإصلاح ، وهو أحد حكماء الإسلام ونوابغه وكبار المفكرين الإسلاميين (في الهند)، من طراز الإمام الغزالي وشيخ الإسلام ابن تيميه ، وقد لاحظ خمس نقط في حياة الشعب الهندي .

خطتـــه في الإصلاح :

١- إن كثيرًا من المسلمين قصروا في فهم التوحيد الإسلامي وأحاطت بعقيدتهم غيوم من الجهالات والظنون الفاسدة والعادات الجاهلية ، فلابد من إبراز هذا « التوحيد » في نقائه و وضوحه ، وشرح ما كان عليه أهل الجاهلية من اعتقاد في الله حتى يظهر الفرق بين عقيدتهم وبين ما جاء به الإسلام .

٢- يجب أن يكون للشعب اتصال مباشر بالكتاب والسنة ، وقد حال العلماء بينه وبين دراسة القرآن وفهمه ، بعلة تعذر فهمه للعامة ، وخوف انحلال سلطتهم الروحية وسيادتهم العلمية ، فلم يترجموا ألفاظ القرآن إلى لغة البلاد ولم ينشروا كتب الحديث ، فلابد اذن من نقل معاني القرآن وأحكامه إلى لغة البلاد ، و الإقبال على كتب السنة و حديث رسول الله ﷺ .

٣- ثقافة علماء الهند ضعيفة ضئيلة في العلوم الدينية ، وبضاعتهم مزجاة

في الحديث خصوصًا ، فلابد من نشر علم الحديث ، فدرس الصحاح والموطأ ، وأقبل على دراسة هذه الكتب حتى أصبحت للهند مكانة مرموقة في العالم الإسلامي في خدمة الحديث بفضل جهود هذا البيت العظيم ومؤسسته .

٤- لاحظ أن العالم الإسلامي سوف يستقبل عصرًا عقليًا ، وثورة فكرية ، فلابد من شرح نظام الخلافة في الإسلام ، وأساليب الإسلام وأسسه في تنظيم الحياة والمجتمع ، فألف كتبًا لا تزال فريدة في مكتبة الإسلام العامرة ، (حجة الله البالغة) و (إزالة الخفاء في خلافة الخلفاء) .

٥- لاحظ أنه لا أمل في نهضة الأسرة الملكية الهندية ، وتجديد شباب الدولة التيمورية ، لأنه - كما قال ابن خلدون - :

« إذا نزل الهرم بدولة لا يرتفع » فلا فائدة في بذل القوة لإصلاحها وتقويتها ، ولابد من إعداد جماعة تحدث انقلابًا إسلاميًا ، وتؤسس دولة إسلامية جديدة على أساس ديني علمي جديد .

نجاحه في عمله :

قام الشيخ ولي الله وأصحابه بمهمة هذا التجديد الإسلامي ، خير قيام ، فنشروا العلم الصحيح ، وأذاعوا مصادر الدين الأولى ، وألفوا كتبًا دسمةً قويةً مبتكرةً ، تمهد العقول والنفوس لإحداث انقلاب إسلامي وإنشاء دولة إسلامية ، وخرج تلاميذ ورجالا يقومون بهذه المهمة ، وقام بعده نجله الأكبر سراج الهند الشيخ عبد العزيز الدهلوي (م ١٢٣٩هـ) فدرس وألف ، وخرج وخلف التلاميذ الكبار والعلماء الفحول ، نشروا علم الحديث ، وشمروا عن ساق الجد ، في نصر الدين ، ومحاربة البدع ، والدعوة إلى الكتاب والسنة ، وتزكية النفوس ، حتى نفقت سوق الحديث وقامت دولة العلم ، واستعدت النفوس للنصر المؤزر للدين .

لم يقتصر الإمام الدهلوي على هذه الخطابات الخاصة لهذه الطبقات

الخاصة من الناس ، بل شدد النكير على تلك الطقوس والتقاليد الهندوكية ، والبدع والشعائر غير الإسلامية التي تسربت إلى المجتمع المسلم وشاعت فيه بسبب الاختلاط الطويل بالهنادك ، ومواطنتهم بعدة قرون ، وعدم الاهتمام بالسنة المشرفة والحديث الشريف ، وغفلة العلماء وتقصيرهم ، وعدم شعور الحكومة المسلمة بمسئوليتها وفقدان الحسية الدينية ، فالتزم بها المسلمون التزامًا شديدًا .

شنع الشيخ عبد العزيز الدهلوي على تلك المعتقدات الباطلة و الأوهام و الخرافات الجاهلية ، و تقليد غير المسلمين وأتباعهم وعابهم عليه ، وقد كان عامة العلماء المشتغلين بالعلوم العقلية والفنون الحكمية لا يعيرون لهذه العادات والتقاليد الجاهلية بالاً ويرونها هينة خفيفة ، أو يتغاضون عنها فرارًا من الوقوع في المشاكل ومعارضة الجماهير .

الإمام أحمد بن عرفان الشهيد -رحمه الله-

و رفقـــــــــــــــــــه ، و تأثيرهم في الحياة :

وفي الربع الأول من القرن الثالث عشر الهجري ، قام السيد الإمام أحمد ابن عرفان الشهيد (١٢٠١-١٢٤٦هـ) الذي تخرج على الشيخ عبد العزيز -ومعه الشيخ محمد إسماعيل بن عبد الغني بن الشيخ ولي الله الدهلوي- فدعا الناس إلى الدين الخالص والتوحيد واتباع السنة ، وحارب الشرك والجاهلية والبدع ، محاربة سافرة شديدة ، وبث في الشعب روحًا دينيةً قويةً لم تعهد من قرون متطاولة ، ودعا الناس إلى الإيمان والإحسان والتقوى ، والجهاد في سبيل الله ، وقام بجولات واسعة في الهند ، تاب في خلالها ألوف من المسلمين ، وأقفرت الحانات ، وغصت المساجد ، وكسدت سوق البدع ، والتف حوله المخلصون ، والعلماء الربانيون ، وخرج للحج عام ١٢٣٦هـ ومعه أكثر من سبع مائة رجل ، وتشرف بالبيعة والتوبة مئات

ألوف من المسلمين في هذا السفر ، وكان الناس يقصدونه من كل صقع ويدخلون في الخمر أفواجًا ، حتى لم يحرم ذلك المرضى في المستشفى ، وكان الناس يتساقطون عليه كالفراش ، وأسلم عدد كبير من الكفار ، وكان من تأثير مواعظه ودخول الناس في الدين وانقيادهم للشرع أن وقعت تجارة الخمر في كلكتا - وهي كبرى مدن الهند ومركز الإنجليز - وأقفرت الحانات ، واعتذر الخمارون عن دفع ضرائب الحكومة لكساد السوق ، وتعطل تجارة الخمر .

وتدل الإحصاءات الدقيقة الأمينة للمتتبعين بهذه الدعوة ، والتيار الديني القوي العاصف ، على قوة تأثير الإمام أحمد بن عرفان الشهيد - رحمه الله - ، واتساع نطاق من انتفع به ، وتغيرت حياته ، عقائديًا وعمليًا ، وخلقيا ، فقد تحقق أن من تابع وتاب على يده ، يبلغ عددهم إلى ثلاثة ملايين شخصا ، ومن أسلم على يده من الوثنيين وغير المسلمين ، يبلغ عددهم إلى أربعين ألفا ٤٠٠٠٠

الشيخ إسماعيل الشهيد - رحمه الله -

أما الشيخ إسماعيل الشهيد ، فقال الشيخ محسن بن يحيى الترهتي في « اليانع الجني »

« - إنه كان أشدهم في دين الله ، وأحفظهم للسنة ، يغضب لها ، ويذب إليها ، ويشنع على البدع وأهلها »

وقال العلامة صديق بن حسن القنوجي (م ١٣٠٧هـ) في « الحطة بذكر الصحاح الستة » في ذكر الشيخ ولي الله بن عبد الرحيم الدهلوي .

إن ابن ابنه المولوي محمد إسماعيل الشهيد - رحمه الله - اقتفى أثر جده في قوله وفعله جميعا ، وتمم ما ابتداه جده ، وأدى ما كان عليه ، وبقي ما كان له ، والله تعالى مجازيه على صوالح الأعمال ، وقواطع الأقوال ،

وصحاح الأحوال ، ولم يكن ليخترع طريقًا جديدًا في الإسلام ، كما يزعم الجهال ، وقد قال الله تعالى :

﴿ ما كان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة ثم يقول للناس كونوا عبادًا لي من دون الله ولكن كونوا ربانيين بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون ﴾ وهو رحمه الله تعالى أحيا كثيرًا من السنن المماتات ، وأمات عظيمًا من الأشراك والمحدثات ، حتى نال درجة الشهادة العليا ، وفاز من بين أقرانه بالقدح المعلى ، وبلغ منتهى أمله ، وأقصى أجله .

أما كتاب « تقوية الإيمان » فإنه كتاب أصبح شعارًا وعلماً للدعوة إلى التوحيد ، وبيان الحق الصريح ، وقد نفع الله به خلائق في شبه القارة الهندية لا يحصيهم إلا من أحصى رمال عالج وحصى البطحاء ، وقد بلغ عددهم إلى ملايين من غير شك .

وقد صدر هذا الكتاب عن قلب جريح يتقطع بمشاهدة ما كان عليه المسلمون في ذلك اليوم من بعد من التعاليم الإسلامية ، وخضوع للوثنية الهندية ، وتمسك بالعادات الجاهلية ، و قد زاد في تأثيره و قبوله ، دموع عين باكية على الإسلام ودم زكي أريق في سبيل إحياء هذا الدين ، وإدالته من الجاهلية ، وتأسيس حكومة شرعية تقوم على منهاج الكتاب والسنة ، ويكون الدين كله لله .

وقد قرن - رحمه الله - الدعاء بالدعوة ، والجهد بالجهاد والشهادة للحق بالشهادة في الحق ، وذلك لباب التوحيد ، و غاية الإخلاص ، و كمال الصدق ، و تمام الوفاء ، وصدق الله العظيم :

﴿ من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه • فمنهم من قضى نحبه • ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلاً ﴾ [سورة الأحزاب ، الآية : ٢٣]

فكان لكتابه من القبول والتأثير، والذيوع والانتشار، ما لا يكون إلا

لكتابات كبار المخلصين ، والعلماء العاملين ، والدعاة المجددين .

وسرّ قوة الكتاب صراحته وتشخيصه للأدواء ، ومظاهر الشرك ، ومواضع الإنزلاق ، وأنه يضرب على الوتر الحساس ، ويصيب ضعف الاعتقاد ، وما فتن به المسلمون في العهد الأخير من الغلو و التقديس والتعظيم ، وتقليد الأمم الوثنية ، والعادات الجاهلية ، في صميمه ، وقد اعتاد الناس أن لا يفزعوا للمواعظ والخطب التي تلقى على المنابر ، أو البحوث العلمية التي تتناول موضوع التوحيد والشرك بصفة إجمالية عامة ، إذا لم تتعرض للأمراض التي يعانونها ، والأخطاء التي يرتكبونها ، العادات التي لا يمكنهم الفطام عنها ، وللأشخاص و الأماكن و الشعائر التي يغلون فيها ، فيتجاهلون كل ذلك ، ويتظاهرون بأن الواعظ أو الكاتب لا يعنيهم ، وإنما يعني المشركين القدامى ، وعباد الأوثان في الجاهلية الأولى ، أما إذا تعرض هذا الكاتب أو الواعظ لواقع حياتهم ، و وضع يده على عللهم وأسقامهم ، وحدد مواضع فتنتهم ، لم يسعهم أن يتغافلوا عنه ، فأعلنوا الحرب عليه ، ونادوا بعدائه ، وهذا شأن الداعي المخلص الذي ملكته الفكرة ، واستحوذ عليه الشعور ، وتذوق القرآن ومنهج الأنبياء في دعوتهم تذوقًا حقيقيًا ، فإنه القرآن ، ويرضي ربه ، ويريح ضميره ، ويبرئ ذمته (١) .

مدرستان للداعين إلى الكتاب و السنة و العاملين بالحديث :

ونشطت حركة نشر الحديث والدعوة إلى الكتاب والسنة ونبذ البدع والخرافات ، بعد ما قام تلاميذ الإمام ولي الله الدهلوي وأنجاله وأحفاده ، بتدريس كتب الحديث ومعاداة البدع والعادات الجاهلية المحلية ، وقام

---

(١) نقل كاتب هذه السطور الكتاب إلى العربية وسماه : « رسالة التوحيد » وقد اطلع عليه أحد الأساتذة السعوديين الكبار ، فقال « هذا تحقيق التوحيد » .

السيد الإمام أحمد بن عرفان الشهيد - رحمه الله - ، والعلامة محمد إسماعيل الشهيد - رحمه الله - ، بالدعوة إلى الدين الخالص ، والعقيدة الصحيحة السنية ، والرجوع إلى ما كان عليه السلف الصالح والقرون المشهود لها بالخير ، ونشطت العقول وتحركت الهمم ، وكثر الدعاة إلى الدين والمكافحون للفساد ، وكثر المعتنون بعلوم الكتاب والسنة ، والمؤلفون في المقاصد الدينية ، في اللغة الأردية الشعبية في أسلوب سهل واضح .

ونشأت من هذه الحركة التعليمية الدعوية مدرستان للحديث والسنة ، إحداهما : مدرسة « صادق فور (١) السلفية » رائدها العلامة ولايت علي العظيم آبادي من كبار خلفاء السيد الشهيد ، وأحد العلماء الربانيين في الهند في العهد الأخير .

يقول العلامة السيد عبد الحي الحسني - رحمه الله - وقد حضر دروسه ، وأجازه الشيخ في الحديث .

« رزقه الله سبحانه عمرًا طويلاً ونفع بعلومه خلقًا كثيرًا من أهل العرب والعجم ، انتهت إليه رئاسة الحديث في بلاد الهند ، وكان آية ظاهرة ونعمة باهرة من الله سبحانه ، في التقوى والديانة ، والزهد والعلم والعمل ، والقناعة والعفاف والتوكل والاستغناء عن الناس ، والصدق وقول الحق ، والخشية من الله سبحانه والمحبة له ولرسوله -ﷺ-، وكان شديد الإنكار على ما خالفه من المذاهب ، مُداعبًا مزاحًا ، متواضعًا حليمًا ذا جراءة و نجدة (٢) .

++++

---

(١) صادقفور حي من أحياء مدينة « بتنا » عاصمة ولاية « بيهار » كانت مركزًا لأنصار السيد الشهيد - رحمه الله - .

(٢) ليرجع إلى الجزء الثامن من كتاب « الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام » .

إعجاز القرآن والإطار البياني

[الحلقة الثانيه الأخيرة]

سعادة الدكتور رشيد بلحبيب

٤- التقديم ومراعاة الفاصلة :

إذا كان الله سبحانه قد اختار للقرآن ترتيلاً تبدو فيه نعمة ألفاظه ورنينها وجرسها فلابد أن تكون ألفاظه قد اختيرت لمرتبة في كل كلمة فضلا عن ترتيبها وطرق نظمها . وهذا الحكم إن كان ينطبق على سائر ألفاظ القرآن فإنه ينطبق بالأحرى على الكلمات التي تقع في فواصل الآيات فهذه أولى بالعناية لأنها تجمع بين الوظيفتين المعنوية والايقاعية ، وبلاغة الكلام تقتضي أن يراعى في اختيارها أن تكون قادرة على الوفاء نحو المعنى ونحو التناسب الإيقاعي في آن واحد (٤٥) .

وكما يعمل التقديم والتأخير الذي يتيحه النظام اللغوي على إقامة وزن النص يعمل كذلك على تهيئة استواء بناء الجملة في اتجاه الفاصلة وتأتي مستقرة غير قلقة

يقول محمد حماسة في السياق نفسه « وفي القرآن الكريم نماذج كثيرة للتقديم والتأخير وبخاصة عند نهاية الآيات القصيرة والطويلة على السواء حيث يهيئ التقديم والتأخير رعاية توافق كثيرًا من الفواصل القرآنية فضلا عما يمكن أن يفهم من هذا التقديم والتأخير غير ضبط

الإيقاع الصوتي للفاصلة القرآنية من معان أخر» (٤٦) .

لقد أصبح من البين - من خلال النظر في مصادر العربية وتتبع حديث البلاغيين عن أحوال المسند والمسند إليه ومتعلقات الفعل - أن مراعاة الفاصلة (٤٧) من العلل المعتبرة والأسباب الداعية إلى التقديم ، أو لأن في التأخير إخلالا بالتناسب أو بالنظم .. (٤٨) إلى درجة أن ابن الأثير قد جعل مراعاة النظم أبلغ وأوكد وأهم من الاختصاص عند حديثه عن غرضي التقديم والتأخير (٤٩) .

ففي قوله -عز وجل- : ﴿ إياك نعبد وإياك نستعين ﴾ [سورة الفاتحة ، الآية : ٤] ، تأخرت الاستعانة عن العبادة وهي قبلها ، يقول الزركشي : « وإنما أخرت لأجل فواصل السورة » (٥٠) .

ورفض ابن الأثير تعليل التقديم بالاختصاص في الآية قال : « وقد ذكر الزمخشري في تفسيره أن التقديم في هذا الموضع قصد به الاختصاص وليس كذلك ، فإنه لم يقدم المفعول به على الفعل للاختصاص وإنما قدم لمكان نظم الكلام ، لأنه لو قال : نعبدك ونستعينك لم يكن له من الحسن ما لقوله : ﴿ إياك نعبد وإياك نستعين ﴾ ألا ترى أنه تقدم قوله تعالى : ﴿ الحمد لله رب العالمين • الرحمن الرحيم • مالك يوم الدين ﴾ فجاء بعد ذلك قوله : ﴿ إياك نعبد وإياك نستعين ﴾ وذلك لمراعاة حسن النظم السجعي الذي هو على حرف النون (٥١) .

أما قوله تعالى : ﴿ فأوجس في نفسه خيفةً موسى ﴾ [سورة طه، الآية: ٦٦] فقد جعله الزركشي مثالاً لتأخير ما أصله أن يقدم قال : « لأن أصل الكلام أن يتصل الفعل بفاعله ويؤخر المفعول لكن أخر الفاعل وهو موسى

لأجل رعاية الفاصلة » (٥٢) .

قال ابن الأثير : « وتقدير الكلام : فأوجس في نفسه خيفة ، وإنما قدم المفعول على الفاعل وفصل بين الفعل والفاعل وبحرف الجر قصدًا لتحسين النظم (٥٣) أو لأن في التأخير إخلالا بالتناسب كما يقرر التفتازاني لأن فواصل الاي على الألف (٥٤) .

ومنه قوله -عزوجل- : ﴿ خذوه فغلّوه ثم الجحيم صلوه ﴾ [سورة الحاقة ، الآيات : ٣٠-٣١] . قال ابن القيم : « و لو قال : صلوه الجحيم لأفاد المعنى و لكن كان يفوت السجع فلذلك كان الأحسن تقديم الجحيم » (٥٥)

وفي قوله ﴿ فأما اليتيم فلا تقهر • وأما السائل فلا تنهر ﴾ [سورة الضحى ، الآيات ٩-١٠] قدم اليتيم والسائل للاحتفاظ بالموسيقى في الآيات القرآنية . قال ابن الأثير : « وإنما قدم المفعول لمكان حسن النظم السجعي » (٥٦)

ومثال آخر قوله -عزوجل- : ﴿ إن الله لا يظلم الناس شيئًا ولكن الناس أنفسهم يظلمون ﴾ [سورة يونس ، الآية : ٤٤] ، فتقديم كلمة : « أنفسهم » يخدم عددا من الجهات فهو من حيث النسق يؤدي إلى توافق الفاصلة القرآنية مع الفواصل السابقة واللاحقة إذ تختم الفواصل بواو المد أو يائه والنون ولو تأخرت ، فقال : ﴿ ولكن الناس يظلمون أنفسهم ﴾ لاختل نسق الفواصل القرآنية ورؤوس الاي (٥٧) .

وقد استعمل تقديم الظرف في القرآن كثيرًا مراعاة لحسن النظم يقول ابن الأثير في قوله تعالى : ﴿ وجوه يومئذٍ ناضرة إلى ربها ناظرة ﴾

[سوره القيامة ، الآيتان : ٢١-٢٢] : « فتقديم الظرف ههنا ليس للاختصاص ، وإنما كالذي أشرت إليه في تقديم المفعول ، وأنه لم يقدم للاختصاص وإنما قدم من أجل نظم الكلام لأن قوله تعالى : ﴿ وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظره ﴾ أحسن من أن لو قيل : وجوه يومئذ ناضره ناظره إلى ربها ، والفرق بين النظمين ظاهر (٥٨) .

وكذا قوله تعالى : ﴿ والتفت الساق بالساق إلى ربك يومئذ المساق ﴾ [سوره القيامة ، الآيتان : ٢٨-٢٩] فإن هذا روعي فيه حسن النظم لا الاختصاص في تقديم الظرف (٥٩) .

وقد أخر الفاعل لأجل الفاصلة في قوله تعالى : ﴿ ولقد جاء آل فرعون النذر ﴾ [سوره القمر، الآية : ٤١] ، وقوله : ﴿ ومما رزقناهم ينفقون ﴾ [سوره البقرة ، الآية : ٢] أخر الفعل عن المعمول فيهما لتوافق رؤوس الآي (٦٠) .

وجعل السيوطي مما قدم فيه خبر كان رعاية للفاصلة قوله تعالى : ﴿ ولم يكن له كفوًا أحد ﴾ [سوره الإخلاص ، الآية : ٤] (٦١) .

هذه بعض النماذج التركيبية التي قدمت فيها بعض الكلمات على بعض رعاية للفاصلة ويمكن تتبع هذا الأمر فيما أسميته بالتقديم الدلالي كتقديم ما هو متأخر في الزمان نحو قوله -عزوجل- : ﴿ فللّه الآخرة والأولى ﴾ [سوره النجم ، الآية : ٢٥] ، قال ابن الصائغ : « ولو لا مراعاه الفواصل لقدمت « الأولى » كقوله تعالى : ﴿ له الحمد في الأولى والآخره ﴾ [سورة القصص ، الآية : ٧٠] (٦٢) .

ومن أشهر الأمثلة قوله تعالى : ﴿ برب هارون وموسى ﴾ [سورة طه ،

الآية : ٦٩] .

قال الرازي : « إنما قدمه ليقع موسى مؤخرا في اللفظ فيناسب الفواصل و أقوى ما استدلوا به الاتفاق على أن موسى أفضل من هارون - عليهما السلام - ، ولما كان السجع قبل في موضع « هارون وموسى » ، ولما كانت الفواصل في موضع آخر بالواو والنون قيل : « موسى وهارون » (٦٣) .

وقد اقترن موسى وهارون - عليهما السلام - في القرآن الكريم عشر مرات ، تسع منها بتقديم ذكر موسى على هارون ، وتقدم ذكر هارون في موضع واحد هو : ﴿ برب هارون و موسى ﴾ (٦٤) ، و ذلك مراعاة للفاصلة (٦٥)

وأخيرا فليس من الخطأ في الدين ولا في البلاغة أن نقول : إن القرآن الكريم يهتم بالناحية اللفظية لأنها جزء من أسلوبه ، ولأنها من دواعي التأثير . ولكن الخطأ أن نقول : إن القرآن يختار الكلمة أو الأسلوب أو العبارة مراعاة لتناسب الفواصل وحده . ولهذا قال الزمخشري إنه : « لا تحسن المحافظة على الفواصل لمجردها إلا مع بقاء المعاني على سدادها على النهج الذي يقتضيه حسن النظم والتئامه كما لا يحسن تخير الألفاظ المؤنقة في السمع السلسة على اللسان إلا مع مجيئها منقادة للمعاني الصحيحة المنتظمة . فأما أن تهمل المعاني ويهتم بتحسين اللفظ وحده .. فليس من البلاغة في فتيل أو نقير » (٦٦) .

فقد تبين أن ما يعطي التحسين من الفصلة أمر لم يتم إلا بنصرة المعنى ، يقول الجرجاني : « إن المعنى المقتضي اختصاص هذا النحو

بالقبول هو أن المتكلم لم بقد المعنى نحو التحنيس و السجع بل قاده المعنى إليهما وعثره به علبهما حتى إنه لو رام تركهما إلى خلافهما مما لا تحنس فيه ولا سجع لدخل من عقوق المعنى وإدخال الوحشة عليه في شبه بما ينسب إلبه المتكلف للتحنس المستكره والسجع النافر » (٦٧) .

وتقول عائشة عبد الرحمن : « فليس من القبول عندنا أن يقوم البيان القرآني على اعتبار لفظي وإنما الحذف لمقتضى معنوي بلاغي بقويه الأداء اللفظي دون أن يكون الزحرف الشكلي هو الأصل ، ولو كان البيان القرآني يتعلق بمثل هذا ما عدل في رعاية الفاصلة في آخر سورة الضحى : ﴿ فأما اليتيم فلا تقهر • وأما السائل فلا تنهر • وأما بنعمة ربك فحدث ﴾ [الآيات : ٩-١١] ، وليس في السورة كلها ثاء فاصلة بل ليس فيها حرف الثاء على الإطلاق (٦٨) .

وقد سد ابن الأثير عن هذا الاحماع بذهابه إلى أن مراعاة نظم الكلام هي أهم أغراض التقديم والتأخير وهي أبلغ وآكد من الاختصاص (٦٩) .

والذي نراه صائبا هو أن التقديم والتأخير في النظم القرآني يجمع بين الوظيفتين الجمالية والمعنوية على السواء وإلا فما الذي يمنع أن نقول : إن التقديم في ﴿ إياك نعبد وإياك نستعين ﴾ وقع لإفادة الاختصاص ولمراعاة نظم الكلام معًا-ولا منافاة بين هذين المطلوبين (٧٠).

فالقرآن العظيم كما جاء في الأثر لا تنقضي عجائبه ولذلك لا يمتنع في توجيه الخروج عن الأصل في الآيات المذكورة أمور أخرى مع وجه المناسبة كما يقرر ابن الصائغ (٧١) .

إن مراعاة نظم الكلام تضيف إلى أغراض التصرف في العبارة بالتقديم

والتأخير بُعدًا آخر يتمثل في مراعاة بعض الممكنات الجمالية في الكلام ، وقد تحولت إلى سبب رئيسي من أسباب التقدم في حديث البلاغيين وعلى رأسهم الزركشي الذي ذكر من بين الأسباب : « أن يكون في التأخير إخلال بالتناسب فيقدم لمشاكلة الكلام ولرعاية الفاصلة (٧٢) .

فمراعاة الفاصلة تضيف بعدًا جماليًا وفنيًا للعبارة القرآنية ولذلك ، قال الزمخشري : « ولو قال : « نعبدك ونستعينك » لذهبت تلك الطلاوة وزال ذلك الحسن وهذا غير خاف على أحد من الناس فضلاً عن أرباب علم البيان » (٧٣) وبهذا فضلت فصاحة القرآن كل نظم وتقدمت بلاغته بلاغة كل قول ، وحاز المرتبة العليا من مراتب تأليف الكلام من حيث الألفاظ والمعاني والنظم ومطابقة الأحوال المختلفة وحسن التعبير وقوة التأثير

++++

الهوامش :

---

(٤٥) التناسب في النظم القرآني . ص/٦٢٢-٦٢٣ .

(٤٦) في بناء الجملة العربية · ص/٤٤٣

(٤٧) أو مراعاة النظم - أو مراعاة المناسبة .

(٤٨) انظر : مثلا المطول : ص/٢٠٢ ، شرح التلخيص للبابرتي ص/٢١٨

(٤٩) المثل السائر : ٢/٢١٨ .

(٥٠) البرهان : ١/٦٢ ، والإتقان : ٢/٢٩٦ .

(٥١) المثل السائر . ٢/٢١٢ .

(٥٢) البرهان . ١/٦٢ ، والإتقان : ٢/٢٩٦ ، والخواطر الحسان :

ص/٦٤ . (٥٣) المثل السائر : ٢/٢١٢-٢١٣ .

(٥٤) المطول : ص/٢٠٢ ، وشرح التلخيص للبابرتي : ص/٢١٨ .

(٥٥) الفوائد المشوق : ص/٨٤ ، وانظر : من أسرار اللغة : ص/٢٣٢ .

(٥٦) المثل السائر : ٢/٢١٤ ، وانظر : المعاني في ضوء أساليب القرآن الكريم : ص/٢١٠ .

(٥٧) في بناء الجملة العربية : ص/١٨١-١٨٢ .

(٥٨) المثل السائر : ٢/٢١٧ .

(٥٩) المثل السائر : ٢/٢١٨ .

(٦٠) البرهان : ١/٦٢ .

(٦١-٦٢) الإتقان : ٢/٢٩٦ .

(٦٣) االبرهان : ١/٥٥

(٦٤-٦٥) الفاصلة في القرآن الكريم . ص/١١٧ .

(٦٦) قاله الزمخشري في كشافه القديم ، البرهان : ١/٧٢ .

(٦٧) أسرار البلاغة ، الجرجاني : ص/١٤ .

(٦٨) التفسير البياني للقرآن الكريم : ص/٥٧-٥٨ .

(٦٩) انظر : المثل السائر : ٢/٢١٢-٢١٣-٢١٨ .

(٧٠) الفلك الدائر : ٤/٢٤٧-٢٤٨ ، وانظر : مبحث تعدد النكت : ص/٤٠٦ من هذا البحث .

(٧١) الإتقان : ٢/٢٠١ ، وانظر: التناسب في النظم القرآني : ص/٢٧٦ ، والفاصلة في القرآن الكريم : ص/٧٧ .

(٧٢) البرهان : ٢/٢٤٢ .

(٧٣) الكشاف : ١/١٢ ، والمثل السائر : ٢/٢٩ ، وانظر : النكت : للرماني : ص/٨٧ ، و البلاغة : للمبرد : ص/٩١ ، و إعجاز القرآن ، للباقلاني : ص/٢١٥ .

حكم الشريعة الإسلامية في قضية التبرك والتوسل

من عبد العزيز بن عبد الله بن باز إلى حضرة المكرم الشيخ محمد واعظ زاده الخراساني . منحنى الله و إياه الفقه في الدين . وأعاذنا جميعًا من طريق المغضوب عليهم والضالّين.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته أما بعد !

فقد وصلني كتابكم وصلكم الله بحبل الهدى والتوفيق ، وجميع ما سرحتم كان معلوما

وقد وقع في كتابكم أمور تحتاج إلى كشف وإيضاح ، وإزالة ما قد وقع لكم من الشبهة ، عملا بقول النبي الكريم -ﷺ- : « الدين النصيحة » ، وقوله -ﷺ- : « من دلّ على خير فله مثل أجر فاعله » ، وغيرهما من الأحاديث الكثيرة في هذا الباب

وقد أرشد إلى ذلك مولانا سبحانه في قوله -عز وجل- : ﴿ وتعاونوا على البر والتقوى ﴾ وقوله سبحانه : ﴿ أدع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن ﴾ .

فأقول ذكرتم في كتابكم ما نصه : « ومع احترامي وتقديري لجهودكم في هذا السبيل خطر ببالي بعض الملاحظات ، أحببت أن أبديها لكم راجيا أن يكون فيها خير الإسلام والمسلمين ، والاعتصام بحبل الله المتين في سبيل تقارب المسلمين ، و وحدة صفوفهم في مجال العقيدة والشريعة

أولا : لاحظتكم تعبرون دائمًا عن بعض ما شاع بين المسلمين من التبرك بآثار النبي الكريم -ﷺ- ، وبعض الأولياء كمسح الجدران ، والأبواب في الحرم النبوي الشريف وغيره شركًا وعبادة لغير الله ، وكذلك طلب الحاجات منه ومنهم ، ودعاؤهم وما إلى ذلك ، إني أقول : هناك فرق بين ذلك ، فطلب الحاجات من النبي ومن الأولياء ، باعتبارهم يقضون الحاجات من دون الله أو مع الله ، فهذا شرك جلي لا شك فيه ، لكن

الأعمال الشائعة بين المسلمين ، والتي لا يساهم عنها العلماء في شتى أنحاء العالم الإسلامي ، من غير فرق بين مذهب وآخر ، ليست هي في جوهرها طلبًا للحاجات من النبي والأولياء ، ولا اتخاذهم أربابًا من دون الله ، بل مردّ ذلك كله « لو استثنينا عمل بعض الجهال من العوام » إلى أحد أمرين : التبرك والتوسل بالنبي وآثاره ، أو بغيره من المقربين إلى الله -عزوجل- .

أما التبرك بآثار النبي من غير طلب الحاجة منه ، ولادعائه ، فمنشؤه الحب والشوق الأكيد ، رجاء أن يعطيهم الله الخير ، بالتقرب إلى نبيه ، وإظهار المحبة له ، وكذلك بآثار غيره من المقربين عند الله .

وإني لا أجد مسلماً يعتقد أن الباب والجدار يقضيان الحاجات ، ولا أن النبي أو الولي يعطيها ، بل لا يرجو بذلك إلا الله ، إكرامًا لنبيه ، أو لأحد من أوليائه ، أن يعطي الله عليه من بركاته ، والتبرك بآثار النبي كما يعلمون ويعلمه كل من اطلع على سيرة النبي -ﷺ- ، كان معمولاً به في عهد النبي ، فكانوا يتبركون بماء وضوئه ، وثوبه وطعامه وشرابه وشعره ، وكل شئ منه ، ولم ينههم النبي عنه ، ولعلكم تقولون : أجل كان هذا ، وهو معمول به الآن بالنسبة إلى الأحياء من الأولياء والأتقياء لكنه خاص بالأحياء ، دون الأموات لعدم وجود دليل على جوازه إلا في حال الحياة بالذات فأقول : هناك بعض الآثار تدل على أن الصحابة قد تبركوا بآثار النبي بعد مماته ، فعن عبد الله بن عمر- رضي الله عنهما - أنه كان يمسح منبر النبي تبركًا به .

وهناك شواهد على أنهم كانوا يحتفظون بشعر النبي ، كما كان الخلفاء العباسيون ومن بعدهم العثمانيون ، يحتفظون بثوب النبي تبركًا به ، ولا سيما في الحروب ، ولم يمنعهم أحد من العلماء الكبار والفقهاء المعترف بفقههم ودينهم [انتهى المقصود من كلامكم] .

والجواب أن يقال : ما ذكرتهم فيه تفصيل :

فأما التبرك بما مسّ جسده - عليه الصلاة والسلام - من وضوء أو عرق أو شعر ونحو ذلك ، فهذا أمر معروف وجائز عند الصحابة - رضي الله عنهم - ، وأتباعهم بإحسان ، لما في ذلك من الخير والبركة ، وهذا

أقرهم النبي - ﷺ .

فأما التمسح بالأبواب والجدران والشبابيك ونحوها في المسجد الحرام أو المسجد النبوي ، فبدعة لا أصل لها ، والواجب تركها لأن العبادات توقيفية لا يجوز منها إلا ما أقره الشرع لقول النبي - ﷺ - : « من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد » متفق على صحته .. وفي رواية لمسلم ، وعلقها البخاري رحمه الله في صحيحه جازمًا بها : « من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد » .

وفي صحيح مسلم عن جابر - رضي الله عنه - ، قال كان النبي - ﷺ - يقول في خطبة يوم الجمعة . أما بعد فإن خير الحديث كتاب الله وخير الهدي هدي محمد - ﷺ - ، وشرّ الأمور محدثاتها وكل بدعة ضلاله » والأحاديث في ذلك كثيره .. فالواجب على المسلمين التقيد في ذلك بما شرعه الله كاستلام الحجر الأسود وتقبيله ، واستلام الركن اليماني .

ولهذا صح عن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - أنه قال لما قبل الحجر الأسود « إني اعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع ، ولولا أني رأيت النبي - ﷺ - يقبلك ما قبلتك » .

وبذلك يعلم أن استلام بقيه أركان الكعبه ، وبقيه الجدران والأعمده غير مشروع ، لأن النبي - ﷺ - لم يفعله ، ولم يرشد إليه ، ولأن ذلك من وسائل الشرك ، وهكذا الجدران والأعمده والشبابيك وجدران الحجره النبويه من باب أولى ، لأن النبي - ﷺ - لم يشرع ذلك ولم يرشد إليه ولم يفعله أصحابه - رضي الله تعالى عنهم -

وأما ما نقل عن ابن عمر - رضي الله عنهما - من تتبع آثار النبي - ﷺ - واستلامه المنبر فهذا اجتهاد منه - رضي الله عنه - ، لم يوافقه عليه أبوه ولا غيره من أصحاب النبي - ﷺ - ، وهم أعلم منه بهذا الأمر ، وعلمهم موافق لما دلت عليه الأحاديث الصحيحة ، وقد قطع عمر - رضي الله عنه - الشجره التي بويع تحتها النبي - ﷺ - في الحديبية ، لما بلغه أن بعض الناس يذهبون إليها ويصلون عندها خوفًا من الفتنة بها ، وسدًّا للذريعه .

وأما دعاء الأنبياء والأولياء والاستغاثة بهم والنذر لهم ونحو ذلك

فهو الشرك الأكبر وهو الذي كان يفعله كفار قريش ، مع أصنامهم وأوثانهم ، وهكذا بقية المشركين يقصدون بذلك أنها تشفع لهم عند الله ، وتقربهم إليه زلفى ، ولم يعتقدوا أنها هي التي تقضي حاجاتهم وتشفي مرضاهم وتنصرهم على عدوهم ، كما بين الله سبحانه ذلك عنهم في قوله سبحانه : ﴿ ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم • ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله ﴾ فرد عليهم سبحانه بقوله : ﴿ قل أتنبئون الله بما لا يعلم في السماوات ولا في الأرض سبحانه وتعالى عما يشركون ﴾ .

وقال -عز وجل- في سورة الزمر : ﴿ فاعبد الله مخلصًا له الدين ألا لله الدين الخالص • والذين اتخذوا من دونه أولياء • ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى • إن الله يحكم بينهم فيما هم فيه يختلفون • إن الله لا يهدي من هو كاذب كفار ﴾ فأبان سبحانه في هذه الآية الكريمة : أن الكفار لم يقصدوا من آلهتهم أنهم يشفون مرضاهم ، أو يقضون حوائجهم وإنما أرادوا منهم أنهم يقربونهم إلى الله زلفى ، فأكذبهم سبحانه ورد عليهم قولهم بقوله سبحانه : ﴿ إن الله لا يهدي من هو كاذب كفار ﴾ فسماهم كذبة وكفارًا بهذا الأمر .

فالواجب على مثلكم تدبر هذا المقام وإعطاؤه ما يستحق من العناية ، ويدل على كفرهم أيضًا بهذا الاعتقاد ، قوله سبحانه : ﴿ ومن يدع مع الله إلها آخر لا برهان له به • فإنما حسابه عند ربــــه • إنه لا يفلح الكافرون ﴾ فسماهم في هذه الآية كفارًا وحكم عليهم بذلك لمجرد الدعاء لغير الله من الأنبياء والملائكة والجن وغيرهم .

ويدل على ذلك أيضًا قوله سبحانه في سورة فاطر : ﴿ ذلكم الله ربكم له الملك • والذين تدعون من دونه ما يملكون من قطمير • إن تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم • ولو سمعوا ما استجابوا لكم ويوم القيامة يكفرون بشرككم ولا ينبئك مثل خبير ﴾ فحكم سبحانه بهذه الآية على أن دعاء المشركين لغير الله ، من الأنبياء والأولياء ، أو الملائكة أو الجن ، أو الأصنام أو غير ذلك بأنه شرك ، والآيات في هذا المعنى لمن تدبر كتاب الله كثيرة .

وننقل لك هنا من كلام شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله تعالى -

في الفتاوى : ص/١٥٧ ، ج/١ ما نصه : « والمشركون الذين وصفهم الله ورسوله بالشرك أصلهم صنفان : قوم نوح ، وقوم إبراهيم ، فقوم نوح كان أصل شركهم العكوف على قبور الصالحين ثم صوروا تماثيلهم ، ثم عبدوهم ، وقوم إبراهيم كان أصل شركهم عبادة الكواكب والشمس والقمر وكل من هؤلاء يعبدون الجن ، فإن الشياطين قد تخاطبهم ، وتعينهم على أشياء ، وقد يعتقدون أنهم يعبدون الملائكة ، وإن كانوا في الحقيقة إنما يعبدون الجن ، فإن الجن هم الذين يعينونهم ، ويرضون بشركهم ، قال الله تعالى : ﴿ ويوم يحشرهم جميعا ثم يقول للملائكة • أ هؤلاء إياكم كانوا يعبدون • قالوا سبحانك أنت ولينا من دونهم • بل كانوا يعبدون الجن أكثرهم بهم مؤمنون ﴾

والملائكة لا تعينهم على الشر ، لا في المحيا ولا في الممات ، ولا يرضون بذلك ، و لكن الشياطين قد تعينهم و تتصـــــور لهم في صور الآدميين ، فيرونهم بأعينهم ويقول أحدهم : أنا إبراهيم أنا المسيح ، أنا محمد أنا الخضر أنا أبو بكر أنا عمر ، أنا عثمان أنا علي ، أنا الشيخ فلان ، وقد يقول بعضهم عن بعض هذا هو النبي فلان ، أو هذا هو الخضر ، ويكون أولئك كلهم جنا ، يشهد بعضهم لبعض ، والجن كالإنس ، فمنهم الكافر ، ومنهم الفاسق ، ومنهم العابد الجاهل ، فمنهم من يحب شيخًا فيتزيّ في صورته ويقول : أنا فلان ، ويكون ذلك في برية ومكان قفر ، فيطعم ذلك ، الشخص طعامًا ويسقيه شرابًا أو يدله على الطريق أو يخبره ببعض الأمور الواقعة الغائبة ، فيظن ذلك الرجل ، أن نفس الشيخ الميت أو الحي ، فعل ذلك،وقد يقول : هذا سر الشيخ وهذه رقيقته ، وهذه حقيقته ، أو هذا ملك جاء على صورته ، وإنما يكون ذلك جنيًا ، فإن الملائكة لا تعين على الشرك والإفك ، والإثم والعدوان ، وقد قال الله تعالى ﴿ قل ادعوا الذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلا • أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة أيهم أقرب • ويرجون رحمته ويخافون عذابه • إن عذاب ربك كان محذورًا ﴾ قال طائفة من السلف ، كان أقوام يدعون الملائكة والأنبياء كالعزير والمسيح، فبين الله تعالى أن الملائكة والأنبياء عباد الله ، كما أن الذين يعبدونهم

عباد الله ، ويبين أنهم يرجون رحمته ويخافون عذابه ، ويتقربون إليه كما يفعل سائر عباده الصالحين .

والمشركون من هؤلاء قد يقولون : إنا نستشفع بهم ، أي نطلب من الملائكة والأنبياء أن يشفعوا ، فإذا أتينا قبر أحدهم طلبنا منه أن يشفع لنا فإذا صورنا تمثاله - والتماثيل إما مجسده وإما تماثيل مصورة كما يصورها النصارى في كنائسهم - قالوا : فمقصودنا بهذه التماثيل تذكر أصحابها ، وسيرهم ، ونحن نخاطب هذه التماثيل ومقصودنا خطاب أصحابها ليشفعوا لنا إلى الله ، فيقول أحدهم : يا سيدي فلان ، أو يا سيدي جرجس أو بطرس ، أو ياستي الحنونة مريم أو يا سيدي الخليل أو موسى بن عمران أو غير ذلك اشفع لي إلى ربك .

وقد يخاطبون الميت عند قبره : سل لي ربك ، أو يخاطبون الحي وهو غائب كما يخاطبونه لو كان حاضرًا حيًا وينشدون قصائد يقول أحدهم فيها : يا سيدي فلان أنا في حسبك أنا في جوارك اشفع لي إلى الله، سل الله لنا أن ينصرنا على عدونا ، سل الله أن يكشف عنا هذه الشده أشكو إليك كذا وكذا فسل الله أن يكشف هذه الكربة ، أو يقول أحدهم : سل الله أن يغفر لي .

ومنهم من يتأول قوله تعالى : ﴿ ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاؤك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابًا رحيمًا ﴾ ويقولون : إذا طلبنا منه الاستغفار بعد موته كنا بمنزلة الذين طلبوا الاستغفار من الصحابة ، ويخالفون بذلك الإجماع من الصحابة والتابعين لهم بإحسان ، وسائر المسلمين ، فإن أحدًا منهم لم يطلب من النبي -ﷺ- بعد موته أن يشفع له ، ولا سأله شيئًا ، ولا ذكر ذلك أحد من أئمة المسلمين في كتبهم وإنما ذكر ذلك من ذكره من متأخري الفقهاء ، وحكوا حكاية مكذوبة على مالك - رضي الله عنه - ، سيأتي ذكرها ، وبسط الكلام عليها - إن شاء الله تعالى - .

فهذه الأنواع من خطاب الملائكة والأنبياء والصالحين بعد موتهم عند قبورهم وفي مغيبهم ، وخطاب تماثيلهم ، هو من أعظم أنواع الشرك الموجود في المشركين ، من غير أهل الكتاب ، وفي مبتدعة أهل الكتاب

والمسلمين الذين أحدثوا من الشرك والعبادات ما لم يأذن به الله تعالى ، قال الله تعالى : ﴿ أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله ﴾ إلى آخر ما ذكره رحمه الله في رسالته الجليلة المسماه (القاعدة الجليلة في التوسل والوسيلة) قد أوضح فيها أنواع الشرك فراجعها إن شئت .

وقال أيضا - رحمه الله - في رسالته إلى أتباع الشيخ عدي بن مسافر: ص/٣١ ما نصه : فصل وكذلك الغلو في بعض المشايخ إما في الشيخ عدي ، ويونس القتي أو الحلاج وغيرهم ، بل الغلو في علي بن أبي طالب -رضي الله عنه- ونحوهم ، بل الغلو في المسيح - عليه السلام - ونحوه ، فكل من غلا في حي أوفي رجل صالح كمثل علي - رضي الله عنه - أو عدي أو نحوه . أوفي من يعتقد فيه الصلاح كالحلاج أو الحاكم الذي كان بمصر أو يونس القتي ونحوهم ، وجعل فيه نوعا من الألوهية مثل أن يقول : كل رزق لا يرزقنيه الشيخ فلان ما أريده ، أو يقول : إذا ذبح شاة ، باسم سيدي ، أو يعبده بالسجود له ، أو لغيره أو يدعوه من دون الله تعالى مثل أن يقول يا سيدي فلان اغفر لي أو ارحمني أو انصرني أو ارزقني أو اغثني او أجرني أو توكلت عليك أو أنت حسبي أو أنا في حسبك أو نحو هذه الأقوال والأفعال التي هي من خصائص الربوبيه التي لا تصلح إلا لله تعالى ، فكل هذا شرك وضلال يستتاب صاحبه فإن تاب وإلا قتل ، فإن الله إنما أرسل الرسل وأنزل الكتب ليعبد الله وحده لا شريك له ولا يجعل مع الله إلها آخر

والذين كانوا يدعون مع الله الهه أخرى مثل الشمس والقمر والكواكب والعزير والمسيح والملائكه واللات والعزى ومناة الثالثه الأخرى ويغوث ويعوق ونسرا ، وغير ذلك لم يكونوا يعتقدون أنها تخلق الخلائق أو أنها تنزل المطر أو أنها تنبت النبات وإنما كانوا يعبدون الأنبياء والملائكه والكواكب والجن والتماثيل المصوره لهؤلاء ، أو يعبدون قبورهم ، ويقولون إنما نعبدهم ليقربونا إلى الله زلفى ، ويقولون هم شفعاؤنا عند الله

فأرسل الله رسله تنهى أن يدعى أحد من دونه لادعاء عباده ولا دعاء استغاثة ، قال تعالى : ﴿ قل ادعوا الذين زعمتهم من دونه فلا يملكون

كشف الضر عنكم ولا تحويلاً أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة أيهم أقرب • ويرجون رحمته ويخافون عذابه إن عذاب ربك كان محذورا ﴾ .

قال طائفة من السلف : كان أقوام يدعون المسيح وعزيرًا والملائكة ، فقال الله لهم : هؤلاء الذين تدعونهم يتقربون إلي ، كما تتقربون ويرجون رحمتي كما ترجون رحمتي ويخافون عذابي كما تخافون عذابي .

وقال تعالى : ﴿ قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذرة في السماوات ولا في الأرض • وما لهم فيهما من شرك وما له منهم من ظهير • ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له ﴾ فأخبر سبحانه ، أنما ندعى من دون الله ليس له مثقال ذرة في الملك ولا شرك في الملك وأنه ليس له في الخلق عون يستعين به وأنه لا تنفع الشفاعة عنده إلا بإذنه ﴾ ، إلى أن قال - رحمه الله - : « وعبادة الله وحده هي أصل الدين ، وهو التوحيد الذي بعث الله به الرسل وأنزل به الكتب ، فقال تعالى : ﴿ وأسأل من أرسلنا من قبلك من رسلنا • أجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون ﴾ وقال تعالى : ﴿ ولقد بعثنا في كل أمة رسولاً أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت ﴾ وقال تعالى : ﴿ وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون ﴾ .

وكان النبي -ﷺ- يحقق التوحيد ويعلمه أمته حتى قال له رجل : ما شاء الله وشئت ، فقال : «أجعلتني لله ندًا بل ما شاء الله وحده » وقال : « لا تقولوا ما شاء الله وشاء محمد ولكن ما شاء الله ثم ما شاء محمد » ونهى عن الحلف بغير الله تعالى ، فقال : « من كان حالفًا فليحلف بالله أو ليصمت » وقال : « من حلف بغير الله فقد أشرك » وقال : « لا تطروني كما أطرت النصارى عيسى بن مريم وإنما أنا عبد الله فقولوا عبد الله ورسوله » .

ولهذا اتفق العلماء على أنه ليس لأحد أن يحلف بمخلوق كالكعبة

ونحوها ، ونهي النبي -ﷺ- عن السجود له ، ولما سجد بعض أصحابه له نهى عن ذلك وقال : « لا يصلح السجود إلا لله » وقال : « لو كنت آمرًا أحدا أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها » وقال لمعاذ بن جبل - رضي الله عنه - : « أرأيت لو مررت بقبري أكنت ساجدًا له » قال : لا ، قال : فلا تسجد لي ونهي النبي -ﷺ- عن اتخاذ القبور مساجد ، وقال في مرض موته : « لعن الله اليهود والنصارى ، اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد » إلى أن قال - رحمه الله - : « ولهذا اتفق أئمة الإسلام على أنه لا يشرع بناء المسجد على القبور ولا تشرع الصلاة عند القبور ، بل كثير من العلماء يقول : الصلاة عندها باطلة » .

إلى أن قال - رحمه الله تعالى - . « وذلك إن من أكبر أسباب عبادة الأوثان كانت تعظيم القبور بالعبادة ونحوها ، قال الله تعالى في كتابه : ﴿ وقالوا لا تذرنّ آلهتكم ولا تذرنّ ودا ولا سواعًا ولا يغوث ويعوق ونسرا ﴾ قال طائفة من السلف كانت هذه الأسماء لقوم صالحين فلما ماتوا عكفوا على قبورهم ثم صوروا تماثيلهم وعبدوها .

ولهذا اتفق العلماء على أن من سلم على النبي -ﷺ- عند قبره أنه لا يمسح بحجرته ولا يقبلها ، انتهى المقصود من كلامه - رحمه الله - .

وقال العلامة ابن القيم - رحمه الله - في الجواب الكافي : ص/١٥٦ ما نصه . « فصل : ويتبع هذا الشرك الشرك به سبحانه في الأفعال والأقوال والإرادات والنيات فالشرك في الأفعال كالسجود لغيره والطواف بغير بيته وحلق الرأس عبودية وخضوعًا لغيره وتقبيل الأحجار غير الحجر الأسود الذي هو يمين الله في الأرض وتقبيل القبور واستلامها والسجود لها وقد لعن النبي -ﷺ- من اتخذ قبور الأنبياء والصالحين مساجد يصلى لله فيها ، فكيف بمن اتخذ القبور أوثانًا يعبدها من دون الله ، ففي الصحيح عنه -ﷺ- أنه قال : « لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد » وفي الصحيح عنه : « إن من

أسرار الناس من يدركهم الساعة وهم أحياء ، والذين يتخذون القبور مساجد » وفي الصحيح أيضًا عنه : « إن من كان قبلكم كانوا يتخذون القبور مساجد ، ألا فلا تتخذوا القبور مساجد فإني أنهاكم عن ذلك » .

وفي مسند الإمام أحمد - رضي الله عنه - وصحيح ابن حبان عنه -ﷺ- قال : « لعن الله زوّارات القبور و المتخذين عليها المساجد والسرج » وقال : « اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد » ، وقال : « إن من كان قبلكم كانوا إذا مات فيهم الرجل الصالح بنوا على قبره مسجدًا وصوروا فيه تلك الصور ، أولئك شرار الخلق عند الله يوم القيامة » فهذا حال من سجد لله في مسجد على قبر فكيف حال من سجد للقبر نفسه ، وقد قال النبي -ﷺ- . « اللهم لا تجعل قبري وثنا يعبد » انتهى كلامه - رحمه الله - .

وبما ذكرنا في صدر هذا الجواب ، وبما نقلناه عن شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - وتلميذه العلامة ابن القيم - رحمه الله - يتضح لكم ولغيركم من القراء أن ما يفعله الجهال من الشيعة وغيرهم ، عند القبور من دعاء أهلها والاستغاثة بهم والنذر لهم والسجود لهم وتقبيل القبور طلبا لشفاعتهم أو نفعهم لمن قبلها ، كل ذلك من الشرك الأكبر لكونه عبادة لهم والعبادة حق الله وحده كما قال الله سبحانه : ﴿ واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئًا ﴾ وقال سبحانه . ﴿ وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ﴾ [الآية]

وقال -عزوجل- : ﴿ وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون ﴾ إلى غير ذلك من الآيات التي سبق بعضها .

أما تقبيل الجدران ، أو الشبابيك أو غيرها ، واعتقاد أن ذلك عبادة لله ، لا من أجل التقرب بذلك إلى المخلوق ، فإن ذلك يسمى بدعة لكونه تقربًا لم يشرعه الله فدخل في عموم قول النبي -ﷺ- : « من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو ردّ » وفي قوله -ﷺ- : « إياكم ومحدثات

الأمور فإن كل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة » .

وأما تقبيل الحجر الأسود ، واستلامه واستلام الركن اليماني فكل ذلك عبادة لله وحده واقتداء بالنبي -ﷺ- لكونه فعل ذلك في حجة الوداع وقال : « خذوا عني مناسككم » وقد قال الله -عزوجل- . ﴿ لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة ﴾ . [الآية]

وأما التبرك بشعره -ﷺ- وعرقه و وضوئه ، فلا حرج في ذلك كما تقدم لأنه - عليه الصلاة والسلام - أقر الصحابة عليه ولما جعل الله فيه من البركة ، وهي من الله سبحانه ، وهكذا ما جعل الله في ماء زمزم من البركة حيث قال -ﷺ- عن زمزم : إنها مباركة وإنها طعام طعم وشفاء سقم .

والواجب على المسلمين الاتباع والتقيد بالشرع ، والحذر من البدع القولية والعملية ، ولهذا لم يتبرك الصحابة - رضي الله عنهم - بشعر الصديق - رضي الله عنه - ، أو عرقه أو وضوئه ولا بشعر عمر أو عثمان أو علي أو عرقهم أو وضوئهم ولا بعرق غيرهم من الصحابة ، وشعره و وضوئه ، لعلمهم بأن هذا أمر خاص بالنبي -ﷺ- ولا يقاس عليه غيره في ذلك ، وقد قال الله -عزوجل- ﴿ والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه • وأعد لهم جنات تجري تحتها الأنهار خالدين فيها أبدًا • ذلك الفوز العظيم ﴾ ، وقال كثير من الصحابة - رضي الله عنهم - : « اتبعوا ولا تبتدعوا فقد كفيتم »

وأما توسل عمر - رضي الله عنه - والصحابة بدعاء العباس في الاستسقاء وهكذا توسل معاوية - رضي الله عنه - في الاستسقاء بدعاء يزيد بن الأسود فذلك لا بأس به لأنه توسل بدعائهما وشفاعتهما ولا حرج في ذلك ، ولهذا يجوز للمسلم أن يقول لأخيه : ادع الله لي وذلك دليل من عمل عمر والصحابة - رضي الله عنهم - ومعاوية - رضي الله عنه - على أنه لا يتوسل بالنبي -ﷺ- في الاستسقاء ولا غيره بعد وفاته -ﷺ- ولو

كان ذلك جائزًا لما عدل عمر الفاروق والصحابة - رضي الله عنهم - عن التوسل به -ﷺ- إلى التوسل بدعاء العباس ولما عدل معاوية - رضي الله عنه - عن التوسل به -ﷺ- إلى التوسل بيزيد بن الأسود وهذا شئ واضح بحمد الله .

وإنما يكون التوسل بالإيمان به -ﷺ- ومحبته والسير على منهاجه وتحكيم شريعته وطاعة أوامره ، وترك نواهيه ، هذا هو التوسل الشرعي به -ﷺ- بإجماع أهل السنة والجماعة وهو المراد بقول الله سبحانه : ﴿ لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة ﴾ .

وبما ذكرنا نعلم أن التوسل بجاهه -ﷺ- أو بذاته من البدع التي أحدثها الناس ولو كان ذلك خيرًا لسبقنا إليه أصحاب النبي -ﷺ- لأنهم أعلم الناس بدينه وبحقه -ﷺ-و - رضي الله عنهم - .

وأما توسل الأعمى به -ﷺ- إلى الله سبحانه في رد بصره إليه فذلك توسل بدعائه وشفاعته حال حياته -ﷺ- ، ولهذا شفع له النبي -ﷺ- ودعا له .

والله المسئول بأسمائه الحسنى وصفاته العلا أن يمنحني وإياكم وسائر إخواننا الفقه في دينه والثبات عليه وأن يصلح أحوال المسلمين في كل مكان وأن يمنحهم الفقه في الدين وأن يولي عليهم خيارهم ويصلح قادتهم وأن يوفق جميع حكام المسلمين للفقه في الدين والحكم بشريعة الله سبحانه والتحاكم إليها وإلزام الشعوب بها والحذر مما يخالفها عملاً بقول الله -عز وجل- : ﴿ فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم • ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجًا مما قضيت ويسلموا تسليمًا ﴾ وبقوله سبحانه : ﴿ أ فحكم الجاهلية يبغون ومن أحسن من الله حكمًا لقوم يوقنون ﴾ إنه سبحانه ولي ذلك والقادر عليه .

وصلى الله تعالى على خير خلقه محمد وعلى آله وصحبه .

++++

مؤتمر غويانا التبشيري

بقلم سعادة الدكتور محمد بن سعد الشويعر
رئيس تحرير مجلة " البحوث الإسلامية " - الرياض

أعداء دين الله ، يرتكبون في سبيل الإضرار بالإسلام ، وإضعاف مكانته ، والاهتمام بتحويل الناس عنه ، طرقا شتى هي جزء من عقيدتهم ، التي حرصوا عليها ، تصديا وتنفيرا من محمد - ﷺ - ودعوته ، كما أخبر الله عنهم في قوله تعالى ﴿ ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم ﴾ [سورة البقرة ، الآية ١٢٠] . ويقول سبحانه عن رغبتهم في إعادة محمد - ﷺ وأصحابه إلى الكفر مرة أخرى ﴿ ودّ كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد إيمانكم كفارا ، حسدا من عند أنفسهم من بعد ما تبين لهم الحق ﴾ [سورة البقرة ، الآية ١٠٩]

ولذا نراهم في أعمالهم ومكرهم ، ينهجون طرقا عديدة في أسلوب غزوهم الإسلام وأهله ، رغبة منهم في الوصول إلى عمق الإسلام ، ومركز دعامته ، سواء في قلوب المسلمين ، أو في ديارهم

ولقد جرى حديث منذ خمسة عشر عاما ، مع عالم وداعية في إحدى دول الخليج ، و بعمقه وبعد نظره أعطاني فكرة عن أساليب تبشيرية مقصود منها تخطيطا ومتابعة الإسلام والمسلمين في جزيرة العرب بدولها المتعددة ، بعد أن توهموا نجاحهم في الهند ودول إفريقية ، وقال تحت التظاهر لإفشال مخططاتهم ، وهم جبناء يهزمهم المسلم الصادق ، والمسلمة الحريصة على تطبيق شعائر دينها ، ولذا فإن الدول المحيطة تعتبر خط دفاع أولا ، بعد توهمهم سقوط خط الدفاع الثاني ، مخافة أن يصل هجومهم للمملكة قلب الإسلام النابض ، ومهد الأماكن المقدسة التي

هي حلمهم .

إذًا من مخططاتهم - والكلام لمحدثي - تخفيف مكانة الأماكن المقدسة من قلوب المسلمين ، وكأنهم بهذا العمل ، يستحثون الإسراع لوقت ذي السويقة ، الذي أخبر عنه -ﷺ- بأنه سيأتي في آخر الزمان ليهدم الكعبة ، نصر الله دينه ، وأبعد زمان ذي السويقة عنا ، فإنه من علامات الساعة الكبيرة التي أخبر بها -ﷺ- ، ومنها الدابة ، ويأجوج ومأجوج ، وطلوع الشمس من مغربها ، وكثرة الهرج والفتن ، حيث لا تقوم الساعة إلا على شرار الخلق ، في زمن لا يقال ، الله الله ، نسأل الله السلامة والعافية .

ومؤتمر غويانا التبشيري ، الذي لا ريب أن لليهود فيه دورًا كبيرًا لعداوتهم الشديدة للإسلام ، كما أخبر الله عنهم القرآن فيه .

هذا الاجتماع حضره منصرون من كل مكان ، وضم إليه مندوبين عن كنائس نصرانية عالمية ، وقد حرصوا فيه بأن يكون سرّيًا ، وشكلت فيه خمس فرق عمل لتنفيذ التوصيات ، وأغدقت الأموال لدعم حملات التنصير بين المسلمين في العالم ، وأدخلوا علم النفس لأول مرة في مخاطبة العقول ، لكي يساعدوا جهلة المسلمين عن دينهم ، ويتحدوا منهم معاول لهدم الإسلام ، بلبلة في الفكر ، وإغداقًا بالمال ، وإغراء بالمكانة الاجتماعية ، وتغييرًا في الثقافة ، وذلك بتحسين النصرانية ، وبإبراز صور محببة ، وتنقيص الإسلام ، وإبراز سلبيات وأعمال من لم يلتزم تعاليم الإسلام على أنها صور إسلامية ، ومعلوم أن فاقد الشئ لا يعطيه ، والجاهل والعاصي لا ينبئ عن حقيقة الإسلام .

وقد خرج هذا التجمع التبشيري المهم المنعقد في يوليو عام ١٩٩١م

بتوصيات كثيرة ، تقع في ١٧/صفحة ، يجب بكل مسلم أن يدركها جيدًا، وأن ينعكس على هذا الفهم بالعلماء والعارفين للملل والنحل ، عقيدة وتشريعا ، و تطبيقا و تاريخا ، و لقادتها فكرًا ، و أسلوب محاورة ومراوغة ، لأنهم تجاهلوا : أن الذنب لا يغفرها إلا الله ، وأن العبد يجب أن تكون علاقته بالله

فقد طرحوا في خطتهم هذه للتنصير بالإنجيل بين المسلمين مبادئ وأساليب وأهدافا ، تختلف تماما عما كانوا يسيرون فيه من قبل ، وهذا من التغيير الاستراتيجي ، بما يسمونه بنقلة جديدة في التعامل بين المسلمين ، وقد ضمنوا عملهم أكثر من مائتي مادة ، لن نستطيع المرور عليها كلها، ولكن سنقتطف من تلك التوصيات ما يفصح عن رأيهم ومكرهم ، فمثلاً من تركيزاتهم في المبادئ العامة .

= يجب مهاجمة الإسلام ، أو التحدث بنقد عن محمد ، وذلك في محاولة لفهم الإسلام ، بأن يضع نفسك مكان الشخص المسلم ، لأن هدفنا يجب استقطابه لعيسى الذي يستطيع أن يرضي قلبه .

= إن محاولة بيان عيوب دين الإسلام الذي نتحدث عنه ، سيعديه عليك ، كما يجب ألا تنتقد صلاة المسلمين ولا تقل إن الله لا يهتم بالطريقة التي يسجدون بأجسامهم فيها ، وإن الله أكثر اهتمامًا بالقلوب الخاشعة المرهفة ، ولا نقل إن كان محمد نبيا حقًا ، فلماذا تزوج بعدد كبير من الزوجات

= وعن العقيدة قالوا : في أعماق كل مسلم هناك خوف من الله ، وهذه هي أقوى نقطة لصالحنا نحن النصارى ، فهو يعرف عيوبه ، ونقاط ضعفه ، وهنا يستطيع النصراني باستخدام هذا الخوف كأساس لمخاطبة ضمير

المسلم ، التحدث عن موقف المؤمن بالمسيح الذي يعرف الله ، على أنه أباه السماوي بلا خوف .

= ثم نراهم يستغلون نقطة أخرى يزعمون أنها تقوى شبهاتهم في التنصير ، فيأتي من توصياتهم القول : بأن المسلم يعاني من إحساس عميق بالفشل في الوصول إلى الذي يريده الله منه ، وهو يعلم أنه ارتكب خطأ ويطمع في المغفرة بفضل رحمة الله ، فالرغبة في غفران الذنوب مستقرة في أعماق قلب المسلم ، ولكن هذا في بالك ، أي المنصر وأنت تبحث مع المسلم ، ولذا فإن الخطّائين بحاجة إلى منقذ ، والنصارى لديهم رسالة لتحقيق هذه الحاجة ، وتأكد أنه يفهم الغفران الكامل من خلال المسيح .

= وهكذا يستمر هذا التجمع في وضع أساليبه الجديدة في محاولة لبلبلة أفكار المسلمين ، ثم تنصيرهم : رجالاً ونساءً بدءً بالأطفال عارضين شبهات يتخيلونها مريضة عند المسلمين ، ومركزين على ما يتوهمون به أسلوبًا جديدًا في النفاذ لأعماق بعض المسلمين ، ممن ينقصهم الفهم الحقيقي للإسلام ، والتطبيق العملي لشعائر دينهم .

= ولذا نراهم في آخر ابتكار لهم ضد الإسلام ، بعد أن نفذت أهم أساليبهم التنصيرية ، يهتمون كما جاء في هذه الوصايا بأمور ، أهمها :

١- نفي رسالة محمد -ﷺ- .

٢- نسبتهم للأنبياء أنهم لم يؤمنوا بمحمد كنبي من أنبياء الله .

٣- أنهم لم يخضعوا للقرآن على اعتبار أنه إرادة الله .

٤- وأن البركات لا توجد إلا في المسيح مثل : غفران الذنوب ، الملاذ ، الهداية ، الحفظ ، السلام ، والنجاة من الشيطان ونفوذه .

٥- أن المسيح كما يقولون : هو ملاذهم ، وقد كرروا هذا في وصايا هذا

التجمع عدة مرات

وإن مثل هذه الأوهام في وصاياهم لمما يستدعي إعادة توضيحه لكل مسلم، وفقا لما في سور عديدة من القرآن الكريم كما قال سبحانه: ﴿ وإذ قال الله يا عيسى ابن مريم ● أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله ● قال سبحانك ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق ● إن كنت قلته فقد علمته ● تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك إنك أنت علام الغيوب ● ما قلت لهم إلا ما أمرتني به أن اعبدوا الله ربي وربكم ﴾ [سورة المائدة الآيتان ١١٦-١١٧]، وغير هذا من آيات كثيرات توضح كذبهم وضلالهم، ليقف كل مسلم منهم موقف المفند لأباطيلهم، ولا يكون بعضهم جاهلا بأمور دينه، مثل النصارى فيضلون كما ضلوا، ولا من المتعامين عن الحق فيكون من المغضوب عليهم كما عمل اليهود، ممن أوضح الله حالهم في سورة الفاتحة، التي لا تصح صلاة المسلم بدونها - كما جاء في الحديث الصحيح

والرد على النصارى لم يكن جديدا، حيث أبان الله في كتابه الكريم زيغهم وضلالهم، وجاءت آيات في آل عمران للمباهلة معهم بعد أن عاند نصارى نجران وكذبوا. وبطون الكتب ملأى بالرد عليهم قديما وحديثا، سواء في المقارنات بين الملل والنحل، أو في توضيح مخالفاتهم وتغييرهم شرع الله وأحكامه، أو في تفسير ما عرض له القرآن الكريم من فضح لسفاهتهم وكذبهم، أو في حقائق يذكرها من هداه الله للإسلام، من أبناء ملتهم فضحوا أقوالهم وتلبيساتهم وتغييرهم في كتبهم كما حدث ممن أسلموا في عهد رسول الله كعدي بن حاتم النصراني، وكعب الأحبار اليهودي، أو غير ذلك من أمور كثيرة.

فهذا شيخ الإسلام ابن تيمية يفند أمورهم وعقائدهم في كتابه القيم : « الجواب الصحيح فيمن بدل دين المسيح » وهذا ابن حزم والشهرستاني في توضيحان جلية الأمر في كتابيهما : « الفصل في الملل و الأهواء والنحل » و « الملل والنحل » ، وهذا الشيخ رحمة الله خليل الرحمن الهندي في كتابه « إظهار الحق » ثم في كتابه : « بشرية المسيح » وفي المناظرة الكبرى بينه وبين الدكتور فندر ، يسلط الضوء على أباطيل وشبهات النصارى ، وكذلك كل من : أحمد بن عبد الصمد الخزرجي في كتابه : « مقامع الصلبان » وابن قيم الجوزية في كتابه : « هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى » والشيخ عبد العزيز بن حمد بن معمر في كتابه : « منحة القريب المجيب في الرد على عباد الصليب » وغير هذا من الكتب والمناظرات التي تعد مكتبة كاملة .

فكل ذلك يتضح منه حقيقة ما يتوهمه النصارى ، نتيجة جهلهم وتعصبهم الأعمى ، وطاعتهم بدون روية لكبائرهم في الكنيسة ، المبغضين للإسلام ، فيعرف المتابع أن أناجيلهم قد دخلها التحريف والتبديل بما تصف الأهواء ، وأنهم يعيشون في ضلالة عمياء ، ويتخبطون بدون هدى بعد أن عمي البصر والبصيرة ، لأن ما بين أيديهم الآن من أناجيل لا يمثل حقيقة ما جاء به المسيح - عليه الصلاة والسلام - ، بينما القرآن حقيقة لامراء فيه ، لأن الله حفظه وحماه ، من كيد الكائدين ، وعبث المغرضين الماكرين .

وقد ذكر شيخ الإسلام في كتابه : « الجواب الصحيح » الذي يقع في أربعة أجزاء ، في معرض حديثه عن تفرق النصارى ، وتلاعبهم بالإنجيل : تحريفًا وتفسيرا وإخفاءً ، فقال : وقد اختلف النصارى في عامة ما وقع

فيه الغلط حتى في الصلب ، فمنهم من يقول المصلوب لم يكن المسيح ، بل الشبه كما يقول المسلمون ، ومنهم من يقر بعبوديته وينكرالحلول والاتحاد كالأريوسية ، ومنهم من ينكر الاتحاد ، وإلا أقر بالحلول كالنسطورية .

وأما الشرائع التي هم عليها ، فعلماؤهم يعلمون أن أكثرها ليس عن المسيح - عليه الصلاة والسلام - فالمسيح لم يشرع لهم الصلاة إلى المشرق ، ولا الصيام الخمسين ، ولا جعله في زمن الربيع ، ولا عيد الميلاد ، والغطاس وعيد الصليب ، وغير هذا من أعيادهم ، بل أكثر ذلك مما ابتدعوه بعد الحواريين ، مثل عيد الصليب ، فإنه مما ابتدعته هيلانة الحرانية ، أم قسطنطين ، وفي زمن قسطنطين ، غيروا كثيرًا من دين المسيح ، والعقائد والشرائع ، فابتدعوا الأمانة التي هي عقيدة إيمانهم ، وهي عقيدة لم ينطق بها نبي من كتب الأنبياء التي عندهم ، ولا هي منقولة عن أحد من الأنبياء ، ولا عن أحد من الحواريين ، الذين أصبحوا ملازمين للمسيح . بل ابتدعها لهم طائفة من أكابرهم قالوا : كانوا ثلاثمائة وثمانية عشر

أما الشيخ محمد بن إبراهيم مفتي الديار السعودية -رحمه الله تعالى - فقد نقل في الجزء الأول من فتاواه كلاما مطولا ، أورده الشيخ محمد رشيد رضا - رحمه الله تعالى - في معرض تفسيره لقول الله تعالى : ﴿ ومن الذين قالوا إنا نصارى ﴾ [الآية] . فصل في ضياع كثير من الإنجيل ، وتحريف كتب النصارى المقدسة . [الجزء السادس من تفسير المنار من ص/٢٨٩] ومما قاله يحتوي النقاط التالية :

١- إن الكتب التي يسمونها الأناجيل الأربعة ، تاريخ مختصر للمسيح -

عليه السلام - ، لم يذكر فيها إلا شئ قليل من أقواله وأفعاله ، في أيام معدوده ، بدليل قول يوحنا في آخر إنجيله : هذا هو التلميذ الذي يشهد بهذا ، وكتب هذا ، ونعلم أن الشهاده حق ، وأشياء أخرى كثيره صنعها يسوع ، إن كتبت واحدة واحدة ، فلست أظن أن العالم نفسه يسع الكتب المكتوبة .

وحسبنا هذا حجة عليهم في إثبات قوله تعالى : ﴿ فنسوا حظًا مما ذكروا به ﴾ وحجة على بعض علمائنا الذين ظنوا أن كتبهم حفظت بتواتر .

٢- كانت الأناجيل في القرون الأولى للمسيح كثيرة جدًا ، حتى قيل إنها بلغت زهاء سبعين إنجيلا ، وقال بعض مؤرخي الكنيسة : إن الأناجيل الكاذبة ٢٥ إنجيلاً .

٣- بدئ بتحريف الأناجيل من القرن الأول ، وبين « بولس » أن الناس كانوا ينتقلون سريعًا إلى دعاه الإنجيل المحرف المحول عن أصله الذي جاء به المسيح .

٤- وفي الفصل الخامس عشر من سفر الأعمال ما يوضح أن اليهود كانوا يمشون بين المسيحيين ويعلمونهم غير ما يعلمهم رسل المسيح ، وأن المشايخ والرسل ارسلوا برنابا وبولس ، إلى انطاكية ، ليحذروا أهلها من أهلها من هؤلآء المعلمين الكاذبين .

٥- اختلف علماء الكنيسة ، وعلماء التاريخ في الأناجيل الأربعة ، التي اعتمدوها في القرن الرابع : من هم الذين كتبوها ؟ ومتى كتبوها ؟ وبأي لغة كتبت ؟ وكيف فقدت نسخها الأصيلة ؟ كما بان ذلك في دائرة المعارف الفرنسية الكبرى .

٦- وفي دائرة المعارف البريطانية المجلد الخامس ما نصه : لم يبق من أعمال السيد المسيح شيء ، ولا كلمة واحدة مكتوبة ، وقال الأستاذ ولز : إن السيد المسيح هو واضع نواة المسيحية ، وليس مؤسسها ، وقال أيضًا: إن بعض الكتاب يرى أن السيد المسيح لا يربطه بالمسيحية الحاضرة أية صلة .

٧- في دلالة قول الله تعالى : ﴿ فأغرينا بينهم العداوة والبغضاء ﴾ نرى مصداق هذا القول الكريم بين فرقهم وبين دولهم ، لم ينقطع زمنًا ما .

٨- إن إنجيل برنابا وهو أصح أناجيلهم يخبر عن محمد -ﷺ- ويدعو للإيمان به وبرسالته مصداقا لقول الله في سورة الصف على لسان عيسى : « وإذ قال عيسى ابن مريم يا بني إسرائيل إني رسول الله إليكم مصدقًا لما بين يدي من التوراة ، ومبشرا برسول يأتي من بعدي اسمه « أحمد ».

٩- قال الأب لامنس ، وفون هامر ، ومن يرون رأيهما من المستشرقين الذين يقطعون بدقة القرآن الذي يتلوه اليوم ، وبأنه يحتوى على كل ما تلاه محمد على أنه الوحي الذي تلقاه عن ربه صادقا كاملاً .

١٠- فإذا ذهب بعد ذلك فئة من المستشرقين غير مذهبهم ، غير آبهين بالأدلة العلمية التي ساقها موير ، وكثرة المستشرقين ، كان ذلك تجنيًا على الإسلام ، لم يمليه غير الحقد على الإسلام ، وعلى صاحب الرسالة الإسلامية

١١- وتحسم الرد عليهم بما قاله واحد منهم وهو « أرنشت » : ولقد ظلّ القرآن كما هو حتى اليوم بدون أي تحريف أو تبديل ، لا من المتحمسين له ، ولا من الناقلين إلى اللغات الأخرى ، ولا ممن يتربصون به الدوائر ، وهو موقف لم نعهده مع الأسف أي كتاب من كتب العهد القديم - ويعنون

به التوراة والحديث معًا - ويعنون به الأناجيل - ، وهذه النقول عن أناس منهم هي أبلغ رد عليهم لأنها منهم ، وممن لا يستطيعون إنكار تحليله أو تعاطفهم مع المسلمين ، ولكنها الحقيقة التي ظهرت .

مناظرة بين مسلم ونصراني :

ذكر الخزرجي المتوفى عام ٥٨٢هـ نفاس المغرب في كتابه : « مقامع الصلبان » في الرد على اليهود والنصارى ، نماذج من حواره معهم فقال :

ومن أعجب توقح أساقفتكم على الله ، نفيهم معجزات رسوله -ﷺ- ولم يثبتوا سننا منها . ثم استثنوا خبر أم معبد ، وخبر الذئب ، ثم قالوا : لو نقل قومه غير هاتين لنقلناها أيضًا ، وهذا نوع من الوقاحة ، وباب من السفسطة كمثل ما روى عن رجل من المشعوذين . أنه قام ليلة لضوء القمر ، فتصدع رأسه فقام ورفع عينيه نحو القمر وقال : يا مصدع الرؤوس ، ويا مكرب النفوس ، ويا مقرب الآجال ، ويا قاطع الآمال ، ويا محل الديون ، أية منفعة منك ، أو لأي شئ تصلح .

بالله لا تصلح إلا لإصلاح اليقطين والقثّا ، فلا كان القثّا ولا كان اليقطين .

فأراد هذا المشعوذ ، حين أوجع رأسه القمر ، أن يجحد منافعه المعلومة ، في هذا العالم ، ثم أوجب له منها أضعف ما وجد ليوهم الجاهلين ، أنه لو علم له فضيلة سوى ذلك لذكرها ، وإلى مثل هذا النوع من التوقح والشعوذة ذهب مضلوكم حين أوجع محمد -ﷺ- رؤوسهم بمقمع الحق ، وقد علموا أنه لم يعط الله نبيئًا آية ، إلا أعطى محمدًا -ﷺ- أعجب منها أو مثلها .

ولا محالة أن آية واحدة خارقة للعادة ، تدل على صدق نبوءة من جاء على يديه ، إذا دعا إلى الله ، إذ وقع الاتفاق ، على أن الله لا يؤيد بها كاذبًا عليه .

أسلوب النظم في الرؤية الإسلامية

بقلم : سعادة الدكتور علي القاضي

لكل مجتمع أهداف يسعى إلى تحقيقها ، ولذلك فإنه يعد الوسائل التي تجعله يصل إلى تحقيق أهدافه .

والنظم : تعبير يقصد به إنشاء المؤسسات التي تكون وسيلة لتحقيق أهداف المجتمع . ولابد من وجود خلفية ثقافية تضع أسس النظم التي يسير عليها المجتمع ليصل إلى أهدافه .

والخلفية الثقافية في الإسلام

تؤخذ من القرآن الكريم والسنة النبوية - ولذلك فإن المجتمع الإسلامي يرى أن الكون كله وطن للإنسان - خلقه الله تعالى ليؤدي فيه دور الخلافة - **وفي القرآن الكريم** آيات تبين أن الله تعالى خلق الكون ليستخدمه الإنسان ويستريح إليه - فالأرض لينة كالمهد والجبال أوتاد للأرض تثبتها وتحفظ توازنها من التقلبات الجوفية والتقلصات السطحية - **كما خلق الله تعالى من نفس الإنسان زوجًا** . ليحس بالراحة والسكن والطمأنينة **وجعل النوم يتكفل براحة للأجسام والأعصاب** ليبدأ الإنسان عمله ونشاطه - **كما جعل النهار** ليكون معاشًا تتم فيه الحركة

الحضارة الغربية : الخلفية الثقافية للحضارة الغربية تستند إلى الثقافة الاغريقية القديمة **وتقوم على أساس وثني** .

والأدب اليوناني :

يصور العلاقة بين البشر والآلهة على أنها علاقة صراع وحروب مستمرة - كما يصور القدر على أنه قوة عمياء . لا تعفى الآلهة المتجبرين أنفسهم من ضرباتها . وأصبح في عرف الحضارة الغربية أن العاجز وحده هو الذي يخضع لمشيئة الله - وبهذا الدافع اللاشعوري يحس أهل الحضارة الغربية بأن كل خطوة يخطوها العلم ترفع درجة الإنسان ، وفي الوقت نفسه تخفض من درجة الآلهة . ولذلك فإن أسلوب النظم في الحضارة الغربية يقوم على أساس المادة والمصلحة الذاتية . يقول هايز :

« إن المصلحة الذاتية وحدها - في الحضارة الغربية - هي التي تنشر الصراعات والعدوان » .

ولذلك فإن الكون قد أصبح مجال صراع وعداوة للناس في الحضارة الغربية . وأصبح هذا سلوك الغربيين على امتداد الزمان والمكان لكن النظم في الإسلام تميزت بالنزعة الإنسانية في أجواء الحب والتسامح والتعاون والمساواة أمام الله تعالى وأمام الشريعة الإسلامية ولا أثرَ فيه لاستعلاء عرق على عرق أو فئة على فئة أو جماعة على جماعة .

خصائص النظم الاجتماعية في الإسلام :

لكل مجتمع خصائص تميز أسس النظم الاجتماعية التي يقوم عليها . وأهم خصائص النظم في الإسلام هي :

الاستقامة :

على منهج الله تعالى دون انحراف فهي لا تتأثر بأهواء البشر ولا

بنزعات الشيطان - وهي استقامة في المعرفة وفي الاتجاهات وفي السلوك وبذلك يكون المسلمون قادرين على أداء وظيفتهم في هذه الحياة وعلى الفوز برضوان الله تعالى فيعيشون في أمن وسلام ويدخلون الجنة بسلام .

﴿ إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون • أولئك أصحاب الجنة خالدين فيها جزاءً بما كانوا يعملون ﴾ [سورة الأحقاف . الآيتان . ١٣-١٤] .

الإحسان .

والمسلم مطالب بالإحسان في القول والعمل وذلك يشمل محيط الحياة كلها - يشمل علاقة العبد بخالقه وبنفسه وبأسرته وبالجماعة الإسلامية بل وبالجماعات البشرية كلها وبالكون وما فيه :

﴿بلى من أسلم وجهه لله وهو محسن فله أجره عند ربه ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون ﴾ [سورة البقرة . الآية . ١١٢] ويقول : ﴿ و أنفقوا في سبيل الله ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة وأحسنوا إن الله يحب المحسنين ﴾ [سورة البقرة . الآية : ١٩٥] .

العلم الصادق

وهو العلم الذي ينتفع به الناس والذي يشيع في صاحبه الحكمة فيصبح طبعًا لازمًا له في سلوكه الاجتماعي - وبذلك تتحقق الآمال فيهم . **فالعلماء هم ورثة الأنبياء** . و لابد أن يكون العلم مقرونًا بالعمل الذي يتلاءم معه - **وبهذا يقوم العلم على أساس المبادئ الأخلاقية الإسلامية** التي تجعل هدفها تحقيق القيم الإسلامية في كل اتجاهاتها - **ذلك لأن العلم في الإسلام يهدف إلى إعداد الإنسان**

الصالح الذي يعمر الأرض طبقًا لمنهج الله تعالى ويكتشف ما في الكون من أسرار ليستخدمها في أداء وظيفته . والإسلام يطلب من المسلم دائمًا أن يقول : ﴿وقل رب زدني علماً﴾ [سورة طه . الآية : ١١٤] .

الجهاد في سبيل الله :

والإسلام يطلب من أبنائه الإعداد الكامل للقوى التي تحفظ الأمن العالمي لأن هدف الجهاد في الإسلام :

١- **إنقاذ المستضعفين** من الرجال والنساء والولدان الذين يحيط بهم الأذى، ولا يستطيعون المقاومة . يقول تعالى : ﴿ **وما لكم لا تقاتلون في سبيل الله والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان الذين يقولون ربنا أخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها واجعل لنا من لدنك وليًا واجعل لنا من لدنك نصيرًا**﴾ [سورة النساء . الآية : ٧٥].

٢- **المحافظة** على أماكن العبادة سواء أ كانت يهودية أم نصرانية أم إسلامية . يقول الله تعالى : ﴿ **و لو لا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدّمت صوامع و بيع و صلوات و مساجد يذكر فيها اسم الله كثيرًا** ﴾ [سورة الحج . الآية . ٤٠] .

٣- **فتح الباب** أمام من يريد الدخول في الإسلام بدون عقبات توضع - على النحو الذي نراه الآن في أكثر دول العالم ولا إكراه في الدين ، ولكن لابد من حماية من يريد الدخول في الإسلام من العصبية الدينية أو الحكم الفردي وغير ذلك ولذلك فإن الأعداء يخيّرون بين الإسلام أو الجزية أو الحرب .

النظام السياسي :

فالحكومة جزء من المجتمع الإسلامي ومهمتها إدارة النظام في

المجتمع . والحاكم : لا يتميز عن غيره من أفراد المجتمع وهو مسئول أمام الناس في الدنيا وأمام الله تعالى في الآخرة والله يعلم ما تخفى الصدور .

الشوري :

والشورى من أسس الحكم وهي ملزمة للحاكم لأن أمر المسلمين شورى بينهم وقد أمر الله تعالى نبيه بالشورى ، فقال : ﴿ **و شاورهم في الأمر** ﴾ [سورة آل عمران ، الآية : ١٥٩] وطاعة أولى الأمر متعلقة بطاعة الله ورسوله .

والعدالة : أيضًا جزء من النظام السياسي وهو يشمل كل الناس على امتداد الزمان والمكان ولا تفريق بين عدو وصديق لأن الله تعالى سيحاسب على كل ذلك ، وقالها القرآن الكريم واضحة صريحة : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين إن يكن غنيًا أو فقيرًا فالله أولى بهما ، فلا تتبعوا الهوى أن تعدلوا ، وإن تلوا أو تعرضوا فإن الله** كان بما تعملون خبيرًا ﴾ [سورة النساء ، الآية : ١٣٥] لأن الأخلاق الإسلامية لا صلة لها بالقومية أو الوطنية .

المساواة :

و لابد من المساواة بين الناس جميعًا في كل شئ ولا فرق بين أبيض وأسود ولا بين قوى وضعيف ولا بين شريف وغيره لأن الله تعالى خلق الناس جميعًا من أب واحد وأم واحدة وجعلهم شعوبًا وقبائل ليتعارفوا وجعل أكرمهم عند الله تعالى أتقاهم .

الحدود :

وقد حدد الإسلام عقوبات لبعض الجرائم الاجتماعية التي تؤثر تأثيرًا سلبيًا قويًا في أمن المجتمع وأخلاقه وذلك ليحفظ المجتمع من الانحرافات التي تقوض أسسه .

ومع ذلك فإن الشريعة الإسلامية توجب درء الحدود بالشبهات ، للشك في ركن من أركان الجريمة أو أركان الشهادة و بذلك لا يقام الحد ، ويكتفي بالتعزير الذي يشمل جرائم غير الحدود وقد يكون بالسجن أو العقوبات البدنية .

النظام الاقتصادي :

الذي يقوم على أساس أن المال أساسًا هو مال الله تعالى وأن الإنسان مستخلف فيه ولذلك فإنه مطالب بأن يسير فيه طبقًا لمنهج الله ، سواء في طرق الكسب أم طرق الإنفاق إلى جانب أن للفقراء نصيبًا فيه بالزكاة أو الصدقة ، و لابد من إيجاد فرص العمل لكل قادر عليه وغير القادرين على العمل يتكفل بهم أقاربهم فإن لم يستطيعوا تكفل بهم بيت مال المسلمين .

النظام الاجتماعي :

الفرد يخاطبه الإسلام مباشرة ويعطيه حقوقًا ويلقي عليه تبعات تبرز كيانه الفردي المستقل وهو متصل بالله تعالى مباشرة ويشعر برعاية الله تعالى له رعاية كاملة ، والرجل مكلف بالإنتاج المادي وما ينتج عنه والمرأة مكلفة بالإنتاج البشري وما يترتب عليه .

والجماعة يخاطبها الإسلام كذلك - يعطيها حقوقًا ويلقي عليها

تبعات تبرز كيانها وتبرز المجتمع المترابط المعمر للأرض ، **والأسرة** تمثل نبتة لا تعوض بالنسبة للهندسة الاجتماعية بمعناها الدقيق ولبناء شخصية الطفل الاجتماعية والثقافية - **ولذلك أكد الإسلام على أن يكون أساس اختيار الزوج والزوجة التقوى** حتى تتحقق للأسرة الراحة والأمن والطمأنينة - فيربى الطفل في جو سليم يجد فيه حاجاته الجسمية والنفسية والعقلية - **وفي محيط الأسرة جعل** الإسلام للأطفال حقوقًا و واجبات محدوده ، وكذلك لكل فرد من أفراد الأسرة - **وحقوق الأبوين** تتضح عند الكبير ، **فالمطلوب طاعتهم في** غير معصية الله **وطاعة الوالدين** تأتي بعد طاعة الله تعالى مباشرة حتى و لـو كانا كافرين ، فلا بد من مصاحبتهما بالمعروف ، **و يقول :** ﴿ رب ارحمهما كما ربياني صغيرًا ﴾ ولا يقول لهما أف ولا ينهرهما .

والمدرسة . لها دور في تربية الطفل من جميع نواحيه **ولها دور في** إيجاد التوازن في حياة الطفل الفردية والاجتماعية وهي حلقة وسط بين البيئة المنزلية والمجتمع الكبير - وهي تؤثر في سلوك الأفراد والجماعات عن طريق المعرفة النظرية والتقليد والاستهواء والإيحاء وغير ذلك

والمجتمع بما فيه من أصدقاء وهيئات وأندية وصحافة وإذاعة وتلفاز له أثره العميق في التربيه . **ولذلك فلا** بد من أن يحاط الاعلام بالضمانات التي تكفل التأثير الإيجابي في النفوس ، ولابد من التناصح بين أفراد المجتمع الإسلامي بحيث تكون النصيحة لله ولرسوله ولائمة المسلمن وعامتهم ، ولابد من الأمر بالمعروف والنهي عن

المنكر وإشاعة جو المحبة والاطمئنان بكل السبل الممكنة .

إجراءات وقائية :

وقد اتحد النظم الإسلامية في الإسلام إجراءات وقائية لحماية المجتمع ، فالبيوت لا تدخل إلا بعد الاستئذان والمؤمنون مأمورون بغض البصر وحفظ الفرج ومنع الإثارة ، ثم بألا يسخر أحد من أحد وألا يلمز أحد أحدًا وأن يجتنبوا الظن فإن بعض الظن إثم ، وبألا يتجسس أحد على أحد وبألا يغتاب أحد أحدًا - كما أنه منع الخمر والربا والتطفيف في الكيل والميزان وكل شئ يشيع الفحش في المجتمع ويجعله غير قادر على أداء وظيفته .

وبهذا نلاحظ أن النظم الاجتماعية في الإسلام تناولت الإنسان من جميع نواحيه في تعاليم عليا خالدة - اكتمل فيها توحيد العقيدة وتوحيد الشريعة والسلوك الإنساني .

وبقي أن يهتم المسلمون أنفسهم بالنظم الإسلامية ليعتنقوها اعتناقًا كاملاً ويطبقوها تطبيقًا سليمًا كما فعل أسلافهم من قبل . حينئذ ستكون لهم قيادة هذا العالم الحائر ويسيرون إلى الأمن والعدالة والسعادة المنشودة . وبذلك يرضون عن أنفسهم ويرضى الله سبحانه وتعالى عنهم في الدنيا والآخرة ، وهذا ما يتمناه كل إنسان على امتداد الزمان والمكان .

ولكن لا يصل إليه إلا من سار على منهج الله تعالى . وكان هدفه تحقيق النظم الإسلامية في جميع المجالات .

﴿ ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها
ولا تتبع أهواء الذين لا يعلمون ﴾

دراسات وأبحاث :

الغزو الفكري في حياة المسلمين
منافذ دخوله . و وسائل مقاومته

(الحلقة الاولى)

بقلم سعادة الدكتور عمر يوسف حمزة
كلية الشريعة والدراسات الإسلامية قسم التفسير والحديث - جامعة قطر

مقـــدمــــة :

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء وأكرم المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه ومن تمسك بسنته واهتدى بهديه إلى يوم الدين .. وبعد !

فإن الغزو الفكري للعالم الإسلامي حقيقة واقعة تبدت في الماضي ، وتتجلى في الحاضر ، ويخطط لها في المستقبل .

فعشرات الأجهزة : شرقية وغربية ، سرية وعلنية ، حكومية وأهلية ، دينية وإلحادية ، عسكرية ومدنية ، تجمع صفوفها ، وتحشد قواها ، لغزونا من الداخل ، بعد انحسار مرحلة الغزو من الخارج ، ومع أن الغزو الخارجي ليس مستحيلاً - وأفغانستان خير دليل وشاهد - إلا أن الغزو الداخلي أكثر استقرارًا ، وأرسخ دعائمًا وأعتى بعودًا (١) .

ومن هنا يظهر لنا أن مقاومة الغزو الفكري ليست ترفًا فكريًا ، أو مجاربة طواحين هواء ، بل شرط وجود ، وجوهر بقاء .

إن الغزو الفكري والتيارات المعادية للإسلام من الموضوعات التي تشد اهتمام الواعين من أبناء الأمة الإسلامية ، وتحتاج من الباحثين

والدارسين إلى أن يبذلوا فيها من الجهد ما يكشف عن خباياها ويوضح أبعادها .

ولقد كان للإسلام في الماضي جولة مع أهل الباطل والضلال وأصحاب الأهواء والمتجبرين في الأرض ، ولقد حقق المسلمون انتصارات كبيرة على جميع أعدائهم ، ومن ثم عادي الإسلام كل ضال وكل ذي هوى ، و وقف في وحه هدبه ومنهاجه كل طاغية ، وكل ظالم ، وقامت المعارك ضاربة متعددة على مر التاربخ بين الإسلام وهؤلآء الأعداء .

وبخطئ مس يظن أن الحرب بيں الإسلام وأعدائه قد وضعت أوزارها ، إنما الحق أن أعداء الإسلام بدبرون لحربه كل بوم وسيلة ، ويحشدون للوقوف في وجهه كل بوم قوه ، وليس خطر الكلمة والفكرة بأقل مں خطر الحندي والسلاح في المعركة الضاربة التي يشنها أعداء الإسلام على الإسلام وأهله ، فبالإصافة إلى حرب الجنود والسلاح التي شنها أعداء الإسلام عليه ، شنوا حرب التشويه والتخريب للإسلام منهجه وتاريخه ، ورجاله وتراثه ولغته وقرآنه ، وتحالفوا وتآزروا وابتكروا حديث الوسائل وخبيث التيارات والأساليب ، فغزوا المسلمين في قلوبهم وأفكارهم وأخلاقهم وأزيائهم وشنوا على العالم الإسلامي من الغارات ما لا بخفي أمره على كل ذي بصيرة ، و وقفت الصهيونية والتبشير والاستعمار والمبادئ والنظريات والفلسفات يشد بعضها أزر بعض في حرب الإسلام وأهله ، ومن مجموع تلك الوسائل والأساليب كان الغزو الفكري للمسلمين (٢) .

إن الغزو الفكري هو أن تتبنى أمة من الأمم - وبخاصة الأمة الإسلامية

معتقدات وأفكار الأمة الأخرى من الأمم الكبيرة وهي غير إسلامية دائمًا - دون نظر فاحص وتأمل لما يترتب على ذلك التبني من ضياع لحاضر الأمة الإسلامية - في أي قطر من أقطارها - وتبديد لمستقبلها ، فضلاً عما فيه من صرفها عن منهجها وكتابها وسنة رسولها - وما يترتب على ذلك الصرف من ضياع أي ضياع ، إذ لا يوجد مذهب سياسي أو اقتصادي أو اجتماعي يغني الأمة الإسلامية عن منهجها الإلهي ، ونظامها الشامل المتكامل في كل زمان ومكان (٢) .

لا ريب أن من يرى مؤسسات التنصير والاستشراق وما يصدران من شبهات وتحديات يحكم بما لا يدع مجالا للشك بوجود الغزو الفكري الذي يرمي إلى خلق عقلية جديدة تعتمد على تصورات الفكر الغربي ومقاييسه ، ثم تحاكم الفكر الإسلامي والمجتمع الإسلامي من خلالها بهدف سيادة الحضارة الغربية وسيادتها على حضارات الأمم ، ولا سيما الحضارة الإسلامية

ولقد ذكر المبشرون والمستشرقون أن هدفهم هو خلق أجيال جديدة من العرب والمسلمين تحتقر كل مقومات الحياة الإسلامية بل الشرقية ، وإبعاد العناصر التي تمثل الثقافة الإسلامية عن مراكز التوجيه (٤) .

هذه هي بعض مفاهيم الغزو الفكري ، وتلك هي تياراته المعادية للإسلام فيما يظهر لي ، وسوف أتناول في ثنايا هذا البحث الغزو الفكري من خلال المحاور التالية :

المحور الأول . المنافذ التي يدخل منها الغزو الفكري .

١- الاقتصاد . ٢- التعليم . ٣- الصحة ٤- السياسة .

٥- وسائل الإعلام .

المحور الثاني : أساليب الغزو الفكري في التشكيك :

١- الطعن في القرآن الكريم . ٢- الطعن في السنة الشريفة .

٣- اعتماد ما جاء في كتب السيرة .

٤- السطربات لبعض الفرق الإسلامية الشاذة .

٥- محاربة الفكر الإسلامي والدعوة إلى فصله عن حدوده وقواعده .

المحور الثالث :

١- العلمانية والحداثة ، اتجاهاتهما الخطيرة في محاربة الإسلام .

٢- الطريق الأنجع في دفع تحركاتهما العدوانية ، و رد نشاطاتهما المسوعة في المجالات : الفكرية ، والعلمية ، والإعلامية .

وسوف أخص كل محور من هذه المحاور الثلاثة بشئ من التفصيل وسيكون حديثي عن عناصر هذه المحاور مستندًا إلى الأدلة والبراهين التي تدعم أقوالي . والله المستعان وهو ولي التوفيق .

المحور الأول : المنافذ التي يدخل منها الغزو الفكري :

١- الاقتصاد ٢- التعليم . ٣- الصحة .

٤- السياسة . ٥- وسائل الإعلام .

١- أثار الغزو الفكري في الاقتصاد :

يمر المسلمون اليوم بفترة من أقسى فترات التحدي الحضاري في تاريخهم الطويل ، وبلغ هذا التحدي مداه في مجال العلوم والتقنية حيث تخلفت الدول الإسلامية تخلفًا ملحوظًا ، بينما تقدمت المعارف في هذين المجالين تقدمًا مذهلاً خلال القرن الحالي بصفة عامة ، وفي النصف

الأخير منه بصفة خاصة ، مما سمي عصرنا بأنه عصر العلوم والتقنية ، وهذا المجال لم تدخله الدول الإسلامية في معظمها بعد - أو دخلته بعضها بجهود فردية محدودة لا تكاد تساير تقدم العصر في ذلك ، مما تسبب في وجود هوة شاسعة جعلت الدول الإسلامية « في زمرة الدول النامية » واستمرت النهضة العلمية والتقنية التي بدأت في القرن التاسع عشر في نموهـــا و ظهرت الصناعات المتقدمة في السيارات و الطائرات ، والصواريخ ، ورحلات الفضاء ، كما ظهرت أقوى أسلحة الحرب ، وأفضل وسائل الانتقال الحديثة ، وتطورت صناعة اللدائن والأنسجة الصناعية ، وتمت ميكنة الزراعة وتحسين المحاصيل عن طريق الأبحاث في كل من علم الوراثة وعلم كيمياء التربة ، وأدخلت المخصبات الزراعية والمبيدات الحشرية كأساليب جديدة في تحسين الزراعة .

وفي عصره هذا التقدم العلمي والتقني المذهل تخلف العالم الإسلامي تخلفًا شديدًا بعد أن حمل لواء المعرفة العلمية والفكرية والصناعية لعشرة قرون كاملة (من القرن السادس الميلادي إلى مشارف عصر النهضة في القرن السادس عشر الميلادي) (٥) فقد أسقطت الخلافة الإسلامية في سنة ١٩٢٤م ، بعد احتلال مساحات كبيرة من أرض المسلمين ، كما تم تمزيق هذا الجسد الواحد إلى أكثر من خمسين دولة متباينة المساحة وتعداد السكان ، بالإضافة إلى أقليات منتشرة في كل دولة من الدول غير الإسلامية ، تفوق أعدادها مئات الملايين في بعض هذه الدول .

كما أدى تفتت العالم الإسلامي إلى انقسامه إلى دول متخمة بالثراء إلى حد البطر ، وأخرى معدمة إلى حد الفاقة ، وبسبب انتشار الفقر

أهملت عمليات التنمية البشرية والمادية ، فقد أهمل التعليم ، وبإهماله تفشت الأمية ، وأهملت الرعاية الصحية ، وبذلك تفشت الأمراض وساءت الأحوال الصحية ، كما أهملت التنميه الزراعية والصناعية والاجتماعية ، وبإهمالها تقلص الاقتصاد ، وزادت الديون وغرقت الأمة في الربا ، ولم يعد هناك مجاز للأخذ بأسباب التقدم العلمي أو التقني ، ويرجع السبب الرئيسي في فقر الدول الإسلامية إلى هذا التفتت الذي لم يجعل لأي منها القدرة على القيام بذاتها ، فغالبية الدول المعاصرة لا تمثل كيانات حقيقية نمت من خلال التفاعلات السياسية والاجتماعية والاقتصادية على المدى التاريخي الطويل كما تنمو الدول عادة ، ولكن في غالبيتها كيانات رسمت حدودها الراهنة القوى الاستعمارية العالمية ، وحافظت عليها لتبقى الأمة على هذه الصورة من التفتت الذي لا يمكن أيًا منها من تشكيل وحدة اجتماعية ، اقتصادية متكاملة أو شبه متكاملة .

وبهدف الحيلولة دون قيام أدنى قدر من التعاون بين الأشقاء ، ودون تحرك المال الإسلامي بين الدول الإسلامية على شكل استثمارات تعين على تنشيط عملية التنمية ، قامت الدول الكبرى بترتيب سلسلة من الانقلابات العسكرية ، والانقلابات المضادة لتحدث جوًا من عدم الاستقرار السياسي والفوضى الاقتصادية ، التي لا تشجع على تحرك أية أموال بينها ، حتى لا تجد فوائض الدول الغنية فيها طريقها إلا إلى خزائن وبنوك الدول الكبرى .

وقد أدى إفقار الدول الإسلامية إلى تفشي الأمية بين البالغين من أبنائها بصورة مزعجة ، تتراوح نسبتها بين ٥٠-٨٠٪ بمتوسط حوالي

٥٨٪ بينما تقل نسبة الأمية في الدول الغنية عن ٢٪ ، ولا تتعدى هذه النسبة ٤٥٪ في المتوسط في دول العالم الثالث مما يعني بوضوح أن أعلى نسبة للأمية بين البالغين في العالم اليوم هي الدول الإسلامية (٦) .

فالتخلف الاقتصادي الذي أحاط بالعالم الإسلامي لا يحتاج إلى جهد في بيان أسبابه الحقيقية في حياة الأمة .

نعم ، لقد كانت هناك أسباب خارجية اسهمت في هذا التخلف ولكنها وحدها - لا تبرره وتفسره .

لقد كانت أوربا الصليبية تسعى - منذ القضاء على الدولة الإسلامية في الأندلس - إلى تطويق العالم الإسلامي ، وإضعافه بكل الوسائل ، وكان من بين الوسائل التي ابتدعتها السعي الدائب لتحويل التجارة العالمية إلى أيديهم ، وانتزاعها من يد المماليك ، الذين كانوا يمسكون بزمامها عن طريق سيطرتهم على البحر الأحمر والبحر الأبيض ، فتدر عليهم أموالا طائلة ، وعلى العالم الإسلامي كله كذلك .

وبعد أن اكتشف البرتغاليون طريق رأس الرجاء الصالح ، بمعاونة بحارة من المسلمين وعلى هدى الخرائط الإسلامية ، بدأوا يتجهون إلى الشرق الأقصى ليستولوا على أرضه وخيراته ، وينقلوها على سفنهم عن طريق رأس الرجاء الصالح فحرموا منها دولة المماليك ، وبحرموا منها العالم الإسلامي كله

وحدث ذلك بالفعل ، وتأثرت اقتصاديات العالم الإسلامي تأثرًا بالغًا بما حدث (٧)

ولكن .. هل هذا هو التفسير !؟ أو هذا هو التدبير !؟

أين كانت مراكز القوة يوم قامت الدولة الإسلامية أول مرة ، سواء القوة الحربية أو السياسة أو الاقتصادية ؟ ألم تكن لها في يد فارس والروم ؟

فما الذي حدث في التاريخ ؟

لقد خرجت الأمة المؤمنة تنشر الإسلام في الأرض فأزالت قوى الباطل ودكتها دكًا ، وأقامت في مكانها دولة الإسلام ، واستولت هي على مراكز القوة فأصبحت أكبر قوة في الأرض ، وشملت قوتها كل جانب ، فصارت في يدها القوة الحربية ، والسياسية ، والاقتصادية ، وكان ذلك كله تحقيقًا لوعد الله للمؤمنين من هذه الأمة في قوله الكريم : ﴿ وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم • وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم • وليبدلنّهم من بعد خوفهم أمنًا • يعبدونني لا يشركون بي شيئًا ﴾ (٨) .

فما الذي غير الحال بعد ذلك ، وسلب مراكز القوة من يد المسلمين ؟

ربما يقال ضعفت قوتهم الحربية بينما ازدادت قوة أعدائهم فتغلبوا عليهم ، فنقول : نعم ، تلك هي الأسباب الظاهرة ، ولا شك ، ولكن قراءة التاريخ بالأسباب الظاهرة وحدها لا يؤدي إلى الحقيقة ، بل قد تضلل عن الحقيقة .. يقول الله تعالى : ﴿ إن الله لا يغيّر ما بقومٍ حتى يغيّروا ما بأنفسهم ﴾ (٩) ، ﴿ ذلك بأن الله لم يك مغيّرًا نعمةً أنعمها على قوم حتى يغيروا ما بأنفسهم وأن الله سميع عليم ﴾ (١٠) .

والذي يشغل النفوس المؤمنة هو الإيمان .. والذي يتغير في النفوس هو حقيقة الإيمان

فحين تكون الأمة « متقدمة » في الإيمان ، يتحقق لها وعد الله بالاستخلاف والتمكين والتأمين ، وحين تكون « متخلفة » يحدث تغيير النعمة ، (أي سلبها) ويذهب عن الأمة الاستخلاف والتمكين والتأمين .

فسلب التجارة من يد المسلمين ، واستيلاء أوربا الصليبية ، عليها ، له أسبابه الكامنة في التخلف العقدي الذي أصاب الأمة في مجموعها ، والتقلص والضمور الذي ترتب عليه في كل اتجاه .

فتضاؤل القوة الحربية الذي مكن الأعداء من أجزاء متزايدة من العالم الإسلامي هو ذاته ، أثر من آثار التخلف العقدي .

ولكن آثار التخلف العقدي في الميدان الاقتصادي الخاص لا تحتاج إلى تأكيد .

وإذا سلمنا بأن التجارة الخارجية قد سلبت من أيدي المسلمين لسبب قاهر لا يقدرون على رده ، فهل يتوقف ثروة العالم الإسلامي على التجارة وحدها في ذلك الحين أو في أي حين ؟

إنّ بلاد المسلمين من أقصاها إلى أقصاها هي - بقدر من الله - أغنى بقعة في الأرض ، وأكثرها خيرات ، وقد كانت - وما تزال حتى هذه اللحظة - لم تستثمر الاستثمار الكامل ، الذي يستغل كل مواردها .

والسبب في عدم استغلال هذه الثروات هو التقاعس ، والتواكل ، والضعف العلمي ، و وهن العزائم ، والانصراف عن عمارة الأرض ، والرضى بالفقر على أنه من قدر الله لا يسعي السعي إلى تغييره خوفًا من الوقوع في خطيئة التمرد على قدر الله تعالى .

إنّ الأمة غير الإسلامية يمكن أن تنال القوة والتمكّين في الأرض

بالبعد عن الله ، بل كلما زادت بعدًا عن الله زادت في القوة والتمكين .. كما هو حال أوربا الكافرة الجاحدة اليوم ، لأن هذا من السنن الربانية في معاملة الكفار : قال تعالى : ﴿ فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم أبواب كل شئ ﴾ (١١) .

لفترة من الزمن يقدرها الله .. ثم يأتي التدمير :

﴿ حتى إذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتةً فإذا هم مبلسون • فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين ﴾ (١٢) .

أما أمة الإسلام فإنها تعامل بسنة خاصة .. لا يُمكنون إلا على الإيمان ، فإذا انحرفوا زال عنهم التمكين ، ذلك لأن الله لا يريد لهم أن يفتنوا بالتمكين وهم منحرفون عن طريقه ، فيزيدوا انحرافًا حتى يصلوا إلى الكفر فتأخذهم سنة الكافرين : قال تعالى : ﴿ من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوفّ إليهم أعمالهم فيها • وهم فيها لا يبخسون • أولئك الذين ليس لهم في الآخرة إلا النار • وحبط ما صنعوا فيها • وباطل ما كانوا يعملون ﴾ (١٣) .

فمن رحمته سبحانه بهذه الأمة أنه لا يمكنها أبدًا وهي منحرفة عن السبيل لكي تعود إليه ، فيمكنها وهو راض عنها ، ويدخر لها في الآخرة ما يدخره لعباده الصالحين (١٤) .

وإذا كان من أهداف الغزو الفكري ، صرف المسلمين عن دينهم ، وعن قرآنهم ، وليكونوا بعد ذلك ما يكونون ، فإذا عجزوا عن تنصيرهم كما كانوا يشتهون ويخططون في البدء .

فينبغي على الأقل أن ينتزعوا من قلوبهم ذلك الشئ المرهوب ، الذي

برعجهم وبعرعهم حتى وهو كامن في قلب « الرجل المريض » كما صرح أحد الكتاب في كتاب « الغاره على العالم الإسلامى » حيث قال : « إن أوربا كانت تعرع من « الرجل المريض » لأن وراءه ثلاثمائة مليون من المسلمين على استعداد للجهاد بإشاره من أصبعه (١٥) .

وإذا كان المراد بالعرو الفكري الوسائل عير العسكرية التي اتخذها العرو الصليبي لإزالة مظاهر الحياه الإسلامية ، وصرف المسلمين عن التمسك بالإسلام ، مما يتعلق بالعقيده . وما يتصل بها من أفكار وتقاليد وانماط سلوك

ولكن هذا لا ينبغي أن يخفي عنا مجموعة من الحقائق في هذا الشأن :

الأولى : ان الباعث الصليبي كان الباعث الاول الذي حرك أوربا إلى الاستيلاء على العالم الإسلامي كما هو ثابت من رحلتي فاسكو داجاما ، وماجلان ، والرحلات « الاستكشافيه » الأخرى - في إفريقيا خاصة - التي حملت المبشرين بكميات هائله إلى أماكن لم يكن الاستغلال الاقتصادي فيها محدد المعالم أول الأمر ، وإن كان قد حدث على نطاق واسع فيما بعد ، حين اكتشف المحتلون مصادر الثروه وأخذوا في استغلالها

الثانية : أن التحرك الاقتصادى الأول من أوربا نحو الشرق كان هدفه الأول حرمان المسلمين من مصادر قوتهم لإضعافهم ، وهو هدف صليبي واضح تتخذ له جميع الوسائل . وما الوسيلة الاقتصادية إلا واحده من هذه الوسائل فحسب . وليست هي الغاية كما يزعمون ، ويزعم معهم المستعبدون لهم من المثقفين ، خاصة الذين يرددون في غير تفكيـــر ،

القول : بأن الغرب لا يريد إلا تأمين مصالحه الاقتصادية فحسب ، ولا يهمه شئ غير ذلك .

الثالثة : أنه حين برز العامل الاقتصادي في حياة أوربا فيما بعد ، وأصبح - في ظاهر الأمر- هو المحرك الأول لجميع تصرفاتها ، بقي هناك فارق واضح بين « الاستعمار الاقتصادي » في بلاد الإسلام ، والاستعمار الاقتصادي في البلاد غير الإسلامية التي استولوا عليها في مرحلة التوسع وتكوين الإمبراطوريات (١٦) .

فمع أن الاستعمار في جميع أحواله ظالم للبلاد المحتلة المستغلة ، أناني النزعة ، لا يهمه إلا تحقيق مصالحه الخاصة على حساب أهل البلاد الأصليين ، مع ذلك كله فإنه - في البلاد غير الإسلامية لا يتعرض لعقائد الناس وأفكارهم وتقاليدهم بشئ من العنف على الإطلاق ، مكتفيًا بما يتسرب إلى حياتهم تدريجيًا من التأثير الناشئ من رغبة المغلوب في تقليد الغالب ، أما في البلاد الإسلامية فقد كانت هناك دائمًا تدبيرات وترتيبات يقصد بها قصدًا إلى إزالة مظاهر الحياة الإسلامية ، ومحاولة سحق الإسلام في نفوس المسلمين بالعنف ، أو صرفهم عنه صرفًا خبيثًا ماكرًا بوسائل أخرى غير العنف .

وكان من أول هذه التدبيرات والترتيبات في كل بلد إسلامي وقع في قبضتهم تنحية الشريعة الإسلامية عن الحكم و وضع القوانين الوضعية بدلاً منها ، وهو أمر لا علاقة له من قريب ، ولا بعيد « بالمصالح الاقتصادية » التي يزعم الغرب ويزعم معه أتباعه المستعبدون له أنها الهدف الأول والأخير من استيلائهم على العالم الإسلامي .

ومن هذا يتبين أن الدافع الصليبي كان موجودًا مع الغزو الأوربي لبلاد الإسلام ، سواء كان يعمل منفردًا كما كان منطلقه الأول ، أو ممتزجًا بالدافع الاقتصادي كما حدث فيما بعد ، ولكنه في جميع أحواله حاد النزعة لا يهدأ ولا يسكن ، بل ازدادت حدته في القرن الأخير خاصة مع بروز حركات البعث الإسلامي (١٧) . [يتبع]

الحواشي والهوامش :

(١) وسائل مقاومة الغزو الفكري للعالم الإسلامي . ص/٧ ، د/حسان محمد حسان سلسلة دعوة الحق ، العدد/٥ السنة الأولى - شعبان ١٤٠١هـ .

(٢) الغزو الفكري والتيارات المعادية للإسلام ، نشر جامعة الإمام محمد بن سعود ١٤٠١هـ-١٩٨١م ص/٥ بتصرف ، بحث أعده الدكتور علي عبد الحليم .

(٣) انظر المصدر السابق ، ص/٩

(٤) شبهات التغريب في غزو الفكر الإسلامي ص/١٢ ، أنور الجندي ، الطبعة الأولى ١٣٩٨هـ-١٩٧٨م المكتب الإسلامي

(٥) قضية التخلف العلمي والتقني في العالم الإسلامي المعاصر ، د/زغلول راغب النجار ص/٢٢ . كتاب الأمة الطبعة الأولى صفر ١٤٠٩هـ .

(٦) انظر المصدر السابق ص/٢٦

(٧) واقعنا المعاصر ص/١٧٩ فما بعدها ، الأستاذ محمد قطب ، الناشر ، مؤسسة المدينة للصحافة والطباعة والنشر ، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ-١٩٨٦م .

(٨) سورة النور ، الآية ٥٥ (٩) سورة الرعد ، الآية : ١١ .

(١٠) سورة الأنفال ، الآية ٥٣ (١١) سورة الأنعام ، الآية : ٤٤ .

(١٢) سورة الأنعام ، الآيتان ٤٤-٤٥ . (١٣) سورة هود ، الآيتان : ١٥-١٦ .

(١٤) واقعنا المعاصر ص/١٨٢ (١٥) انظر ، الغارة على العالم الإسلامي ، تلخيص محب الدين الخطيب ، مساعد الياقي ، مكتبة أسامة بن زيد ، بيروت .

(١٦) واقعنا المعاصر ص/١٩٤ . (١٧) المصدر السابق : ص/١٩٥ .

فضل حق بن فضل إمام،الخيرآبادي (+)

(١٢١٢-١٢٧٨هـ - ١٧٩٧-١٨٦١م)

[الحلقة الأولى] بقلم : سعادة الدكتور رضوان علي الندوي - كراتشي

هو العلامة فضل حق (١) بن فضل إمام ، الخيرآبادي ، من ذرية سيدنا عمر بن الخطاب ، ومن ثم يكتب نسبته العمري أو الفاروقي أيضًا ، وهو أحد العلماء المشاهير في القرن الثالث عشر الهجري - التاسع عشر الميلادي .

ولد في قرية خيرآباد بمديرية سيتا فور في الإقليم الشمالي بالهند سنة ١٢١٢هـ-١٧٩٧م في بيت علم وفضل ، فكان والده الشيخ فضل إمام أحد كبار المؤلفين (٢) في المنطق والفلسفة ، ودرس فضل حق جميع العلـــوم على والده إلا علم الحديث ، فقد درسه على العالم الشهيـــر عبد القادر بن الشيخ ولي الله الدهلوي .

وكان فضل حق يتمتع بذكاء خارق وجودة الحفظ ، حتى حفظ القرآن الكريم في أربعة أشهر فقط ، وانتهى من تحصيل العلوم في شبابه المبكر ونبغ في العلوم العقلية من منطق وفلسفة مثل والده إضافة إلى اللغة وقرض الشعر بالعربية ، ويزيد شعره على قول صاحب نزهة الخواطر

(+) من كتاب للباحث بعنوان : « اللغة العربية وآدابها في شبه القارة الهندية الباكستانية عبر القرون » سينشر في باكستان عما قريب .

على أربعة آلاف بيت . وقال عنه صديق حسن خان القنوجي العالم المحدث اللغوي الشهير: « إمام وقته في العلوم الحكمية والفلسفة بلامدافع » (٣) كذلك قال صاحب نزهة الخواطر : « فاق أهل زمانه في الخلاف والجدل والحكمة واللغة (٤) » ولم يكن فضل حق من العلماء المترمتين ، بل كان يتجمل في ملبسه ، ويتمتع باللهو البرئ مثل الشطرنج وسماع الغناء .

وكما كان والده موظفا في الدولة الإنجليزية بدلهي ، فكذلك توظف عندهم فضل حق في ديوان الإنشاء بدلهي ، ثم انقلب عليهم عند قيام الثورة الهندية سنة ١٨٥٧م ، وشارك في الجهاد ضدهم مع قائد الثورة الأمير جوان بخت بن السلطان سراج الدين بهادر شاه ظفر ، وأصدر الفتوى للجهاد ضدهم ، ولذلك قبض عليه الإنجليز بعد إخفاق هذه الثورة بسبعة أشهر ، ونفوه إلى جزيرة أندمان الموبوءة في خليج البنغال جنوبي مساء كلكتا الشهير ، حيث توفي بعد بضع سنوات .

وللشيخ فضل حق مؤلفات عديدة في علوم المنطق والفلسفة والكلام والتصوف ، ومنها ما هو مطبوع وآخر مخطوط ، وأشهرها على الإطلاق ، « الحكمة السعيدية » في الفلسفة اليونانية ، وهو منسوب إلى الأمير محمد سعيد خان حاكم إمارة رامفور الإسلامية ، الشهيرة بمكتبها الحاوية على المخطوطات العربية والفارسية النادرة ، ويظهر من مؤلفاته أنه كان فيلسوفًا مفكرًا بحق ، فله رسالة في تحقيق الأجسام وأخرى في تحقيق الكلي الطبيعي وأخرى في تحقيق العلم والمعلوم وغيرها .

ثم إنه سجل حوادث الثورة الهندية ١٨٥٧م في رسالته ، ولها قيمة كبرى ، فإنه كان كما قلنا أحد المشاركين فيها ، كما أن له بعض القصائد

في هذه الثورة .

ومعظم إنتاجه باللغة العربية ، وأما ما يتعلق بالأدب والشعر ، فإنه يتلخص في القصائد في مدح الرسول -ﷺ- وبعض الأمراء في عصره ، ثم القصائد السياسية الآنفة الذكر ، ومن المؤسف أن دواوين شعره غير مطبوعة ، وهي :

١- ديوان القصائد العربية ، من نسخة في مكتبة رضا بمدينة رامفور ، أترابراديش الهند برقم/٢٢٨ - ورقم/٢٢٩ .

٢- مجموعة بعض رسائله وقصائده ، وهي في حوزة الطبيب نصيرالدين بكراتشي .

وكان قد غلب عليه أسلوب الحريري من النثر المسجوع المقفى ، كما سيطر عليه حب المحسنات البديعية من الجناس والطباق وغيرها كل السيطرة في نثره ونظمه ، وأصاب السيد صديق حسن خان القنوجي في وصفه :

« وله نظم رائق ، وشعر فائق لو لا أنه أكثر فيه من التجنيس الذي ينبو عنه السماع وتأباه الطباع » (٥) .

ويقول : إنه كان يتلاعب بالألفاظ تلاعبا ، يثقل به كلامه بحيث تفقد به عباراته الجمال المطلوب ، وتضيع المعاني في الألفاظ الموزونة المجنسة ، فانظر إلى رسالة له يعزى بها أحد أصدقائه على وفاة والده :

« أما بعد ، فإن الدنيا دار غرور ماله قرور ، بل قرورها مرور ، وظلها حرور ، لا يوازي همومها سرورها ، ولا يوازن خيورها شرورها ، ولا تتكافأ معافاتها وآفاتها ، ولا تتآذى أفراحها وأتراحها ، ولا محنها

وراحتها ، ولا بتلاقى سمومها نعيمها ، ولا سمومها نسمها ، ولا ضنكها رخاءها ولا رعزعها رخاءها ، ترياقها ثمال ، ونقصانها كمال ، عاقبة عافيتها أوصاب ، وحلوبها وسلوبها حلاقم أوضاب ، أولها حبور ، وآخرها ثبور ، وصعاؤها غبار ، ونقاؤها عور ، وأهلها بور وقصورهم قبور ، وكل من عمر فيها مرموس ، وكل ما عمر فيها مطموس ، وكل من الورى وإن ترى فإن مصيره إلى الثرى ، مبادئها آمال ومنى ، وعواقبها آجال ومني .. » (٦)

ورسالة العزاء هذه في أربع صفحات ، وكلها في هذا الأسلوب المسجوع الكريه ، المحبوب في زمانه لفساد الذوق وحب الصنعة والتكلف ، حتى في مثل هذه المناسبة الأليمة ، وفاة والد صديق عزيز ، والسبب في ذلك أنهم اتخذوا نثر الحريري في المقامات مثلهم الأعلى في الكتابة ، وغابت عنهم النماذج الأصيلة الجميلة من نثر الجاحظ ، وأبي حنيفة الدينوري ، وابن قتيبة والمبرد وغيرهم من أدباء العصر العباسي الكبار المرموقين ، وهكذا شعره حشد فيه الزخارف اللفظية ، وصبغه بالمحسنات البديعية التي طغت على جمال المعنى وحسن التعبير ، بل حولت كلامه أحيانًا إلى شبه ألغاز أو معجم ألفاظ ، فمن شعره :

أتى من ناشر الصباح بشـــــــــــر
بشر بشر بالصبوح بُشـــــــــــر
شفى بما أشفت علىل بسمــــــــه
فلم يبق إلا في الجفون فتــــــــور

و نورت الخضراء نورًا و زهـــــرة

و زهر الجوارى تختفى و تنــــــور

و من قوله :

هل من مبلغ عن ولهـان مشتـــــاق

عنا و عني في أطواق أتـــــــواق

مسلسل الدمع يروى عنه مسنـــــده

و صدقا ، أحاديث أشواق بأســـــواق

من لا يرى الإثم في نكث اليمين و من

يمين في كل ميعاد و ميثـــــــاق

عدل القوام بطن الظلم معدلـــــة

و ينتحى الأجل في تقتـــــل عشاق

و لا نريد أن نطيله ، فله بعض قصائد أخرى تعبر عن عواطف وأحاسيس صادقة ، في كلماتها رنة الموسيقى ، والحنان الفياض ، فاستمع إلى قوله :

يا سائلا عن شأنه ، يعييــــك عن تبيانه

دمع جرى في شأنـــه هملا ، وفرط أنانه

ماذا تسائل نازعا، قاصي المواطن نازحا

عنهــا إليها نازعا ، يشكو أسى توقانه

فهـواه في هيمانه ، وجواه في وهجانه

والطرف في هملانه ، والقلب في خفقانه

إن شام برقا وامضا ، أهراق دمعًا فائضًا

فأذاع سرًا غامضًا ، قد جد في كتمانه

واستمع إليه أيضًا واستمتع بموسيقي الكلمات عنده :

فالسحر منه بطرفه ، والخمر منه بكفه

والسكر منه بعطفه النشوان في مسبانه

سرق الجمال من النقا، فالقد من قضبانه

والردف من كثبانه ، والطرف من غزلانه

يبدو كبدر سافـــر يرنو كظبي نافر

يمشي كغصن ناضر، يهتز في كثبانه (٧)

ومن مدحه للرسول -ﷺ- في قصيدته الدالية .

حمى الشدائد مأوى الناس مفزعهم

إذ يفزعون لأهوال الشدائـــــد

هو الشهيد عليهم ، و الشفيـــع لهم

في هول يوم شديد الهم مشهـــود

إن زاد آدم قدرا عند مــــولده

فكم أب يعلى قـــدرا بمولود

فاق النبيين طرافي الكمال و في الـ

ـجمال والعز و الإجمـــال و السود

فلا يدانيه موسى فـــي العروج و لا

في اليمن عيسى و في الملك ابن داؤد

ولا ابن يعقوب حسنا، والخليل قرى

و نوح عزمًا،لدى نفع و تهديـــد

أهدى إليك مدىحًا ، كله غـــــرر

و نيل نولك بالتقصيـــــد مقصودي

عليك أزكى صـــــلاة الله ما مدحت

في مورق البـــان ورقـاء تغرىد (٨)

وأحسن قصائده وأطولها قصيدته الميمية الشهيرة وأولها :

فؤادي هائم و الدمع هــــــام

و سهدى دائم ، و الحفــــن دام (٩)

وعلى الرغم أنها مكبلة بقيود الصنعة من الجناس والطباق وغريب الألفاظ ، فإنها تتضمن معاني وعواطف نبيلة في مدح خير البرية .

والجدير بالذكر هنا أن معظم قصائده في مدح الرسول -ﷺ- .

وله بعض المراثى نظمها عند موت أحد أصدقائه ، وهي من أرق قصائده وأروعها لأنه لم يتقيد فيه بإتيان المحسنات البديعية من جناس وطباق ومراعاه النظير وغيرها ، وهو حرّ طلق فيها ، فيقول في إحدى هذه المراثى :

علا زفيري و دمع العين ينحــــدر

و بلّني الدمع ، و الأحشاء تستعـــر

مالي أواري أواري (١٠) و هو مستعر

بين الحشا و هل النيران تستتـــــر

مالي أرى الليل لا ينجاب ظلمتـــه

كأنما ضل فيها الشمس و القمـــــر

كأن ليلى يوم الفصل متصــــــل

فما له دونه صبح و لا سحـــر (١١)

ويقول في مرثية له أخرى :

أبا ما لليلي لا تسير نجومـــــه
و ما لصباحي لا يهب نسيمـــــه
و ما بال طرفي لا يلذ نومـــــة
وقد طال جدا سهده وسجومـــــه
و ما لمهادي لا يلائم أضلعـــــي
كأن به جمرا تلظى أجيمـــــه (١٢)

فهذا شعر طبيعي جميل ، فيه صدق العاطفة ، وبديع الخيال ، وروعة التعبير . ومن المؤسف أن مثل هذا العالم الجليل والشاعر القدير الذي درس عليه الفئات وتتلمذ عليه الأمراء ، وحرص على صحبته السلاطين ، وكان أعظم وأحب شخصية في عاصمة الهند ، يموت وحيدًا في منفاه سنة ١٨٦١م (١٣) [يتبع]

++++

الهوامش :

---

(١) هذا هو الصواب في اسمه . واسمه في المراجع مثل معجم المطبوعات لسركيس والأعلام للزركلي ٧/٢٢٢ . ومعجم المؤلفين لكحالة : ١١/٩٩ محمد

فصل الحق .

(٢) ومن مؤلفاته الشهيرة المطبوعة المتداولة في المنطق ، المرقاة ، وانظر ترجمته ومؤلفاته في نزهة الحواطر : ١٧٤/٧ .

(٣) أبجد العلوم : ٦٤٥/٢ (الطبعة الجديدة) وانتقده في عقائده ، والاختلاف المذهبي بينهما مشهور .

(٤) نزهة الحواطر : ٢٧٥/٧ .

(٥) أبجد العلوم : ج/٢ .

(٦) انظر هذه الرسالة بأكملها في آثار الصناديد للسرسيد أحمد خان ص/٥١٤-٥٦٨ (طبعة دلهي المحققة ١٩٦٥م) وفي رياض الفردوس لمحمد حسن الشاهجهانبوري : ١٦٨/١٦ .

(٧) مجموعة فضل حق الخيرآبادي المخطوطة : ص/١٠١ نقلاً عن حركة التأليف باللغة العربية .. : ص/٢٠١ .

(٨) آثار الصناديد لسيد أحمد خان : ص/٥٧٠ ، وانظر القصيدة بأكملها فيه : ص/٥٦٨-٥٧١ .

(٩) وانظر هذه القصيدة كاملة في ملاحق كتابنا هذا .

(١٠) أوارى الثانية : النار والأول بمعنى اخفى .

(١١-١٢) من مجموعة قصائده المخطوطة السابقة الذكر : ص/١١٩ و ١٨١ وأوردها الدكتور جميل أحمد في كتابه السابق الذكر : ص/٢٠٥-٢٠٦ .

(١٣) ترجمته في آثار الصناديد بالأردية لسيد أحمد خان : ص/٥٦٢ -٥٧٥ ، ونزهة الحواطر : ٢٧٤/٧-٢٧٥ ، وأبجد العلوم : ٢٤٥/٢ ، وأعلام الزركلي : ٢٢٢/٧ ، وكحالة : ١٩٩/١١-١٢٠ ، وزبيد أحمد الآداب العربية في الهند : ص/٤٥١ ، وسركيس : ص/٨٥٢ ، وحركة التأليف باللغة العربية : ص/١٩٢ للدكتور جميل أحمد : ص/٢٠٦ ، وفيه شعر كثير له ، وفي اللغة الأردية عدد من الكتب عن حياته وأعماله .

الجانب الاقتصادي في فقه الإمام الشافعي

[الحلقة الثانية]

بقلم . أ. د. محمد الدسوقي
أستاذ ورئيس قسم الفقه والأصول . كلية الشريعة - جامعة قطر

التنميــة الاقتصاديــة :

شاع استخدام مصطلح التنمية الاقتصادية بعد الحرب العالمية الثانية، وقد حاول علماء الاقتصاد تحديد مفهوم لهذا المصطلح فلم يتفقوا على مفهوم واحد له وتعددت الآراء إلى الحد الذي يمكن أن يقال فيه أن هناك من التعاريف للتنمية الاقتصادية بقدر ما هنالك من مؤلفين يعالجون هذا الموضوع[٣٠]

يذهب أحد رجال الاقتصاد في تعريف التنمية الاقتصادية إلى أنها عملية تفاعلية يزداد خلالها الدخل القومي الحقيقي خلال فترة معينة بنسبة تربو على الزيادة السكانية مما ينتج عنه زيادة في دخل الفرد في المتوسط[٣١]

وهناك من يرى أن التنمية الاقتصادية تعني بالإضافة إلى زيادة الدخل الفردي التوسع في الاقتصاد القومي لدرجة يسمح بموجبها بامتصاص المزيد من القوى العاملة وكذلك بتقديم مختلف الخدمات الاجتماعية، وإعداد القوة التي تكفل للدولة قدرة الدفاع عن نفسها أمام أعدائها

ومن الباحثين من يرفض هذه المفاهيم للتنمية، لأنها لا تخرج عن نطاق المادة أو المال وزيادته، وتهمل العنصر البشري الذي هو المصدر الحقيقي للتنمية فالتغيير المادي مهما يكن حجمه لا جدوى منه ما لم يصاحبه أو يسبقه تغيير جوهري للإنسان من النواحي الجسمية والعقلية والنفسية

وهؤلاء الباحثون يذهبون إلى أن علماء الاقتصاد التقليديين ليسوا أهلاً لقيادة التنمية الاقتصادية، وإنما الذي ينبغي أن يتولاها هم علماء الدين والنفس، والاجتماع والطب، ويفرق هؤلاء بين مصطلح النمو الاقتصادي والتنمية الاقتصادية، فالأول يراد به زيادة الدخل، على حين أن الثاني يشمل النمو المادي والمعنوي معاً، ويؤكد أن تنمية

---

٣٠ - انظر النفقات العامة في الاسلام للدكتور يوسف إبراهيم يوسف ص ٢٢٩، ط دار الثقافة بالدوحة، والتنمية الاقتصادية للدكتور كامل بكري ص ٦٣، ط الدار الجامعية، بيروت

٣١ - انظر النفقات العامة في الإسلام ص ٢٢٩، مرجع سبق ذكره

الإنسان هي الأساس للتنمية بمفهومها الصحيح والشامل.

فمهوم التنمية الاقتصادية - إذن - يعني إحداث تغيير شامل يصيب الإنسان، كما يصيب موارد المجتمع المادية، وينعكس هذا التغيير على مستوى الدخل القومي الذي يزيد بنسبة أكبر من نسبة الزيادة السكانية حتى تتحقق الرفاهية، أو يرتفع مستوى المعيشة(٣٢)

الإسلام والتنمية الاقتصادية :

ومادام مفهوم التنمية على هذا النحو من الشمول والاهتمام بالدرجة الأولى بالإنسان صانع التنمية فإن الإسلام بتشريعاته وآدابه قد دعا إلى التنمية الاقتصادية، وجعلها من صميم رسالة الإنسان في الحياة، ففي القرآن الكريم (هو أنشأكم من الأرض واستعمركم فيها)(٣٣) .

والاستعمار من الله طلب العمارة، وهذا الطلب للوجوب، فلا تدل قرينة على صرفه عن غيره، فالتعمير والتنمية واجب على المسلمين كل بحسب طاقته وما يسر الله له من الأعمال، فمن قصر أو أهمل ولم يسهم بدوره في البناء والرخاء فهو آثم، لأنه خالف ما أوجب الله عليه

إن الأمر في الآية بعمارة الأرض يشمل كل ألوان التعمير بالزراعة والغراس والأبنية ودراسة التربة وعوامل الطبيعة المسخرة للإنسان والاستفادة منها، بل يشمل أيضاً دراسة الشمس والقمر والليل والنهار، وكل ما يهيئ للبشر أقوم السبل لعمارة الأرض، ونشر الخير وإشاعة الرخاء.

إن الإسلام دين القوة بمفهومها الشامل، ولهذا يحارب الضعف أياً كان لونه ويحذر من الفقر، بل قد سوى بينه وبين الكفر، تنفيراً منه، ومن مأثور الكلام «كاد الفقر أن يكون كفراً»، كما جاء عن الرسول صلى الله عليه وسلم، أنه كان يدعو ربه بهذا الدعاء «اللهم إني أعوذ بك من الكفر والفقر»(٣٤)

---

٣٢ - انظر محاضرات في الاقتصاد الإسلامي للدكتور يوسف إبراهيم يوسف، ص ٥٩، مخطوط تحت يدي

٣٣ - الآية ٦١ من سورة هود

٣٤ - رواه أبو داود

ومن ثم كان العمل في الإسلام عبادة والكسل منكراً ومعصية

والإسلام مع دعوته إلى عمارة الأرض، وحضه على السعي والعمل قد غير من نظرة الإنسان إلى المال، حتى لا تستعبده الشهوات، ولا يتخذ أنعم الله سبيلاً للعصيان والكفران، ويظل المال وسيلة للحياة، وليس غاية في ذاته

وجملة القول أن الإسلام بما جاء به قد أحدث في الحياة الإنسانية تغييراً شاملاً تغييراً للإنسان، ومفاهيمه وقيمه وطرق معاشه، وقد ارتدّ هذا على المستوى العام للدخل بالنمو والازدهار، فالإسلام - إذن - بتشريعاته كلها يقود إلى تحقيق التنمية الاقتصادية كما يتطلع إليها علماء الإقتصاد، أي التنمية التي تشمل الإنسان والموارد المادية

الإمام الشافعي والتنمية الاقتصادية :

تعرض الإمام الشافعي للتنمية الاقتصادية في إطار المفهوم الإسلامي لها، وذلك في كثير من المسائل التي اشتمل عليها كتاب الأم، وأهم هذه المسائل ما يلي

١ - الدعوة إلى العمل

٢ - الزكاة

٣ - ما لا يجوز تملكه من الأموال

٤ - الحمى

٥ - الاقطاع وإحياء الموات

أولاً : الدعوة إلى العمل .

يشير الشافعي في أكثر من موضع من الأم إلى وجوب أن يكون ما يحصل عليه الإنسان من ماله عن طريق حلال، ويحذر من أن يكون في هذا المال شبهة ما، ومن ذلك مثلاً أنه يحرم الرشوة أو أن يدفع المرء مالاً ولو كان في صورة هدية لينال من وراء هذا حقاً له، لأن كل من تولى ولاية مهما يكن مستواها فهو مطالب بالقيام بما يجب عليه دون انتظار لمكافأة أو إحسان، فإن أخذ على ما قام به شيئاً فهو سحت، وخيانة وتضييع لمسئولية الولاية، قال الإمام الشافعي "وإذا أهدى واحد من القوم للوالي هدية فإن كانت لشيء ينال به منه حقاً أو باطلاً أو لشيء ينال منه حق أو باطل فحرام على الوالي أن يأخذها، لأن حراماً عليه أن يستعجل على أخذه الحق لمن ولي أمره وقد ألزمه

الله عز وجل أخذ الحق لهم، وحرام عليه أن يأخذ لهم باطلاً والجعل عليه أحرم، وكذلك إن كان أخذ منه ليدفع به عنه ما كره، أما أن يدفع عنه بالهدية حقاً لزمه فحرام عليه دفع الحق إذا لزمه وأما أن يدفع عنه باطلاً فحرام عليه إلا أن يدفع عنه بكل حال(٣٥)

فالشافعي في هذا النص يحرم على الوالي أن يأخذ من أحد هدية لينال حقه أو ليدفع عنه باطلاً، كما يشدد في تحريم أن تكون الهدية سبيلاً لباطل فالجريمة في هذه الحالة مركبة أو مضاعفة

ثم يقول بعد هذا: وإن أهدى له من غير هذين الوجهين أحد من ولايته فكانت تفضلاً عليه أو شكراً لحسن في معاملة، فلا يقبلها، وإن قبلها كانت في الصدقات لا يسعه عندي غيره إلا أن يكافئه عليها بقدرها فيسعه أن يتمولها(٣٦)

فالهدية وإن لم تكن من أجل الحصول على نفع من الوالي بأن كانت شكراً على ما فعل فلا يجوز أن يقبلها وإن قبلها فليست حقاً له وعليه أن يدخلها في الصدقات اللهم إلا إذا شكر صاحبها بمثلها، فيسع الوالي حينئذ أن يأخذ ما أهدي إليه.

وانتقل الشافعي إلى صورة أخرى من الهدية للوالي فقال: «وإن كان من رجل لا سلطان له عليه، وليس بالبلد الذي له به سلطان شكراً على حسن ما كان منه فأحب إليّ أن يجعلها لأهل الولاية إن قبلها، أو يدع قبولها، فلا يأخذ على الحسن مكافأة، وإن قبلها فتمولها لم تحرم عليه عندي»(٣٧) .

فالهدية في هذه الحالة لا شبهة حولها من حيث التقرب للوالي، وإنما هي لون من الاعتراف لأهل الفضل بفضلهم، ومع هذا يجنح الشافعي إلى عدم قبولها؛ لأن المرء لا ينبغي أن يأخذ على الإحسان مكافأة، فإن قبلها فلا ينتفع بها وإنما ينفقها في سبيل الله، وليس حراماً عليه أن يتمولها..

ومن هذا كله يبدو مبلغ حرص الإمام الشافعي على أن يكون ما يحوزه الإنسان من مال حلالاً لا شبهة فيه، يجب أن يكون كسباً طيباً، وسبيل الكسب الطيب هو العمل.

---

٣٥ – الأم جـ ٢، ص ٥٠

٣٦ – المصدر السابق، والتمول، اتخاد الشيء للقنية، وهو ما اتخده المرء لنفسه لا للتجارة، وانظر معجم لغة الفقهاء، وضع الدكتور محمد رواس قلعه جي، والدكتور حامد صادق قنيبي

٣٧ – الأم جـ ٢، ص ٥٠

ويؤكد الشافعي على وجوب العمل للكسب الطيب في ردّ شهادة من يغشي الدعوة بغير دعاء قال : «ومن تأكدت عليه أنه يغشي الدعوة بغير دعاء من غير ضرورة ولا يستحل صاحب الطعام فتتابع ذلك منه ردت شهادته، لأنه يأكل محرماً إذا كانت الدعوة لرجل بعينه»(٣٨) .

فهذا الذي يحضر الطعام دون دعوة إليه، ويتخذ ذلك عادة له هو إنسان ساقط المروءة يؤثر أن تمتد يده إلى موائد الناس، دون أن يبذل ويعمل، فهو يأكل من ثم حراماً، إنه إنسان مستهلك وعالة على غيره، وليس أهلاً لقبول الشهادة منه لذلك

وإذا كان هذا الطفيلي ساقط المروءة وترد شهادته فإن المتسول ترد شهادته من باب أولى، لأنه أسوأ حالاً من هذا الذي يغشي الطعام دون دعوة إليه، قال الإمام الشافعي «فأما من يسأل عمره كله أو بعض عمره وهو غني بغير ضرورة ولا معنى من هذه المعاني (يقصد ما أشار إليه من قبل من الضرورات التي تبيح السؤال) ويشكو الحاجة فهذا يأخذ ما لا يحل له، ويكذب بذكر الحاجة فترد بذلك شهادته(٣٩)

فمن يسأل الناس دون حاجة ترد شهادته، لكذبه ولأنه مما يفعل يرضى لنفسه بالمهانة، وأن تكون يده اليد السفلى دائماً، وهذا ليس من خلق المسلم الذي خلقه الله حراً، ويجب أن يكون حراً كما خلقه، والسبيل إلى الحفاظ على هذه الحرية هو العمل الذي يكفل للإنسان حياة كريمة عزيزة لا تعرف الحاجة أو المذلة

والشافعي الذي يدعو المسلم إلى أن يكون كسبه لا شبهة فيه، كما يدعوه إلى أن يربأ بنفسه عن الدنايا وسفساف الأمور، ليكون إنساناً عاملاً منتجاً ينفع نفسه، وغيره، بلغ به الحرص على أن يكون المسلم صورة مشرقة للكرامة والعفة والكسب الطيب، أنه قال «وإذا نثر على الناس في الفرح (طعام أو ذهب مثلاً) فأخذه بعض من حضر لم يكن هذا مما يجرح به شهادته أحد، لأن كثيراً يزعم أن هذا مباح حلال، لأن مالكه إنما طرحه لمن يأخذه، فأما أنا فأكرهه لمن أخذه، من قبل أنه يأخذه من أخذه ولا يأخذه إلا بغلبة لمن حضره إما بفضل قوة، وإما بفضل قلة حياء، والمالك لم يقصد به قصده، وإنما قصد به قصد الجماعة فأكرهه لأحده، لأنه لا يعرف حظه من حظ من قصد به بلا

٣٨ - المصدر السابق جـ ٦، ص ٢١٥

٣٩ - المصدر السابق ص ٢١٣

أدية، وأنه خلسة وسخف»([٤٠])

إن الإمام الشافعي في هذه الصورة التي تمثل تكالب الناس وتدافعهم لأخذ ما نثر عليهم، إنما يعبر عما يجب على المسلم أن يأخذ نفسه به في الحصول على المال، يجب أن يحصل عليه بأسلوب مهذب كريم لا يعرف المخاتلة والمراوغة والأذى

وإذا كان على كل والد أن ينفق على أولاده فإن هذه النفقة ليست مطلقة وإنما هي مقيدة بالبلوغ في نظر الشافعي، قال «وينفق على ولده حتى يبلغوا المحيض والحلم ثم لا نفقة لهم عليه إلا أن يتطوع إلا أن يكونوا زمني فينفق عليهم قياساً على النفقة عليهم إذا كانوا لا يغنون أنفسهم في الصغر، وسواء في ذلك الذكر والأنثى، وإنما ينفق عليهم ما لم تكن لهم أموال، فإذا كانت لهم أموال فنفقتهم في أموالهم»([٤١]) .

ويؤخذ من هذا النص أن الإمام الشافعي يرى أن نفقة الأولاد تجب على أبيهم حتى يبلغوا، وأنهم بعد البلوغ لا نفقة لهم إلا إذا كانت هناك ضرورة كالمرض وهذا يشير إلى أن على الأولاد ذكوراً وإناثاً، ألا يكونوا عالة على أبيهم بعد البلوغ، وأن يعملوا ويتكسبوا([٤٢])

ويتضح مما سبق حول العمل أن الشافعي لا يبيح لمسلم أن يحصل على مال تحوم حوله شبهة ما وأن الإنسان إذا بلغ صحيح الجسم فليس له على أحد حق الإنفاق وأن عليه أن يبدأ رحلة العمل والكسب ليعيش من عرقه وجهده، والإمام الشافعي مع هذا يثير في نفس المسلم معاني الكرامة والعفة، فلا يصبح المال في نظره غاية في ذاته يسعى لجمعه دون اعتبار لقيم أو مبادئ حتى يكون كسبه كله حلالاً طيباً

---

٤٠ - المصدر السابق ص ٢١٦

٤١ - المصدر السابق جـ ٥، ص ٧٨

٤٢ - قد يكون رأي الشافعي في أن سن البلوغ هو بداية مسئولية الإنسان عن نفسه من حيث الإنفاق ملائماً لعصره، ولكنه قد لا يلائم عصرنا، لأن سن البلوغ في أيامنا لا يتيح فرصة العمل نظراً لما يفرضه العصر من ثقافات وطاقات علمية يحتاج المرء في تحصيلها إلى وقت غير قصير، ويتجاوز سن البلوغ، ومع هذا يظل رأي الشافعي ذا دلالة مهمة على وجوب أن يعمل الإنسان متى بلغ، وأن يكفي مؤنه نفسه، وإذا كان عصرنا لا يجعل سن البلوغ بداية المسئولية، فإن رأي الشافعي يحض على أن يسرع الإنسان في استقلاله بمسئوليته عن نفسه فلا يضيع وقتاً طويلاً في دراسته مثلاً، حتى يحصل على مؤهل علمي يفتح له باب العمل

ولما كان العمل أقصر الطرق للتنمية الاقتصادية، ولما كانت المجتمعات التي لا يعرف أفرادها الخمول والإهمال، وإنما يعرفون العمل في إخلاص ويبذل كل منهم من جهده بقدر ما يستطيع هي المجتمعات التي تنعم بوفرة اقتصادية تحقق لها الاستقرار والرخاء، والقوة والكرامة - ولما كان الأمر كذلك فإن حرص الإمام الشافعي على أن يكون كل مسلم قادر على العمل قوة عطاء وإنتاج وأن يكون كسبه دائماً من عمل يده، يبين لنا أن هذا الإمام يريد للأمة أن تكون قوية في كل مجالات التنمية الاقتصادية، وأن المسلم الذي لا يسهم بما منح من طاقة في هذه المجالات ولو كان ذا مال وفير يعوق حركة التنمية ويساعد على تخلف الأمة

ثانياً : الزكاة :

الزكاة في الإسلام من دعائم التنمية الاقتصادية، فهي تحقق التكامل بين أبناء الأمة الواحدة، وهذا التكامل في ذاته من وسائل هذه التنمية، لأنه يوزع المال فلا يكون دولة بين الأغنياء، وفي توزيعه إتاحة الفرصة للجميع، لأن يعمل كل في ماله، وأن يكون لديه الوقت، للتفكير فيما يفيد نفسه، وغيره، فهمّ المعاش يشل غالبا حركة العقل، ويحصره في دائرة ضيقة، لا تسمح بالإبداع والابتكار، ومن هنا يتخلف ركب العلم في الدول الفقيرة، فسعار البطن يطغي على أشواق العقل، وصدق شاعر العصر الحديث أحمد شوقي حين قال

فالعلم والمال يبني الناس ملكهم   لم يبن ملك على جهل وإقلال

فالزكاة وهي حق واجب وليست منا ولا تفضلاً أو إحساناً توفر لمن لا مال لهم أو لمن لهم مال ولكن أنفقوه في المكارم مستوى معقولاً من العيش يتيح لهم أن يعملوا ويفكروا، ومن ثم يسهمون في التنمية الفكرية والمادية

والزكاة في أصل فرضيتها دعوة إلى العمل وتنمية المال، لأن من لا مال له لا زكاة عليه، وكسب المال الذي تجب فيه الزكاة لا سبيل إليه إلا بالعمل فالذين يعملون هم الذين يملكون المال، والذين لا يعملون يعيشون فقراء ويتكففون الناس

على أن الزكاة من جهة أخرى تحض على التنمية وبخاصة في النقود وعروض التجارة، وذلك لأن إخراج الزكاة من المال دون تثمير هذا المال وتنميته يؤدي إلى أن

تأكل الصدقة المالَ بمرور الزمن، فلا يبقى منه شيء، ولذا كان الأمر بالإتجار في أموال اليتامى - والزكاة في أموالهم واجبة كما يرى الشافعي - حتى لا تأتي عليها الزكاة.

وطوعاً لهذا لا يكنز المسلم مالاً، ولا يحبسه عن التداول، وإنما ينميه بالوسائل المشروعة، فتدور عجلة الإنتاج في الأمة، ويجد كل باحث عن العمل مجالاً يعمل فيه فتتوارى البطالة وتزداد الثروة، ويعم الجميع بالرخاء.

وما سبق القول فيه عن الزكاة يلتقي مع الشافعي حوله كل الفقهاء، وإن خالفه من خالفه في وجوب الزكاة بالنسبة لأموال اليتامى، ولكن للشافعي في هذه الفريضة بعض النظرات التي لها علاقة بالتنمية الاقتصادية فهو في توزيع الزكاة على الأصناف الثمانية لا يرى أن يعطي من الصدقة مشرك[٤٣] بقصد تأليفه على الإسلام، ويقصر معنى المؤلفة قلوبهم على الدين دخلوا في الإسلام وكانوا حديثي عهد بالكفر، فهؤلاء هم دون غيرهم من الذين يأخذون من الزكاة تأليفاً لهم وحماية لإيمانهم من الضعف حتى لا يرجعوا إلى الكفر

وفي هذا إشارة إلى أن مال الزكاة ينبغي أن يوزع في محيط الأمة وألا يوزع منه شيء خارج هذا المحيط، فهو مال الأغنياء من المسلمين يرد على فقرائهم، وفي ذلك ما يدل على أن الشافعي بالإضافة إلى نظرته في قصر مال الزكاة على المسلمين يتوخى من وراء هذا أن يتداول هذا المال في المجتمع الإسلامي وفي هذا التداول إثراء لحركة النشاط الاقتصادي عن طريق الأخذ والعطاء، وعن طريق استقرار الحياة وتوفير الأمن، وهذا من أهم وسائل التنمية والازدهار المادي فلا يمكن في مجتمع مضطرب لا يعرف الأمن أن يشق طريقه نحو التنمية والبناء في كل المجالات

أما عن تفسير الغارمين، فالشافعي يرى أنهم صنفان صنف إدانوا في مصلحتهم في غير معصية ثم عجزوا عن أداء ذلك، فيعطون في غرمهم لعجزهم، وصنف إدانوا في حمالات[٤٤] ، أو إصلاح ذات بين ومعروف، ولهم عروض[٤٥] ، تحمل حمالاتهم أو عامتها

---

٤٣ - انظر الأم جـ ٢، ص ٦١

٤٤ - حمالات جمع حمالة، وهي ما يحمله الإنسان من الغرم كالدية ونحوها عن الغير إصلاحاً لذات البين

٤٥ - العروض جمع عرض، وهو المتاع، وكل شيء فهو عرض سوى الدراهم والدنانير، فإنها عين (انظر معجم لغة الفقهاء)

إن بيعت أضر ذلك بهم، وإن لم يفتقروا فيعطي هؤلاء ما يوفر عروضهم كما يعطي أهل الحاجة من الغارمين حتى يقضوا غرمهم(٤٦)

فتفسير الغارمين بأنهم الذين ادانوا في غير معصية هو المعنى الذي تتفق حوله كلمة الفقهاء، ولكن إدخال الذين يتحملون عن غيرهم وينفقون للإصلاح بين الناس ليس موضع اتفاق، والشافعي يرى، أن هؤلاء يدخلون في الغارمين ولو كان لهم مال حتى لا تكون مواقفهم في الإصلاح سبباً لإملاقهم وضياع أموالهم، وحتى يظلوا في مستوى كريم من العيش

وقد روى الإمام مسلم في هذا حديثا عن قبيصة بن مخارق الهلالي قال تحملت حمالة فأتيت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فيها فقال اقم حتى تأتينا الصدقة فنأمر لك بها، قال ثم قال يا قبيصة إن المسألة لا تحل إلا لأحد ثلاثة رجل تحمل حمالة فحلت له المسألة حتى يصيبها ثم يمسك ورجل أصابته جائحة اجتاحت ماله فحلت له المسألة حتى يصيب قواماً من عيش، أو قال سداداً من عيش، ورجل أصابته فاقة حتى يقوم ثلاثة من ذوي الحجا من قومه، لقد أصابت فلاناً فاقة فحلت له المسألة حتى يصيب قواماً من عيش، فما سواهن من المسألة يا قبيصة سحتاً يأكلها صاحبها سحتاً(٤٧)

ولهذا المعنى وهو إدخال الذين يتحملون في الغارمين علاقة وثيقة بالتنمية الاقتصادية، لأنه من جهة يشجع على الإصلاح وبذل الأموال في سبيل الخير، وفي ذلك توثيق لروابط الأخوة بين أبناء الأمة، ومقاومة لكل عوامل الشقاق والخلاف، فتسود المودة والمحبة ويتآلف الجميع على البر والتقوى وهذا يعني أن الحياة في المجتمع الإسلامي حياة إنسانية لا تعرف الفردية والأنانية والسلبية، فيتحقق للتنمية الاقتصادية في هذا المجتمع أهم أسباب النشاط والازدهار، وهو الانسان الذي يرعى مصلحة غيره قبل مصلحته، والذي يؤثر سواه على نفسه، والذي يرى في المال وسيلة للتعاطف والتراحم لا وسيلة للاستغلال والطغيان

[يتبع]

---

٤٦ - انظر الأم جـ ٢، ص ٦١

٤٧ - صحيح مسلم بتعليق الأستاذ فؤاد عبد الباقي، ص ٧٢٢ ص دار احياء الكتب العربية، القاهرة

الاعتذار في الشعر العربي الإسلامي

الدكتورة عطية بنت خليل الأنصاري الخزرجي

رئيسة قسم اللغة العربية (سابقًا) بجامعة كراتشي - باكستان

[الحلقة الثانية الأخيرة]

فن الاعتذار في الشعر الأندلسي :

وفي نفس الوقت إذا أردنا أن نلقي نظرة عابرة على فن الاعتذار في الشعر الأندلسي لوجدنا أجملة الشعراء في المغرب أرق وألطف ، وشعرهم رقيقة اللفظ ولطيفة المعنى وأفكارهم غير أفكار العباسيين ، حتى الشاعر الأندلسي يسعى ويتلمس لصاحبه الأمير و لنفسه وسيلة للعتاب ليقول القصيدة في مدحه ويرضيه ، فهذا إبراهيم بن سهل الأشبيلي يقول ما لا نجد له نظيرًا في الشعر العباسي :

كأسي حبي أمـــــــي　　　رضاك أنعي شبابـــــا

وأشتهي منك ذنبـــــا　　　أبني عليه عتابـــــا

حتى إذا كان ذنـــــب　　　فتحت للعذر بابـــــا

ظمأت منك لوعـــــد　　　فكان وردي ســـــرابا

لا خاب سؤلي لديك　　　سؤلي لـــديك فخابا

وهناك نماذج كثيرة وجميلة في الاعتذار من الشعر الأندلسي غير أننا لا نريد الإسهاب فنكتفي باعتذار شخصيات بارزة ، ومنها المعتمد بن عباد نراه أمراء الشعر الأندلسي ، فلما كان المعتمد واليا على شلب في عام (٤٤٠-٤٤٥هـ) انغمس في اللهو انغماسًا أغضب أباه المعتضد بالله ، أدرك المعتمد خطأه واعترف به فكتب إلى أبيه بهذه القصيدة يمدحه بها

ويستعطفه وسنكتفي ببعض الأبيات :

سكن فـــؤادك ، لا تذهب به الفكر
ماذا يعيد عليـــك البث والحذر

و ازجر جفونك لا ترضى البكاء لها
و اصبر فقد كنت عند الخطب تصطبر

من مثل قومك ؟ من مثـــل الهمام أبى
عمرو أبيك له مجد و مفتخـــــر

له يد كل جبار يقبلهـــــــــا
لو لا يداها لقلنا أنها حجـــــــر

قد أخلفتني صروف أنت تعلمهـــا
و غال مورد آمالي بها كـــــــدر

لم يأت عندك ذنبا يستحق بـــــه
عتبا ، و ها هو قد ناداك يعتـــذر

و إنما أنا ساع في رضاك فـــان
أخفقت فيه ، فلا يفسح لي العمـــر

أما ابن زيدون فهو أمير الشعر والنثر الأندلسي ، كان شاعرًا ثائرًا قد أظهر من الحنكة ما رفع منزلته عند ابن جهور حتى أصبح الأمير يرجع إليه في كل أمر من أمور الملك والسياسة ، فحسده منافسوه أيضًا مثل ما جرى على المتنبي فوشى أعداء ابن زيدون لدى الأمير ابن جهور وخوفوه عاقبة أمره حتى أمر ابن جهور بسجن ابن زيدون الشاعر الأديب ، فبقي أسيرًا زمنًا طويلاً ، ثم استعطف فيه ابن جهور بما يلين الحديد شعرًا ونثرًا ، فسنكتفي ببعض الأبيات التي استعطف بها ابن

جهور وهو استعطاف رائع ممروج بالمدح والعتاب برسم لنا صورة من البؤس الذي فتق لسان ابن زيدون الشاعر الذكي الفذ ، وأثار في نفسه هده العاصفة الشعرية فملأت قلبه الرقيق همًا وحزنًا ، يقول ابن زيدون :

ألا بأس أن يبكى الغمام على مثلي

ويطلب ثأرى البرق منصلت النصل

و هلا أقـــامت أنجم الليل مأتما

لتندب في الآفاق ما ضاع من نبلي

و لو أنصفتني و هي أشكال همتي

لألقـــت بأيدي الذل لما رأت دلي

و لو أنني أسطيع كي أرضي العدا

سربت ببعض الحلم حظا من الجهل

أما الموقف الثاني فهو أيضًا لابن زيدون في رسالته الجدية التي كتبها وهو في السجن يعتذر فيه ابن جهور نثرًا ، وقد كثر حساد ابن زيدون في بلاط ابن جهور وفي خارج البلاط ، وكان أعظمهم أثرًا الوزير أبو عامر ابن عبدوس ، فيقول :

يا مولاي ! وسيدي الذي ودادي واعتدادي به وامتدادي منه أبقاك الله ماضي حد الظلم وأري زند الأمل ثابت عهد النعمة ، إن سلبتني - أعزك الله - لباس نعمائك وعطلتني من حلي ايناسك ... وغضضت عني طرف حمايتك بعد أن نظر الأعمى إلى تأميلي لك ، وسمع الأصم ثنائي عليك ، فلا غرو قد يغص بالماء شاربه ، ويقتل الدواء المستشفي به ، ويؤتى الحذر من مأمنه ، وتكون منيّة المتمني في أمنيته ...

كل المصائب قد تمر علـــى الفتى

و تهون ، غير شماتة الأعـــــداء

وإني لأتحلد أرى الشامتبں (أنى لريب الدهر لا أتضعضع) ، فأقول : هل أنا الأبد ، أدماها سوارها ، وحسں عضه .. إكليله ... وهذا العتب محمود عواقبه ... وهده النكبة « سحابة صيف عن قليل تقشع » ... ومع اليوم غد ... ولكل أجل كتاب .

وأعود فأقول ليت شعري ، ما هذا الذنب الذي لم يسعه عفوك ، والجهل الذي لم يأت من ورائه حلمك ... ولا أخلو من أن أكون بريئًا فأين العدل أو مسيئًا فأين الفضل [انظر : الرسالة الجدية - القاهرة ١٢٧٨هـ-١٨٦٢م تحقيق أبو بكر محمد الحكيم القاهرة ١٢٤٥هـ] .

وأخيرًا ننتقل إلى فن الاعتذار في النثر وله ثلاثة أنواع :

النوع الأول : صادر من أدباء ورواة الأدب العربي لأصدقائهم ، وذلك مثل ما كتبه كل من الجاحظ وابن المكرم وأبي منصور الثعالبي وأبي بكر الخوارزمي ، وغيرهم من كبار رواة الأدب العربي واللغة .

النوع الثاني : صادر من فئات مختلفة الناس للخلفاء والأمراء .

النوع الثالث : في التنصل والتبرء من التهمة الموجهة للشخص ، والمعاني في مثل هذه الاعتذارات ومحاولات التنصل والتبرؤ تكاد تكون واحدة مع بعض الاختلاف في الأساليب التي يعبر بها عنها .

وكثيرًا ما يحتوي على مقتبسات من القرآن الكريم ، بخاصة الآيات التي تحث على العفو والكرم وكظم الغيظ والحلم والإحسان ، وقد تكون من الحكم والأمثال والأشعار وأقوال بعض الرجال المشهورين .

وهنا سنكتفي بعرض بعض مواقف الاعتذارات الطريفة في هذا المجال مستهلها بنموذج مما كتبته زبيدة زوجة هارون الرشيد إلى الخليفة المأمون الرشيد وهو كما يلي :

وبعد ا فهذه رقعة الولهى إليك ، التي ترجوك في الحياء لنوائب الدهر ، وفى الممات جميل الذكر ، فإن رأيت أن ترحم ضعفي واستكانتي وقلة حيلتي وأن تصل رحمي وتحتسب فيما جعلك الله له طالبًا - وفيه داعيًا ، فافعل ، وتذكر من لو كان حيًا ، لكان شفيعي إليك .

فرد أمير المؤمنين المأمون الرشيد عليها بقوله :

« وصلت رقعتك يا أماه ا أحاطك الله تعالى وتولاك بالرعاية ، ساءني - شهد الله - جميع ما أوضحت فيها ولكن الأقدار نافذة ، والأحكام جارية ، والأمور متصرفة ، والغدر والبغي حتف الإنسان ، والمكر راجع إلى صاحبه ، وقد أمرت برّد ما أخذ لك ولا تفقدي ممن مضى إلى رحمة الله تعالى ، إلا وجهه ، وأنا بعد ذلك أكثر مما تختارين ، والسلام عليك (١٤).

هذا نموذج من اعتذارات النساء المثقفات في العصر العباسي الأخير ، و رد الخليفة يوضح لنا خير مثال من آداب الخلفاء المسلمين وسعة صدورهم مثل المأمون الرشيد لامرأة أبيه زبيدة أم الأمين الرشيد .

أما الآن فنود أن نسجل نموذجًا آخر من فن الاعتذار وقد نقل مثل هذه النماذج إلينا أوثق الرواة والأدباء العرب من مؤرخي الأدب العربي كأمانة تاريخية .

أما الموقف الثاني في فن الاعتذار فهو لتميم بن جميل السدوسي وكان قد خرج بشاطئ الفرات واجتمع إليه كثير من الأعراب ، فعظم أمره بعد ذكره ثم قبض عليه وحمل موثقًا إلى باب الخليفة المعتصم بالله ، فقال أحمد بن داؤد وزير المعتصم :

« ما رأيت يا أمير المؤمنين ا رجلاً عاين الموت ، فما هاله ولا شغله

عما كان يجب أن يفعله إلا تميم بن جميل ، فإنه لما مثل بين يدي الخليفة ، فأحضر السيف و النطع و أوقف بينهما ، تأمله المعتصم ، و كان جميلاً وسيمًا ، فأحب الخليفة أن يعلم أن لسانه من منظره ، فقال : تكلم يا تميم ! أما إذا أذنت أمير المؤمنين ! فأقول :

« الحمد لله الذي أحسن كل شئ خلقه ، وبدأ خلق الإنسان من طين ، ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين ، جبر بك صدع الدين ، ولمّ بك شعث المسلمين . إن الذنوب يا أمير المؤمنين - تخرس الألسنة الفصيحة ، وتعيي الأفئدة الصحيحة . ولقد عظمت الجريرة وانقطعت الحجة ، وساء الظن ولم يبق إلا عفوك أو كرمك . وأرجو أن يكون أقربهما وأسرعهما إلى أشبههما بك ، وأولاهما بكرمك . ثم أنشد مرتجلاً :

أرى الموت بين السيف والنطع كامنًا

يلاحظنـــــــــــي من حيثما أتلفت

و أكبر ظني إنك اليوم قاتلـــــــــي

و أي امرئ مما قضـــــــى الله يفلت

و أي امرئ يأتي بعذر و حجـــــــة

و سيف المنـايا بين عينيـــــــه مصلت

و ما جزعي من أن أموت و إنـــــــي

لأعلم أن الموت أمــــــــــر مــــــوقت

ولكن ، خلفي صبية قد تـــــــــركتهم

و أكبــــــــــادهم من حسرة تتفتت

كأني أراهم ، حين أنعـــــــــى إليهم

و قد خمشوا تلك الوجوه و صــوتوا

فإن عشت عاشوا خافضين بغبطـــــة

أذود الردى عنهم ، و إن مت موتـــوا

و كـــــــم قائل ، لا يبعد الله روحه

و آخر جـــــــذلان ، يسر و يشمت

فتبسم المعتصم وقال : كاد والله يا تميم ا أن يسبق السيف العذل ، قد وهبت لك الصبية وغفرت لك الصبوة ، ثم أمر بفك قيوده ، وخلع عليه .

وكان أيضًا من سعة صدر المأمون الرشيد إذ قبل العذر من عمه إبراهيم المهدي فقد ادعى الخلافة بعد قتل الأمين الرشيد وقبل عودة المأمون من خراسان إلى بغداد وقد أعانه على ذلك عدد كبير من أهل بغداد .

ثم خلع وغلب أمره فاختفى ، حتى ظفر به المأمون بعد عودته من خراسان ، و (كان إبراهيم المهدي بارعًا في الأدب واللغة) أمر المأمون بإبراهيم المهدي فأدخل عليه ، فلما وقف بين يديه فكأن الموت نصب عينيه ، فقال المأمون : هيه يا إبراهيم ا قال إبراهيم المهدي : يا أمير المؤمنين : ولي الثأر محكم في القصاص والعفو أقرب للتقوى ، ومن تناوله الاغترار بما مد له من أسباب الشقاء ، أمكن عادية الدهر من نفسه ، وقد جعلك الله فوق كل ذي ذنب .

كما جعل كل ذي ذنب دونك ، فإن أخذت فبحقك ، وإن عفوت فبفضلك ثم أنشد :

ذنبي إليك عظيـــــم	و أنت أعظم منـــــه
فخذ بحقـــك أو ، لا	فاصفح بفضلك عنـــه
إن لم أكـــن في فعالي	من الـكرام فكنه (١٥)

ثم استعبر إبراهيم باكيًا ، فقال له المأمون : ما يبكيك ؟ قال : « إنه

كان بلغ جرمي استحلال دمي ، فحلم أمير المؤمنين وفضله مبلغاني عفوه ، ولي بعدهما شفاعة الإقرار بالذنب وحق الأبوة بعد الأب . فقال أمير المؤمنين المأمون الرشيد :

يا إبراهيم ! لقد حبب إلى العفو حتى خفت ألا أوجر عليه ، أما لو علم الناس ما لنا في العفو من اللذة ، لتقربوا إلينا بالجنايات ، لا تثريب عليك ، يغفر الله لك ، ولو لم يكن في حق نسبك ما يبلغ الصفح عن جرمك ، لبلغك ما أملت حسن تنصلك ولطف توسلك ، ثم أمر برد ضياعه وأمواله

فقال إبراهيم المهدي في مدح المأمون مرتجلاً :

ردت مالي ولم تبخل علي بـــــه

وقبل ردك مالي قد حقنت دمــــي

وقام علمك بي فاحتج عندك لـــي

مقام شاهد عدل غـــير متهم (١٦)

وقد أخذ بعض الشعراء قول المأمون هذا « لقد حبب إلى العفو حتى خفت ألا أوجر عليه » قال أبو تمام حبيب بن أوس الطائي في نفس المعنى نظما

لو يعلم العافون كم لك من نـــدى

من لذه و قريحة لم تحمـــــد

فكان أبو تمام في هذا كما قال أبو العباس المعتز في القاسم بن عبد الله :

إذا ما مدحنا استعنا بفعلـــــه

فنأخذ معنى قولنا من فعـــاله

وكان إبراهيم المهدي يقول : « والله ، ما عفا عني المأمون لرحم ولا

لمحبة ، ولكن كانت له سوق في العفو كره أن يفسدها (بي) » (١٧) .

والمأمون قد شاور في قتل إبراهيم بن أبي خالد الأحول ، فقال : و الله يا أمير المؤمنين إن قتلته فلك نظير ، وإن عفوت عنه فلا نظير لك ، فإني أختار لك العفو (١٨) .

وكل اعتراف صادق يجب أن يكون فيه من شعور الأسف على ارتكاب الجريمة أو اقتراف الذنب وكذلك الاستعطاف بأحسن وأجمل معاني هذه الكلمة (الاعتذار والاستعطاف) والعفو عند المقدرة من صفات كريمة وقبل كل شئ من أخلاق الله -عزوجل- سبحانه وتعالى ، ومن شيم وشمائل خير الورى محمد رسول الله -ﷺ- إذ كان خلقه (القرآن) كما أن كظم الغيظ والكرم والصفح الجميل من صفات المؤمنين حقًا ﴿ والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس ﴾ [القرآن الكريم] .

الأمة المحمدية هي خير أمة على وجه الأرض ، فكل مؤمن ، من أبناء هذه الأمة يخاف الله سبحانه وتعالى ويسأله العفو والعافية في الدنيا و الآخرة قد يكون متحليا بمكارم الأخلاق ، وقد قال رحمة للعالمين -ﷺ-: « إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق » وللمؤمنين في رسول الله « أسوة حسنة » وهذه الأمثلة والنماذج الخالدة من الاعتذار والاستعطاف أقل قليل من الكثير التي توجد في أمهات الكتب من الأدب العربي الإسلامي المجيد ، لم نذكرها خوفًا من الإسهاب .

وأخيرًا نسأل الله التوفيق لكل من يقبل العذر ، وذلك من صفة الكرام كما قال سيدنا كعب بن زهير -ﷺ- في قصيدته البردة الخالدة :

نبئت أن رسول الله أوعـــــدني

و العفو عند رسول الله مقـــــول

مهلاً هداك الذي أعطاك نافلـــة القر ..

.. آن ، فيها مواعـــــــظ و تفصيل

لا تأخذني بأقوال الـــــــوشاه و لم

أذنب ، و لو كثرت فيّ الأقاويل (٢٠)

++++

الزرارشن :

(١٤) الأعلام للزركلي .

(١٥) كتاب الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني : ج/٤ طبع (ساسي) .

(١٦) المعجم الوسيط مجمع اللغة العربية لجزء الأول ، المطبعة الإسلامية استانبول تركيا ١٩٧٢م .

(١٧) شعراء مخضرمي الدولتين للدكتور حسن عطوان طبع مصر .

(١٨) نفح الطيب للمقري .

(١٩) المعتمد بن عباد للدكتور عبد الوهاب عزام دار العلم للملايين وكذا إقبال أكادمي - لاهور .

(٢٠) ديوان كعب بن زهير بن أبي سُلمى ، من قصيدة البردة .

من الغزو الفكري إلى الغزو النفسي

واضح رشيد الندوي

تختلف مشاكل المسلمين عن مشاكل الأمم الأخرى ، عن المشاكل العالمية الأخرى ، فإن المشاكل العالمية التي تعاني منها طبقات أو شعوب ، أو جماعات وفرق ، فهي مشاكل ذات وجه واحد ، إنها عنصرية في مكان وسياسية في مكان آخر ، وثقافية ، أو اقتصادية ، وجميع هذه المشاكل بهذه النوعية المحددة ، والنطاق المحدود لها أطر معينة ، تقاس بها ، وتعالج في دائرتها ، وحدودها ، والبحث عن حلولها ميسور عاجلاً أو آجلاً ، وقد عولجت مشاكل كثيرة من هذا القبيل ، لأنها لا تقترن بالمشاعر ، ولا الخلفيات الذهبية ، ولا تثير ردود فعل ، وليست لها جذور عميقة ، وإنما هي مشاكل سطحية طافية ، وقد عولجت في العصر الأخير مشاكل عديدة ، وسويت نزاعات متعددة ، فتغيرت الأوضاع ، وعادت إلى طبيعتها بعد إراقة دماء وتدمير واسع ، وسقطت الحواجز والجدران القائمة بين الفرقاء المختلفين المحاربين ، وانضمت الأجزاء المتحاربة إلى كيان واحد .

لكن مشاكل المسلمين في العالم هي مشاكل متعددة الجوانب ومتأصلة الجذور ، ومتعددة المصادر ومتنوعة البواعث مختلفة الجبهات ، ومتعددة العناصر ، تجتمع فيها جميع هذه الجوانب المذكورة من الجوانب السياسية والاقتصادية والثقافية والعنصرية ، بالإضافة إلى الجانب الفكري والعقدي والجانب النفسي ، ولذلك فإنهم يواجهون حربًا من أعدائهم وشبه أعدائهم من جبهات مختلفة ، من الجبهة الاقتصادية ، تفرض عليهم ضغوط اقتصادية ، من الداخل ، ومن خارج البلاد ، وتفرض عليهم ظروف سياسية خاصة لإحداث القلاقل ، والفوضى ، والصراع ، بمنع قيام حكومات شعبية منتخبة ، في انتخابات حرة ، أو مرضية تقوم برضى

عامة الشعب المسلم ويعتبرها المسلمون الحارس الأمين لمصالحهم ورغباتهم ، ولذلك يعيش المسلمون في كبت ويواجهون ساسة القمع من حكامهم الذين يعتبرون أنفسهم أنهم غرباء أجانب ، أو عملاء للأجانب ومعروضون على شعوبهم رغم أنفهم ، ومهما تعاونت معهم وسائل الإعلام ، فإن الدعايات المكثفة من أبواق الجهات الرسمية لا تستطيع أن تكسب الود والرضى أو تزيل الشكوك والشبهات من قلوب أفراد الشعب الذين يعانون واقعًا مريرًا ، ووضعا عنيفًا .

ويواجه المسلمون بجانب الظروف السياسية القلقة والضغوط الاقتصادية المحرجة ، صراعًا عنصريًا ، وهو صراع أبعد ما يكون من الإسلام وطبيعته ، وتاريخه ، لأن الإسلام هو الدين الذي يدعو إلى أمة واحدة لا قومية ولا وطنية ولا طائفية ولا عنصرية ، كلكم من آدم وآدم من تراب ، لا فضل لعربي على عجمي ولا لعجمي على عربي ، وقد حقق الإسلام وحدة إنسانية دامت قرونًا ، لم تتحد فيها القبائل و الأمم و الطوائف المختلفة فحسب ، بل عاشت فيها أديان مختلفة في حماية وذمة ، وبكرامة وعزة .

لقد فرض الاستعمار على المسلمين هذه الصراعات القومية ، والوطنية والعنصرية ، لأن هذا التصور هو تصور أوربي ، استورده المتغربون من أوربا ، فانقسم المسلمون إلى الترك ، والفرس ، والعرب ، والكرد ، ثم انقسموا إلى المهاجرين ، والمواطنين ، فيواجه المسلمون هذه القضايا في بلدانهم ، وتراق دماؤهم وهم ينتمون إلى الإسلام الذي قام بالمؤاخاة بين المهاجرين والأنصار ، وسجل روائع من الأخوة الإسلامية التي شاركت فيها الفئتان مشاركة تامة ، فنسى الناس الفروق بينهما ، كما نسى الناس الفروق بين المنتمين إلى أوطان مختلفة وثقافات مختلفة .

كان الفرس والترك والمماليك درعًا للإسلام ودرعًا للعرب ، قرونًا طويلة ، وكتائب دائمة لا تخلو ، ولا تنبو ، وظل هذا التآخي والتناصر إلى القرن الأخير ، إلى أن غزي المسلمون بالاستعمار الذي شتت شملهم ، وفرق جمعهم ، وأحدث بينهم فجوات وثغرات لا تلتئم .

كانت جميع هذه النكبات قابلة للمعالجة ، النكبات السياسية

والاقتصادبة ، والعنصريه ، إذا غلبت روح الإسلام ، وعاد المسلمون إلى معبنهم ، ومنبع قوتهم ، لكن أعداءهم لا بزالون بالمرصاد ، بتربصون بهم الدوائر ، وبوقعونهم في قضايا لا تدعهم يفكرون في أمرهم ، وتغشاهم سحابة فوق سحابة ، بل سحب متراكمة ، فهم بدافعون عن أنفسهم ويدافعون عن دبنهم ، ويدافعون عن ثقافتهم ، وتاريخهم .

إنها استراتيجية محكمة يواجهها المسلمون ، فهم يعيشون في ظروف قاسية ، متأزمة في جميع بلدانهم ، ثم تطلق عليهم السهام ، من كل جانب في الكتب ، والصحافة ، والإذاعة ، والسينما ، في لغات مختلفة ، حتى في وسائل التسلية والترفيه ، و الثقافة ، يواجه المسلمون موقفا معاندًا ، فلا تخلو الألعاب الرياضية ، من هذه العصبيات ، ولو كان الأمر يقف عند أسلوب البحث والتحقيق أو الجهل لكان من السهل أن يعالج ، فالجاهل يُعلم ، ولكن المتعلم ، لا يعلم .

إن الذين يكتبون اليوم ضد الإسلام والمسلمين في العالم كله ليسوا جهلاء ، وإنما يكتبون عن عمد ، فيحجبون الحقائق ، ويزورونها ، ويدل على ذلك أنهم إذا وُجه إليهم إيضاح ، أو أراد أحد التفهيم ، عن طريق الحوار فيتخذون موقفًا سلبيًا .

إن الأزمات التي يواجهها المسلمون اليوم ، في مجالات مختلفة أزمات عامه ، ولكن أزمة الثقة في الإسلام ، التي احدثتها وسائل الإعلام والتعليم ، هي أخطر من جميع الأزمات ، وتزداد خطوره في غياب من يواجه هذه الأزمة من الخبراء ، والمثقفين والعقلاء ، فإنهم إما في السجون وإما هم ممنوعون من الدفاع ، والتصدى ، فيقف الاعلام المعادي للإسلام المهاجم وحده في الميدان ، وينتصر ، لأنه لا يواجه من يقاومه .

لقد كانت وسائل الإعلام في الغرب مشغولة بهذه الدعاية المعادية للإسلام من عهد طويل ، وقد تصاعدت هذه الحملة بالنفوذ الصهيوني الذي يتصاعد في آسيا وإفريقيا ، ومنها الهند ، فدخلت الهند في هذا المجال بعد توطد العلاقات مع الكيان الصهيوني .

++++

أخبار اجتماعية وثقافية :

١ - مجلة الأدب الإسلامي

قلم التحرير

تلقينا العدد السابع من السنة الثانية لمجلة الأدب الإسلامي الفصلية التي تصدرها رابطة الأدب الإسلامي العالمية ، من مكتب الرابطة للدول العربية ، برئاسة تحرير سعادة الدكتور الأستاذ عبد القدوس أبو صالح .

يتحلى العدد الجديد ببحوث أدبية ومقالات غنية بالمواد الأدبية والفنية التي تزيد إلى ثروة الأدب الإسلامي ، وتثري المكتبة الأدبية الإسلامية وتضيف إلى روعتها وبهائها .

يتميز هذا العدد من الناحية الأدبية والإبداعية ، حيث إنه يمثل الأدب الأصيل الملتزم ، ونهج الرابطة في الحكمة والاعتدال وخدمة قضايا الأمة وبناء الجيل الإسلامي عن طريق الكلمة الهادفة الطيبة ، فأصبح بذلك وثيقة أدبية تاريخية وعلمية للأدباء الباحثين والمبدعين .

ونحن إذ نتمنى للمجلة الانتشار والقبول والازدهار في جميع الأوساط العلمية والأدبية نرجو الله سبحانه وتعالى أن يمكّنها من تمثيل المسير الإسلامي للأدب الإسلامي الهادف الأصيل والقيام بدور ريادي في تربية أجيال من الأدباء الإسلاميين الذين لا يخفى عليهم أهمية الأدب في بناء مستقبل الإنسان اللامع .

٢- شهادة المسجد البابري :

أهدى إلينا فضيلة الشيخ حسب الله البالبوري العمروري هذه الرسالة المنظومة التي أودع فيها دموعه ولوعات قلبه ولهفات نفسه في صورة شعر منظوم ، قرضه حول شهادة المسجد البابري ، التي كانت مأساة تاريخية لا ينساها المسلمون على امتداد التاريخ ، ويتحسرون عليها على مر الأجيال والعصور ، وهي تثبت وصمة عار على جبين تاريخ هذه البلاد ، الذي يتجمل بالتسامح واحترام الإنسان ، من خلال روح المحبة والانسجام العاطفي التي يحملها الشعب الهندي على الإطلاق ، وقد أصابها الحادث المأسوي بجروح بالغة لا تكاد تندمل بسهولة ، والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم

سماحة العلامة الشيخ
السيد أبي الحسن علي الحسني الندوي يزور الربوع المقدسة

قام سماحة العلامة الشيخ السيد أبي الحسن علي الحسني الندوي بزيارة الحرمين الشريفين ، على دعوة من رابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة وذلك للحضور في دورة المجلس التأسيسي (٣٤) للرابطة ، المنعقدة في مقر الرابطة الموقرة بمكة المكرمة بين فترة ٣٠/ديسمبر ١٩٩٥م ٤/يناير ١٩٩٦م .

يرافقه في هذه الرحلة سعادة الشيخ السيد محمد الرابع الحسني الندوي مدير دار العلوم لندوة العلماء ، وسوف تستغرق رحلته أسبوعين كاملين ، ونرجو أن يعود سماحته في سلامة الله تعالى في منتصف شهر يناير بإذن الله تعالى ، قبل صدور هذا العدد - إن شاء الله تعالى - .

ندعو الله سبحانه أن يكرم سماحته بالصحة والقوة وبالعودة الطيبة .

إلى رحمة الله تعالى :

فضيلة الشيخ عبد السميع الندوي في ذمة الله تعالى

كان نبأ وفاة الشيخ عبد السميع الندوي صباح الخميس الخامس من شهر شعبان ١٤١٦هـ (الموافق ٢٨/ديسمبر ١٩٩٥م) بمثابة صاعقة نزلت بأسرة دار العلوم لندوة العلماء ، ذلك أنه توفي فجاءة إثر نوبة قلبية ألمت به بعد منتصف الليل من غير سابق مرض ، فإنا لله وإنا إليه راجعون .

كان الفقيد ، الناظر المساعد لقسم شئون التعمير وإدارة المالية منذ مدة طويلة ، فكان يهتم بأداء واجبه وإعداد العاملين الأكفاء في هذا القسم ، وقد توسعت الإدارة بجهوده المخلصة وأصبح لها شأن ذو أهمية ، كما أنه قام بتوسعة المكتبة التجارية في دار العلوم ، وبذل اهتمامه الخاص في طبع ونشر مطبوعات ندوة العلماء ، وكُتب المناهج الدراسية التي أعدها أبناء ندوة العلماء في الفنون المختلفة .

كان يشتغل بمهمته بصمت وإخلاص ، ويقضي وقته في أعمال كانت تتصل بإدارة قسم المالية والتعمير ، فجزاه الله على هذا الوفاء والشعور بالمسئولية خير ما يجزي به عباده العاملين المخلصين .

كان من متخرجي دار العلوم لندوة العلماء وقضى وقتًا في دار العلوم ديوبند أيام دراسته ، وكان يتمتع بالذوق العلمي والأدبي ، ويصدر صحيفة فصلية باللغة الأردية باسم « محكمات » كما أنه ألف كتابًا عن

تاريخ « كـــــــورة » وساده رجالها ، باللغة الأردية ، نال إعجابًا في الأوساط الأدبية والعلمية .

خلف وراءه عائلة كبيرة حافلة بالأولاد والبنات والأحفاد ، في هناء وسعادة .

وقد بعث سماحة العلامة الشيخ السيد أبي الحسن علي الحسني الندوي بيان تعزية على وفاته من مكة المكرمة ، لأنه كان في الربوع المقدسة أيام الحادث .

رحمه الله رحمة واسعة ، وغفر له زلاته وأدخله فسيح جناته ، وألهم أهله وذويه الصبر والسلوان .

■■■■■■■■■■■■■■■■■■■■■■■■

المهندس اقتدار علي خان في ذمة الله تعالى

توفي المهندس المسلم الغيور السيد اقتدار علي خان يوم الثلاثاء ٢٦/من ديسمبر ١٩٩٥م المصادف ٤/من شهر شعبان ١٤١٦هـ ، بعد مرض عضلي ألم به منذ مدة ، فكان قد فقد وعيه العام وأصبح طريح الفراش ، فإنا لله وإنا إليه راجعون .

لقد كان المرحوم ذا علاقة وطيدة بندوة العلماء وسماحة العلامة الشيخ السيد أبي الحسن علي الحسني الندوي منذ أيام شبابه ، يسهم في تخطيط المشاريع الإنشائية والهندسة البنائية لندوة العلماء احتسابًا لله تعالى ، وأختير عضوًا في المجلس التنفيذي لندوة العلماء ، وقد بلغ إلى منصب رئيس المهندسين في حكومة أترابراديش في مصلحة الخدمات العامة وظل فيها إلى مدة ، ورغم أنه كان موظفًا رسميًا ولكنه كان يتميز بالتعفف والمحافظة على الصلوات بالجماعة ، كما أن أهله وأولاده كلهم كانوا متدينين ، يعيشون في نزاهة والتزام بالخلق الإسلامي .

رحمه الله رحمة واسعة وغفر له وألهم أهله وذويه الصبر والسلوان .

■■■■■■■■■■■■■■■■■■■■■■■■

توفيت والدة الشيخ محمد عمران الندوي المسئول عن المجمع الإسلامي العلمي بندوة العلماء ظهر يوم الأربعاء ١١/من شهر شعبان ١٤١٦هـ - الموافق ٢/يناير ١٩٩٦م عقب مرض أصابها منذ مدة قريبة . فإنا لله وإنا إليه راجعون

كانت الفقيدة ذات أخلاق فاضلة ، و ورع وتدين ، قد تجاوزت الثمانين من عمرها

ونحن إذ نعزي الشيخ محمد عمران وإخوانه ندعو الله سبحانه وتعالى أن يتناولها برحمته الواسعة ويغفر لها زلاتها ويجعل الجنة مثواها

بسم الله الرحمن الرحيم

أنشأها :

فقيد الدعوة الإسلامية الأستاذ محمد الحسني - رحمه الله تعالى -

في عام ١٣٧٥هـ-١٩٥٥م

البعث الإسلامي

العدد الثالث - المجلد الحادي والأربعون

ذو القعدة ١٤١٦هـ مارس- أبريل ١٩٩٦م

رئاسة التحرير

سعيد الأعظمي

واضح رشيد الندوي

==================

المراسلات

بعنوان مكتب البعث الإسلامي

مؤسسة الصحافة والنشر

ص. ب ٩٣ - لكناؤ (الهند)

ALBAAS-EL-ISLAMI

C/o NADWATUL ULAMA

P.O.Box. 93, LUCKNOW

Pin : 226 007 (INDIA)

محتويات العدد

الافتتاحية :

الأمة الوسط والشهود الحضاري !

هناك في المجتمعات الغربية مؤسسات ولوبيات تتولى نشر السموم ضد الإسلام ، وتركز على بعث الخوف في النفوس من المنهج الإسلامي للحياة ، وهي تعتمد في ذلك على أكاذيب وافتراءات تختلقها وتنميها إلى الإسلام ، وتؤكد أن المسلمين هم أعداء الإبداع الحضاري، وهم الذين يتزعمون توزيع الحياة البشرية بين خلايا كثيرة فيحولون دون التضامن الإنساني وتوحُّدِ الطاقات البشرية لصالح العلم والحضارة ، وقد وُجهت إليهم أخيرًا تهمة « الإرهابية »وأذيع عنهم ما يوحي إلى أن المسلمين هم في الواقع عنصر الفساد والشر بجميع ألوانهما وأنهم يتميزون بالقسوة والاعتداء وعدم الرأفة بالإنسان في سبيل تحقيق نزواتهم ومصالحهم ، وما إلى ذلك من تقوّلات لا تقوم على أساس من الواقع بأيّ حال .

ومن ثم يتمهد الطريق نحو تخويف الناس من اسم الإسلام والمسلمين، ويحتمل أن يقال : إن الإسلام قادم فاحذروه، والمسلمين زاحفون فصدوا زحفهم، وقد نفذت هذه المرئيات نحو هذا المبدأ في مختلف أرجاء العالم [illegible] حروب ومجاعات اجتماعية جذرية [illegible]

... [illegible] اءات ظالمة وتشريدات مروعة ، وهتك عفاف الحرائر ، [illegible] أنواع مريعة ، وما قصة البوسنة والهرسك وأحداث [illegible] ومجاعات الصومال ، ببعيد ، وقد تابع العالم كل ذلك باستغراب ، واطلع على المواقع بالصور التي نقلتها عبر الشاشات ، لهذه المجازر الرهيبة ، التي صدعت القلوب وجرحت النفوس وأبكت العالم دماً ، وترك المسلمين يتقلبون على أحر من الجمر .

إذا تساءلنا عن العوامل التي تعمل وراء هذه العمليات الفاتكة التي تتم في مجال الإساءة إلى الإسلام والنيل من نقائه ، وتشويه صورته الجميلة وهدم صرحه الرفيع ، لكانت الإجابة بصراحة : إنما هو ذلك الحقد الدفين في نفوس الحاقدين من اليهود والصليبيين الذين تنطبق عليهم قول الله تعالى : ﴿ قد بدت البغضاء من أفواههم ، وما تخفي صدورهم أكبر ﴾ فمهما ظهر عليهم الصدق وتحقق لديهم واقع الإسلام وخلود رسالته ، وانسجامه الكامل مع طبيعة البشر ، ولكنهم لا يرضون به ولا يعترفون بالواقع ، بل يتيهون في تدبير المخططات لمحاربة الإسلام وإبادة أهله بأساليب شتى ، ويظلون منهمكين في إيجاد الطرق التي تساعد على تضليل الناس وإساءة ظنهم بالحياة التي يدعو إليها الإسلام ، وقد شددوا على هذه النقطة منذ أن رأوا إقبال الشعوب المختلفة إلى الإسلام ، وحرصها على اعتناق العقيدة الإسلامية والعيش في ظلها آمنة مطمئنة ، ولا تزال تقوى حركة الإقبال على الإسلام وتتسع آفاقها في [illegible] ويتعطش الناس إلى منهج الحياة والأمن الذي [illegible]

الحضارة المادية التي قامت على أنقاضها كما يزعمون ، وبذلك يطالبون ويشككون مفاهيم الحضارة الإسلامية ، وبالتالي مفهوم العقيدة والشريعة الذي يشمل الحياة الإسلامية في كل عصر ومصر ، ولا تكتمل الحضارة الإنسانية بدونه ، وهي : ﴿ فطرة الله التي فطر الناس عليها • لا تبديل لخلق الله • ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون ﴾ .

ليس الإسلام إلا منهجًا عادلاً شاملاً كاملاً للحياة والإنسان والكون ، إنه حضارة إنسانية كاملة ذات اتزان ، وقيم خالدة تساعد الإنسان في كل حالة من حالات السلم والحرب ، والشدة والرخاء والفقر والغنى ، وعلى جميع المستويات وفي كل المجالات بطريق سواء ، دون أن تنتصر في مناسبة وتنهزم في مكان ، وأن تتعاظم في شئ وتذوب في شأن ، إن هذه الحضارة ليست من وضع الإنسان ومن صنعه وليست نتيجة تفكير إنساني أو فلسفة عقلانية ، ولكنها منزلة من الله تعالى الذي خلقها فسواها ، وربط نظام الحياة والكون بها ، فهي لا تتغير وإن تغير الزمان ، وتجدد الفكر وتقدم العلم وتوسعت المعارف ، وتبدلت المقاييس ، ذاك أنها من تقدير العزيز العليم ، الذي خلق كل شئ بقدر ، ومن هنا كانت الحضارة الإسلامية حضارة الإنسان في كل حين ، وهو لا يكاد ينال أي سعادة أو نجاح من غير أن يعتمد عليها في جميع الأحوال والظروف ويستوحي منها المدد لدى كل حاجة وفي كل صغير وكبير ومع كل دقيق وجليل ، وعند كل سلب وإيجاب .

ولما أكرم الله سبحانه آدم - عليه السلام - بالخلافة في الأرض فجعل

[illegible]

القوم ويرجع [illegible] ، [illegible]

[illegible] ، هي عدل وسلام وخفة واتزان ومسئوليته [illegible]

إذ لا يعتريه تفريط أو نقص وزيادة ، يعرف وظيفته [illegible]

ومسئوليته نحو المجتمع ومكانته في الكون . ويعيش مع الله في مختلف

الحياة ومع الناس في صخب المسئوليات وغمار الواجبات فيعطي كل ذي

حق حقه ويحسن علاقته مع الجميع بالنصح والحب والإيثار والتعاون

على البر والتقوى . ويوطد علاقته مع الله تعالى في ورع وتقوى . فيمثل

حياة الأكرمين عند الله ونسخة صادقة لمن اختاره الله فقيده بالكرم

والشرف فقال : ﴿ إن أكرمكم عند الله أتقاكم ، إن الله عليم خبير ﴾ [illegible]

في ظل هذه الحضارة الإلهية عاش المجتمع البشري في فترة من

التاريخ تعتبر من أسعد فترات الإنسان . وامتلأ العالم من جميع أنحائه

بالأمن والسلام وكرامة النفس البشري . وقيادة الرجل المؤمن الذي ربط

الأرض بالسماء و وطد علاقة العبد مع المعبود . وقام بدور البناء وإنقاذ

الحياة الإنسانية من التردي ، سواء كان ذلك بالوقوع بالأصنام البشرية

من المال والجاه والشهوات ، أو بالسقوط في هاوية الشرك والوثنية

وممارسة الجرائم الخلقية . فذاك واقع عرفه البشر وسجله التاريخ ،

وليس من أساطير الحضارات البائدة أو خرافة المجتمعات المتخلفة [illegible]

إذن فما هو السر فيما إذا بذلت جهود مكثفة وتبذل على الأرض كلها

لوضع الحد على أن تعود هذه الحضارة الراقية إلى مجتمع [illegible]

[illegible]

[illegible] من الدعوة في أوساط الناس [illegible]
[illegible] الصلة بالإسلام وتجريده [illegible]
[illegible] تحشرهم في سياق الحضارات البائدة ؟ قد يكون ذلك لغزاً عند
الجميع الذي يجهل الظاهر . إلا أن الواقع ليس كما يزعمون [illegible]
ذلك الحقد الدفين الذي جُبل عليه طوائف اليهود والمشركين الحاقدة على
الإسلام ومحبيه للحياة . وقد صرح بذلك كتاب الله في سورة الأنعام
[illegible] لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا
وأولئك هم الذين يحكمون في رقاب الناس اليوم ويسيطرون على
الأوضاع العالمية في جميع المجالات ، ويُملون إرادتهم على العالم كله ،
فيملكون مفاتيح السياسة والاقتصاد والاجتماع ، والسلم والحرب ،
والخير والشر ، والعداوة والصداقة ، وما إلى ذلك .

– إن المسئولية عن إعادة الأمور إلى نصابها وإخضاع الحياة للفطرة
السليمة والطبيعة السماوية ، إنما تعود إلى المسلمين ولا سيما الذين
آتاهم الله تعالى بالعلم والحكمة والفهم السليم للدين ، والجمع بين
العقيدة والشريعة ، تعود إلى دعاة الإسلام ، الذين يميزون بين الخير و
الشر والمعروف والمنكر ، ويتولون الدعوة إلى المنهج الذي دعا إليه الأنبياء
والرسل ، وركز عليه خاتم النبيين محمد -ﷺ- ، ومنح العالم البشري
[illegible] عدلاً شاملاً ، عاش الناس تحت ظلته في أمن ودعة وسعادة
[illegible] يطبقون شريعة العبودية لله تعالى وهم تجلون بالشعوب والأمم
[illegible] الشريعة ، ويمثلون حياة جامعة بين العلم والإيمان
[illegible] والدنيا ، والروح والمادة على السواء ، حياة [illegible]

والإحسان والبر والتقوى ، والحفظ لحدود الله .

هذه هي الحضارة التي أسسها الإسلام على المنهج العادل القويم الذي يقوم على علاقة الإنسان بالإنسان وعلاقته بالله تعالى في كل دقيق وجليل ، وفي كل ظاهر وخفي ، وليس هناك أي تناقض بين الالتزامات الدينية والاحتياجات الإنسانية ، إنها حضارة وسطٌ للأمة الوسط التي أخرجها الله سبحانه وتعالى للشهود الحضاري ، بمعناه الأوسع ، فإليها تتجه المسئولّية نحو تعريف هذه الحضارة بمفاهيمها الشاملة إلى الناس ، وبالتالي تنفيذها في الحياة والمجتمع بتفاصيلها وجزئياتها ، وفروعها وكلياتها ، إنها حضارة الإنسان النابعة من العلم والإيمان ، العلم الذي يقترن باسم الرب تبارك وتعالى : ﴿ اقرأ باسم ربك الذي خلق • خلق الإنسان من علق • اقرأ وربك الأكرم الذي علم بالقلم • علم الإنسان ما لم يعلم ﴾ وتلك هي ميزة الحضارة الإسلامية ، وهي من أجلها تتميز بالخلود ، والانسجام مع طبيعة البشر ، في كل جيل وعصر .

وكانت الأمة الإسلامية هي التي جعلها الله تعالى الأمة الوسط لتتحمل عبء الخلافة بعمارة الأرض بما في ضوء العقيدة والشريعة وتمثل الحضارة الإلهية بالشهادة على الناس ، وذلك ما يقوله الله تعالى : ﴿ و كذلك جعلناكم أمةً وسطًا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدًا ﴾ .

ويقول : ﴿ هو سمّاكم المسلمين من قبل وفي هذا ليكون الرسول شهيدًا عليكم وتكونوا شهداء على الناس • فأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة واعتصموا بالله ﴾ ٧

سعيد الأعظمي
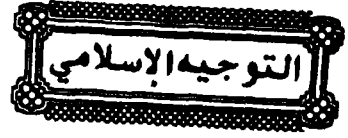
ارتباط مسير الانسانية ومصيرها بقيام المسلمين بواجبهم، ودورهم في تكوين وحدة، وتوجيه دعوة

بقلم سماحة العلامة الشيخ السيد أبي الحسن علي الحسني الندوي

[هـــــذا حديث ألقي في منظمة إسلامية قيادية، تمثل العالم الإسلامي في إطار واسع كمًّا وكيفًا، وكان الحديث مرتجلا نُقل من الشريط المسجّل، وتناوله الخطيب بالحذف والزيادة، وصاغه في مقال وخطاب مُوجّه إلى القيادات الإسلامية، والمعنيين بالوجود الإسلامي، وفائدته وقيمته، والوضع الذي تعيش فيه الأقطار الإسلامية في هذا الزمان، وما يجري بين الجماهير المسلمة، والقيادات والحكومات في الأقطار الإسلامية، من صراع مبدئي وإداريّ، كانت الأقطار الإسلامية في غنى عنه، ولفت النظر إلى ما هو الصالح لهذه البلاد والمفيد للعالم - الشرقي والغربي، والإسلامي وغير الإسلامي - وهو في المصلحة الإنسانية والمدنية بصفة عامة وما هي مسئولية المسلمين - قيادات وجماهير - في هذا الشأن وفي كل مكان وزمان، والله هو الهادي والموفق]

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد المرسلين وخاتم النبيين محمد وآله وأصحابه أجمعين، ومن تبعهم بإحسان ودعا بدعوتهم إلى يوم الدين.

أما بعد! فأعوذ بالله من الشيطان الرجيم:

﴿ والذين كفروا بعضهم أولياء بعض • إلا تفعلوه تكن فتنة في الأرض

وفساد كبير ﴾ [سورة الأنفال ، الآية : ٧٢] .

أيها السادة ! إنني كلما تلوت هذه الآية ، وكلما مرّت بي أثناء قراءة القرآن الكريم ، أثارت فيّ الدهشة ، وحملتني على تفكر وتأمل جديد ، لمن يقال هذا ؟ وأي وضع كان يسيطر على العالم كله في ذلك الحين ؟

كان العـــالم يعيش عيشة جاهليـــة ، عيشة ظالمة مظلمة ، موبقة مبيدة ، في هذا الجوّ القاتم ، وفي هذه الغاشية التي غشيت العالم كله ، يقال لحفنة من البشر (١) أنها إن لم تتألف ولم تكن وحدة تلتقي على العقيدة ، والاهتمام بالبشرية ، ومصير العالم ، ولم تصمم على إنقاذ البشرية من الانتحار والانهيار ، وعبادة النفس والأهواء ، والطاقات والثروات ، فضلاً عن الأشجار والأحجار ، والحيوانات والأنهار (كما كان الشأن في بعض البلاد الواسعة المتمدنة كالهند) فالعالم كله على خطر والإنسانية في الاحتضار .

---

(١) جاء في صحيح البخاري عن حذيفة - رضي الله تعالى عنه - ، قال قال النبي - ﷺ - : « اكتبـــوا لي من تلفظ بالإسلام من الناس ، فكتبنا له ألفًا وخمس مائة رجل . فقلنا نخاف ونحن ألف وخمس مائة ، فلقد رأيتنا ابتلينا حتى إن الرجل ليصلي وحده وهو خائف (كتاب الجهاد والسير، باب كتابة الإمام الناس) قال الحافظ بن حجر لعله كان عند خروجهم إلى أحد أو غيرها ، ثم رأيت في شرح ابن التين ، الجزم بأن ذلك كان عند حفر الخندق وحكى الداؤدي احتمال أن ذلك وقع لما كانوا بالحديبية [فتح الباري : ٢٠٦/٦] والثابت أن سورة الأنفال نزلت بعد غزوة بدر حين كان عدد المسلمين كما سبق أو أقل منه .

يقال لهذه الحفنة البشرية ، إن لم تتألّفوا ولم تكوّنوا وحدة دينية إيمانية ، دعوية جهادية ، مقابل التجمع الكبير والموالاة التي توجد وتشاهد للكفر والجاهلية ، ولم تتضلّعوا ناعباء الإنقاذ البشري من الجاهلية الوثنية ، العقائدية ، والخلقية ، ولم تقبلوا مسئوليته ، تكن فتنة في الأرض وفساد كبير .

كانت هذه المجموعة الإسلامية الصغيرة التي أعبّر عنها بالحفنة (١) السرية ، صغيـــرة في القامة كبيرة في القيمة ، و الشأن في القيمة لا في القامة . كذلك يجب أن يكون شأن الأمة الإسلامية في كل زمان وفي كل مكان ، لأن الاعتبار للروح لا للجسد ، وللعقيدة والإيمان ، لا للعَدد والعُدد ، وللروح السارية في الجسد المسيطرة على العمل والاتجاه ، لا للمظاهر والوسائل

والعالم البشري الآن ، يعاني عللا وأسقاما ، وموبقات وأخطارًا لا يوجد لها نظير في كثير من القرون الماضية ، والعالم الإسلامي نفسه يعاني أهوالاً ومحنًا ، فريدة طريفة ، أنواعا لم تخطر ببال ، ولم تكن تسنح للخيال ، إنه يعاني مؤامرات ومعارضات ، وتختلف في الأشكال ، و لكنها تلتقي على نقطة واحدة ، وهي إبادة الأثر الإسلامي ، و أثر التعليمات الإسلامية على العالم الإسلامي ، وإفقاد الثقة بصلاحية الإسلام للبقاء في هذا العهد الراقي المتطور ، فضلاً عن صلاحيته لقيادة فطر ، فضلاً عن صلاحيته لقيادة البشرية والمدنيـــة .

---

(١) الحفنة والحُفنة ملء الكفين من الشيء .

وقد التقى في هذا المشروع المدمّر والمخطَّط المبيد ، ذكاء إسرائيل (وبالأصح شطارة إسرائيل) مع وسائل أمريكا وطاقاتها ، التقى هذان العنصران القويان المبيدان على محو الأثر الإسلامي ، حتى في العالم الإسلامي وفي الأقطار الإسلامية ، العريقة في الإيمان بالإسلام ، والتضلّع بالدعوة الإسلامية ، ونشرها في العالم ، وذات الحمية الإسلامية والغيرة الدينية ، والنضال الإسلامي ، وذات الثروات الواسعة الفنية في العلوم الإسلامية الدينية والعلمية ، السنّية والفقهية والأدبية ، والتي قامت في بعض الفترات التاريخية بمقاومة الهجمات ، والزحفات المتحدية لبقاء الإسلام والمسلمين ، « كالهجوم الصليبيّ الفاتك والزحف التتاري المبيد (١) » .

و كان ذكاء إسرائيل واستعراض أمريكا للواقع (رغم وجود تناقض من أشد التناقضات في العقيدة في ما يتصل بنبي الله عيسى بن مريم - عليهما السلام - ، مصيبين في اختيار هذا العنصر الوحيد الذي يهدد الاستعمار الأجنبي والتخطيط الأجنبي المدمر ، وقد جاء تقرير المصير للأمم والشعوب في أيدي حكومة عالمية ، ذات وسائل تجارية ، و وسائل سياسية ، و وسائل مدمّرة ، مع أن مستقبل الإنسانية متوقف على بقاء

---

(١) قامت مصر بدور رائع حاسم في مقاومتهما وتراجعهما ، والفضل في الأول يرجع إلى صلاح الدين الأيوبي الذي كان حاكمًا في مصر عند زحف الصليبيين ، وفي الثاني يرجع إلى السلطان ظاهر بيبرس حاكم مصر الذي هزم الجيش التتاري ، واضطرّه إلى التراجع حتى كان المثل السائر « إذا قيل لك إن التتر انهزموا فلا تصدّق » .

المسلمين ، هم يوجهون العالم إلى ما فيه السداد ، وإلى ما فيه الرشاد ، وإلى ما فيه السعادة ، وإلى ما فيه النجاة الأخروية ، والسلامة الدنيوية ، وإلى ما فيه التآلف والتعاطف ، والتعاون على البر والتقوى .

ثم هناك معركة حامية أخرى غير طبيعية وغير معقولة ، وهي التي استنزفت جهود القادة والسادة ، و ولاة الأمور والمفكرين في البلاد الإسلامية ، وهي المعركة الحامية بين الشعوب والجماهير ، و الحكومات ، فالحكومات تتجه إلى العلمانية والقومية ، وتنفيذ الحضارة والقيم الغربية ، والثقافة الحرّة الخاضعة للقيم الغربية ، أو المستوردة من الأقطار الغربية في الأقطار الإسلامية ، والإشفاق و الحذر من كل ما يتصل بمطالبة تنفيذ الشريعة المحمدية والفكر الإسلامي ، والحضارة الإسلامية في المجتمع الإسلامي والبلد الإسلامي .

ونشأت عند قادة الأقطار الإسلامية حساسية زائدة في هذه القضية ، فالحكومات تتجه الاتجاه الغربي العلماني أو القومي ، والشعوب تتجه الاتجاه القديم الإسلامي ، فلا الحكومات نجحت في جرّ هذه الشعوب والجماهير المسلمة إلى الابتعاد عن جادة الإسلام ، ولا الجماهير نجحت في إقناع هؤلاء الحكام والمشرّعين باستخدام الطاقة الذرّية الهائلة ، التي هي كامنة في نفوس الجماهير المسلمة وهي قوة الإيمان والشوق إلى الشهادة وطلب الأجر من الله والدخول في الجنة ، القوة الكامنة التي لا بديل لها و التي يرجع إليها فضل البطولات الخارقة للعادة ، المحيّرة للألباب ، التى أشار الله إليها بقوله :

﴿ ولا تهنوا في ابتغاء القوم إن تكونوا تألمون فإنهم يألمون كما تألمون

وترجون من الله ما لا يرجون • وكان الله عليمًا حكيمًا ﴾ [سورة النساء ، الآية : ١٠٤] .

فالمطلوب من القيادات الإسلامية الدعوية والفكرية ، والثقافية ، مهما صغر حجمها ، ومهما اعترضت لها عوائق ومشكلات ، ومطاردات ومعوّقات ، أن تخلص بلادها و مجتمعها من هذا النضال القيادي الفكري والتشريعي والتنفيذي ، والحضاري والسياسي ، الذي هو في غير أوانه ومكانه، وتجمع الكلمة والعزيمة على مقاومة النفوذ الغربي ومخططاته السلبية المشفقة من النفوذ الإسلامي ، والكارهة له ، و تجمع الكلمة والطاقات الكامنة في نفوس الجماهير المسلمة ، وتوقد الشرارة الإيمانية الكامنة في نفوس المسلمين التي صنعت العجائب ، وجاءت بخوارق في التاريخ الإسلامي بل التاريخ البشري الطويل ، ولا تقابلها الطاقة الذرية المبيدة السلبية ، ولا تنظر في ذلك إلى حجمها ونطاق وسائلها ، وكثرة العوائق والمؤامرات ، واختلاف الزمان والمكان ، ولتكن الآية التي حلّينا بها هذا الحديث نصب عينها ومثيرة عزمها وغيرتها .

﴿ إلا تفعلوه تكن فتنة في الأرض وفساد كبير ﴾ .

[سورة الأنفال]

++ ++

نظام الحكومة

في عهد النبي الكريم -ﷺ-

[الحلقة الأولى]

العلامة السيد سليمان الندوي - رحمه الله تعالى -

تعريب عبد الباسط شرف الدين الندوي

نظن أن المشكلات التي واجهها الإسلام لإقامة نظام الحكومة العادل كانت كلها ، نتيجة لبداوة العرب وحياتهم الجاهلية والأمية ، ولكن الحقيقة أن الحضارة المعاصرة كانت هي أيضًا عدوًا لنظام الإسلام العادل مثلها أو أكثر منها ، وكانت عداوتها أكثر من الوحشة وأدوم ، ففي سنة ثمان للهجرة بعد فتح مكة خضعت العرب كلها أمام الإسلام وأطاعته ، ولكن الحضارة المعاصرة ما زالت تزهو وتتبختر ، فردّ إمبراطور إيران على رسالة رسول الله -ﷺ- و وقع غزوة الموتة لمقاومة قيصر الروم وغيرها من الحوادث التي وقعت في سنة تسع للهجرة وبعدها في عهد الخلافة الراشدة من الحروب والقتال مع الفرس والروم ما كانت إلا نتيجة لهذا التمرد والعناد .

وتفصيل هذا الإجمال أن القرن السادس الميلادي الذي هو زمن بعثة الرسول -ﷺ- وظهور الإسلام على العالم ، كانت فيه جميع قوات العالم السياسية خاضعة أمام قوتين عظيمتين في الشرق والغرب ، فكان كسرى فارس يمثل الشرق ، وقيصر قسطنطينية يمثل الغرب ، وكانت حدودهما إلى حدود العرب من العراق والشام ، وقبائل العرب التي كانت ذات

حضارة ومدنية كانت خاضعة لإحدى هاتين القوتين ، فكانت اليمن والبحرين و عمان والعراق تحت احتلال الفرس ، وكانت العرب الوسطى وحدود الشام تحت احتلال الروم .

فكان اللخميون أسسوا دولة واسعة في « الحيرة » تحت رعاية الفرس ، وكان حاكمها نعمان بن المنذر وغيره ، وما زال الغسانيون يحكمون تحت رعاية الروم إلى زمن رسول الله -ﷺ- ، وفي اليمن كانت الحكومة متوارثة للعرب إلى مدة ، ولكنهم في آخر زمانهم اتبعوا الفرس ، فكان يحكم في اليمن في عهد الرسول -ﷺ- حاكم إيراني كان اسمه « باذان » .

وقد غلبت هذه الدول والمدنية على أذهان العرب وعقولهم إلى حد أنهم لا يستطيعون أن يتصوروا نظامًا للدول والمدنية يفوق نظام الفرس والروم ، فإن خطر على بالهم نظام للدولة والمدنية فكان هو نظام الفرس والروم لا غير .

وأما النظام الذي كان يريده الإسلام فلم يكن يكفي له أن يؤسس بناء الحضارة الإسلامية بعد نهاية جاهلية العرب القديمة ، بل كان الأمر الواجب المقدم على كل شئ هو أن يحرر العرب من العبودية العقلية والرعب السياسي والإعجاب بالأقدار والقيم والمدنية التي كانت لغيرهم ، وليست العرب فحسب بل كان لابد له أن يخرج العالم كله من رق القوانين المزعومة إلى الخضوع للقوانين الإلهية ، ويخبرهم بأن الطاعة لقانون دون قانون الله تعالى من طرق الشرك وأنواعه ، لكن الإسلام كما أنه تدرج في إيجاب جميع الفرائض والأعمال قام بالتدرج في إقامة نظام الحكومة

أيضًا ، فالرسول -ﷺ- مع أنه جاء لإصلاح العالم كله ولكنه بدأ أمره من العرب لكي تُنجب جماعة صالحة تقوم بهذه الفريضة في عهد الرسول -ﷺ- وبعده أيضًا ، وإلى هذا أشار القرآن الكريم في هذه الآية : ﴿ و كذلك جعلناكم أمةً وسطًا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدًا ﴾ [سورة البقرة ، الآية : ١٤٣] .

فالرسول -ﷺ- بعث لهداية هذه الأمة وقيادتها ، وهذه الأمة بعثت لتقوم بهداية أقوام العالم كله وقيادتهم وتربيتهم وتعليمهم ، وتدرج فيه أيضًا ، فإنه -ﷺ- أولاً عرض الإسلام على داخل العرب من تهامة والحجاز ونجد ، وقضى فيهم ست أو سبع عشرة من ثلاث وعشرين سنة من عمره ، وإن كانت هناك مدستنا الهجر واليمامة الخضراء متمنية لاحتضان الإسلام واعتضاده كالمدينة المنورة ، وقد عرض عليه رئيس قبيلة الدوس من قبائل اليمن طفيل الدوسي قلعتهم الشامخة ، ولكنه -ﷺ- اختار لدار الهجرة أرض المدينة الصلبة دون الأمكنة المتمدنة ، وإن كانت هذه المدينة أخطر من مكة بسبب اليهود والمنافقين ، وفي أول الأمر ما وافق المهاجرين جوّها أيضًا ، ولكن مع كل ذلك هاجر إليها ، فلما استحكم الإسلام فيها تدريجيًا إلى حد ما ومهد صلح الحديبية الطريق إلى فتح مكة ، وتحقق فتحها ، توجه إلى مناطق العرب الأخرى واتسع نطاق الإسلام ومجال العمل .

وكان انتشار الإسلام في داخل العرب بأمراء القوم ورؤساء القبائل في الغالب ، فاختار -ﷺ- هذه الطريقة أيضًا للدعوة في غير العرب ، فأولا دعا إلى الإسلام رؤساء نواحي العرب وسلاطينها ، لأن دخولهم في

الإسلام يسبب دخول آلاف من الناس ، فإنه -ﷺ- في كتابه إلى قيصر الروم أشار إلى هذا : « فإن توليت فإن عليك إثم الأريسيين » (١) ، فتأثر به قيصر وتنور قلبه بنور الإسلام ، ولكن هذا النور ثبت ضئيلا أمام إكليله المرصع وعرشه المذهب .

وصدّق رسالته -ﷺ- ملك الحبش النجاشي وأرسل وفدًا من أسرته إلى رسول الله -ﷺ- ، وأقبل يومًا فيومًا رؤساء اليمن كلهم على الإسلام وكان هناك في حدود العرب سلطنة للغساسنة لم تستأصل في عهد النبي -ﷺ- إلا أن غزوة تبوك مهدت الطريق إليها للخلفاء الراشدين بعده ، فكأن العرب كلها تحت ظلال الإسلام ، واستولى نظام دولته على سائر العرب ، ولم يبق من رسالته -ﷺ- إلا أن يعلن الحاكمية لله تعالى في العالم كله ، فأعلن -ﷺ- في حجة الوداع بهذه الألفاظ البليغة الفصيحة : « إن الزمان قد استدار كهيئة يوم خلق الله السماوات والأرض » (٢) .

فما كانت هذه الثورة إلا أنها استأصلت جميع نظم الدول الملوكية التي كانت تنضم معها القوانين المزعومة و السياسات الرخيصة و البدع والمظالم ، واقتلعتها من جذورها ، فإنها ما قضت على كسرى وقيصر فحسب بل حطم الكسروية والقيصرية أيضًا، فقال رسول الله -ﷺ-: « إذا هلك كسرى فلا كسرى بعده ، وإذا هلك قيصر فلا قيصر بعده » (٣) .

وبعد ذلك أسست دولة عادلة كانت قوانينها من الله ، وحكمها لله ، فكأنما فيها كل فرد من أفرادها حاكم على نفسه ومحكوم لها ، لأن الدولة الإسلامية ما كانت ملكا لملك وأسرته بل هي لله وحده ، وأما نيابته وخلافته فيستوى فيها سائر المسلمين ، أو بألفاظ أخرى ، كل واحد راع

وحاكم على رعيته ، فالرجل على أهل بيته ، والمرأة على بيت بعلها والمعلم على تلامذه والسيد على عبده والعبد على أشغاله وأعماله ، وهذا هو الغرض بقوله -ﷺ- : « كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته » (٤) ، وهذا هو القطب الذي تدور حوله أصول الدولة الإسلامية .

ومن عادات الحكومات ودول العالم أنه يقوم فاتح بقوته وشوكته مع أعوانه وحزبه فيضرب بالسيف مئات الآلاف من الناس ويقضي على الجماعات والأحزاب ، ويخرب آلافًا من البيوت فيهزمهم ، ثم يعلن رئاسته وحكمه ، ولا يكون وراء هذا الخراب والدمار إلا الحصول على سلطة مطلقة ، أو تفوق أسرة ، أو عظمة أمة ، ولكن الجهاد الإسلامي وتأسيس نظامه الدولي لا يجتمع مع أيّ شئ من هذه الأمور ، ولا يتفق معها، فما كان هناك سلطة مطلقة لرسول الله -ﷺ- ، ولا ملوكية لقريش ، ولا حكومة للعرب ، ولا حرص ولا طمع في أموال العالم ، بل ما كان له إلا هدف واحد وهو إعلان الحكم لله رب السماوات والأرضين ، وخضوع العباد أمام أوامر الله سبحانه وتعالى و الانقياد لها .

وليس في العالم لمؤسسي الدول هدف غير تأسيس الدول والحكومات ، ولكن الدولة التي رامها الإسلام ليست مقصوده هي نفسها ، بل هي وسيلة لطمس أنظمة الدول الاستبدادية والعدوانية التي اتخذت عباد الله معبود الناس ، ولقيام نظام عادل وفق أوامر الله تعالى ، فلا حكم فيه لقوة أرضية ولا سماوية من دون الله ، ولا يجرى فيه قانون غير قانون الله ، ويكون منزها عن الذاتية ، والحسية ، واللسانية ، والعنصرية ، والوطنية ، واللونية ، وتقتصر قوته وجهده على قوانين الحكومة

وطرقها ، وعلى قيام العدل وإحقاق الحق وإبطال الباطل .

فلهذا الفرض العظيم اختيرت أمة العرب لامتيازاتها المعنوية والظاهرة ، فالظاهرة أنها كانت تقع بين الروم والفارس قوتي العالم العظيمتين الفاسدتين ، فكان لابد لطمسها والقضاء عليهما من أمة تكون من الأقطار المجاورة لهما ، والمعنوية هي أن القوم الذي يغير الله به النظام الفاسد لابد أن يتصف هو باستعداد فطري وأهلية طبيعية ، وكانت أمة العرب متصفة بها من أول يوم ، فشجاعتهم الطبيعية وعزائمهم القوية واستقلالهم وعلو هممهم كل ذلك يقتضي أن تستخدم هي لقيام حكومة إسلامية ، وتجلية هذه الأوصاف لا يمكن إلا بالإخلاص والرياضة والصبر والتوكل والاعتماد على الله وغير ذلك من الخلق الروحانية ، ففي أول الأمر أبعدوا حكومات العالم التي كانت تؤسس لأغراض شخصية ولتحقيق شوكة وسيادة ولإلقاء الرعب في قلوب الناس وهيبتهم الملوكية .

ولابقاء تلك المحاسن المذكورة وتنشئته ما كانت هناك إلا طريقة واحدة وهي أن تنشأ فيهم تقوى الله تعالى ، وشعور نقي وقلب مستنير ونور من الإيمان بمصاحبة رسول من الله ، مأمور منه يكون قدوة من الورع والقدسية وإمامًا معصومًا بتعليمه وتربيته ، يحمل أتباعه على محافظة قوانين الدولة وفق أوامر الله تعالى بدون أي إكراه أو إجبار .

ويلزم لقيام الدولة وفق هذا الأساس شرطان :

١- أن تكون مبنية على مبادئ أساسية .

٢- وأن لا تكون هذه المبادئ الأساسية مبنية على قانون مخلوق فحسب .

بل يلزم أن يكون أساسه على إخلاص القلوب وإطاعة الله -عزوجل- ،

فهذه هي أسس دولة الإسلام وما زالت إلى عهد الخلفاء الراشدين ، فكان من فوائدها العظيمة أنها طمست فروق الصغير والكبير والرفيع والخفيض والأسود والأبيض والعرب والعجم ، ففارسو الأصل في اليمن والبحرين وعرب الحجاز ونجد وحبشو الحبش كلهم استووا وقاموا على رصف واحد لا فضل لأحد على آخر ، وطوي بساط الملوكية والإمبراطورية الذي كان موجودًا في الشرق والغرب ، وصار أمير دولة الإسلام وعمالها الآخرون في الحقوق مثل عامة المسلمين .

ومن الاعتقاد السائد أن قانون المساواة الذي قامت به دولة الإسلام ما كان شيئا حديثًا للعرب ، لأنهم كانوا غيورين طبعًا ، وسادة شيوخهم في قبائلهم كانت على هذا النمط ، هذا خطأ تاريخي عظيم ، كانت في العرب ثلاث حكومات من زمن ، لخمية وحميرية وغسانية ، وكلها كانت مثل دول العالم الملوكية ، فكانت دولة سبا وحمير في اليمن على هذا النمط ، ودولة كنده التي قامت تحت نفوذ الرومين قبيل الإسلام كانت أيضًا مثلها ، ورؤساء القبائل وإن كانوا ينتخبون بآراء الجماهير أو بسبب امتيازاتهم من الشجاعة والجود ، ولكن كانت حقوقهم تفوق على من دونهم ، فكانت في الغنيمة حقوق خاصة لهم دون غيرهم وهذه هي المرباع والنشيطة والفضول ، فطمسها الإسلام وجعل موضعها الخمس ، وكذلك ما كان الناس يستطيعون أن يتحادثوا بحرية مع الرؤساء عامة ، يقول شاعر الجاهلية وكان يهوديًا :

وننكر إن شئنا على الناس قـــولهم

ولا ينكرون القول حين نقـــــــــول

والحمى الذي كان بختصه الأمراء والرؤساء لأنفسهم ما كان لأحد أن يدخل فيه ، فما وقعت حرب البسوس إلا به ، وأما قول الرسول -ﷺ- : « لا حمى إلا لله ولرسوله » (٥) فهدفه منه استئصال هذه العادة .

والسلاطين والملوك كانوا يجلسون في قصورهم الشامخة على سرر مرفوعة ملبوسين بحلل ثمينة ومتجملين بحلى الذهب والفضة والجواهر والياقوت مع عظمة وأبهة ملوكية ، وكان أمراؤهم أيضًا يجلسون على كراسي مرصعة من الذهب والفضة ، ونمارق من الحرير والديباج حسب مراتبهم ، ولكن تعليم الرسول -ﷺ- قضى على هذه الفروق الصناعية ، وحرم أمتعة الذهب والفضة وألبسة الحرير وفرشه ، ومنع الرجال من حلى الذهب والفضة ، فكان المسجد وفناؤه أبوابا لأميرهم وحكامهم ، فما كان هناك حاجب ولا بواب ولا نقيب ولا حارس ، ولا توجد سرر مرصعة من الذهب والفضة مزينة من الياقوت والجواهر ، بل كان السلطان وأمراؤهم يجلسون مع عامة المسلمين جنبًا لجنب ، وانطمست الفروق بين الرفيع والحقير ، فما كان هناك فرق بين رسول الله -ﷺ- وأصحابه في المقعد والملبس .

ذات مرة رأى عمر - رضي الله عنه - حلة سيراء تباع فقال : « يا رسول الله ابتع هذه وألبسها يوم الجمعة وإذا جاءك الوفود » فكان عمر - رضي الله عنه - حينذاك ينظر للإسلام إلى مظاهر المهابة والعظمة التي كانت من عادة الملوك ، ولكن الرسول -ﷺ- كشف هذا الغبار بأن الرسول لم يبعث إلى المسلمين لإظهار المهابة والشوكة كملوك العالم وسلاطين الدول فقال : « إنما يلبس هذه من لا خلاق له » (٦) .

وكذلك فان النبي -ﷺ- قضى على جميع الفوارق والامتيازات في المجالس والمحافل حتى لم يبق فرق بينه -ﷺ- وبين عامة الناس ، فكان الوافدون لا يستطيعون أن يعرفوه -ﷺ- حتى كانوا يسألون من منكم محمد ؟ فالصحابة - رضوان الله عليهم أجمعين - يشيرون إليه ، ومرة أراد الصحابة - رضوان الله عليهم - أن يجعلوا دكة كي يتفضل عليها الرسول -ﷺ- ولكنه -ﷺ- أنكر ذلك ومنعهم عن ذلك ، وكان من عادة ملوك العصر أن الأمراء وأسرهم كانوا يعتدون عن كل قانون ومرسوم ، فلا ينفذ فيهم قانون الدولة ولا تقام عليهم الحدود ، ولكن في الإسلام كان مظهر كل قانون وأسوة كل أمر هو الرسول -ﷺ- وأهل بيته ، وكان من أمر الله تعالى أنه إن صدر - لا قدر الله تعالى - ذنب من أهل بيته فيضاعف له العذاب ضعفين ، مرة سرقت فاطمة بنت القيس المخزومية ، فأمر رسول الله -ﷺ- بقطع يدها ، فأهم ذلك الصحابة ، فقالوا : من يكلم رسول الله -ﷺ- ، ومن يجترئ عليه إلا أسامة بن زيد حب رسول الله -ﷺ- ، فكلم رسول الله -ﷺ- فقال : أتشفع في حد من حدود الله تعالى ، ثم قام فخطب فقال : يا أيها الناس إنما ضل من قبلكم أنهم كانوا إذا سرق الشريف تركوه وإذا سرق الضعيف فيهم أقاموا عليه الحدود ، وأيم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطع محمد يدها (٧) .

وبينما رسول الله -ﷺ- يقسم قسمًا أقبل رجل فأكبّ عليه فطعنه رسول الله -ﷺ- بعرجون كان معه فجرح بوجهه ، فقال له رسول الله -ﷺ- : تعال فاستقد قال بل عفوت يا رسول الله -ﷺ- (٨) .

ومرة أصاب رسول الله -ﷺ- سبيا وإماء فجاءت فاطمة - رضي الله

عنها - وكانت تجر بالرحى حتى أثر في يدها ونفط جلدها فشكت إليه -ﷺ- وسألت أن يأمر لها بأمة ، فقال رسول الله -ﷺ- : سبقكن يتامى بدر أي هم أحق منكن (٩) ، ولما صدر الحكم بوضع الربا فوضع -ﷺ- أولاً ربا عمه عباس بن عبد المطلب وقال : « ربا الجاهلية موضوع وأول ربا أضع ربانا ربا عباس بن عبد المطلب (١٠) » ، وحينما أمر بإبطال دماء الجاهلية أبطل دماءه أولا فقال : « دماء الجاهلية موضوعة وأول دم أضعه دماؤنا » (١١) وفي وجوب الزكاة والعشر والصدقات وفي أدائها كانت أسرة النبي -ﷺ- كعامة الناس بدون أي تمييز وتفرقة .

وكذا كان الملوك يؤكدون في رعاياهم ويحيلون إليهم علو نسبهم ورفعتهم كأنهم أفضل من سائر المخلوقات ، ولكن النبي -ﷺ- فاز من الله سبحانه و تعالى بلقب العبد ، و كان من صدقه -ﷺ- هي العبودية التامة لله تعالى ، فقضى على جميع صور التكريم و الحفاوة التي تعودها الملوك منذ زمان ، وقال : « أخنع اسم عند الله -عزوجل- يوم القيامة رجل يسمى ملك الأملاك » (١٢) ومرة قال له رجل : أنت سيدنا ، فقال النبي -ﷺ- : « السيد الله » (١٣) ، كذلك ما كان يحب -ﷺ- أن يفضله أحد على الأنبياء الآخرين - عليهم الصلاة والتسليم - .

ذات مرة كسفت الشمس على عهد رسول الله -ﷺ- يوم مات إبراهيم ابن محمد -ﷺ- ، وكان العرب يعتقدون أن الشمس والقمر ينكسفان لحادثة عظيمة تقع في الأرض ، فقال الناس كسفت الشمس لموت إبراهيم ، فقام رسول الله -ﷺ- وقال : إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله لا ينخسفان لموت أحد ولا لحياته (١٤) .

و مرة أتى النبي -ﷺ- رجل فكلمه فجعلت ترعد فرائصه ، فقال لـه : « هوّن عليك فإني لست بملك ، إنما أنا ابن امرأة تأكل القديد » (١٥) .

ومرة أتى بأسير فقال : اللهم إني أتوب إليك ولا أتوب إلى محمد ، فقال النبي -ﷺ- : « عرف الحق لأهله » (١٦) مع أن هذا كان من الكلام الذي يحكم عليه بالشنق والإعدام في محاكم السلاطين والملوك لأن هذا كلام يرادف الإهانة والإزدراء عندهم .

ومرة قام رسول الله -ﷺ في صلاة ، فقال أعرابي وهو في الصلاة : اللهم ارحمني ومحمدًا ولا ترحم معنا أحدًا ، فلما سلم النبي -ﷺ- ، قال للأعرابي : « لقد حجرت واسعًا يريد رحمة الله » (١٧) مع أنه أظهر بلغة بلاط الملك أبلغ ما يمكن وفاؤه للملوك وبالذي يرضى السلاطين ويحبونه ويخولون عليه عطاياهم . [يتبع]

الهوامش :

(١) الجامع الصحيح ، للإمام البخاري - رحمه الله - باب بدء الوحي
(٢) السنن ، لأبي داود - رحمه الله - كتاب المناسك باب اشهر الحرم ، ١/٢٦٨
(٣) المسند ، للامام احمد بن حنبل - رحمه الله - ٢/٢٢٢
(٤) الجامع الصحيح للإمام مسلم - رحمه الله - كتاب الإمارة ، باب فضيلة الأمير العادل ٢/١٢٢ (٥) المسند ، للإمام احمد بن حنبل ، ٤/٢٨ .
(٦) الجامع الصحيح للامام البخاري كتاب الادب ، باب صلة الاخ المشرك ٢/٨٨٥ .
(٧) الجامع الصحيح للامام البخاري ، كتاب كراهة الشفاعة في الحدود إذا رفع إلى السلطان ٢/٢ ١
(٨) السنن للامام ابي داود ، كتاب الديات ، باب القود من الضربة وقص الامير من نفسه ٢/٦٢٤
(٩) السنن للامام ابي داود ، كتاب الخراج والفيء والامارة ، باب في بيان مواضع الخمس الخ ٢/٤١٩
(١٠-١١) السنن للامام ابي داؤد كتاب المناسك ، باب صفة حجة النبي الكريم -ﷺ- ١/٢٦٢
(١٢) الجامع ، للامام الترمذي - رحمه الله - ، ابواب الآداب ، باب ما جاء ما يكره من الاسماء ٢/١١١ (١٣) المسند ، للإمام احمد بن حنبل ٤/٢٥ .
(١٤) الجامع الصحيح ، للامام البخاري ، أبواب الكسوف ١/١٤٢
(١٥) سنن ابن ماجة كتاب الاطعمة باب القديد
(١٦) المسند للامام احمد بن حنبل ٣/٤٢٥ عن الاسود بن شريع
(١٧) الجامع الصحيح للإمام البخاري ، كتاب الادب ، باب رحمة الناس والبهائم . ٢/٨٨٩

الغزو الفكري في حياة المسلمين
منافذ دخوله . و وسائل مقاومته

[الحلقة الثانية]

بقلم . سعادة الدكتور عمر يوسف حمزة
كلية الشريعة والدراسات الإسلامية قسم التفسير والحديث - جامعة قطر

٢- آثار الغزو الفكري في التعليم :

لقد ترك الغزو الفكري آثارًا عصيبة في المجتمع الإسلامي في كافة نواحيه الثقافية والتعليمية والتشريعية والأخلاقية والاجتماعية .

وبذل المستشرقون والمبشرون بكل ما في وسعهم وطاقتهم سائرين على الوسائل والطرق التي تحقق أهدافهم ، فحاولوا استغلال حركات الإصلاح الإسلامية ، ويقول (كامفماير) المستشرق الألماني : إن الأب بايبرث المبشر الألماني : يرى أن حركة الإصلاح الإسلامي على النحو الذي تسير فيه الآن يجب أن تقابل من المسيحية الغربية بالتشجيع ويتساءل هذا المستشرق : هل يستطيع الإسلام أن يستعيد وحدته الداخلية في ظل التحرئة السياسية القائمة وتحت تأثير الآراء العصرية والعلوم الغربية ؟

وهل سيكون الإسلام عند ذلك عدوًا للغرب أم صديقًا وحليفًا ، أم أن الإسلام في سبيله إلى التفتت إلى وحدات قومية تعكس كل منها التأثيرات الأوربية على طريقتها الخاصة وبأسلوبها المستقل ؟

ويبرز الكاتب في إجابته على هذه الأسئلة ثلاث نقط :

١- أهمية الكتلة العربية وخطورتها في نظره .

٢- أهم العوامل التي تستمد منها هذه الأمة وحدتها هي الاشتراكية في اللغة العربية الفصحى واشتراكها في العناية بالتراث الإسلامي القديم وتاريخه وآدابه .

٣- يتمنى أن يحدث في مصر ما حدث في تركيا من قطع كل صلة بالماضي الإسلامي واستبدال الحروف العربية بالحروف اللاتينية .

ويهتم الغربيون بأن يجري التعليم في البلاد الإسلامية على الأسلوب الغربي والمبادئ الغربية والتفكير الغربي كوسيلة لفرنجة البلاد الإسلامية وتغريبها ، يقول (جب) : هذا هو السبيل الوحيد فقد رأينا المراحل التي مر بها طبع التعليم بالطابع الغربي في العالم الإسلامي ومدى تأثيره على تفكير الزعماء المدنيين وقليل من الزعماء الدينيين (١٨) .

ومن أقوى الوسائل التي تمكن بها (الغزو الفكري) من الوصول إلى هدفه : هي التربية والتعليم والثقافة الأجنبية ، إذ بواسطة ذلك تم الاتصال بالمسلمين .. وقد دخل الغزو إلى العالم الإسلامي من باب يخيل إلى السطحيين من الناس أنه الباب الطبيعي ، إذ حمل اسم العلم والمعرفة والتمدن ، ومن يحارب ذلك إلا الجاهل الأحمق ؟

يقول (القس زويمر) : « المدارس أحسن ما يعول عليه المبشرون في التحكك بالمسلمين (١٩) » . لقد أقبل المسلمون على هذه المدارس بكثرة كاثرة ، يرددون مناهجها ، ولا يميزون بين صحيحها من فاسدها ، وقد بنيت هذه المناهج على أسس تختلف عن أسس الإسلام ، الصحيحة في العقيدة والشريعة ، والنظرة إلى الكون والحياة والإنسان على أن هذه

المدارس كانت تساندها جمعيات كثيرة : تمدها بالمال وبكل ما تحتاجه ، ونستطيع أن ندرك أهمية هذه المدارس في أعمالها التخريبية باهتمام المستعمرين بها إذ أنهم ما دخلوا بلدًا إلا كان ما فعلوه أن فتحوا المدارس ، وقد قال القائد الفرنسي (بيير كيللر) عن المعاهد الفرنسية في لبنان : « فالتربية الوطنية كانت بكاملها تقريبًا في أيدينا ، وفي بداية حرب عام ١٩١٤-١٩١٨م كان أكثر من اثنين وخمسين ألف تلميذ يتلقون دروسهم في مدارسنا ، وكان بين هؤلاء فتيان وفتيات ينتمون إلى عائلات إسلامية عريقة » (٢٠) .

وقد أدت هذه المدارس دورًا عجزت عن أدائه أجهزة التبشير والاستشراق كلها ، ويكفينا أن نعلم أن مؤتمر (ادنبرج) التبشيري الذي عقد عام ١٩١٠م وحضره ١٢٠٠ من مندوبيه كان مما قرره ما يأتي : « اتفقت آراء سفراء الدول الكبرى في عاصمة السلطنة العثمانية على أن معاهد التعليم الثانوية التي أسسها الأوربيون كان لها تأثير على حل المسألة الشرقية يرجح على تأثير العمل المشترك الذي قامت به دول أوربا كلها » (٢١) .

ويقول المبشر (تكلي) : « إن الكتب المدرسية العربية تجعل الاعتقاد بكتاب شرقي مقدس أمرًا صعبًا جدًا » (٢٢) .

ويقول المستشرق (هاملتون جب) : « لقد استطاع نشاطنا التعليمي والثقافي عن طريق المدرسة العصرية والصحافة أن يترك في المسلمين - ولو من غير وعي منهم - أثرًا يجعلهم في مظهرهم العام « لادينيين » إلى حد بعيد ، ولا ريب أن ذلك هو اللب المثمر في كل ما تركت محاولات

الغرب لحمل العالم الإسلامي على حضارته من آثار » (٢٢) .

ولم يعد دعاة الشر يقنعون بالكلام فحسب ، ولم يعد شرهم مقصورًا على محاولة نشر سمومهم بالدعاية لها ، فقد نجحوا في التسلل إلى مناصب تمكنهم من أن يدسوا برامجهم ومناهجهم على المسئولين من رؤسائهم وينفذونها في صمت ، ودعاة الشر هؤلآء يعملون في ميادين كثيرة لا يكاد يخلو منهم ميدان ، ولكن أخطر ما يكون إفسادهم إذ تسلل إلى ميدان التعليم ، ولهم أساليب خبيثة في الوصول إلى أهدافهم (٢٤) .

ولقد تغلغل الغزو الفكري إلى أجهزة التعليم ، وتمت السيطرة على التعليم قلبًا وقالبًا وفلسفةً وتخطيطًا ، ومحتوًى ومستوًى ، وتمويلاً وإدارةً ، ومناهج وطريقةً ، وتدريسًا ولغةً ، ومدرسين وإدارة .

وخطورة هذه السيطرة أنها تضمن تشكيل الأجيال الناشئة وفق أهداف محددة تتلخص في النقاط التالية :

١- تشويه صورة الإسلام : وهذا التشويه لا يقتصر على جانب واحد ، ولا يشكك في نقطة بعينها ، بل يشمل الإسلام بجميع جوانبه ، وفي كل ركائزه .

٢- التشكيك في تاريخ الأمة : لكي تبتر صلة هذه الأمة بتاريخها ، فلابد من تشويهه ، والتشكيك في مفاخره ، والتركيز على مباذله ، بحيث تنمو أجيال لا تعرف منه إلا عصور الظلم والاستعباد وفترات القلق والاضطهاد ، وبذلك كله يرى الناشئ تاريخ أمته مسلسلاً من العذاب ، وحلقات من السواد (٢٥) .

٣- التشكيك في حاضر الأمة : لا يقتصر الأمر على تاريخ بل يمتد إلى

حاضر ، فإذا شكل الشباب الجديد على كراهية لهذا الحاضر ، ونفور من تخلفه ، واقشعرار من رجعيته ، فالسلوك الطبيعي أن يبحث له عن مخرج ، وأن يستطلع نافذة جديدة يستنشق منها الهواء الصحي والصحيح .

٤- التشكيك في مستقبل الأمة : إذا كان الماضي رجعيًا ، والحاضر عفنًا ، فكيف سيكون المستقبل ؟! .. .. لابد أنه ظلام وبوار وخراب .. ..

إذن فلنغض البصر عن ماضينا ، ولننصرف عن حاضرنا ، ولنندمج في غيرنا لكي يأتي المستقبل مشرقًا زاهرًا وضاءً .

فالتخلف الإسلامي لا علاج له إلا بالمستقبل الغربي أو الشرقي .

٥- تذويب شخصية الأمـــة : بعد التشويه ، و التشكيك ، تتم مرحلة التذويب بحيث تفقد الأمة الإسلامية هويتها ، وتذوب فيما يغاير طبيعتها ، ويسافر عقيدتها .

وتذويب شخصية الأمة من الممكن أن يتم بعشرات الوسائل : مباشرة وغير مباشرة ، و واضحة ومبهمة .

٦- إحلال عناصر ثقافية جديدة : بعد التشويه ، والتشكيك ، والتذويب لا يبقى غير زراعة ثقافة جديدة توجه العقول ، وتحكم السياسة ، وتصنع القرارات ، وتحرك الشخصيات ، وتشوه الضمائر .. فلو ضمنت أجهزة الغزو أن المسلمين حملوا دينًا غير دينهم ، أو فهموا دينهم فهمًا خاطئًا ، وانحرفوا عن جادة الطريق فذلك هو الانتصار الكبير ، وتلعب بالقيادات .

هذه كانت أهم أهداف الغزو الفكري بلورت في ست نقاط من تشويه ، إلى التشكيك ، إلى تذويب ، إلى إحلال لعناصر جديدة (٢٦) .

وهناك كثير من الأدلة على طريقة إحكام السيطرة على التعليم يكفي أن نُشير إلى بعضها :

١- فرض اللغة الأجنبية ، فما من مرة وضع الاحتلال قدمه ، في بلد إلا وتحولت لغة التعليم والتدريس إلى لغته الأجنبية .. حدث هذا في جميع البلاد الإسلامية التي تعرضت للاستعمار ، والأمثلة على ذلك كثيرة (٢٧).

٢- تغيير جميع مناهج المواد الاجتماعية والإنسانية لكي تتواكب مع أهداف الغزو ومخططاته ، ومن أكبر البراهين على ذلك ما حدث للمناهج الليبية إبان الاحتلال الإيطالي ، وما حدث للمناهج الجزائرية إبان الاحتلال الفرنسي ، وما حدث للمناهج التركية بعد إعلان العلمانية سنة ١٩٢٤م ، وما حدث للمناهج الأندونيسية إبان سيطرة الشيوعيين وما حدث ويحدث في المدارس الفلسطينية تحت ضغط الاستيطان الصهيوني .. إلى غير ذلك من الأمثلة ، ومن يتتبع ذلك يدرك مكان الخطورة ، ومواطن الدس ، وقنوات التسمم .

٣- إنشاء مؤسسات تعليمية لتوجيه تعليمنا الوجهة المناسبة لغزوهم .. وهناك تفاصيل كثيرة عن مؤسسات التبشير والتغريب التعليمية التي أنشئت في فلسطين والشام ، بدءًا من دور حضانة إلى الجامعة الأمريكية في بيروت (٢٨) والقاهرة ، واستانبول..وتفاصيل عن كلية « غوردون » المنشأة بالسودان سنة ١٩٠٢م ، وكلية « ماكربري » في يوغندا التي كان يرسل إليها أبناء جنوب السودان خاصة لاستكمال دراستهم وفقًا للأهداف والتوجيهات الإنجليزية (٢٩) وغير ذلك من المؤسسات التعليمية التي أنشأها المبشرون والمستشرقون للقضاء على الإسلام .

ولقد استطاعت المناهج التعليمية الوافدة القائمة على النظرية ، المنكرة للدين والأخلاق ، بناء الفرد على غير قيم الإسلام ، وقام المبشرون والمستشرقون بفرض مناهج الغرب على المدارس الإسلامية مما كان له أبعد الأثر في تدمير الشخصية الإسلامية الناشئة وحرمانها من التعرف على حقيقتها ودورها وهدفها .

فإن خطة السيطرة على المناهج التعليمية التي قام بها النفوذ الأجنبي « و ورثها لمن جاء به من حكومات وقيادات نشأت في إطار الإيمان بالغرب والإعجاب به والتسليم له » قد شملت مختلف الميادين من السلوك الفردي والآداب الاجتماعية إلى الآداب والفنون .

وقد تحولت الأساليب من التبشير المباشر إلى التبشير الخفي بتصل بالثقافة ، والصحافة حيث يقوم الكتاب التغريبيون بأداء دور خطير في تحويل الأهداف الماسونية إلى حقائق مطبقة .

وقد أسهمت المنظمات الدولية في هذا المجال بما في ذلك الأمم المتحدة ، واليونسكو والتربية الأساسية على وجه الخصوص ، التي تعتبر امتدادًا لمخطوطات ترمي إلى فصل الدين عن الدولة ، وتخريج شباب متميع منهزم خاضع للأهواء والشهوات ، ولقد أدرك قسم من المسلمين الخطر الرهيب الذي يتمثل في غزو مناهج التعليم في بلاد المسلمين من قبل المستعمرين ، فعملوا على أن يحتفظوا بتراثهم الإسلامي ، وذلك ببناء مدارس وجامعات تدرس فيها العلوم الإسلامية ، من غير أن يكون للفكر الدخيل تأثير فيها .. لكن المسلمين لم يستطيعوا التوصل إلى ما يريدون ، ذلك أن الإرساليات التبشيرية كانت تتمتع بنفوذ قوي ،

وكانت الجامعات التبشيرية تساندها قوي مادية كبرى ، فوق النفوذ الذي كان لدول الجامعات التبشيرية .

و هكذا نشأ في المجتمع الإسلامي تياران متعارضان في الثقافة والتعليم : التيار الإسلامي القديم وتيار الجامعات الأجنبية الجديدة .

أما مدارس الدولة ، فكانت مناهجها قريبة جدًا من مناهج الإرساليات التبشيرية والمدارس الأجنبية (٢٠) .

فمن الوسائل الخبيثة التي سار عليها الغزو الفكري : فصل العلوم الدينية عن العلوم الأخرى فصلاً نجعل بينهما هوة سحيقة ، واصطناع الخلاف والنفاق ، ثم الخلاف والشقاق ، ثم العداء بين علوم الدين وعلوم الدنيا ، وبين علماء هذين القسمين ، وتيسير سبل المال والمجد الدنيوي لمتعلمي علوم الدنيا ، وحجبها عن نظرائهم من متعلمي علوم الدين ، ولم تقتصر عملية الفصل هذه على مستوى التعليم التخصصي العالي ، ولكن المكيدة كانت شاملة ، تهدف إلى عزل طلاب علم الدنيا عن الدراسات المتعلقة بعلوم الدين عزلاً تامًا في الصنعة والطريقة والمضمون ، وإلى عزل طلاب علوم الدين عن الدراسات المتعلقة بعلوم الدنيا عزلاً تامًا أيضًا ، لئلا تنكشف الملاءمة التامة بين الأصول الصحيحة لقسمي علوم الدين وعلوم الدنيا ، فيصير الحق من كل منهما الحق من صاحبه ، وينفي عنه الدخيل الدعي ، ولئلا تتكامل منهما المعرفة على صراط الله المستقيم ، فيحتل المسلمون الصادقون مجد الدنيا والآخرة (٢١) .

ومن طبيعة هذا الفصل أن يولد مع الزمن تعصب كل فريق لنوع دراسته ولمنهج بحثه ، ولطريقة تقصّيه للحقائق ، وإن كان فيها نقص لا

بتأتي تكميله إلا بالتعاون والتآزر مع الفربق الآخر .

وبمرور الزمن يتم الفصل بين الدبن والحياة ، وحينئذٍ تجد الأمة نفسها مضطرة لأن تقتبس لنظام حياتها من الأنظمة المستوردة من صادرات أعدائها ، وهي أنظمة قائمة على أسس لا صلة لها بالدين ، ولا تعترف بشريعة الله تعالى .

وبذلك يحقق الغزاة هدفهم من غزو الأفكار والنفوس والقلوب ، وهدفهم من غزو سلوك المسلمين ، وهذا يمهد لعمليات الاحتلال الكامل ، الذي تعدو به على الأمة عوادي الكفر (٢٢) .

[يتبع]

++++

الحواشي والهوامش :

(١٨) الغزو الفكري والتيارات المعادية للإسلام : ص/٤٨١ .

(١٩) الغارة على العالم الإسلامي : ص/٤٨ ، الطبعة الثانية ١٣٨٤هـ .

(٢٠) الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر ، للدكتور محمد محمد حسين : ٢/٢٧٢ ، الطبعة الثانية .

(٢١) الغارة على العالم الإسلامي : ص/٥٧ .

(٢٢) التبشير والاستعمار للأستاذين مصطفى الخالدي وعمر فروخ : ص/٨٨ ،

الطبعة الثانية ١٩٥٧م .

(٢٣) من التبعية إلى الأصالة للأستاذ أنور الجندي : ص/١٣٢ ، طبعة دار الاعتصام القاهرة ١٩٧٧م .

(٢٤) انظر مزيدًا من التفصيل في كتاب : حصوننا مهددة من داخلها ، الدكتور محمد محمد حسين ، المكتب الإسلامي ، الطبعة الخامسة .

(٢٥) راجع تفاصيل التشويه في كتاب : الغزو الفكري وأثره في المجتمع الإسلامي المعاصر لمؤلفه ، علي عبد الحليم محمود ، دار البحوث العلمية ، الكويت ١٣٩٩هـ ، ص/٣١-١٢٠ .

وراجع عباس محمد العقاد ما يقال عن الإسلام ، موسوعة العقاد الإسلامية ، المجلد الخامس ، دار الكتاب العربي ، بيروت ١٣٩١هـ .

(٢٦) انظر وسائل مقاومة الغزو الفكري للعالم الإسلامي : ص/٦٧ .

(٢٧) انظر : التعليم باللغات الأجنبية في المدارس الرسمية العربية ، تاريخه ، أسبابه ، آثاره ، القاهرة سنة ١٤٠٠هـ .

(٢٨) راجع تفاصيل ذلك : في مصطفى خالدي وعمرفروخ ، التبشير والاستعمار في البلاد العربية ص/٧٦-١١٢ وعلي عبد الحليم محمود ، الغزو الفكري وأثره في المجتمع الإسلامي المعاصر : ص/١٢٧-١٤٠

(٢٩) انظر : ضرار صالح ضرار ، تاريخ السودان الحديث ، مكتبة الحياة ، بيروت الطبعة الرابعة ، سنة ١٩٦٨م ، ص/٢٤٦-٢٤٧ .

(٣٠) المسلمون أمام تحديات الغزو الفكري ، إبراهيم النعمة ، طبعة ثانية : ص/١٥ .

(٣١) انظر بحث الأستاذ عبد الرحمن حسن حبنكه الميداني : ص/٥١٠ ، ضمن كتاب الغزو الفكري والتيارات المعادية للإسلام ، مرجع سابق .

(٣٢) المصدر السابق : ص/٥١١ .

حول خطط المبشرين

بقلم : سعادة الدكتور محمد بن سعد الشويعر
رئيس تحرير مجلة « البحوث الإسلامية » - الرياض

إن من يتابع أعمال المبشرين ، ويتقصى خططهم في التبشير بالإنجيل بين المسلمين ، ويعرف بعض الشيء عن وصاياهم في مؤتمراتهم العديدة والسرية ، ليتذكر الكلمة المعهودة لعمر بن الخطاب - رضي الله عنه - : « عجبت لأهل الحق ، ونكوصهم عن حقهم ، ولأهل الباطل وتماديهم في باطلهم .. » فهذه كلمة جامعة مانعة ، إذ عمر - رضي الله عنه - ، يتعجب ويأسى على أهل الحق الواضح ، الذي لا يقبل الجدل ، و لامراء فيه ، ومع هذا يعتريهم الكسل ، ويدب الخور ، مع الملل عن المسيرة في أداء حقهم الذي أوجبه الله عليهم : حرصًا وعملاً ، وتبليغًا ودفاعًا ، لأن الوهن - وهو حب الدنيا ، وكراهية الموت - عند ما يدب سريانه في جسم الإنسان ، فإن القلب الذي هو ملك الجوارح ، والمسيطر عليها ، يميل إلى الخمول الذي يصيبه تدريجيًا بالرّان ، وهو مرض شديد الوطأة ، يأتي من سوء عمل المرء ، بحيث تنقلب الحقائق عند صاحبه ، ويتحرك عامل الكسل والتباطئ لديه ، لينتج عن ذلك الميل إلى الدعة ، وعدم الحماسة والمبالاة بأداء حق الله في توضيح حقيقة الدعوة إلى دين الله ، وكشف خطط أعداء الله ، وأساليب أعداء رسوله محمد -ﷺ- ، ومكر أعداء دين الحق الذي لا يقبل الله من البشر دينًا سواه .

عند ذلك تتبلد المشاعر ، ويستشري عدم المبالاة لتصغر في العين الأمور العظام ، وتنفتح للأعداء ثغرات ينفذون منها .

يعجب عمر - رضي الله عنه - ، وهو الفاهم جيدًا لمكر الأعداء ، من المسلم وهو صاحب رسالة كلفه الله بإبلاغها ، وأمانة حمّل أداءها في نفسه

أولاً ، وأمام البشرية جمعاء ، وفق أمر الله سبحانه ، الذي جاء بنص القرآن الكريم في مواضع كثيرة ، وأمر رسوله -ﷺ- الذي نصت عليه الأحاديث الصحيحة ، ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ وإنه لذكر لك ولقومك وسوف تسألون ﴾ [سورة الزخرف ، الآية : ٤٤] ، وقوله -ﷺ- : « كل منكم على ثغر من ثغور الإسلام فالله الله أن يؤتى الإسلام من قبله » .

فكان عجبه - رضي الله عنه - من تخاذل المسلمين ، وهم أهل حق جاء من عند الله ، عن تبليغ هذا الحق للناس كافة ، والدفاع عنه بالنفس والمال ، وهم الموعودون على ذلك الأجر الجزيل في الآخرة ، والتمكين في الدنيا ، وعن تكاسلهم في العمل ، وأداء أمر الله ، الذي افترض عليهم ، لأن من أهم الأمور في الدعوة للإسلام المثالية في العمل ، والاهتمام بالأمانة ، سواء كانت عبادة أو عملاً أو تعاملاً ، لأن هذا من المؤثرات العميقة في قلوب الآخرين .

كما أن عمر - رضي الله عنه - وهو من هو مكانة وعلماً ، وبعد نظر وحماسة لإبلاغ دين الله ، يسوقه العجب للمتقين الآخر ، وهو صلابة أهل الباطل في باطلهم ، وتفانيهم في الدفاع عنه ، مع الرغبة في نشره بين الناس : بالمال والجهد ، والمتابعة والتخطيط ، حيث يعملون بجدّ ، ولا يدب اليأس في نفوسهم ، أو يتسرّب الملل لأساليبهم العملية ، والمتابعة .

ولنأخذ في هذا طريقة المنصرين - أو على الأصح المبشرين ، لأن البشارة لا تكون إلا في الخير ، والخير الذي بينه الله للبشرية هو الإسلام ، وهو الحق ، ومن بشّر به فهو الداعي إلى الخير - .

فهؤلاء المبشرون ، وبعدهم المستشرقون الذين يظهرون المساوئ ، ويغطون بعض الحقائق ، لا يكلّون ، ولا يملّون من الاجتماعات والحلقات الدراسية والتدريسية ، والمؤتمرات ، وخاصة منها الخفية ، وغير هذا من الأساليب المتعددة ، ويبذلون في هذا السبيل الجهد الجهيد ، والمال

الوفير ، والوقت الغالي والرخيص .

وفي كل مرة يقدحون الزناد ، ويستعرضون الإيجابيات والسلبيات عمّا عملوا في السابق ، وعما يجب في اللاحق ، فيقوّمون أعمالهم ، ليجتهدوا في وضع خططهم وحيلهم ، مستعرضين ما حققوا من نتائج ، وما يجب عليهم عمله ، من أجل زيادة النتائج ، التي توهموها مرضية ، وما ذلك إلا أنهم يعتبرون خصمهم الأول : الإسلام ، لذا فهم يسعون جاهدين لتخفيف مكانته من قلوب المسلمين ، مخمنين بعض الوقائع التي تأتي من تصرفات أناس يحسبون على الاسم بالاسم أو الانتماء ، ليستغلوا نقاط الضعف لدى بعض الجهلة المسلمين ، فيرفعوا من قدر من كان مرتدًا عن الإسلام ظاهرًا أو خفيًا ، ويجذبوه إليهم فكرًا وعاطفًا ، بما يبهروه من شيء لا يدري لها جوابًا ، ويتيحة لخبرته إنساق نحوهم تأييدًا أو ترغيبًا بعد ما تعلقوا على مركب النقص فيه ، بالمال أو السمعة ، أو الظهور أو غير ذلك . وإذا كان الشاعر يقول :

ومهما تكن عند امرئ من خليقـــــــة

وإن خالها تخفى على الناس تعـــــلم

فإن حقائق خططهم السرية تَفضَح عن عدم الرضا عما توهمه بعض المنشرين بشائر في نجاح أعمالهم وتخطيطهم عن الإسلام ، وتشكيك أبنائه فيه ، عند ما جاءت وقائع عملية تنافي ذلك ، فمثلاً :

= ثلاث قبائل قبل أشهر في إحدى دول غرب إفريقيا دخلت الإسلام دفعة واحدة .. وهي من أكبر القبائل .

= أحد كبار المنصرين في نيجيريا منذ عام حاول أن يُضلل من حوله بأن المسيح أعطاه حصانة ضد الأسد وبدأ يلاعبه والأسد مطمئن وهادئ ، فلما أدخل رأسه في فمه قطعه بأسنانه فمات الرجل فورًا .

= منصر آخر في إحدى دول غرب إفريقيا ، حاول الاستهزاء بالقرآن الكريم وإحراقه أمام الملأ ، فانتقم الله منه باحتراقه هو أمامهم .

= مجموعة من القساوسة في جنوب السودان نتيجة المناظرة معهم دخلوا في الإسلام دفعة واحدة ، ودخل معهم ما لا يقل عن خمسمائة من الأتباع بعد قناعتهم بالإسلام .. وقد طبعت هذه المناظرة الرئاسة للافتاء والبحوث .

= ثم انتشار الإسلام في أوربا وأمريكا وميول كثير من الشباب هناك ، ذكورًا وإناثًا إليه .

= وغير هذا من الوقائع الفردية وغير الفردية في كل مكان من العالم ، مما أخذوا منه ضعف مخططاتهم الموجودة فحاولوا البحث عن بديل من أجل تنفير الناس من الإسلام ، وإيقاف زحفه .

مثل هذه الأمور ، جعلتهم يتفانون في وضع المخططات المتتالية ، والحرص على متابعتها بين حين وحين ، لتلافي ما يرونه خطأ في كل اجتماع ، رغبة في زيادة الفاعلية ، وغاب عنهم أنهم لا يخططون ضد البشر الغافلين أو الجاهلين ، وإنما يحاربون الله ، ويتصدون لشرع الله الذي شرع لعباده ، والله -جل وعلا- أوضح في كتابه الكريم ، وقوله الحق ، أن دين الله لابد من ظهوره وانتصاره ، وأن الباطل مهما صار له من صولة وجولة ، فإن نهايته الاندحار والنكوص على العقب بقوله سبحانه : ﴿ ليحق الحق ويبطل الباطل ولو كره المجرمون ﴾ [سورة الأنفال ، الآية : ٨] ، وقال سبحانه في ثلاثة مواضع من كتابه الكريم : ﴿ هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ﴾ [سورة التوبة ، الآية : ٣٣، سورة الفتح ، الآية : ٢٨، سورة الصف ، الآية : ٩] .

فدين الله ظاهر مهما حاولوا اطفاء نوره ، بما يبذلون من جهد ، وما

يضعون من خطط ، وأمر الله نافذ ، مهما كابروا وخادعوا ، وعيسى - عليه السلام - الذي يدعون ربوبيته ، أو عقيدة التثليث فيه ، نازل في آخر الزمان ، ليقاتل اليهود والنصارى ، وليجدد دين الإسلام الذي جاء به محمد -ﷺ- من عند ربه ، فيكسر الصليب ، ويذبح الخنزير .

وإن مؤتمراتهم ومخططاتهم ، ومدارسهم التبشيرية ، وغير هذا من أعمال يقدحون فيها أفكارهم ، وينفقون فيها المال بسخاء ، ينطبق على كل ذلك قول الله تعالى : ﴿ إن الذين ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله • فسينفقونها • ثم تكون عليهم حسرة ثم يغلبون ﴾ [سورة الأنفال ، الآية : ٣٦] .

ولذا نلمس مما تيسر الاطلاع عليه من مؤتمراتهم ، وحبذا لو تيسر الكل لكي نقارن ونتابع أفكارهم في التخطيط ، وجهودهم في الصدّ عن سبيل الله ، أن في كل مؤتمر يحاولون إدخال شئ جديد عما قبله ، رغبة في الإضرار بالمسلمين ، وحقدًا عليهم في الثبات على دينهم ، وطمعًا في أن يردوهم عن دينهم كافرين ، كما قال تعالى : ﴿ ودّ كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد إيمانكم كفارًا ﴾ [سورة البقرة ، الآية : ١٠٩] وقال سبحانه في سورة النساء : ﴿ ودّوا لو تكفرون كما كفروا فتكونون سواء ﴾ [الآية : ٨٩] ، وقال -عزوجل- في سورة الممتحنة : ﴿ إن يثقفوكم يكونوا لكم أعداء ويبسطوا إليكم أيديهم • وألسنتهم بالسوء و ودّوا لو تكفرون ﴾ [الآية : ٢] .

فهم بجهودهم هذه لا يريدون للمسلمين خيرًا - كما قال أحدهم في مؤتمر تبشيري : لا يشرفنا أن يدخل المسلم في ديننا ، لأن من ترك دينه

لا خير فيه ، ولكن يهمنا مباعدتهم عن دينهم وتجهيلهم فيه -بل يريدون الخروج من دائرة الإسلام ، والابتعاد عن حظيرته : عملاً ودعوةً وتطبيقًا ، إذ يراهم يزيّنون لكثير من أبناء المسلمين الأمور التي حرمها الله ، ليوقعوهم في الموبقات : كالزنا وشرب الخمر ، وأكل لحم الخنزير ، والربا وأكل المال الحرام ، وعقوق الوالدين ، وغير هذا من أمور يجدون لها تعليلاً مما تصف الألسن ، يغترّ به من ضعفت بضاعته من العلوم الشرعية ، عبادة ومعاملات وأحوالاً شخصية ، وثقافة في أمور دينهم ، أو تاريخ الإسلام بدءً بالسيرة النبوية ، إلى ما تلاها من وقائع وحوادث ، حيث يلبسون ما يريدون أمورًا تشكك خالي الوفاض من ثقافة دينية ، وبمجريات الأمور في تاريخ الإسلام ورجاله ، ليسلم لهم بما يريدون .

فمثلا بالنسبة للربا يقولون .. .. ما كان عن رضا ولا اغتصاب فيه فقوانين أكثر دول العالم لا ترى به بأسًا ، ولا عقابًا ، والمؤتمرات والندوات الحديثة تعطي المرأة الحرية في نفسها : علاقة وحملاً وإجهاضًا ، لتخرج من سيطرة الرجل ، ويحللون شرب الخمر حسبما يريدون ويكذبون على عيسى - عليه السلام - بالقول : إن قليلاً من الخمر ينعش القلب ، ولذا يجعلونه من رموز التوبة والغفران عند الاعتراف في الكنيسة مع الكاهن ، ويعلمون بأنه ما دامت علّة الخمر الإسكار فإن القليل الذي لا يسكر لا بأس به ، ومن ردّ عليهم بأن العلة من الكحول ، الذي هو سبب الإسكار فمتى وجدت حصلت العلة ، فإنهم يقعرون في حجة أخرى سفسطائية ؛ بأن غالب المأكولات فيها كحول كالليمون الزبادي ، والخردل والبصل ، فإذا حرمنا الخمر بعلة الكحول حرمنا هذه وغيرها من الأطعمة .

وعن أكل لحم خنزير يعللون بأن سبب التحريم العلة المرضية في لحمه ، إذ بسبب دودة شبيهة بدودة لحم البقر ، وهذا ناتج من أكل الخنزير

الأطعمة القذرة والملوّثة ، حيث جبل على ذلك .. أما الآن فقد تطور العلم الحديث ، وصارت الخنازير تربى في حظائر نظيفة ، وبطعام نظيف ، وتحت رقابة طبية ، كما تربى الأغنام والأبقار ، ثم إن الطبخ الحديث ينضج معه لحمه ، ويقتل ما قد يبقى في لحمه من دود وجراثيم ، وهذا مغالطة لأن علة التحريم في خبثه وقد لا يدركها البشر ، أما الربا فيأتون بعلل عديدة كحرء من الشبهات المضللة ، ومن ذلك أحذهم القول بأن العلة فيه ، الإضرار بالفقير ، ليقولوا ما دامت البنوك وهي الغنية جدًا هي التي تعطى الأرباح ، فإن علة الإضرار بالفقير قد زالت ، ثم يسوّفون بآراء يميل إليها صاحب الهوى والطمع ، بأن البنوك تتعامل بالتجارة والمضاربات ، وتمويل المصانع والمشاريع الحيوية والأعمال الكبيرة ، وما إلى ذلك فهي أموال تستغل في عدة مآرب ، وما يأتي من ربح فما هو إلا ربح للمشاريع والأعمال الجائزة ، وأموالنا في البنوك تشارك في تلك الصناعات والأعمال التجارية ، والمضاربات ، ولذا - في رأيهم - أن الربح من البنك ليس ربًا وإنما هو مساهمة في التشغيل لأموالنا بنصيب من الربح ، وهي شبهات وتعليلات تتصادم مع شرع الله الذي شرع لعباده .

وهكذا لو سار المرء معهم في شبهاتهم التي يريدون بها تحليل ما حرم الله ، ومع أساليبهم في التضليل ، فإنه يجدهم كماء التبن الخفي ، الذي لا يحسّ به ، فتجد أقاويلهم صدى لدى بعض القلوب المريضة ، والأفئدة التي ترغب في التماس المداخل ، وتتحرى المعاذير والمنافذ التي يدخل معها الهوى .

وهذا من مداخل الشيطان ، وتسلط أعوانه من شياطين الإنس ، وإلا فإن المسلم لديه في تعاليم دينه نصوص لا تحتمل التأويل ، أمرًا ونهيًا ، وتوضيحًا وبيانًا ، في كتاب الله وسنة رسوله -ﷺ- .

ولقد اضطرتني ظروف ، قد يمر بها كثير من الناس ، للسفر لبلادهم ،

والاحتكاك بنوعيات منهم ، والدخول معهم في نقاش وحوار ، يدخل معها المبشرون والقساوسة في جدال من أجل الدعوة لدينهم ، ويحاولون خلال ذلك النفاذ إلى عقله تشكيكًا ، و طرح شبهات ، حيث يبدأون نقاشهم باستجلاء خلفية المرء ، ثم طرح الأسئلة في موضوعات شتى ، ليجدوا من جواب المسئول مدخلاً لما يريدون أن يحاوروا فيه ، وليدركوا قدرته ومعرفته .

فكانوا يأخذون من فم المسلم ما يريدون أن ينفذوا لباطن عقله منه ، ويحاولون أن يبعدوه عن النقاش في الديانة النصرانية أو اليهودية ومخالفتها للإسلام ، وموقف الإسلام من هاتين الديانتين ، كما يريدون استبعاد التحريف والتبديل في ديانتهم عن النقاش ، لأن هذا الباب هو الزاوية التي يحرجهم فيه ، ولا يستطيعون منه نفاذًا ، ومما جاء في توصياتهم مثلاً في مؤتمر القدس عام ١٩٠٩م قام أحدهم وقال : لن يهدأ لنا بال ما دام هذا - وأشار إلى القرآن - باقيًا في صدور المسلمين ، وهذه - وأشار إلى الكعبة - لم يهدم ، ويضع مكانها أو جوارها كنيسة ، وفي مؤتمر عام ١٩١٠م المنعقد في القاهرة ، قال صموئيل رويمر : إن أعمالنا ومخططاتنا السابقة عبر مجدية ، ولذا اقترح استبدالها بثلاثة محاور يسلطها على المسلمين ويبعد من خلالها وهي : الوسائل الإعلامية الثلاث ، والبعثات الدراسية ، والمناهج الدراسية .. وبين يديّ توصيات وخطط وضعت في مؤتمر غوانانا بشمال أمريكا اللاتينية عام ١٩٩١م ، حضره مندوبون عن كنائس عالمية ، سيكون موضوع حديثنا المقبل -إن شاء الله- كفانا الله شرهم ، وأعاننا على الامتثال لأمره ، والقدوة برسوله -ﷺ- (١) .

---

(١) نشر هذا الموضوع في العدد السابق : ٢/٤١ .

ذكاء الشعبي :

ذكر الصفدي في كتابه الوافي بالوفيات ، عند مروره بترجمة حياة الشعبي المتوفى عام ١٠٤هـ ، فقال : حكى الشعبي قال : أنفذني عبد الملك ابن مروان إلى ملك الروم ، فلما وصلت إليه جعل لا يسألني عن شئ إلا أجبته ، وكانت الرسل لا تطيل الإقامة عنده ، فحبسني أيامًا كثيرةً ، حتى استحثثت خروجي ، فلما أردت الانصراف ، قال لي : أ من أهل بيت المملكة أنت ؟ قلت : لا ، ولكني رجل من العرب في الجملة ، فهمس في أذن أحدهم بشئ ، فدفعت إليّ رقعة ، وقال لي : إذا أديت الرسائل إلى صاحبك ، فأوصل إليه هذه الرقعة ، قال : فأديت الرسائل عند وصولي عبد الملك ، وأنسيت الرقعة ، فلما صرت في بعض الدار أريد الخروج تذكرتها فرجعت وأوصلتها إليه ، فلما قرأها قال : أ قال لك شيئًا قبل أن يدفعها إليك ؟ قلت : نعم ، وأخبرته بسؤالي وجوابي ، ثم رجعت من عند عبد الملك ، فلما بلغت الباب رُددت ، فلما مثلت بين يديه قال : أ تدري ما في الرقعة ؟ قلت : لا ، قال : اقرأها فقرأتها ، فإذا فيها : عجبت من قوم فيهم مثل هذا ، كيف ملكوا غيره ، فقلت : والله لو علمت هذا ما حملتها ، وإنما قال هذا لأنه لم يرك ، قال : أفتدري لم كتبها ؟ قلت : لا ، قال : حسدني عليك وأراد أن يغريني بقتلك ، قال : فتأدّى ذلك إلى ملك الروم ، فقال : ما أردت إلا ما قال .

وكان الشعبي ضئيلاً نحيفًا ، فقيل له يومًا : إنا نراك ضئيلاً ، فقال : زوحمت في الرحم ، وكان أحد توأمين ، وأقام في الرحم سنتين .. و يقال إن الحجاج سأله يومًا فقال : كم عطاءك في السنة ؟ فقال : ألفين ، فقال : ويحك كم عطاؤك ؟ قال : ألفان ، فقال : كيف لحنت في الأولى ؟ فقال : لحن الأمير فلحنت ، فلما أعرب أعربت ، وما ينبغي أن يلحن الأمير فأعرب ، فاستحسن منه ذلك وأجازه [١٦:٥٨٨] .

الشيخ جمال الدين

العالم الذي أدخل التتار في الإسلام

بقلم دكتور علي القاسي - القاهرة

العصر الذي عاش فيه :

الشيخ جمال الدين عالم فاضل عاش في القرن السابع الهجري وهو القرن الذي كانت كل الدلائل فيه تشير إلى أنه ليس في مصلحة الأمة الإسلامية بل لعل الناس قد ظنوا أنه أشأم قرن في تاريخ الإنسانية كلها .

وذلك لأن هذا القرن استهل بحادث جلل وهو زحف التتار الذي تم في عام ٦١٦هـ على أكبر مملكة في ذلك الوقت ، وهي مملكة خوارزم شاه وقد نهض التتار كجراد انتشر وسيطروا على العالم الإسلامي كله تقريبًا ودمروا تركستان وإيران وأتوا على المدن الكبيرة كلها ، حتى إنهم رفعوا منابر عالية من رؤوس القتلى وجثثها وتسلقوا عليها وتحولت المدن إلى مقابر .

ويحدثنا المؤرخ ابن الأثير المتوفى سنة ٦٢٨هـ عن هذا الحادث فيقول : « فلو قال قائل إن العالم منذ أن خلق الله سبحانه وتعالى آدم إلى الآن لم يبتل بمثلها لكان صادقًا فإن التواريخ لم تتضمن ما يقاربها) .

كما يحدثنا المؤرخ الغربي أدورجبون في كتابه : « سقوط وانحطاط الروم » فيقول : « إن أهالي السويد اطلعوا على الزحف التتاري عن طريق روسيا وقد بلغ الرعب والخوف في قلوبهم مبلغًا عظيمًا حيث إنهم لم يخرجوا للاقتناص كعادتهم إلى السواحل البريطانية » .

وفي ذلك يقول أيضًا المؤرخ هير لوليب في كتابه : « چنكيز خاز » : « إن السماء وقعت على الأرض فدمرت كل ما فيها » .

وقد أثر هذا كله في الروح المعنوية للمسلمين وأصبح المثل السائر المعروف في ذلك الوقت بينهم : « إذا قيل لك إن التتار انهزموا فلا تصدق » .

وقد حاول المؤرخ الغربي أرنولد في كتابه : « الدعوة إلى الإسلام » أن يصور أوضاع المسلمين من الشعوب بالهزيمة واليأس - ذلك لأنهما المقصودان بهذه الهجمات - وكان في ذلك الوقت منافسان قويان للإسلام وهما البوذية والمسيحية ، وكل منهما كانت تحاول أن تكسب قلوب هؤلاء الفاتحين القساة ، فيقول : « كل الدلائل تشير إلى أن المسيحية ستنتصر لأنها لم تكن الخصم المناهض في هذه الحرب ثم إن المسيحيات والمسيحيين كانوا في قصور أمراء چنكيز خان فإذا كانت هناك مسألة اعتناقهم لدين كانت المسيحية في مقدمة كل دين - لم يكن يشك أحد في اعتناقهم لها - ولكن لم يكن بد من أن ينهض الإسلام من تحت أنقاض عظمته الأولى وأطلال مجده التالد كما استطاع بوساطة دعاته أن يجذب أولئك الفاتحين المتبربرين ويحملهم على اعتناقه » .

وعلى الرغم من جميع المصاعب أذعن هؤلاء المغول والقبائل المتبربرة في آخر الأمر لدين هذه الشعوب التي ساموها الخسف وجعلوها في مواطئ أقدامهم » .

وقد بين بذلك أن دعاة المسلمين كان لهم الفضل الأكبر في تحويل التتار إلى الإسلام على الرغم من الظروف القاسية التي كان يمر بها المسلمون والتي يوضحها أيضًا المؤرخ الغربي هورت في كتابه : « تاريخ

المغول » . فيقول : « وقد بلغ من سوء المعاملة التي لقيها هؤلآء أن رائض الخيول من أهالي الصين كانوا إذا عرضوا أشباحا أظهروا البشر والحبور في صلف وإعجاب بعرض صوره تمثل رجلاً مسنًا ذا لحية بيضاء يجره حصان قد ربط ذيله برقبة هذا الرجل - إنما كان هؤلآء يفعلون ذلك ليظهروا للناس كيف يتصرف فرسان المغول في معاملتهم للمسلمين .

الشيخ جمال الدين .

حاول الداعية الإسلامي الكبير الشيخ أبو الحسن علي الحسني الندوي أن يعرف سننا أكثر عن الشيخ جمال الدين عن مولده عن حياته عن أساتذته .. إلخ . فاستطاع أن يعرّف شخصيته ومكانته الجليلة في تاريخ الإسلام .

لقد كان هذا الشيخ المغمور سببًا في دخول التتار الإسلام بفضل إخلاصه و ورعه ويحكى في ذلك أن الشيخ جمال الدين كان متجهًا مع جماعة إلى جهة ما وكان التتار يكرهون الفرس ويبغضونهم ولا يقيمون لهم وزنا . وكان الشيخ جمال الدين فارسًا وصادف ذلك يوم الصيد للأمير « تغلق تيمور » ولي عهد الأسرة الجغطائية وكانت مناسبة سنوية قريبة . ومن عادة الصيد أن يضم في طيه أوهامًا وخرافات وبخاصة عند الأمراء . فلما رأي الأمير أن الشيخ جمال الدين قد توغل إلى الأرض التي كان الأمير قد خصصها للصيد لنفسه أصدر أمره بأن توثق أيديهم وأرجلهم وأن يمثلوا بين يديه لأنه تشاءم بوجودهم وسألهم في غضب : كيف جرؤوا على دخول هذه الأرض ؟ ولما عرف أنهم من الفرس قال لهم : إن الكلب أغلى من أي فارسي . وأشار إلى كلبه . ترى ماذا كان

رد الشيخ على هذا الكلام في هذا الموقف ؟ ومع التتار الذين ذاع صيتهم وانتشر ؟

إن الشيخ جمال الدين رجل مؤمن واثق بالله تعالى فلم يأبه لذلك كله بل إنه أجاب في هدوء قائلاً : إننا لا يمكننا أن نحكم الآن في هذا فسأله الأمير : ومتى يمكن ذلك ؟ قال الشيخ : إن ذلك يتوقف على خاتمتي إذا كانت على الإيمان فأنا أحسن وأغلى من الكلب وأما إذا لم أسعد بخاتمتي فلا شك أن الكلب أغلى مني ، وقد أثر هذا الكلام الصريح في قلب الأمير لأنه كان صادرًا من قلب رجل مؤمن واثق بالله تعالى جعل همه الدعوة إلى الإسلام ، وما صدر من القلب دخل القلب كما يقولون :

وفي هذه اللحظة وبدون توقف عرض الشيخ جمال الدين على الأمير « تغلق تيمور» قواعد الإسلام في غيرة وحماس وصور للأمير الكفر بصورة مروعة فأثر ذلك في نفس الأمير واقتنع بفساد معتقداته وحن إلى الإسلام ، ولكنه خاف أن يُسلم فقال للشيخ : « لكني إذا اعتنقت الإسلام الآن فلن يكون من السهل أن أهدي رعاياي إلى الطريق المستقيم فلتمهلني قليلاً ، فإذا ما آلت إلى مملكة أجدادي فعد إليّ ، وذلك لأن امبراطورية جغطائي انقسمت في ذلك الوقت إلى إمارات صغيرة وظلت سنين طويلة حتى نجح تغلق تيمور في توحيد الإمبراطورية كلها تحت سلطانه وجمع كلمتها كما كانت من قبل .

الشيخ رشيد الدين :

عاد الشيخ جمال الدين إلى بلده حيث مرض مرضًا شديدًا فلما أشرف على الوفاة ، قال لابنه رشيد الدين : « سيصبح تغلق تيمور يومًا ملكًا عظيمًا فلا تنس أن تذهب إليه وتقرأ عليه مني السلام ولا تخش أن تذكره

بوعده الذي قطعه لي » ولم يلبث رشيد الدين إلا سنين قليلة حتى ذهب إلى معسكر الخان بعد أن استرد عرض إمبراطورية آبائه تنفيذ الوصية أبيه .

وحاول الشيخ رشيد الدين أن يظفر بلقاء الأمير ولكنه فشل على الرغم من الجهود المتنوعة التي بذلها وأخيرًا لجأ إلى حيلة طريفة ، ففي يوم أخذ يؤذن في الصباح المبكر على مقربه من فسطاط الخان فأقلق ذلك الصوت نوم الخان وأثار غضبه فأمر باحضاره ومثوله بين يديه إذ كيف يجرؤ إنسان على فعل ذلك ؟

ومثل الشيخ رشيد الدين أمام الخان وكان شجاعًا كأبيه ، فأدى رسالة أبيه وتذكر تغلق تيمور وعده وقال له : « حقًا ما زلت أذكر ذلك منذ أن اعتليت عرش آبائي ولكن الشخص الذي قطعت له ذلك العهد لم يحضر والآن هات على الرحب والسعة . فأخبره الشيخ بدر الدين بأن ذلك الرجل هو والده وأنه قد توفي .

الخان يدخل الإسلام :

أقر الخان بالشهادتين فأصبح مسلماً منذ ذلك الحين ولم يكتف الخان بذلك بل دعا رئيس وزرائه ، وقال له : إني أحمل في صدري سرًا من زمن لقد وقع ما سمعته الآن مع الشيخ جمال الدين ولا يزال له تأثير في قلبي ، فقد قصدت أن أسلم فما رأيك ؟ فقال له : أيها الملك ! إنني مسلم من زمن طويل وكنت أخفي إسلامي وقد اهتديت إليه في إحدى رحلاتي إلى إيران فدعا رئيس الوزراء الوزراء والأمراء إلى الملك وعرض عليهم الأمر فدخلوا الإسلام جميعًا ، وما أن أسلم الملك تيمور حتى أسرع التتار في إيران إلى اعتناق الإسلام وتم إسلام الجميع في عدة أيام ، وكانت الأسرة التتارية الحاكمة في العراق قد سبقتهم إلى الإسلام .

وبدأ علماء الإسلام يؤدون واجبهم نحو هذه المملكة الواسعة ، ساعدوهم

في تدبير شئون المملكة وطبقوا على أنفسهم توجيهات الإسلام للحياة ، ولماذا لا يفعلون ذلك ، وقد تحققت مرحلة الإيمان والعقيدة منذ أسلم تغلق تمور .

لقد ظل دعاة الإسلام مشغوليں برسالتهم في صمت ولم يفتقدوا الاعتماد على الله تعالى والثقة بنصر الله ، لقد أصابت الهزيمة الملوك الفاسدبن والمجتمع لمريض من حولهم ، أما المجتمع المتمسك بالإسلام وأما العلماء الصامدون فقد كانوا واثقين بنصر الله تعالى الذي يقول : ﴿ إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم ﴾ وبذلك استدرك هؤلآء العلماء ما لقيه المسلمون من هرائم سياسية وما واجهوه من إخفاق في مجال السياسة وادخلوا - بفضل الله تعالى - التتار في الإسلام ، من غير إعلان ولذلك فإن العالم كله قد فوجئ بإسلام الأمة التتارية كلها .

المستشرقون يتكلمون :

وإلى القوة الذاتية فى الإسلام وإلى الدعاة الذين قاموا بواجبهم في أحلك الساعات أشار بعض المستشرقين الذين درسوا هذه النواحي دراسة مستفيضة ومنهم البروفيسور « هتي » الذي قال في كتابه قصة الإسلام : « طالما حدث أن الإسلام الديني أحرز نجاحًا كبيرًا في أحرج ساعات الإسلام السياسي » ، والبروفيسور الهولندي « لوكي كارد » قال في كتابه (الحضارة الإسلامية) : « على الرغم من أن الإسلام أصيب بالانحطاط السياسي مرات كثيرة إلا أن الإسلام الروحاني ما زال متقدمًا إلى الأمام»

والمستشرق الشهير « جب » ألقى ذات مره خطابًا أمام مجلس جامعة « أوكسفورد » قال فيه : « طالما شهد الإسلام أن الثقافة الإسلامية قوبلت بمنافسات شديدة ، ولكنها لم تنهزم على الرغم من ذلك ، لأن الأسلوب الروحاني وتفكير العلماء الربانيين أسرع في دعمها وتأييدها ومنحها قوة لم تصمد في وجهها أية طاقة مضادة » .

الجانب الاقتصادي في فقه الإمام الشافعي

(الحلقة الثالثة الأخيرة) بقلم . أ. د. محمد الدسوقي
أستاذ ورئيس قسم الفقه والأصول . كلية الشريعة - جامعة قطر

ومن جهة أخرى يتيح لأهل الفضل والإحسان أن يواصلوا تنمية أموالهم فتزداد قدرتهم من ثم على القيام بالبذل والعطاء، وبذلك تواصل الدورة حياتها ولا يعرف النمو الاقتصادي توقفاً عن الحركة والتقدم

وقد ذهب الشافعي إلى أنه يجوز دفع الصدقة إلى رجل له مال كثير ولا كسب له وهو يخاف الحاجة[48]

وهذا يدل على أن الشافعي يرى المحافظة على المستوى الاقتصادي للإنسان مادام قد بلغ إليه بجده وسعيه المشروع، فصاحب المال الذي لا كسب لهو وهو يخاف الحاجة، لأن إنفاقه من ماله دون عمل يعوضه عما انفق سيعرضه بمرور الزمن للحاجة، هذا يأخذ من الصدقات حتى لا يهبط مستواه الاقتصادي

ولا شك في أن هذه النظرة من الإمام الشافعي لصاحب المال الذي لا عمل له تسهم في تنشيط التنمية الاقتصادية، لأن الأمن النفسي للإنسان من حيث معيشته يمنحه طاقة على التفكير والعمل من أجل استثمار ما لديه من أموال، ومن أن يكون عضواً نافعاً في المجتمع

إن توسيع معنى الغارمين، وشموله لكل من بذل مالاً في خير، أو تعرض لخسارة مالية بسبب جائحة[49] ، يكفل حماية الحياة الإنسانية، وتحقيق مستوى لائق من العيش لكل فرد، وتأمين الناس على أموالهم ضد الأخطار التي لا قبل لهم بها، والشريعة الإسلامية بهذا سبقت كل قوانين العالم في التأمين والضمان الاجتماعي[50] .

ويرى الإمام الشافعي أن العاملين على الزكاة يأخذون بقدر أجور مثلهم فيما تكلفوا من السفر وقاموا به من الكفاية لا يزادون عليه شيئاً[51] .

فالعاملون ويقصد بهم كل الذين يعملون في الجهاز الإداري لشئون الزكاة من جباة يحصلونها، ومن خزنة، وحراس يحفظونها ومن كتبة ومحاسبين يضبطون واردها

48 انظر تحفة الفقهاء لعلاء الدين السمرقندي، جـ ١، ص ٤٦٨ تحقيق الدكتور محمد زكي عبد البر ط قطر

49 - الجائحة هي الآفة التي تهلك الثمار والأموال وتستأصلها، وكل مصيبة عظيمة

50 - انظر التأمين وموقف الشريعة الإسلامية منه، للدكتور محمد الدسوقي، ص ١٣٨، ط. المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، القاهرة

51 - انظر الأم جـ ٢، ص ٧٣

ومصروفها، ومن موزعين يفرقونها على أهلها(٥٢) . هؤلاء العاملون يأخذون أجورهم في حدود ثمن الزكاة وهو سهمهم المفروض بشرط أن تكون هذه الأجور وفقاً لما قاموا به من عمل، فإن زاد السهم على أجور العاملين حفظت الزيادة في خزينة الدولة لتنفق في المصارف المشروعة، وإن نقص عن الأجور تولى ولي الأمر دفع حقوق العاملين من بيت المال.

وربط الأجر بالعمل فيه حض على إخلاص العمل وعدم التهاون فيه، والعمل كما سبق هو الطريق الأمثل للتنمية، كما أن تقييد أجر العاملين بالثمن من حصيلة الزكاة فيه أيضاً حماية لهذه الحصيلة من أن تذهب في غير مواضعها وترتد هذه الحماية على التنمية بالنشاط والقوة.

ومما يعاب على أكثر الضرائب الوضعية أن مقداراً كبيراً مما يجبى منها ينفق على الإدارات والأجهزة المكلفة بالجباية، فلا تصل المبالغ المحصلة من المولين إلى الخزانة إلا بعد أن تكون قد نقصت نقصاً ملحوظاً بسبب الإسراف في نفقات الجباية والتحصيل، وما تستلزمه فخامة المناصب وأناقة المكاتب والعناية بالمظاهر والميل إلى التعقيد من تكاليف جمة وأموال طائلة، وهذا في الحقيقة إنما يؤخذ من الجهات المستحقة التي تصرف فيها حصيلة ما جبي من الأموال(٥٣)

إن آراء الشافعي في معنى الغارمين وحق العاملين تدخل في مفهوم التنمية الاقتصادية، وتتغيا للمال في المجتمع الإسلامي أن يتحرك ويزداد، ليتحقق بهذا للمجتمع الرفاهية والاستقرار.

ثالثاً : ما لا يجوز تملكه من الأموال :

تعد الملكية الفردية القاعدة الأساسية للنظام الاقتصادي في الإسلام، ولكن هذه الملكية لابد أن تكون بالوسائل المشروعة، ومن ثم لا يعترف الإسلام بملكية جاءت عن طريق محرم كالربا والغش والاحتكار والسرقة

ومع إقرار الإسلام للملكية الفردية وحمايتها لا يجيز هذه الملكية في كل مال، فهناك

---

٥٢ - انظر فقه الزكاة للدكتور يوسف القرضاوي، جـ ٢، ص ٥٧٩

٥٣ -انظر المصدر السابق، ص ٦٩٤

أموال، المسلمون جميعاً شركاء فيها، ليس أحد منهم بأولى من أحد في ملكيتها، فلا تحل ملكيتها ملكية فردية، لأن في تملكها على هذا النحو ضرراً يلحق بالجماعة، وإذا تعارضت المصلحة العامة مع المصلحة الخاصة قدمت الأولى، أخذاً بقاعدة تحمل أخف الضررين

وعن هذه الأموال التي لا يجوز تملكها ملكية فردية يقول الإمام الشافعي

«ما لا يملكه أحد من المسلمين صنفان أحدهما يجوز أن يملكه من يحييه وذلك مثل الأرض تتخذ للزرع والغراس والآبار، والعيون والمياه ومرافق هذا الذي لا يكمل صلاحه إلا به، وهذا إنما تحلب منفعته بشيء من غيره، ولا كبير منفعة فيه هو نفسه، وهذا إذا أحياه رجل بأمر وال أو غير أمره ملكه ولم يملك إلا أن يخرجه من أحياه من يده، والصنف الثاني ما تطلب المنفعة منه نفسه ليخلص إليها لا لشيء يجعل فيه من غيره وذلك المعادن كلها الظاهرة والباطنة من الذهب والتبر والكحل والكبريت والملح وغير ذلك

وأصل المعادن صنفان ما كان ظاهراً كالملح الذي يكون في الجبال ينتابه الناس فهذا لا يصلح لأحد أن يقطعه أحد بحال والناس فيه شرع، وهكذا النهر والماء الظاهر فالمسلمون في هذا كلهم شركاء، وهذا كالنبات فيما لا يملكه أحد[٥٤]

ثم قال ومثل هذا كل عين ظاهرة كنفط أو قار أو كبريت أو موميا (نوع من الدواء)، أو حجارة ظاهرة كموميا في غير ملك لأحد، فليس لأحد أن يتحجرها دون غيره، ولا لسلطان أن يمنعها لنفسه ولا لخاص من الناس لأن هذا كله ظاهر كالماء والكلأ[٥٥]

ويبدو من هذا أن الإمام الشافعي لا يبيح الملكية الفردية في الأموال التي لا تتكافأ فيها الثمرة مع العمل مثل المعادن التي لا يحتاج إلى مشقة في إخراجها أو الانتفاع بها، لأن إطلاق اليد في هذا النوع من الأموال فيه ضرر شديد بالجماعة ونفع كبير مفرط للأفراد، فكان المنطق ألا تثبت فيه ملكية خاصة[٥٦]

---

٥٤ - انظر الأم جـ ٣، ص ٢٦٥

٥٥ - المصدر السابق ص ٢٢٦٦، وانظر التكامل الاقتصادي في الإسلام للدكتور علي عبد الواحد وافي ص ٣٨، ط القاهرة

٥٦ - انظر التكامل الاجتماعي في الإسلام للشيخ محمد أبو زهرة ص ٣٠، ط القاهرة

وإذا كان الشافعي لا يبيح ملكية الأموال الظاهرة، لأنها لا تحتاج إلى طلب في تملكها، ولأن في تملكها للأفراد ضرراً على الجماعة فإن كل ما لا يحتاج إلى طلب في تملكه، وتؤدي ملكيته إلى نفع كبير مفرط للآحاد، وضرر بالجماعة حرمت ملكيته قياساً على الأموال الظاهرة؛ لتحقق العلة التي منعت تملكها

ولكن ما علاقة منع تملك الأموال الظاهرة بالتنمية الاقتصادية؟

إن لهذا علاقة حميمة بالتنمية، لأن التملك الفردي لتلك الأموال التي لا تتكافأ فيها الثمرة مع الجهد يمنح بعض الأفراد قدرة اقتصادية فائقة، وفي هذه الحالة قد يوجه ما لديه من ثروة في مجال التنمية وجهة ذاتية قد تحقق له نفعاً كبيراً، ولكنها تضر بالمجموع ضرراً بالغاً، ومن هنا كان منع تملك الأموال الظاهرة، وجعلها للأمة كلها هو الوسيلة الطبيعية لحماية التنمية الاقتصادية، من الفردية والأنانية، وما قد تجره على الأمة من مشكلات وأضرار

إن الموارد الطبيعية من أساسيات التنمية الاقتصادية وإذا كانت هذه الموارد على النحو الذي أشرت إليه فهي موارد ميسورة لا تحتاج إلى عمل في الحصول عليها، فإن تملكها ملكية فردية ينتهي بالأمة إلى أن يكون المال فيها دولة بين فئة معينة، وهذه الفئة تقود التنمية إلى ما يضاعف ثروتها دون نظر إلى حاجات الأمة الحقيقية، لذلك كان من الخطر على التنمية أن تملك الأموال الظاهرة ملكية فردية.

رابعاً : الحمى :

- الحمى - الحمي كل ما يحمي ويدافع عنه، وحميت المكان وأحميته إذا منعته[٥٧] من الرعي ويقصد بالحمى أن تمنع الأرض وبخاصة أرض الكلأ من أن يتملكها - أحد - وتبقى لمنفعة عامة، سواء كانت هذه الأرض لا مالك لها أو كان لها مالك، ولكن ولي الأمر رأى ضرورة إخراجها من حيز الملكية الشخصية وجعلها ملكاً عاماً، وإن قصر الانتفاع بها على بعض الطوائف، رعاية للمصلحة العامة.

ومما قاله الشافعي في الحمى بعد أن روى حديث - رسول الله صلى الله عليه وسلم - «لا حمي إلا لله ورسوله» فلما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا حمى

٥٧ - معجم لغة الفقهاء

إلا لله ورسوله لم يكن لأحد أن ينزل بلداً غير معمور فيمنع منه شيئاً يرعاه دون غيره، وذلك أن البلاد لله عز وجل لا مالك لها من الآدميين وإنما سلط الله الآدميين على منع ما لهم خاصة لا منع ما ليس لأحد بعينه وقول رسول الله صلى الله عليه وسلم لا حمى إلا لله ورسوله أن لا حمى إلا حمى رسول الله صلى الله عليه وسلم في صلاح المسلمين الذين هم شركاء في بلاد الله ليس أنه حمى لنفسه دونهم، ولولاة الأمر بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يحموا من الأرض شيئاً لمن يحتاج إلى الحمى من المسلمين، وليس لهم أن يحموا شيئاً لأنفسهم دون غيرهم[٥٨] .

ثم تحدث الشافعي عن موقف عمر بن الخطاب من منع الأقوياء وأصحاب الأموال من الانتفاع بأرض الحمى وإدخال أهل الحاجة دون غيرهم في هذه الأرض وحلل هذاالموقف تحليلاً دقيقاً موضحاً أن عمر لم يظلم أحداً بما فعل قال ولم يظلمهم عمر رضي الله عنه وإن رأوا ذلك، بل حمى على معنى ما حمى رسول الله صلى الله عليه وسلم لأهل الحاجة دون أهل الغنى، وجعل الحمى حوراً لهم خالصاً، كما يكون ما عمر الرجل له خالصاً دون غيره وقد كان مباحاً قبل عمارته فكذلك الحمى لمن حمى له من أهل الحاجة، وقد كان مباحاً قبل يحمى[٥٩]

وبين الشافعي بعد ذلك أن ما حماه عمر إنما حماه لخيل الغزاة، وإبل الضوال وما فضل من سهمان أهل الصدقة من ابل الصدقة، والذين يضعفون عن النجعة[٦٠] ممن قل ما له، وقال وكل هذا وجه عام النفع للمسلمين؛ لأن من حمل في سبيل الله فذلك لجماعة المسلمين، ومن أرصد له أن يعطي من ماشية الصدقة فذلك لجماعة ضعفاء المسلمين، وكذلك من ضعف من المسلمين فرعيت له ماشيته فذلك لجماعة ضعفاء المسلمين

وعلق على أمر عمر بمنع إبل ابن عفان وابن عوف من دخول أرض الحمى بقوله لقوتهما في أموالهما، وأنهما لو هلكت ماشيتهما لم يكونا ممن يصير كلا على المسلمين، فكذلك يصنع بمن له غنى غير الماشية[٦١]

---

٥٨ - انظر الأم جـ ٣، ص ٢٧٣

٥٩ - المصدر السابق

٦٠ - النجعة طلب العشب ومساقط الغيث في مواضعه

٦١ - انظر الأم جـ ٣، ص ٢٧٣

ويؤخذ مما قاله الشافعي ما يلي :

١ - الحمى لمصلحة عامة المسلمين.

٢ - لولي الأمر أن يحمي إذا اقتضت مصلحة المسلمين ذلك.

٣ - ليس لأهل القوة، ويقصد بهم الأثرياء وأصحاب السلطان حق في الحمى إلا فيما اتصل بما يعود على الأمة من نفع وخير.

فالحمى إذن يكون لتحقيق منفعة عامة، والأمر إذا دار بين النفع والضرر وكان نفعه أكثر من ضرره فهو مطلوب شرعاً، فالحمى إذا كان ضرره على بعض الناس من حيث منعهم من دخول ما يحمى، يحقق نفعاً عاماً ومصلحة للمسلمين. والحمى بهذا المعنى يراد به إيجاد نوع من التوازن بين الأقوياء والضعفاء وإتاحة الفرصة للفقراء لتنمية أموالهم وكفاية أنفسهم فلا يكونون كلا على ولي الأمر كما أن فيه من ناحية أخرى إعزاز الإسلام وتقوية المسلمين فقد كان الرسول - صلى الله عليه وسلم - يحمي، وحمى من بعده خلفاؤه لخيل الغزاة وإبل الصدقات.

وما دام الحمى لرعاية المصلحة العامة وإيجاد لون من التوازن أو التقارب بين الأغنياء والفقراء ووسيلة من وسائل إعداد القوة للأمة فإنه يسهم في التنمية الاقتصادية بصورة مباشرة، لأن حماية الضعفاء والفقراء يكفل لهم القدرة على أن يتجاوزوا حياة الضعف والحاجة إلى حياة القوة والغنى، وبذلك يتسنى لهم أن يكونوا طاقة إنتاج وتنمية، بدلاً من أن يظلوا عنصر استهلاك وأخذ دون عطاء..

إن أهل الضعف إذا تركوا دون حماية ازدادوا ضعفاً، والفقراء إذا تركوا دون رعاية ازدادوا فقراً، وفي هذه الحالة تتعرض التنمية الاقتصادية للضمور فهذه التنمية لا تكون حقيقية وقوية إلا إذا ساهم فيها الجميع حتى لا تسيطر عليها الفردية، من جهة، وتمتص آثارَها الطاقات المعطلة من جهة أخرى، ومن هنا يعد الحمى من وسائل التنمية الاقتصادية، ومن وسائل الحياة الكريمة لكل أبناء الأمة.

خامساً : الإقطاع وإحياء الموات :

الإقطاع مصدر أقطعه، أي إذا ملكه وأذن له في التصرف ويراد به لدى الفقهاء إعطاء السلطان شخصاً أرضاً من أراضي الدولة له، ولأولاده من بعده.

وإعطاء السلطان يخضع لضوابط وقواعد شرعية، فتصرف ولي الأمر منوط بالمصلحة العامة، فهو لا يعطي إلا فيما يعود بالنفع على الأمة فإذا تصرف على غير هذا الوجه لم يكن تصرفه صحيحاً ولا نافذاً

وقد أقطع الرسول - صلى الله عليه وسلم - وأقطع من بعده خلفاؤه، وعلل عليه الصلاة والسلام فعله بقوله «إن الله لا يقدس أمة لا يؤخذ للضعيف فيهم حقه»[٦٢]

فالإقطاع للضعفاء ومن في هم حاجة إلى المساعدة، والمعاونة، وليس لغيرهم من الأقوياء والأغنياء، فهو من ثم إحدى وسائل التوازن الاقتصادي في المجتمع الإسلامي، لأنه يفتح المجال أمام الضعفاء ليعملوا وينتجوا وبذلك تكون لهم مشاركة فعلية في تنمية الثروة العامة، وتحقيق النفع لأنفسهم، ولغيرهم

وقد يقطع السلطان العامر من الأرض، وهو ما ينتفع به بوجه من الوجوه كالغرس والزرع والبناء، وقد يقطع العامر من الأرض وهو ضد العامر، ومنه الأرض الموات

والأرض الموات هي الخالية من العمارة والسكان فهي مهملة غير مأهولة، وعن هذه الأرض يقول الإمام الشافعي والموات شيئان موات قد كان عامراً لأهل معروفين في الإسلام ثم ذهبت عمارته فصار مواتاً لا عمارة فيه فذلك لأهله كالعامر لا يملكه أحد إلا عن أهله، وكذلك مرافقه وطريقه وأفنيته ومسايل مائه ومشاربه

والموات الثاني ما لم يملكه أحد في الإسلام يعرف ولا عمارة ملك في الجاهلية، أو لم يملك، فذلك الموات الذي قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم من أحيا مواتاً فهو له[٦٣]

ثم بين الشافعي الغاية من إقطاع الموات فقال «والموات الذي للسلطان أن يقطعه من يعمره خاصة، وأن يحمي منه ما رأى أن يحميه عاماً لمنافع المسلمين»[٦٤]

ويتحدث الشافعي عن مفهوم الاحياء فيقول وإنما يكون الاحياء ما عرفه الناس احياء لمثل المحيا[٦٥] ، فهو يجعل العرف حكماً في تحديد معنى الاحياء؛ لأن الذي يقطعه

---

٦٢ - المصدر السابق ص ٢٧٣

٦٣ - المصدر السابق ص ٢٦٤

٦٤ - المصدر السابق

٦٥ - المصدر السابق ص ٢٦٥

السلطان أرضاً مواتاً ثم يهملها يكون مسيئاً، وعلى السلطان أن يتخذ منه موقفاً حازماً، أشار إليه الشافعي في قوله . ومن أقطعه السلطان اليوم قطيعاً أو تحجر أرضاً فمنعها من أحد يعمرها ولم يعمرها رأيت للسلطان والله أعلم أن يقول له هذه أرض كان المسلمون فيها سواء لا يمنعها منهم أحد، وإنما أعطيناكها أو تركناك وحوزها لأنا رأينا العمارة غير ضرر بين على المسلمين، منفعة لك وللمسلمين فيها ينالون من رفقها فإن أحييتها وإلا خلينا من أراد إحياءها من المسلمين فأحياها، فإن أراد أجلاً رأيت أن يؤجل(٦٦)

ومن هذه النصوص عن إحياء الموات يلاحظ أن الشافعي يفرق بين الأرض الموات التي كانت عامرة لأهل معروفين، والأرض التي لم يعرف أن أحداً ملكها في الإسلام سواء كان لها مالك في الجاهلية أو لا.

والأولى لا يملكها أحد بالاحياء لأنها ملك لأصحابها والثانية هي التي يجوز تملكها بالاحياء ويجوز للسلطان أن يقطعها من يعمرها، ولكن الشافعي يعتبر لإحياء الأرض شروطاً أهمها عدم الضرر وهو يتمثل في صورتين . إهمال الأرض، والاعتداء على حقوق الآخرين، فمن أخذ أرضاً لاحيائها ثم أهملها ولم يعمرها فقد أساء إلى نفسه وإلى عامة المسلمين، وعلى السلطان أن يمنع هذه الاساءة، فهي ضرر بين على الجماعة، فيأخذها ويقطعها لمن يعمرها، وإذا طلب من أهمل الأرض أجلاً لاحيائها أجيب إلى طلبه فإن أحياها بعد ذلك بقيت تحت يده، وإلا أخذت منه بعد انتهاء الأجل.

ومن أقطعه السلطان أرضاً وعجز عن إحيائها كلها ترك له ما يقوى عليه، وأخذ منه ما عجز عن إحيائه(٦٧) .

وعن عدم الضرر في إحياء الأرض يقول الشافعي فللسلطان أن يقطع من طلب مواتاً فإذا أقطع كتب في كتابه ولم أقطعه حق مسلم ولا ضرراً عليه(٦٨) .

وموضوع إحياء الموات له فروع كثيرة وليس المجال هنا مجال ذكرها وتفصيل القول فيها، وإنما أشرت إلى ما أشرت إليه منها لأصل بينه وبين التنمية الاقتصادية،

---

٦٦ - المصدر السابق ص ٢٦٩

٦٧ - المصدر السابق

٦٨ - المصدر السابق.

فاحياء الموات يعني استغلال موارد الثروة، والانتفاع بها على الوجه الأمثل فمن أخذ الأرض الموات ولم يعمرها أضر بمصلحة المسلمين، لأنه لم يقم بما يجب عليه أن يقوم به، وهو تنمية الثروة وزيادة الدخل عن طريق عمارة الأرض، ومن ثم كانت عمارة الأرض في كل المجتمعات إحدى دعائم التنمية الراسخة وكانت الأمم التي تحرص على الانتفاع بكل شبر من أرضها هي الأمم التي تكفل لنفسها أمناً غذائياً، واستقراراً اقتصادياً، وتنمية بشرية واجتماعية.

وجملة القول أن ما عرضت له حول العمل والزكاة وما لا يجوز تملكه من الأموال والحمى والاقطاع وإحياء الموات يقدم في مجموعه تصوراً عاماً عن نظرة الإمام الشافعي للتنمية الاقتصادية وهذه التنمية مسئولية الفرد والدولة معاً وهي تنمية تتغيا المصلحة العامة، وتكفل لكل ذي حق حقه، وترفع مستوى معيشة الضعفاء والفقراء، وتحول دون تكدس الثروة في أيدي فئة قليلة أو أن تكون دولة بين الأغنياءو أنها تنمية تحرص على الانتفاع بكل الموارد وتقف موقفاً صارماً ضد من يتخلى عن واجبه، ويقصر في القيام بمسئولياته، لأن ذلك يرتد على الأمة كلها بالضرر.

على أن التنمية الاقتصادية الإسلامية - والشافعي علم من الأعلام الذين تحدثوا عنها - غايتها الإنسان نفسه، فلا تستعبده المادة شأن التنمية الرأسمالية، ولا يستبد به الغير شأن التنمية الاشتراكية، وبذلك يعيش الإنسان في ظل التنمية الاقتصادية الإسلامية محرراً مكرماً يعمر الدنيا ويحييها بالعمل الصالح، ليكون بحق خليفة الله في أرضه، فيسعد في الدنيا ويفوز بجنة الله في الآخرة[٦٩]

وبعد فإن موضوع الجانب الاقتصادي في فقه الإمام الشافعي ذو شجون وما سطرته عنه لا يعدو لمحات خاطفة، ونظرات سريعة، وأطمع أن يكون فيما قدمت عن عالم قريش الذي ملأ الأرض علماً قد أسهم في تجلية بعض جوانب العبقرية والنبوغ لإمام قد حقق في عمره القصير سبباً للفكر الفقهي ما حققه أعظم فلاسفة اليونان للفكر المنطقي[٧٠]، فكان بحق فيلسوف الإسلام ورائد التأليف المنهجي فيه[٧١]

رحمه الله، رحمة واسعة ورزقنا التأسي به في طلب العلم والعمل به.

---

٦٩ - انظر مجلة الوعي الإسلامي، العدد ٤ ٣، ص ٥٣

٧٠ - انظر أصول الفقه، للشيخ محمد أبو زهرة ص ٦

٧١ - انظر تمهيد لتاريخ الفلسفة الإسلامية للشيخ مصطفى عبد الرازق، ونشأة الفكر الفلسفي في الإسلام للدكتور علي شامي النشار جـ ١، ص ١٦٩، ط دار المعارف بالقاهرة

سياسة التجريم والعقاب في الفقه الجنائي الإسلامي

[الحلقة الأولى]

بقلم : الدكتور مصطفى عبد الرحيم آدم رشاش
أستاذ مشارك وعميد كلية التراث الإسلامي بالجامعة الإسلامية في يوغندا

يطالعنا الغربيون وعملاؤهم من المسلمين الذين حجبت عنهم ثقافتهم الغربية نور الحق ، بإتهامات وحملات مسعورة ضد الشريعة الإسلامية وخصائصها التي تميزها عن غيرها مما عرفته البشرية حتى اليوم من أنظمة ومناهج حياة ، بالشمول والمرونة والصلاحية لكل زمان ومكان ، وبكونها نظام حياة اختاره المولى جل شأنه لصلاح شئون خلقه مهما اختلفت عصورهم وأوطانهم والي أن يرث الله الأرض ومن عليها ، هذه الحملات نجدها أشد ضراوة ضد النظام الجنائي الإسلامي وعلى وجه الخصوص العقوبات التي وضعتها الشريعة الإسلامية للجناة الذين يخالفون أوامرها ويتعدون بذلك على حقوق غيرهم من الناس .

أصبحت كلمة الشريعة ، عند خصومها هؤلآء ، تأخذ صورة مارد أو عفريت شرير يشكل خطرًا عل النوع البشري و وجوده ، ولهذا قصدت بهذا المقال المتواضع ، في المقام الأول ، تصحيح تلك المفاهيم الخاطئة والاتهامات الجائرة والباطلة ، التي قد تصدر عن قصد أو جهل ، ضد الشريعة الإسلامية ونظامها الجنائي وذلك ببيان الأسس والمبادئ التي تقوم عليها السياسة العقابية وما تهدف إليه العقوبة في القانون الجنائي الإسلامي ، تلك المبادئ والأسس التي أثبتتها الشريعة الإسلامية وقررتها

منذ أربعة عشر قرنًا خلت من الزمان عند بداية نزول الوحي لرسول الله -ﷺ-، بينما لا يرجع تاريخ الأصول الدستورية والمبادئ القانونية والسياسة الجنائية الوضعية التي يتبجح بها الغربيون وغيرهم من المسلمين العلمانيين ، لا يرجع تاريخ كل ما بين أيدينا اليوم من الفكر القانوني الوضعي ، غربيًا كان أو شرقيًا ، وراء الأربعة قرون الماضية .

مبادئ السياسة العقابية في الفقه الجنائي الإسلامي :

باستقراء النصوص التي وردت في مصدري التشريع الإسلامي الرئيسيين وهما القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة ، نجد أن السياسة العقابية في الفقه الجنائي الإسلامي تقوم على الأسس الآتية :

أولاً : يتوقف تحديد ماهية ونوع العقوبة التي يجب توقيعها على الجاني ، على نيته نحو ارتكاب الجريمة ، بمعنى آخر يتوقف ذلك على قصده الجنائي ، فالمراد بهذا المبدأ هو أن الجاني إذا تعمد ارتكاب الجريمة وهو في كامل قواه العقلية مع علمه التام بكل ما يترتب على فعله من آثار قانونية ، يستحق من جراء فعله هذا عقوبة مشددة ، أما إذا انعدمت النية ولم يكن الجاني قد قصد النتائج التي ترتبت على فعله ، تخفف عندئذ درجة العقوبة .

تقرر هذا المبدأ في قوله الله تعالى : ﴿ و ليس عليكم جناح فيما أخطأتم به ولكن ما تعمدت قلوبكم ﴾ [سورة الأحزاب ، الآية : ٥] والسنة النبوية الشريفة ، المصدر الثاني للتشريع الإسلامي ، قد أثبتت هذا المبدأ في قول رسول الله -ﷺ- في الأحاديث الآتية :

١- ما أورده السيوطي في كتابه الجامع الصغير في أحاديث البشير

النذر ، عن ابن عباس - رضي الله عنهما - أن رسول الله -ﷺ- قال : « إن الله تجاوز لي عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه » (١).

ورد هذا الحديث برواية أخرى في المصدر المذكور عاليه ، بأن رسول الله -ﷺ- قال : « رفع عن أمتي الخطأ والنسيان » (٢) .

٢- ما جاء في كتاب تيسير العلام شرح عمدة الأحكام تأليف عبد الله البسام ، أن رسول الله -ﷺ- قال : « إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى .. » (٣) .

تبين هذه النصوص من القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة ، أن عنصر النية والقصد الجنائي إذا توفر لدى الجاني ، وهو ما يعرف في الاصطلاح القانوني الحديث بالتفكير الإجرامي أو الركن المعنوي للجريمة ، هو المناط الذي يتوقف عليه تحديد نوع العقوبة التي يستحقها الجاني بفعله الذي تسبب في إيذاء وإلحاق الضرر بغيره .

ثانيًا : العقوبة في الفقه الجنائي الإسلامي شخصية بمعنى أنها لا توقع إلا على شخص الجاني الذي ارتكب الجريمة دون غيره من الناس بصرف النظر عما تربطه بهم من صلات القربى وغيرها من الاعتبارات الأخرى .

تقرر هذا المبدأ في القرآن الكريم في الآيات الآتية : قوله تعالى : ﴿ ولا تكسب كل نفس إلا عليها ولا تزر وازرة وزر أخرى ﴾ [سورة الأنعام ، الآية : ١٦٤] ، وقوله تعالى : ﴿ من يعمل سوءًا يجز به ولا يجد له من دون الله وليًا ولا نصيرًا ﴾ [سورة النساء ، الآية : ١٢٣] ، وقوله تعالى : ﴿ وأن ليس للإنسان إلا ما سعى ﴾ [سورة النجم ، الآية : ٣٩] ، وقوله تعالى : ﴿ من عمل صالحًا فلنفسه ومن أساء فعليها ﴾ [سورة فصلت ،

الآية : ٤٦] .

وقد قررت السنة النبوية الشريفة هذا المبدأ أيضًا في ما أورده الصنعاني في كتاب سبل السلام ، أن رسول الله -ﷺ- قال : « لا يؤخذ الرجل بجريرة أبيه ولا بجريرة أخيه » (٤) .

أثبتت هذه النصوص مجتمعة أن الشريعة الإسلامية تنظر عند توقيع العقاب على شخص الجاني ، وأنها لا تحاسب غيره من الأبرياء الذين لم يكن لهم دور أيا كان في ارتكاب الفعل موضوع المسألة .

ثالثًا : تقتضي السياسة العقابية الإسلامية بأن يوقع على الجاني من العقاب القدر الذي يكون مساويًا لجسامة الجريمة التي ارتكبها ، وذلك من حيث الألم الذي ألحقه بغيره من جراء فعله دون مغالاة وتجاوز .

يعزز هذا المبدأ من القرآن الكريم في الآيات الآتية : قول الله تعالى : ﴿ وجزاء سيئة سيئة مثلها فمن عفا وأصلح فأجره على الله • إنه لا يحب الظالمين ﴾ [سورة الشورى ، الآية : ٤٠] ، وقوله تعالى : ﴿ وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ولئن صبرتم لهو خير للصابرين ﴾ [سورة النحل ، الآية : ١٢٦] ، وقوله تعالى : ﴿ ذلك ومن عاقب بمثل ما عوقب به ثم بغي عليه لينصرنه الله إن الله لعفو غفور ﴾ [سورة الحج ، الآية : ٦٠]، وقوله تعالى : ﴿ فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم ﴾ [سورة البقرة ، الآية : ١٩٤] .

قررت الشريعة الإسلامية في هذه النصوص ألا تتجاوز العقوبة الجريمة المرتكبة ، وذلك من حيث الألم الذي تلحقه العقوبة بالجاني ،

إنما يجب أن تكون العقوبة ملائمة لحجم الجريمة وما ترتب عليها من آثار ومضاعفات ، إذ عملاً بمقتضى هذا المبدأ العقابي نجد أن الشريعة الإسلامية قد قررت قطع اليد بالنسبة للسارق ولكنها لم تقرر قطع اللسان عقوبة لجريمة القذف ، وإن كان كل من اليد واللسان هما الأداتان اللتان يرتكب بهما الجاني جريمته ، فاليد هي التي تأخذ المال المسروق ، واللسان هو الذي يلتفظ به القاذف عبارات القذف ، فقطع اليد يتلاءم مع السرقة وخطرها على الفرد والجماعة ولا يلحق ضررًا بليغًا بالجاني كما يحدثه قطع اللسان ، كما أن قطع اللسان يلحق بالجاني ضررًا أكبر من القذف الذي لحق بالمجني عليه .

هذا وقد أثبتت هذه النصوص أيضًا مبدأ العفو والتسامح بين المجني عليه والجاني ، إذ تحبذ الشريعة الإسلامية أن يعفو المجنى عليه عن الجانى ، لأن روح التسامح هذه قد تساعد كثيرًا في إصلاح ذات بينهما ورفع كل أسباب الخصومة بينهما ، لأن الرضا والتسامح المتبادل بين الخصمين يجتث جذور النزاع والخصومة ويصبح حالهما كأن لم يكن هناك شقاق بينهما .

بينما نجد أن فض النزاع بفصل القضاء مع أنه يقطع الخصومة بين الخصمين من حيث الظاهر إلا أن رواسبها تظل كامنة في نفوسهما ، مولدة فيهما روح الحقد والكراهية لكل منهما ، لا سيما وان الجاني يكون قد تقبل العقوبة من غير طيب نفس منه ، ولهذا حثت وشجعت الشريعة على روح التسامح هذه بأن وعد الله تعالى في محكم تنزيله كل من يعفو

ويصبر أجرًا عظيمًا .

رابعًا : تقضي السياسة العقابية في الفقه الجنائي الإسلامي بالمساواة بين الجناة أمام القانون من حيث توقيع العقوبة المقررة ، وذلك بمعنى أن أحكام القانون العقابية تسرى على عامة الناس دون تمييز لمكانة اجتماعية أو وظيفة حكومية أو وفرة مالية ، فكل من ارتكب الجريمة المعينة ينال من الجزاء ما يقره القانون من عقوبة لتلك الجريمة من غير محاباه أو مجاملة سواء كان ذلك الجاني أبا أو ابنا أو أخا أو أي قريب كان ، غنيًا كان أو فقيرًا .

وإن القاضي الذي يسمح لأي جهة سياسية أو تنفيذية بأن تتدخل في استقلال القضاء وشئونه وتحول دون إكمال إجراءات التحقيق في قضية يكون المتهم فيها شخصية ذات مكانة في الدولة أو المجتمع ، أو تأمر بسحب ملف أوراق قضية ما من أمام محكمته ، يجب عزله فورًا لأنّ في ذلك دليلاً ظاهرًا على ضعفه . هذا ويجد تاريخ القضاء الإسلامي ينقل لنا سابقة جديرة بأن توجد في الاعتبار قد أرساها الخليفة العادل سيدنا عمر بن الخطاب - رضي الله تعالى عنه - إذ أنه كان خصمًا في قضية معروضة للنظر أمام أحد القضاة ، فعند ما دخل الخليفة عمر قاعة المحكمة للإجابة على الدعوى المرفوعة ضده نهض من منصته لاستقبال الخليفة عمر ، فما كان من الخليفة عمر إلا وعزل ذلك القاض مباشرة لأن نهوضه لاستقبال أمير المؤمنين فيه ضعف لا يليق بمن يتولى منصب القضاء .

لما كان هذا القاضي قد فقد منصبه القضائي لأنه نهض لاستقبال وتحية خليفة المسلمين ، وحاشى الخليفة العادل عمر بن الخطاب من أن يتدخل في شئون القضاء مستغلا نفوذه أو مؤثرًا في مجرى سير العدالة ، ولما كان ذلك التصرف من القاضي ، يُعتبر في نظر الخليفة عمر ضعفًا كافيًا لعزل القاضي ، فما بال القاضي الذي تحمل أمانة حقوق الناس ويسمح لذوى الشأن والسلطان وأرباب الجاه والنفوذ للتدخل في تعطيل وإيقاف إيصال الحقوق لأصحابها واحقاق العدالة على الوجه المنشود .

تقرر مبدأ المساواة أمام القانون من حيث توقيع العقوبة في قول الله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين إن يكن غنيًا أو فقيرًا فالله أولى بهما فلا تتبعوا الهوى أن تعدلوا وإن تلووا أو تعرضوا فإن الله كان بما تعملون خبيرًا ﴾ [سورة النساء ، الآية : ١٢٥] .

وقد أكدت السنة النبوية المطهرة هذا المبدأ في قصة المرأة المخزومية التي كانت تستعير المتاع وتنكره وعند ما رفع أمرها إلى النبي -ﷺ- جرى ما يلي :

روى عن السيدة عائشة - رضي الله عنها - أنها قالت : كانت امرأة مخزومية تستعير المتاع وتجحده فأمر النبي -ﷺ- بقطع يدها ، ففزعت قريش من هذا الأمر إذ كيف تقطع يد هذه المرأة المخزومية التي تتبع لأشرف وأنبل قبائل العرب ، فقالوا : لا أحد يجرأ على الكلام لرسول الله -ﷺ- عنها غير أسامة بن زيد لأنه حب رسول -ﷺ- ، فأتى أهلها

أسامة فكلموه فكلم أسامة بن زيد رسول الله -ﷺ- ، فقال له رسول الله -ﷺ- : « يا أسامة لا أراك تتكلم في حد من حدود الله » .

ثم قام النبي -ﷺ- خطيبًا فقال : « إنما أهلك من كان قبلكم أنه إذا سرق فيهم الشريف تركوه ، وإذا سرق فيهم الضعيف قطعوه ، والذي نفسي بيده لو كانت فاطمة بنت محمد سرقت لقطع محمد يدها » (٥) .

ومن آثار الصحابة والخلفاء الراشدين - عليهم رضوان الله تعالى - ورد في الخطاب الشهير الذي بعثه سيدنا عمر بن الخطاب الخليفة العادل الذي بلغت به عدالته حدًا جعله ينام تحت الشجرة دون أن يخشى أحدًا من رعيته . ذلك الخطاب التاريخي الذي بعثه إلى قاضيه أبي موسى الأشعري ، والذي يعتبر مضمونه منذ ذلك الوقت وإلى يومنا هذا حجر الزاوية للنظام القضائي الإسلامي ، إذ جاء فيه : « سوّ بين الناس في مجلسك و قضائك حتى لا يطمع شريف في حيفك ولا ييئس ضعيف من عدلك » (٦) .

حقيقة أن هذه النصوص من القرآن الكريم والسنة النبوية الطاهرة ورسالة سيدنا عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - إلى القاضي أبي موسى الأشعري ، تضع مجتمعة مبدأ قضائيًا هامًا وهو المساواة بين الناس أمام القضاء ، وذلك بأن تسري العقوبات القانونية على كافة الناس دون اعتبار لمكانتهم الاجتماعية ، إذ لا وزن لجاهٍ أو ثروةٍ أو سلطان في نظر الشرع الإسلامي ، فمتى ما ثبتت التهمة في حق المتهم وجب على القاضي إصدار الحكم بالعقوبة المقررة شرعًا مهما كانت الصلة ودرجة القرابة بينه وبين الجاني ، ومهما كان الضغط الذي مارسه ذوو النفوذ عليه ، إذ لا صلة أمتن

من صلة أسامة بن ربد برسول الله -ﷺ- ، ولا قرابة أقوى من قرابة فاطمة بنت رسول الله -ﷺ- بوالدها رسول الله -ﷺ- ، إذ لم تشفع صلة أسامة س ربد برسول الله -ﷺ- عن المرأة المخزومية ، بل وقد أقسم رسول الله -ﷺ- بأنه لو أن ابنته فاطمة قد سرقت لقطع بدها امتثالاً لأمر الله تعالى وتقريبًا لمبدأ المساواه بين الناس أمام القانون من حيث توقيع العقوبات المقرره شرعًا .

[يتبع]

الهوامش :

(١) حلال الدس عبد الرحمن السيوطي : الحامع الصغير في أحاديث البشير النذير : ح/١ ، ص/٢٦٠ - دار الفكر .

(٢) السيوطي : الحامع الصغير ، ح/٢ ، ص/١٦ .

(٣) عبد الله س عبد الرحمن س صالح السام : تيسير العلام شرح عمده الأحكام : ح/١ ، ص/٩ - مكتبة النهضة الحديثة - مكة المكرمة .

(٤) محمد إسماعيل الكحلاني الصنعاني : سبل السلام شرح بلوغ المرام من أدلة الاحكام : ح/٣ ، ص/١٢٥٢ - دار الفكر .

(٥) أحمد س علي محمد بن حجر العسقلاني : بلوغ المرام مع سبل السلام : ح/٤ ، ص/٢٠ - دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع .

(٦) عبد الخالق النواوي : العلاقات الدولية والنظم القضائية في الشريعة الإسلامية : ص/٢١٤ - دار الكتاب العربي .

دراسات و أبحاث :

الإسرائيليات و حكمها أخذًا وردًا

[الحلقة الأولى]

إعداد وتقديم . حافظ أبو البركات محمد حزب الله

إن حركة تفسير القرآن الكريم بدأت منذ فجر الإسلام ونزول دستوره العظيم ، وأول من قام بتفسير الكتاب المبين هو من أنزل عليه هذا الكتاب المنير ، ألا وهو رسولنا ونبينا وسيدنا وقدوتنا محمد بن عبد الله عليه أفضل الصلاة والتسليم ، وقد كلفه بذلك ربنا -جل وعلا- حيث يقول : ﴿ وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم ولعلهم يتفكرون ﴾ [سورة الحجر ، الآية : ٤٤] ثم تطورت هذه الحركة العلمية والتفسيرية وامتدت إلى الصحابة والتابعين ومن بعدهم ، وكان مصادر التفسير آنذاك القرآن الكريم والمأثور عمن فوقهم والاجتهاد الشخصي ، إضافة إلى مراجعة أهل الكتاب في فهم بعض القصص والآيات وتفصيل بعض الكلمات على ضوء ما عندهم من علم الكتاب المنزل على أنبيائهم دون مساس إلى المسائل والعقائد ، وهذا ما يسمى بالإسرائيليات ، وفيما بعد حصل نقول الإسرائيليات بكثرة واستشحان كتب التفسير بها دون نظر إلى الحكم عليها ، مما أدى إلى تحير العقلاء والقراء ، ثم أتى دور قام فيه العلماء بتفحيص تلك الإسرائيليات والحكم عليها وتبصير القراء بها ما يؤخذ وما يرد ، ولكن كلها مبعثرة ومتفرقة هنا وهناك ، وفي العصر الحديث نجد العلماء يبحثون عن هذا الموضوع فأدخلوه في علوم القرآن

وحققوا أقوال الرسول -ﷺ- من حيث الأخذ والرد والتصديق والتكذيب ، ولكن كان هذا أيضًا ما بين التطويل والتطنيب أو التقصير والتبهيم .

ومن ثم أجببت أن أبحث في هذا الموضوع وأقدم مقالة علمية إلى حضرة القراء علّهم يجدون فيها ما يغنيهم عن المراجعة إلى غيرها بإذن الله ، كما يجد القراء المقالة منسقة مرتبة مفيدة نافعة حيث استعرضت فيها المراد بالإسرائيليات وصلتها بالقرآن الكريم ومصادرها ودخولها في التفسير والأحاديث الثلاثة وتحليلها وموقف العلماء من الإسرائيليات وأقسام الأخبار الإسرائيلية وحكم كل منها ، أسأل الله المولى الجليل أن يتقبلها مني ويجعلها لوجهه الكريم إنه بعباده رؤوف رحيم .

المراد بالإسرائيليات :

الثقافة اليهودية والنصرانية الدسية هي التي تطلق عليها كلمة الإسرائيليات عند علماء التفسير ، أما كلمة الإسرائيليات فهي تشير إلى الثقافة اليهودية أصلاً ولكن اطلاقها على ثقافة النصارى أيضًا على سبيل التغلب (١) وذلك لكثرة أهله وشدة اختلاطهم بالمسلمين من مبدأ ظهور الإسلام وبالخصوص بعد الهجرة إلى المدينة ، يقول الدكتور أحمد خليل : « إن هذه الكلمة : الإسرائيليات يهودية الأصل ، وقد غلبت على كل ما نقل من اليهودية إلى الإسلام وما نقل عن الأديان الأخرى إلى الإسلام أيضًا ، ولكن خصصت بهذا الاسم لأن أغلب ما نقل عن اليهودية والأديان الأخرى كان طريقه الإسرائيليون (٢) » ومن هنا صح إطلاق لفظ الإسرائيليات على جميع الأفكار المنسوبة بشكل فوضوي في كتب التفسير (٣) .

مصدر ثقافة اليهود : ثقافة اليهود تعتمد على التوراة التي أنزلت على

موسى - عليه السلام - ، ويطلق التوراة على كل الكتب المقدسة عند اليهود ، فيشتمل على الزبور وغيره ، وتسمى التوراة بما اشتملت عليه من الأسفار الموسوية وغيرها « العهد القديم » (٤) .

مصدر ثقافة النصاري : تعتمد ثقافة النصارى على الإنجيل المنزل على عيسى - عليه السلام - وتعتمد على التوراة أيضًا ، الأناجيل ورسائل الرسل ، تسمى « بالعهد الجديد » والنصارى يطلقون على التوراة والإنجيل «الكتاب المقدس» كما يطلقون عليه «العهد القديم » و « العهد الجديد » (٥) « إذًا فقد كانت التوراة المصدر الأول لثقافة اليهود الدينية كما كان الإنجيل المصدر الأهم لثقافة النصارى الدينية » (٦) .

صلة الإسرائيليات بالقرآن الكريم :

التوراة والإنجيل اشتملا على كثير مما اشتمل عليه القرآن الكريم ، وذلك على اختلاف في الاجمال والتفصيل

فالقرآن : لا يتعرض إلا مواضع العظة ولا يأتي بالجزئيات ولا يذكر تاريخ الوقائع ولا أسماء البلدان كما لا يذكر في غالب الأوقات أسماء الأشخاص الذين جرت على أيديهم بعض الحوادث ، بل يذكر ما يمس جوهر الموضوع والعبر .

أما التوراة والإنجيل : فيوجد فيهما تاريخ الوقائع وجزئيات المسائل وأسماء البلدان والأشخاص بالتفصيل ، فكلها تذكر قصص الأنبياء والرسل ولكن القرآن لا يذكر إلا ما يحتاج إليه من ذكرها .

فمثلا قصة آدم : لم يذكر القرآن ولم يتعرض لمكان الجنة ولا نوع الشجرة المنهي عنها أكلها ، ولا أين هبط آدم وحواء بعد خروجهما من

الحنة ، أما التوراه فهي تعرضت لجميع ذلك وذكرت بأن الجنة في مدن شرقًا وأن الشجره المنهى عنها كانت في وسط الجنة ، واسمها شجرة الحياه إلى آخر القصة (٧) .

ومثلا قصة عيسى ومريم ومعجزات عيسى - عليه السلام - : كل ذلك جاء في القرآن في أسلوب موجز ، يقتصر على موضع العظة والعبره ، فلم يتعرض القرآن لنسب عيسى مفصلاً ولكيفية ولادته ولا للمكان الذي ولد فيه ولا لذكر الشخص الذي قذفت به مريم كما لم يتعرض لنوع الطعام الذي نزلت به مائده السماء ولا لحوادث جزئية من ابراء عيسى للأكمه والأبرص وإحيائه الموتى .

أما الإنجيل فقيه ذكر نسب عيسى وكيفية ولاده مريم له والشخص الذي قذفت به مريم و نوع الطعام الذي نزلت به مائده السماء و مـــا إلى ذلك (٨)

يستخلص من العرض السابق بأن القرآن اشترك مع التوراة والإنجيل في ذكر بعض المسائل والقصص إلا أنه افترق في الإيجاز والإجمال والبسط والاطناب .

دخول الإسرائيليات في التفسير وتطورها :

كان من مصادر التفسير مراجعة أهل الكتاب الذين أسلموا ودخلوا في دين الله بعد أن هداهم الله إلى الإسلام ، فرجع الصحابة إليهم كما رجع التابعون في التوسع والتفصيل إلا أن الصحابة كانوا أقل مراجعة من التابعين .

أولاً : عصر الصحابة :

ما كان الصحابة - رضوان الله عليهم - يسألون أهل الكتاب عن كل الأمور ، فلم يأخذوا عنهم في تفسير القرآن من الأخبار الجزئية سوى القليل النادر ، ولم يسألوهم عن كل شئ كما لم يقبلوا منهم كل شئ ، بل كانوا يسألون أشياء لتوضيح القصة وبيان الاجمال ، ولا يحكمون عليه بالصدق ولا بالكذب ما دام يحتمل كلا الأمرين بل كانوا يتوقفون ، وذلك لامتثال قول الرسول -ﷺ- : « لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم وقولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا » (٩) ، كما أنهم لم يسألوهم عن شئ مما يتعلق بالعقيدة أو يتصل بالأحكام ، اللهم إلا إذا كان على جهة الاستشهاد والتقوية لما جاء به القرآن ، كذلك كانوا لا يعدلون عما ثبت عن رسول الله -ﷺ- إلى سؤالهم ، لأنه إذا ثبت الشئ عن الرسول -ﷺ- فليس لهم أن يعدلوا عنه إلى غيره

كما كانوا لا يسألون عن الأشياء التى يشبه أن يكون السؤال عنها نوعا من العبث واللهو ، كالسؤال عن لون كلب أهل الكهف واسم الغلام الذي قتله الخضر وغير ذلك ، ولهذا قال شيخ الإسلام ولي الله الدهلوي - رحمه الله - بعد أن بين أن السؤال عن مثل هذا تكلف فيما لا يعني : « وكان الصحابة - رضى الله عنهم - يعدون مثل ذلك قبيحًا من قبيل تضييع الأوقات » (١٠) .

وكذلك كان الصحابة لا يصدقون اليهود فيما يخالف الشريعة أو يتنافى مع العقيدة ، بل بلغ بهم الأمر إلى أنهم كانوا إذا سألوا أهل الكتاب عن شئ فأجابوا عنه خطأ ردوا على خطئهم وبينوا لهم وجه

الصواب ، مثال ذلك : مناقشة أبي هريرة وتصويبه لكعب الأحبار بأن ساعة الإجابة في كل جمعة لا في جمعة واحدة في السنة كما يرى كعب ، فيرجع كعب إلى التوراة فيرى الصواب مع أبي هريرة - رضي الله تعالى عنه - (١١) .

وهذا يدل على أن الصحابة لا يقبلون كل ما يقال لهم بل كانوا يتحرون الصواب ويردون على أهل الكتاب أقوالهم إن كانت لا توافق وجه الصواب .

ثانيًا : عصر التابعين .

أما التابعون فقد توسعوا في الأخذ عن أهل الكتاب ، فكثرت في عهدهم الروايات الإسرائيليات في التفسير وذلك لكثرة دخول أهل الكتاب في الإسلام وميل نفوس القوم لسماع التفاصيل عن الأحداث اليهودية والنصرانية المشار إليها في القرآن الكريم ، فظهرت في هذا العصر جماعة من المفسرين الذين أوردوا بكثير من القصص المتناقضة في التفسير من اليهود والنصارى .

عصر ما بعد التابعين :

وفي هذا العصر كثر الشغف بالإسرائيليات وأفرط في الأخذ منها إلى درجة حيث جعلتهم (علماء هذا العصر) لا يردون قولاً ولا يحجمون عن أن يلصقوا بالقرآن كل ما يروى لهم وإن كان لا يتصوره العقل ، قال ابن خلدون : « وإذا تشوقوا إلى معرفة شئ مما تتشوق إليه النفوس البشرية في أسباب المكونات وبدء الخليقة وأسرار الوجود فإنما يسألون عنه أهل الكتاب قبلهم ويستفيدون منهم .

وهم أهل التوراة من اليهود ومن تبع دينهم النصارى ، فامتلأت التفاسير من المنقولات عنهم » (١٢) .

الأحاديث الثلاثة حول الروايات عن أهل الكتاب وموقف العلماء من الإسرائيليات : هناك روايات ثلاث دلت بعضها إلى عدم الحرج عن التحدث عن بني إسرائيل ، وأخرى تشير إلى عدم تصديقهم فيما يقولون ، والثالثة تمنع عن سؤالهم ، نرى أنها متعارضة في بادئ النظر ، وهل هو كذلك ؟ وما موقف العلماء من التحدث عنهم ؟ ففي الإجابة عن ذلك ، نقول : إنه لا تعارض بين الأحاديث ، ويتبين ذلك من التوضيح الآتي كما يتجلى موقف العلماء منها ؟

الحديث الأول : « بلغوا عني ولو آية وحدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج ومن كذب علي متعمدًا فليتبوأ مقعده من النار » (١٣) .

الحديث الثاني . « لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم وقولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا » (١٤) .

الحديث الثالث « لا تسألوهم عن شئ فيخبروكم بحق فتكذبوا به أو بباطل فتصدقوا به ، والذي نفسي بيده لو كان موسى حيًا ما وسعه إلا أن يتبعني » (١٥)

قال الحافظ ابن حجر في الفتح عند شرحه للحديث الأول : « وقال الشافعي : من المعلوم أن النبي -ﷺ- لا يجيز التحدث بالكذب ، فالمعنى : حدثوا عن بني إسرائيل بما لا تعلمون كذبه ، وأما ما تجوزونه فلا حرج عليكم في التحدث به عنهم ، وهو نظير قوله : إذا حدثكم أهل الكتاب فلا تصدقوهم ولا تكذبوهم . ولم يرد الاذن ولا المنع من التحدث بما يقطع

بصدقه » (١٦) .

وقال عند شرحه للحديث الثاني : « لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم أي : إذا كان ما يخبرونكم به محتملا لئلا يكون في نفس الأمر صدقا فتكذبوه ، أو كذبا فتصدقوه فتقعوا في الحرج ، ولم يرد النهي عن تكذيبهم فيما ورد شرعنا بخلافه ولا عن تصديقهم فيما ورد شرعنا بوفاقه ، نبه على ذلك الشافعي - رحمه الله - .. » ثم قال : « وعلى هذا يحمل ما جاء عن السلف من ذلك » (١٧) .

أما الحديث الثالث الدال على النهي عن سؤالهم فلا يعارض الجواز ، قال ابن حجر في الفتح عند شرحه لهذا الحديث : « وكان النهي يقع قبل استقرار الأحكام الإسلامية والقواعد الدينية خشية الفتنة ، لما زال المحذور وقع الاذن في ذلك لما في سماع الأخبار التي كانت في زمانهم من الاعتبار (١٨) .

ومن هذا كله تبين لنا أنه لا تعارض بين هذه الأحاديث الثلاثة كما بين لنا المقدار الذي أباحه الشارع من الرواية عن أهل الكتاب .

[يتبع]

++ ++

الهوامش :

(١) التفسير والمفسرون دكتور محمد حسين الذهبي . الطبعة الأولى بدون تاريخ . دار القلم بيروت لبنان . ج/١ . ص/١٦٨ بتصرف .

(٢) نشأة التفسير في القرآن وفي الكتب المقدسة . دكتور أحمد خليل .

الطبعة الأولى شركة وكالة . الاسكندرية ١٢٧٢هـ : ص/٢٨ .

(٢) موقف الإمام ابن كثير من الإسرائيليات في ضوء تفسيره : رسالة مقدمة للحصول على الشهادة العالمية «الماجستير» من شعبة التفسير بقسم الدراسات العليا بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ، للأخ الزميل إبراهيم تراوري . مطبوعة على آلة الكتابة ١٤٠٥-١٤٠٦هـ .

(٤-٥) التفسير والمفسرون : ج/١ . ص/١٦٨ ملخص .

(٦) المرجع السابق · ج/ ١ ، ص/١٧٠ .

(٧) المرجع السابق · بتصرف ج/ ١ ، ص/١٧٠-١٧١ .

(٨) المرجع السابق ج/١ ، ص/١٧١

(٩) البخاري . كتاب التفسير من فتح الباري ، أحمد بن حجر العسقلاني ، دار الفكر ، المكتبة السلفية ، دون طبع وتاريخ . ٨/١٧٠/٤٤٨٥ وانظر المرجع السابق

(١٠) الفوز الكبير في أصول التفسير شيخ الإسلام ولي الله الدهلـــــوي ، طبع . إدارة الطبعة المنيرية ١٢٤٦هـ ص/٢٥

(١١) إرشاد الساري شرح البخاري القسطلاني . طبع . الاميرية ١٢٢٥هـ · ج/٢ . ص/١٩٠

(١٢) التفسير والمفسرون ج/١ . ص/١٧٩ ومباحث في علوم القرآن : مناع القطان الطبعة الرابعة . مؤسسة الرسالة ١٢٩٦هـ - ١٩٧٦م

(١٢) البخاري من فتح الباري ج/٦ . ص/٤٩٦-٣٤٦١ .

(١٤) المرجع السابق . باب التفسير ٨/١٧٠/٤٤٨٥

(١٥) مسـنـــد الإمام أحمد المكتب الإسلامي دون إشارة إلى تاريخ طبع ج/٢ . ص/٢٨٧

(١٦) فتح الباري ج/٦ . ص/٤٩٩

(١٧) المرجع السابق ج/٨ . ص/١٧٠

(١٨) المرجع السابق . ج/ ٦ . ص/٤٩٨

الخرافات ما قبل الإسلام

في شبه الجزيرة العربية والأمم المجاورة

بقلم الدكتور عبد الوهاب زاهد الندوي

أقسم موضوعي إلى العناصر التالية :

١- المعنى اللغوي والاصطلاحي للخرافات : ٢- نشأتها التاريخية :

٣- ضررها وفساد نتيجتها : ٤- الفرق بينها وبين الحقيقة :

١ - تعريف الخرافة عند العرب :

فقد عرّف أصحاب اللغة الخرافة بالحديث الكذب الذي هو ليس من أصل صحيح كما ذكرت كتب معاجم اللغات ، وفي الأصل عند العرب ان رجلاً استهوته الجن فكان يحدث بما رأي ، فكذبوه ، وقالوا حديث خرافة ، ويعنون به قصة كاذبة لا أصل لها .

وفي العصور الحديثة أطلق عليها بالأسطورة وهي في نفس معناها ، القصة القديمة التي لا يعرف مصدرها والأساطير جمع أسطورة .

وأما معناها الاصطلاحي كما عرفها أصحاب اللغة والأدب : هي كل حديث لعب الخيال في صياغته دون النظر إلى صحته وصدقه .

نشأة الخرافـــــة :

وتولد الخرافة تبعًا لظروف اجتماعية وثقافية لكل قوم أو بلد ، وهي ناتجة عن تصور إنسان واقعةً في فكره ونفسه ، فيكرر التفكير فيها حتى تغدو أشبه بحقيقة ، ويزيد عليها من جاء بعده وينقص حتى تصبح

حقيقة عند المؤمنين بها .

وفي الحقيقة أن ما يرويه ، رجال التاريخ والعلم في كوريا عن الأساطير في كوريا ، مثل قصة هوانونغ مع الدب والنمر وتحويله الدب الحيوان إلى أنثى إنسان ورواجه بها ، ونشأة الإنسان منهما .

مثل هذه القصص الخرافية ، لا توجد في شبه الجزيرة العربية ومن جاورها من الأقوام والقبائل ، ومنذ قديم الزمن ، والعرب يؤمنون انهم ساميون ، من نسل سام بن نوح - عليه السلام - ، وهم من نسل آدم - عليه السلام - .

وجميع القبائل العربية بدون استثناء يؤمنون بوجود إله واحد ، غير أنهم بسبحة الخرافات المسورد إليهم أشركوا بالله الأحد ، وعبدوا الأوثان وأشركوا معه الهه أخرى .

والخرافه بمعناها اللغوي ، كما أسلفنا أنها كل قصه أو حديث لعب الخيال به دون أصل صحيح له ، فقد ورد في كتاب مختار الصحاح في اللغه في باب خرف . « خرافة : هو اسم رجل من عذره ، استهوته الجن ، فكان يحدث بما رأي فكذبوه ، وقالوا : « حديث خرافة » منذ ذلك الجن عرف العرب هذه القصص الخرافية ، وسافلوها فيما بينهم ، و وصلت إليهم خرافات كثيره ، من الأمم المجاوره ، كالإيرانيين والسوريين والمصريين والرومان ، وإني لا أستطيع تحديد نشأتها لعدم توفر المراجع عنها .

إن السبب الوحيد المروج للخرافة ، في عقول البشرية القديمة هو الجهل والبعد عن العلم وأهله ، ونجد من هذا القبيل صيادي اللؤلؤ في بلاد

الخليج العربي ، كما ذكر إبراهيم الصباغ في كتابه صيد الؤلؤ ، إن البحارة في الخليج العربي قبل أن يشرعوا في الاقلاع بالبحر ، كانوا يلقون فيه رمادًا ، معتقدين ان هذا الرماد يحفظهم من الحاسدين ، كما يمنع هيجان البحر ويجلب لهم الأمن والراحة ، ويقول رامي الرماد في البحر : في عينيك يا حاسد .

وكذلك في سوريا ومصر وغيرها من البلاد المحاورة ، إن الناس يلبسون أولادهم حررة زرقاء ، ويضعون على أبواب المنازل والبيوت حدوة فرس حديدية ، اعتقادًا منهم انها تمنع الحسد ، أو صوره كف إنسان خمسة أصابع لدفع الحسد ، ويقولون : في عينيك يا حاسد .

ويذكر أيضًا كتاب صيد اللؤلؤ : كان البحارة من أهل الخليج العربي يقومون في حلب البنات الصغيرات وقد لبسن أجمل الثياب كأنهن العرائس ليلة الزفاف ، ويصعدون على ظهر السفينة ويرقصن ويغنين وهي تسير بهن مسافة في البحر ، ثم تعيدهن إلى الأرض سالمات ، ويهدف البحاره في ذلك إرضاء البحر وإسكان غضبه ، وكأنهم يسترحمونه بالبنات البرئيات حتى لا يغدر بهم ويهيج في مياهه وأمواجه بهم وهم في وسطه .

وهذه الخرافة كانت في المصريين القدماء ، فقد كانوا يلقون كل سنة فتاة جميلة في النيل هدية له ، خوفًا من فيضانه ، وكسبًا لرضاه .

ويعتقد بحارة الخليج العربي بوجود أبي البحر يطلقون عليه اسم (أبو درياه) وهي كلمة فارسية ، وهم يعتقدون انه جني يظهر فقط في البحر ، على شكل إنسان غريق في البحر ، أو على هيئة امرأة جميلة

تسبح تدعو البحارة إليها، وتروى عنه يجلب لهم التمر في أوان نضجه .

والحقيقة ان أبا البحر هذا ليس له وجود إلا في خيال البحارة ، ولا يوجد شخص أو إنسان رأه حقيقة ، ولكن القصص عنه كثيرة ، وهي تنقل عن فلان انه سمع من فلان ، أو أخبره فلان إنه من سمع فلانًا ، وأصل هذه الخرافة من بلاد فارس المجاورة للخليج العربي ، فقد امتلأت ، في كتاب إيران في عهد الساسانيين [ص/١٥٥] لمؤلفه الأستاذ آرتهوركرستن : « إن المؤرخين للديانة الإيرانية يذكرون مجموعة أساطير متصلة بالآلهة ولا تقل في غرابتها وتفاصيلها الدقيقة عن الميثولوجيا الاغريقي أو الهندي » فقد كثرت الخرافة في شرق آسيا كما هو الشأن في بلاد العالم القديم .

وقد اتخذت الخرافة قديمًا التدين وسيلة لنموها وترسيخها في العقول ، يقول الأستاذ فدلند : كما ذكر الأستاذ متولي في كتابه أضواء على المسيحية [ص/٢٨] : « إن الفلسفة استخدمت نظريات علوم اليونان لتهذيب الآراء الدينية وترتيبها ، لتقدم إلى الشعور الديني اللحوح ، فكرة في العالم تقنعه ، فأوجدت نظمًا دينية ، من قبيل ما وراء الطبيعة والمادة ، تتفق مع الأديان المتضادة اتفاقًا يختلف قلة وكثرة » .

ومن هذه الفكرة قامت دعوات يسودها الخيال ، تأخذ بالناس إلى انحراف كامل عن الدين الحق ، ومن محض الخرافات قامت دعوات تدعو إلى تأليه البشر من دون الله الحق ، كما حدث لملك بابل (نمرود بن كنعان) في العراق في عهد رسول الله إبراهيم - عليه الصلاة والسلام - ، وفرعون ملك مصر ، في عهد رسول الله موسى - عليه الصلاة والسلام - .

أما ملك بابل فقد ادعى أنه إله يحيي ويميت ، كما ذكر القرآن الكريم الحوار الذي جرى بين إبراهيم ونمرود بابل ، فقال الله تعالى : ﴿ أ لم تر إلى الذي حاجّ إبراهيم في ربه أن آتاه الله الملك • إذ قال إبراهيم : ربـــــــي الذي يحيي ويميت ، قال (نمرود) : أنا أحيي وأميت ، قال (إبراهيم) : فإن الله يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب • فبهت الذي كفر ﴾ [سورة البقرة ، الآية : ٢٥٨] .

وأما فرعون مصر فقد قال صراحة ﴿ ما علمت لكم من إله غيري ﴾ ، وعلى مر التاريخ البشري ، وقام كثير من الملوك والقادة بدعوى الألوهية لأنفسهم ، وصدقهم شعبهم واتبعوهم ، إما خوفًا من سطوتهم ، أو رغبة في حياة رغيدة حسب اعتقادهم .

وفي الهند كثرت الخرافة في اتخاذ عدد من الآلهة ، ونقل سماحة العلامة الكبير السيد أبو الحسن علي الحسني الندوي (وهو هندي الولادة والمنشأ) في كتابه الشهير : « السيرة النبوية » قول أستاذ هندي في كتابه : « الهندوكية السائدة » ، فقال : « إن عملية خلق الآلهة لم تنته على هذا ، فلم تزل تنضم آلهة صغيرة في فترات تاريخية مختلفة إلى المجمع الإلهي في عدد كبير حتى أصبح منهم حشد يفوق الحد والاحصاء ، ويذكر عدد الآلهة قد بلغ ٢٢٠ مليون إله ، كل ذلك كان نتيجة لخرافات قديمة نقلت إليهم دون مصدر صادق .

وأما سكان شبه الجزيرة العربية : فقد ساد في شبه الجزيرة العربية خرافات في العقيدة أكثر ممن جاورها من البلاد حتى عبدوا الحجر واتخذوا من التراب والماء أصنامًا يسجدون لها ، وقد روى البخاري عن

أبي رجاء العطاردي أنه قال : « كنا نعبد الحجر ، فإذا وجدنا حجرًا أحسن منه ألقيناه وأخذنا الآخر ، فإذا لم نجد حجرًا جمعنا حثوة من تراب ، ثم جئنا بالشاة فحلبنا عليه ثم طفنا به » .

وقال الكلبي : « كان الرجل إذا سافر فنزل منزلاً أخذ أربعة أحجار ، فنظر إلى أحسنها ، فاتخذه ربا ، و جعل ثلاث أسافي لقدره ، و إذا ارتحل تركه » .

اعتقادًا منه أنه سيحميه من خطورة الطريق ، حسب الأساطير والقصص المنتشرة بينهم ، وتذكر كتب التاريخ لشبه الجزيرة العربية : إن كثيرًا من العرب يصنع آلهة من تمر ، فيعبده ثم يأكله ، ويقول ما ألذ طعمك يا إلهي ، فعبد العرب ، النجوم ، والقمر ، والشمس ، كل ذلك نتيجة ما وصلهم من خرافات فارس وسوريا ومصر ، فقد كانت سوريا البلد المتاخمة للروم ، تؤمن بكل ما تؤمن الروم من خرافات ، وهي معمل لصناعة تماثيل الآلهة ، وتصدرها إلى شبه الجزيرة العربية ، وكانت عبادة الأصنام في سوريا ومصر وشبه جزيرة العرب ، نتيجة قصص تخبر عن رجال عظماء في قديم الزمن ، وصلوا إلى منزلة الآلهة وبقوتهم وجبروتهم خلقوا العالم ، وبيدهم الرزق ، والحياة والموت ، ويؤمنون بتعدد الآلهة ، وكلما كثرت الآلهة كانت القوة أكثر ، وكان اعتقادهم بالجن بأنهم شركاء للآلهة ، وعن طريق عباد الجن وهم الكهنة والعرافون يستلهمون القصص الخرافية عن الآلهة ، وإن كل ما اذكره هنا هو صحيح النقل .

ضرر الخرافات التربوي والاجتماعي : كان في العالم ضياع وانحراف

في الحياة الاجتماعية والأخلاقية وفي العقيدة ، وقامت دعوات كثيرة تبني عقيدتها على الخيال وقصص خرافية لا أصل لها ، وحرفت معتقدات ، وضعف عنصر الإيمان في نفوس الناس ، وسيطر عليهم الشيطان عدو الإنسان اللدود ، بتصديقهم واتباعهم تصورات لا صلة لها بالواقع ، لعب الشيطان دوره في غواية بني آدم واضلالهم عن الحق والهدى ، وقد لعب الفلاسفة دورًا كبيرًا في تقوية الخرافة فيقول :

الأستاذ متولي شلبي في كتابه أضواء على المسيحية [ص/٢٩] : « فقد خبا لهيب السلطان الديني ، وباتت الصدور خاوية منه ، فأراد الفلاسفة أن يملأوا هذا الفراغ في عملية ارتقاء وجداني تسمو فيه العواطف بالعقل إلى أعلا ، وتأخذ الفلسفة محلها في مراقبة السلوك محل السلطان الديني ، فقامت تعالم الفلسفات بشذى ديني ، والتحم الشعور الديني بالتذوق الفلسفي ، والتقت المشاعر الدينية بالضوء الفلسفي الخلاب وطال هذا الامتزاج حتى صنع من الأديان خليطًا بين الحقيقة والخيال الخرافي » .

مما أدى إلى انحراف في القيم والسلوك ، وأصبح العالم أشبه بغابة ، القوة فيه صاحبة السيادة .

العرق بين الخرافة والحقيقة : الخرافة كما تبين أنها لا تدل على صدق في القول والمعتقد ، فهي بدون أساس ثابت ترتكز عليه ، وفيها ضياع لحقيقة الإنسان والحياة التي يعيشها ، على العكس تمامًا من الحقيقة ، فإن الحقيقة لا تتعدد ولا تختلف في زمان دون غيره ، كما أن وحدانية الإله واحدة وهي أصل الحقيقة فلا يمكن أن تكون وحدانية الإله في زمن ، ثم

تتبدل في زمن آخر فتتعدد الألوهية فيه ، فالله واحد في ذاته وصفاته دائمًا وأبدًا .

ولهذه الحقيقة التي لا تتبدل ، اقتضت حكمة الله منذ أن خلق آدم واسكنه الأرض ليعمرها بذريته أن يختار من نسل آدم أصلحهم واهداهم ، ليكون المعلم والمرشد لبني جنسه من نسل آدم إلى الحق والطريق الصحيح ويدلهم على الله خالق السماوات والأرض ، في ساعة فقدانها الطريق .

فارسل الله رسلاً هاديين مهديين إلى الحق ، لا يعلم عددهم إلا الله سبحانه . وكان ممن اختارهم نوح وإبراهيم وموسى وداؤد وسليمان وعيسى وختمهم بآخر الأنبياء محمد صلوات الله عليهم أجمعين .

اختارهم لينقذوا اخوتهم في الإنسانية من الضلال والانحراف ، ويرشدوهم إلى عبادة الله وحده ، و ينقلوا لهم رسائله بأمانة و صدق واخلاص .

وهم المعلمون والأساتذه المخلصون للبشرية ، وقد تحملوا عليهم السلام أنواعًا من الإهانات والاضطهاد من أقوامهم ، نتيجة إنكارهم خرافات الضالّين المنحرفين عن جادة الحق والهدى ، ولكن الله الحق أيدهم بمعجزاته ، فآمن لهم عدد من أقوامهم ، واستمر طريق الحق والنور في مسيره ، وكلما خفت نوره أرسل الله رسولاً آخر يجدد على الناس طريق حياتهم ، ويصلح ما أفسد أصحاب الخرافات أتباع الشيطان وعباده ، حتى بان الحق وظهر وانتشر العلم وساد النور ببعثة آخر الأنبياء وخاتمهم محمد صلوات الله عليهم أجمعين .

وآخر دعوانا عن الحمد لله رب العالمين .

رضا حسن العلوي الكاكوروي

أديب العربية في القرن التاسع عشر

بقلم : سعادة الدكتور رضوان علي الندوي - كراتشي

الشيخ رضا حسن بن أمير حسن العلوي الفيلسوف ، الرياضي ، الأديب الشاعر ، أصله من بلدة كاكوري ، من أعمال لكناؤ في الإقليم الشمالي بالهند .

وُلد في مدينة كانفور في الإقليم المذكور سنة ١٢٦٢هـ في بيت علم وثراء ، فكان يحمل والده لقب « نواب » أي الأمير ، ونشأ فيها ، ودرس العلوم العقلية من المنطق والفلسفة والرياضيات بجانب العلوم الدينية المتداولة ، وعني باللغة والأدب ، وقد فرغ من تحصيل العلوم وعمره ١٨ سنة ، فسافر إلى مدينة كلكتا ، حيث والده ، ودرس هناك الأدب العربي على السيد عبد الرزاق اليمني ، كما درس ، فيما يبدو ، بعض العلوم العربية ، وانصرف إلى التدريس والإفادة .

وكان حاد الذكاء ، صافي القريحة ، ذكي الفؤاد ، سريع القلم ، له موهبة غريبة في الكتابة والتأليف ونظم الشعر ، إذ ألف عشرين كتابًا بين كبير وصغير ، ولم يتجاوز عمره عشرين سنة ، حيث توفي في شبابه المبكر في السن العشرين ، ولو عاش لكان من نوابغ الدهر ، ومشاهير العلماء .

وله مؤلفات في المنطق والفلسفة والجبر والأدب والنقد ، والكثير

منها شروح وحواش على الكتب المتداولة في الهند ، مثل شرح تهذيب المنطق ، لملا جلال ، وشرح صدر الدين الشيرازي على هداية الحكمة للأبهري المعروف في الهند «بملا صدرا » وحاشية مير زاهد على الرسالة القطبية (١) في المنطق ، أو اختصار وتلخيص من بعض الكتب الأدبية كما سيأتي ، ولكن له بعض الكتب والرسائل الأصلية من تأليفه ، مثل « وكد القلم » (٢) في حل شبهة الجذر الأصم ، والدر المنظوم في تحقيق العلم والعلوم ، وصولة الضرغام في دفع مزخرفات الأوهام ، والتوضيح المريد في تفضيح مريد ، و « مطارح الأذكياء وهدية الأحباء » وهي رسالة في المنطق على قول محمد علي حيدر العلوي الكاكوروي : ص/١٦٩ ، أو في حل المسائل العويصة في بعض العلوم على رأي صاحب نزهة الخواطر : ٧/١٧٨ ، وقد طبع في كلكتا سنة ١٢٦٢هـ (٣) .

وأما مؤلفاته في الأدب من المنثور والمنظوم فهي كالآتي (٤) :

١- نموذج الكلام والسحر الحلال ، طبع في كلكتا سنة ١٨٤٩م ، في ٥١٦ صفحة ، وهي قصيدة على وزن قصيدة البردة ونهجها ، نظمها في عام ١٨٤٨م ، وله ١٩ سنة .

٢- لامية الهند وريحانة الرند ، مطبوع في مجلدين ، واسمه في نزهة الخواطر « نفحة الهند وريحانة الرند » .

٣- غاية الأدب في شرح لامية العرب .

٤- كيف الصهباء في دستور الإنشاء (٥) .

٥- بستان الأدب في لطائف العرب ، وهو في خمسة أبواب .

٦- شرح قصيدة أنموذج الكلام (٦) .

٧- معاطاة الكئوس في شرح العروس .

٨- اعتراضات على « نفحة اليمن » .

٩- اعتراضات على « العجب العجاب » .

١٠- نزهة الأرواح اعتراضات على « حديقة الأفراح لإزالة الأتراح » .

١١- جولان القلم في لامية العجم (٧) .

والكتابان الأولان أي أنموذج الكلام ولامية الهند أو نفحة الهند هما المطبوعان من بين هذه الكتب الإحدى عشرة ، والبقية مجهولة الوجود .

ويلاحظ من قائمة كتبه الأدبية هذه أن الكتب الثلاثة المذكورة تحت أرقام ٨-٩-١٠ نقد لمؤلفات أحمد بن محمد الشرواني اليمني المشهور بكتابه نفحة اليمن خاصة ، وهو معاصر أكبر (٨) للمؤلف ، وقد أقام مدة بكلكتا موظفا في شركة الشرق البريطانية كمترجم ومدرس ، كما مر فيما سبق ، وكتبه الثلاثة هذه مطبوعة ، ونفحة اليمن من الكتب المدرسية حتى اليوم ، قد حاز إعجاب عامة علماء شبه القارة الهندية ، فكان هذا الشاب الهندي الأديب أول من نقد كتبه الأدبية ، وكلها مطبوعة ، ومن المؤسف أن كتب مؤلفنا في عداد المفقود ، ولا نستطيع أن نحكم على ملكته النقدية ، ولا شك أنه أوتي من المعرفة الأدبية بحيث اتجه إلى مثل هذا النقد .

وكتابه أنموذج الكلام ولامية الهند أو نفحة الهند ، يدلان على قدرته العظيمة في نظم الشعر ، فإن الأول كما قلنا في ٥١٦ صفحة (٩) ، وهي قصيدة أو بالأحرى منظومة طويلة جدًا في مدح الرسول -ﷺ- ، وليس أمامنا هذا الكتاب الضخم حتى نحكم عليه ، ولكن نقل منه صاحب تذكرة

مشاهير كاكوري بعض أبيات تدل على سلاسة اللغة ، وسهولة الألفاظ ، و وضوح التعبير ، فمنها قوله :

العقر في القصر كالغفران فـــي الزلل
و العجز في العز كالكتمان للخـــلل
اصبر على مهلكات الدهر مؤتلفـــا
كالصبر أفضل للإتيان بالحـــدل
محمد أفضل الإنسان قاطبـــة
فخر الملائك ، رئيس العقـــل و الرسل
له العطاء بـــلا نقص و لا خلل
له السخاء بأنواع مـــن المثل (١٠)

وأما كتابه لامية الهند وريحانة الرند ، فقضيته شائكة ، فهو عند صاحب أوسع ترجمة لرضا حسن الكاكوروي ، أي صاحب تذكرة مشاهير كاكوري قصيدة مطبوعة ، بينما لم يرد هذا الاسم عند صاحب نزهة الخواطر ، وعنده في مكانه كتاب له باسم « نفحة الهند وريحانة الرند » في مجلدين ، و وصفه بأن المجلد الأول منه في شرح لامية العجم ، وهو ملخص من شرح صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي ، والمجلد الثاني يشتمل على خمسة أبواب :

الأول : في الحكايات اللطيفة .

الثاني : في لطائف الأشعار .

الثالث : في تلخيص سبحة المرجان .

الرابع : في تلخيص سلافة العصر .

الخامس : في الرسائل البديعة (١١) .

والغريب أن الدكتور جميل أحمد في كتابه حركة التأليف باللغة العربية في الإقليم الشمالي بالهند يعتبرهما كتابًا واحدًا (١٢) ، دون أن ينتبه إلى كلمة : « قصيدة » مع اسم هذا الكتاب ، أي : « قصيدة لامية الهند وريحانة الرند » في مرجعه الذي اعتمد عليه وهو كتاب : « تذكرة مشاهير كاكوري » .

وعندنا أنهما كتابان مستقلان كما يتبين من وصفهما عند المصدرين الأساسيين المذكورين أعلاه ، فأحدهما أي لامية الهند قصيدة ، بينما نفحة الهند ، مختارات من الأدب العربي ، وتلخيص لبعض الكتب كسبحة المرجان لغلام علي آزاد البلكرامي ، وسلافة العصر لأحمد بن معصوم الدستكي الشيرازي ، كما تبين آنفًا .

وهنا تواجهنا مشكلة أخرى ، وهي أن صاحب تذكرة مشاهير كاكوري يذكر له كتابين هما نفس الكتابين اللذين ذكرهما نزهة الخواطر كبابين « الثالث والرابع » للمجلد الثاني لكتاب نفحة الهند وريحانة الرند ، وهذان الكتابان هما :

١- إعجاز القلم واللسان في جلاء سبحة المرجان .

٢- نكهة الهند والعنبر في تعصير سلافة العصر (١٣) .

فبعض وحدات كتاب نفحة الهند وريحانة الرند مذكورة عند صاحب تذكرة مشاهير كاكوري ككتب مستقلة .

ثم إذا رأينا أبواب بستان الأدب لمؤلفنا وجدنا أنها خمسة أبواب ، وهي تشبه تمامًا لبعض أبواب نفحة الهند ، وهي على النحو الآتي :

الباب الأول : في الحكايات اللطيفة (تمامًا كما هو لنفحة الهند ...) .

الباب الثاني : في الفكاهات والقصائد (في نفحة الهند : في لطائف الأشعار) .

الباب الثالث : في البديع (في نفحة الهند : « في الرسائل البديعة ») .

الباب الرابع : في تراجم العلماء والأدباء (في نفحة الهند : في تلخيص سبحة المرجان) .

الباب الخامس : في المتفرقات (١٤) (في نفحة الهند : في تلخيص سلافة العصر) (١٥) .

وكذا نعتبر كتاب « بستان الأدب » نفس كتاب نفحة الهند ... لو لا ذكر تلخيص سبحة المرجان ، وكتاب تلخيص سلافة العصر ككتابين مستقلين في ترجمة المؤلف « في تذكرة مشاهير كاكوري » .

وقد يكون الأمر أن ضم المؤلف بعض كتبه المختصرة بعناوين مستقلة كإعجاز العلم والبيان في حلاء سبحة المرجان ، ونكهة الهند والعنبر في تعصير سلافة العصر ، وكشف الصهباء في دستور الإنشاء ، في كتاب بعنوان : بستان الأدب أو نفحة الهند مضيفا إليه بابًا في الحكايات اللطيفة وآخر في لطائف الأشعار ، وهذا كله حدس وتخمين ، ولا يمكن البت فيه حتى يكون هذه الكتب كلها بين أيدينا ، وهذا غير ممكن لكونها في عداد المفقود حتى الآن .

وكان رضا حسن الكاكوروي يكتب نثرًا مرسلاً فصيحًا في عصر قد غلب فيه أسلوب الحريري على كتابة النثر ، حتى في الرسائل الإخوانية وحتى في الوثائق والفتاوى ، وليس لدينا مؤلفاته حتى نعرض نماذج

كافية من نثر هذا العالم ، الأديب ، الشاعر ، الشاب ، وإنما نملك قطعة صغيرة من وصية كتبها لأخيه قبيل موته أوردها صاحب تذكرة مشاهير كاكوري فنكتفي بإيرادها هنا :

« أما بعد ! فإن الحياة والموت مستويان ، لا سيما عند العاقل الفطين الخبير الماهر ، ومن المشاهدات بالأمور الباطنية أن فناء البدن غير مستلزم لفناء الروح ، والأصل في وجود الإنسان هو الروح لا البدن ، فإني موجود مشمر إلى وجودي ، وما وجودي إلا الروح فقط ، وإنما البدن قفة خبيثة ، والروح دائمة ناضرة ، حاضرة شاهدة ، إذا ثبت هذا ، فاعلم أني لا أبالي بالموت بوجه من الوجوه » (١٦) .

وتوفي هذا الأديب ، الفيلسوف ، الشاعر ، الناقد ، والمؤلف البارع النشيط الموهوب شابًا في سن العشرين ، وقد ألف كل هذه المؤلفات ، في سنة ١٢٦٦هـ-١٨٥٠م (١٧) .

الهـــــــوامش :

(١) انظر ثبت مؤلفاته مفصلاً في كتاب « تذكره مشاهير كاكوري » (بالأردية) : ص/١٦٩ وعددها فيه ٢٠ كتابًا ، وعليها اعتماد صاحب حركة التأليف باللغة العربية .. في إعداد قائمة كتبه ، ص/٢٨٨-٢٨٩ وعددها فيه ١٧ كتابًا ، والكتاب تحت رقم [١٠] فيه مكرر ، فهي كلها ١٦ مؤلفًا عنده ، ولم يذكر صاحب نزهة الخواطر إلا ثلاثة كتب له .

(٢) الوكد : بمعنى القصد والإراده من وكد يكد وكدًا ، واسمه هكذا في مشاهير كاكوري ، وهو عند حميل أحمد «وكد القلم» ولم يذكره صاحب نزهة الخواطر.

(٣) تذكره علماء الهند : ص/١٩٢ ، وذكره زبيد أحمد [٤٧٧] بين كتبه المجهولة ولم يذكر حميل أحمد سنة طبعه . (٤) اعتمدنا في إحصائه على كتاب

تذكرة مشاهير كاكوري الموسوم بمرآة الأعلام لمآثر الكرام (بالأردية) ص/١٦٩ .

(٥) تذكرة علماء الهند : ص/١٩٢ ، وذكره زبيد أحمد بين كتبه المجهولة .

(٦) ذكره صاحب نزهة الخواطر : ٧/١٧٨ ، وصاحب تذكرة علماء الهند : ص/١٩٢ ، ولم يرد ذكره في مشاهير كاكوري .

(٧) تذكرة مشاهير كاكوري : ص/١٦٩ ، ولم يرد ذكره عند الدكتور جميل أحمد .

(٨) توفي الشيرواني عن ست وخمسين من عمره في سنة ١٢٥٦هـ ، عندما كان مؤلفنا في العاشرة من عمره .

(٩) هكذا ذكر سماحته الدكتور جميل أحمد ، وأشار إلى وجود نسخة مطبوعة منه في المتحف البريطاني وأخرى في مكتبة السيد علي البلكرامي برقم/٥٥ ، ص/٨٨ ولكن أنى لقصيده أن تمتد إلى ٥١٦ صفحة ، فلعلها مطبوعة مع شرحها بقلم المؤلف نفسه ، ونستأنس إلى هذا الاحتمال لقول صاحب تذكرة مشاهير كاكوري ، أنه كتاب مبسوط في الأدب مطبوع .

(١٠) تذكرة مشاهير كاكوري : ص/١٧٠ ، وحركة التأليف باللغة العربية .. : ص/٢٨٩

(١١) نزهة الخواطر : ٧/١٧٨ .

(١٢) حركة التأليف باللغة العربية .. : ص/٢٨٨ .

(١٣) تذكرة مشاهير كاكوري (بالأردية) ص/١٦٩ ، وفات ذكره الدكتور جميل أحمد ، سيما ذكر إعجاز القلم ...

(١٤) تذكرة مشاهير كاكوري : ص/١٦٩ ، وحركة التأليف باللغة العربية .. ص/٢٨٨ .

(١٥) راجع الصفحة السابعة من كتابنا هذا

(١٦) تذكرة مشاهير كاكوري لمحمد علي حيدر العلوي الكاكوروي (بالأردية) ص/١٧٠ .

(١٧) ترجمته في نزهة الخواطر ٧/١٧٨ ، وتذكرة علماء الهند : ص/١٩٢ ، ولم ترد فيهما سنة وفاته ، وإنما جاء فيها تاريخ ميلاده فقط ، مرآة الأعلام في مآثر الكرام المعروف بتذكرة مشاهير كاكوري لمحمد علي حيدر الكاكوروي بالأردية ، طبع سنة ١٩٢٧م بلكناؤ ، وفيه أوسع ترجمة له : ص/١٦٧-١٧٢ ، وحركة التأليف باللغة العربية .. للدكتور جميل أحمد : ص/٢٨٧-٢٨٩ ، وزبيد أحمد : ص/٤٧٧-٤٨٤ (ولا غناء فيه) وقد ذكر صاحب تذكرة مشاهير كاكوري أن المترجم له قد ذكر بعض نواحي حياته في آخر قصيدة لامية الهند ، وقد لخصها هذا المؤلف في « تذكرته » .

مركز البحوث والدراسات الإسلامية

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد ، وعلى آله وأصحابه أجمعين ، أما بعد ..

فانطلاقًا من السياسة الحكيمة التي تنتهجها حكومة خادم الحرمين الشريعس ، الملك فهد بن عبد العزبر آل سعود - حفظه الله - في الاهتمام بشئون الإسلام والمسلمين في كافة أنحاء العالم ، وبيان العقيدة الإسلامية الصحيحة والدفاع عنها ، وتعزيز الدعوة إلى الإسلام ، ومساندة الأقليات والجاليات الإسلامية .

وانطلاقًا من أهداف مجمَّع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف والجهود الحارة التي يبذلها في خدمة كتاب الله وسنة رسوله -ﷺ- ، أنشئ « مركز البحوث والدراسات الإسلامية » ليكون مركز بحث متخصص في الدراسات القرآنية والحديثية والدعوية ، ومجتمعات المسلمين ، وما تحتاجه في مسيرتها الإسلامية من دراسات وأبحاث .

والمركز وحدة من وحدات مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف في مجال البحث والدراسة ، وأهدافه كما يأتي :

أهداف المركز .

يسعى المركز إلى تحقيق العديد من الأهداف ، ومن أهمها :

١- إعداد بحوث ودراسات تتعلق بالقرآن الكريم والسنة النبوية وعلومهما ، والعلوم الإسلامية الأخرى .

٢- القيام ببحوث علمية ودراسات متخصصة في المجالات التالية :

(أ) الدعوة الإسلامية وأساليبها ومشكلاتها ومراكزها وهيئاتها في الداخل والخارج .

(ب) الفرق والطوائف والمذاهب الفكرية المعاصرة .

(ج) المجتمعات الإسلامية والأقليات والجاليات في مختلف شئونها .

٣- إيضاح موقف الإسلام من القضايا الفكرية المعاصرة .

٤- رصد ما ينشر عن الإسلام والمسلمين من كتب وبحوث ومقالات وبرامج إعلامية ، ودراستها ، وإعداد الرد عليها عند الاقتضاء .

٥- الاطلاع على أنشطة المؤسسات الإسلامية العلمية والثقافية والإعلامية وإعداد دراسات عنها عند الاقتضاء .

دعوة المركز

يسر مركز البحوث والدراسات الإسلامية أن يدعو الباحثين والباحثات إلى الإسهام بأبحاثهم ومؤلفاتهم ، والمشاركة في مطبوعاته التي يجري الإعداد لإصدارها قريبًا -بإذن الله- علمًا بأن الأبحاث تخضع للتحكيم العلمي ، وتمنح مكافآت مالية ملائمة .. ويحبذ المركز أن تركز الدراسات والبحوث على القضايا المعاصرة من منظور إسلامي ، وبخاصة في المجالات التالية :

= الدعوة الإسلامية ، واقعها ومشكلاتها وأساليب النهوض بها .

= المجتمعات والأقليات المسلمة وقضاياها السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية .

= التيارات الفكرية المعاصرة والموقف الشرعي منها .

= القضايا المعاصرة للمرأة المسلمة .

= التضامن الإسلامي وسبل تعزيزه على كافة المستويات .

= البديل الإسلامي لأساليب الحضارة المعاصرة .

=====================================

لمزيد من الاستفسار ولإرسال البحوث والدراسات والاقتراحات . يرجى الاتصال بـ . **مركز البحوث والدراسات الإسلامية**

ص. ب ٦١٨٤٣ ، الرياض ١١٥٧٥ ، المملكة العربية السعودية

هاتف : ٤٦٤٥٤٤٠ ، فاكس : ٤٦٤٩٩١٨

مراكز التعليم والتربية في الهند :

الجامعة الإسلامية العربية بأجراره في مديرية ميرت

ترحب بسعادة الشيخ سعيد الأعظمي الندوي - حفظه الله تعالى -

كتبه محمد شاهجهان الندوي

شرف الجامعة الإسلامية العربية بأجراره في مديرية ميرت ، الأديب البارع ، والأستاذ الجليل سعيد الأعظمي الندوي - حفظه الله تعالى - في صباح يوم السبت ٢٩/٧/١٤١٦هـ الموافق ٢٢/١٢/١٩٩٥م ، على دعوة وجيهة من صاحب السعادة ، العالم الجليل ، الداعي إلى الله ، فضيلة الشيخ عبد الله المغيثي -حفظه الله تعالى- مدير هذه الجامعة العزيزة المشرفة ، وقام بالتجوال على أقسام الجامعة المختلفة التعليمية والإدارية والثقافية بما فيها المراحل الدراسية والأقسام الداخلية ، وزار جميع الصفوف والمكاتب ، و وقف على المشاريع الإنشائية كلها ، واطلع على رسم بناية معهد التدريب المهني ، الذي لا يزال في دور البناء ، وشاهد مسجد رياض الجنة ، الذي لا يزال في دور البناء ، ودعا الله سبحانه وتعالى بتضرع وابتهال لتشييده ، وشاركه في هذا الدعاء فضيلة المفتي حبيب الرحمن الخيرآبادي - حفظه الله- نائب عميد دار العلوم ديوبند ، ثم توجه أخيرًا إلى حفلة المسابقة الخطابية بالعربية والأردية ، لطلاب الجامعة ، وبدأت الحفلة بآي من الذكر الحكيم ، والمدائح النبوية ، والأنشودة حول لغة القرآن ، ثم قدمت كلمة الجامعة الترحيبية بالضيف الكريم .

وبعد انتهاء المسابقة ، وتوزيع الجوائز على الطلاب الفائزين ، تحدث الضيف الجليل سعيد الأعظمي الندوي ، والحضور آذان صاغية وقلوب واعية ، وأذهان متفتحة ، فقال : « يسرني في هذه المناسبة الكريمة التي كانت في الحقيقة تحقيقًا لحلم كان يراودني من زمان ، وهو حلم زيارة هذه الجامعة الإسلامية التي كنت أسمع عنها كثيرًا ، وتحدث عنها سماحة

مربينا وشيخنا العلامة السيد أبي الحسن علي الحسني الندوي -حفظه الله ومد في عمره- » وأنشد ، تعبيرًا عما يخالجه من الفرح ، ويغمره من السرور ، ويملكه من البهجة والغبطة ، وعن الشعور الذي قد نشأ في نفسه من خلال هذه الزيارة الكريمة التي وفقه الله وأكرمه بها ، و هما البيتان اللذان قالهما الشاعر العربي حينما زار مكانًا جميلاً أنيقًا ، وأثارت زيارته لذلك المكان مني كثيرة، وأيامًا عزيزة في نفسه ، فأنشد:

و لما نزلنـــا منزلاً طله الندى   أنيقًا وبستانًا من النور حاليًا

أجد لنا طيب المكان و حسنــه   منىً ، فتمنينا ، فكنت الأمانيا

وقال : إنه لما زار الجامعة وجدها مطابقة لما سمع عنها كل المطابقة ، ورأى بالعيان ما كان تخيله عنها بالسماع ، بل وجدها فوق ما سمعه وتخيله :

كانت محادثة الركبان تخبرنـــا   عن جعفر بن فلاح أطيب الخبر

حتى التقينا، فلا والله ما سمعت   أذني بأحسن مما قد رأى بصري

وبعدها لفت أنظار العلماء والقائمين بأعمال المدارس والجامعات ، إلى الدسائس التي تحدق بالإسلام والأمة المسلمة ، والجهود التي تبذل لإثبات أن هذا الدين لم يعد صالحًا لقيادة البشرية في هذا العصر الراقي المتقدم ، ولزحزحة ثقة المسلم بخلود الإسلام ، وذكرهم بالمسئوليات الملقاة على كواهلهم نحو الدين وأبنائه وأشباله ، وخاصة نحو تلك الطبقة التي تضعضعت ثقتها بالإسلام وخلوده ، فيجب عليهم أن يجددوا ، بل يكوّنوا ثقة فيها بروح الإسلام ، ومسايرته مع ركب الحياة المتحضرة في كل عصر ومصر ، وانسجام النواميس الإلهية الرحيمة مع الفطرة البشرية ، حتى في هذا الزمن الذي يزخر بالاختراعات الحديثة .

وبعدها توجه إلى الطلاب بنصائح قيمة ، وأكد عليهم بالتمسك بآداب الشرع الإسلامي ، وتشرب الروح الدينية ، والتوجيهات الإسلامية ، والتعمق في دراسة السيرة النبوية ، والعلوم الربانية ، واحتضان العقيدة والمبدأ والرسالة ، والقيام بتبليغ هذه الأمانة إلى الأجيال القادمة بغاية

من الدقة والبراعة ، والحكمة والفراسة الإيمانية ، والرفق واللين .

وأن يكونوا صورة صادقة متحركة للإسلام والقرآن ، وأن يتمثل هذا الدين في كل عمل من أعمالهم ، حتى يستطيع أن يعتقد الناس أن هذا الدين هو الذي يستطيع أن يقود إلى مستقبل الأمن والهدوء والطمأنينة ، وهو سفينة نجاة في كل طوفان ، وحتى تتجدد ثقة المتنورين من أبناء الإسلام بأن هذا هو الدين القيم الصالح لقيادة كل عصر ومصر .

وانتهت الحفلة بكلمة الشكر من سعادة مدير الجامعة ، ودعائه ، وكان يومًا مشهودًا .

◆◆◆◆◆

إلى رحمة الله تعالى

السيدة الفاضلة أمة العزيز شقيقة سماحة العلامة الشيخ السيد أبي الحسن علي الحسني الندوي ، و والدة فضيلة الشيخ السيد محمد الرابع الحسني الندوي في ذمة الله تعالى

في ليلة الثالث والعشرين من شهر رمضان ١٤١٦هـ (الموافق ١٢/من شهر فبراير ١٩٩٦م استأثرت رحمة الله تعالى بشقيقة سماحة العلامة الشيخ الندوي ، الكبرى ، و والدة فضيلة الشيخ السيد محمد الرابع الحسني الندوي مدير دار العلوم لندوة العلماء ، وفضيلة الأستاذ السيد محمد واضح رشيد الحسني الندوي رئيس تحرير صحيفة « الرائد » ، وذلك في حالة عادية لم يسبقها نذير من الموت ، وفي جوّ تعبّدي روحاني عامر بالذكر والتسبيح لله -جل وعلا- ، فإنا لله وإنا إليه راجعون .

كانت الفقيدة من فضليات النساء وكبيرة الأسرة الحسنية وأثيرة لدى الجميع ، قد أكرمها الله تعالى بخلال من الورع والمودة والعلم والدين ، ورثتها من والدها المرحوم العلامة الشريف السيد عبد الحي الحسني مدير ندوة العلماء الأسبق ، وأمها المرحومة السيدة الفاضلة العالمة ، التقية الصالحة خير النساء (والدة سماحة العلامة الندوي) .

كانت تكبر من شقيقها سماحة العلامة الشيخ السيد أبي الحسن علي

الحسني الندوي نحو عشر سنوات فكانت له بمثابة الأم ، وكانت علاقة الحب الخالص والنصح والاخلاص بينهما وطيدة للغاية ، لقد أحدثت وفاتها فراغًا كبيرًا في هذه الأسرة الغالية ، فكان الحزن سائدًا على جميع أعضاء الأسرة صغارًا وكبارًا ، وذكورًا وإناثًا ، عظّم الله أجرهم ، وأحسن عزاءهم في الفقيدة الغالية ، ورحمها الله تعالى رحمة واسعة ، وأمطر عليها شآبيب الرحمة والمغفرة في هذا الشهر المبارك ، وأكرم مثواها في جنة الفردوس ، آمين .

﴿ يا أيتها النفس المطمئنة ارجعي إلى ربك راضيةً مرضية فادخلي في عبادي وادخلي جنتي ﴾ .

السيدة الفاضلة حرم فضيلة الشيخ محمد الرابع الحسني الندوي في ذمة الله تعالى

وسبق حادث وفاة والده فضيلة الشيخ السيد محمد الرابع الحسني الندوي ، بخمسة أيام ، حادث وفاة السيدة الفاضلة حرم فضيلة الشيخ محمد الرابع الحسني الندوي ، عقب علة ألمت بها مع بداية شهر رمضان الكريم ، وأدخلت من أجلها المستشفى في مدينة لكناؤ حيث فوجئ الناس بوفاتها ، ولحوقها بالرفيق الأعلى ، في صباح الثامن عشر من شهر رمضان ١٤١٦هـ الموافق ٨/من شهر فبراير ١٩٩٦م يوم الخميس ، فإنا لله وإنا إليه راجعون .

كانت الفقيدة الغالية بنت أخ سماحة العلامة الشيخ الندوي فضيلة العلامة المرحوم الدكتور السيد عبد العلي الحسني مدير ندوة العلماء سابقًا ، وشقيقة فضيلة الأستاذ المرحوم السيد محمد الحسني منشئ مجلة « البعث الإسلامي » وفقيد الدعوة الإسلامية في الهند ، وكان الله سبحانه قد أكرمها بالعلم والورع ، والذوق الأدبي ، فكانت خير معينة لزوجها الكريم - حفظه الله تعالى - ، في مسيرة الحياة العلمية والدينية والأدبية ، تساعده في كل شأن ، وتتمنى له القيام بشئون العلم والدعوة بأحسن ما يمكن القيام بها .

جزاها الله تعالى عن زوجها وأهل الدين وطلبة العلم أحسن ما يجزى به عباده المؤمنين المخلصين ، وتناولها بالرحمة والمغفرة وأحسن مثواها في الجنة ، وألهم أهلها وذويها الصبر والسلوان ، فإنه سميع مجيب قريب .

بسم الله الرحمن الرحيم

أنشأها :

فقيد الدعوة الإسلامية الأستاذ محمد الحسني - رحمه الله تعالى -
في عام ١٣٧٥هـ-١٩٥٥م

البعث الإسلامي

العدد الرابع - المجلد الحادي والأربعون
ذو الحجة ١٤١٦هـ أبريل - مايو ١٩٩٦م

المراسلات

بعنوان مكتب البعث الإسلامي
مؤسسة الصحافة والنشر
ص. ب ٩٣ - لكناؤ (الهند)

ALBAAS-EL-ISLAMI
C/o NADWATUL ULAMA
P.O.Box. 93, LUCKNOW
Pin : 226 007 (INDIA)

منهج ندوة العلماء

تقوم فكرة ندوة العلماء ودعوتها في الدين والعقيدة على الدين الخالص، النقي من الشوائب، البعيد عن تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين، وعلى العودة في فهمه وتفسيره، إلى منابعه الصافية الأولى، ومصادره الصحيحة الأصيلة، وفي العمل والسلوك، على التمسك بلباب الدين، والعمل بأحكامه والتحلي بحقيقته وروحه الربانية المشرقة الصافية، وفي التاريخ على أن خير العصور هو العصر الذي ظهر فيه الإسلام، والجيل المثالي هو الجيل الذي عاش في أحضان النبوة، وتخرج في مدرسة القرآن والإيمان الأولى.

أبو الحسن علي الحسني الندوي

بسم الله الرحمن الرحيم

الافتتاحية :

الإسلام والصراع الحضاري !

إذا كان الصراع الحضاري واقعًا ملموسًا تعيشه المجتمعات الإنسانية في معظم أجزاء العالم ، فإن له نتائج و ردود فعل تتجلى في العلاقات الاجتماعية والسلوكيات ، وهي تسبب الانهيار الخلقي والتوتر العصبي لدى الشباب بالأخص ، الذي يفرض وجوده على جميع المستويات ، ويمارس النشاط في جميع مجالات الحياة والمجتمع ، ويُعتبر الأمل الوحيد القوي لمستقبل الشعوب والأمم ، ولكن تأثر الشباب بهذه النتائج و ردود الفعل ينذر بخطر كبير وشر مستطير يعوق عمل النهوض بالأمة وسيرها على الدرب ، كما هو المشاهد اليوم في أغلب الأحوال .

إن الحضارة ليست عملاً صناعيًا فقط ، يتناوله كل من شاء بالتغيير واستبداله بعمل آخر صناعي ، ولكنها تقدير دقيق يتفق وطبيعة الكون والإنسان والحياة ، وتنسيق عملي مضبوط يعتمد على أساس الفطرة التي فطر عليها الإنسان ، فهي لا تعني تكييف المجتمع البشري بكيفيات من اللون والجنس والعرق والوطن ، ولا تعني توزيع البشر بين وضيع ورفيع ، وتقسيم العالم بين غني وفقير ومتحضر وبدوي ، ومتقدم ومتخلف ، أو تسمية جزء منه بالعالم الثالث ، ولذلك رفض الشاعر العربي هذه القسمة الضيزى وندد بها فقال :

فمن تكن الحضارة أعجبته   فأيّ رجال بادية ترانا
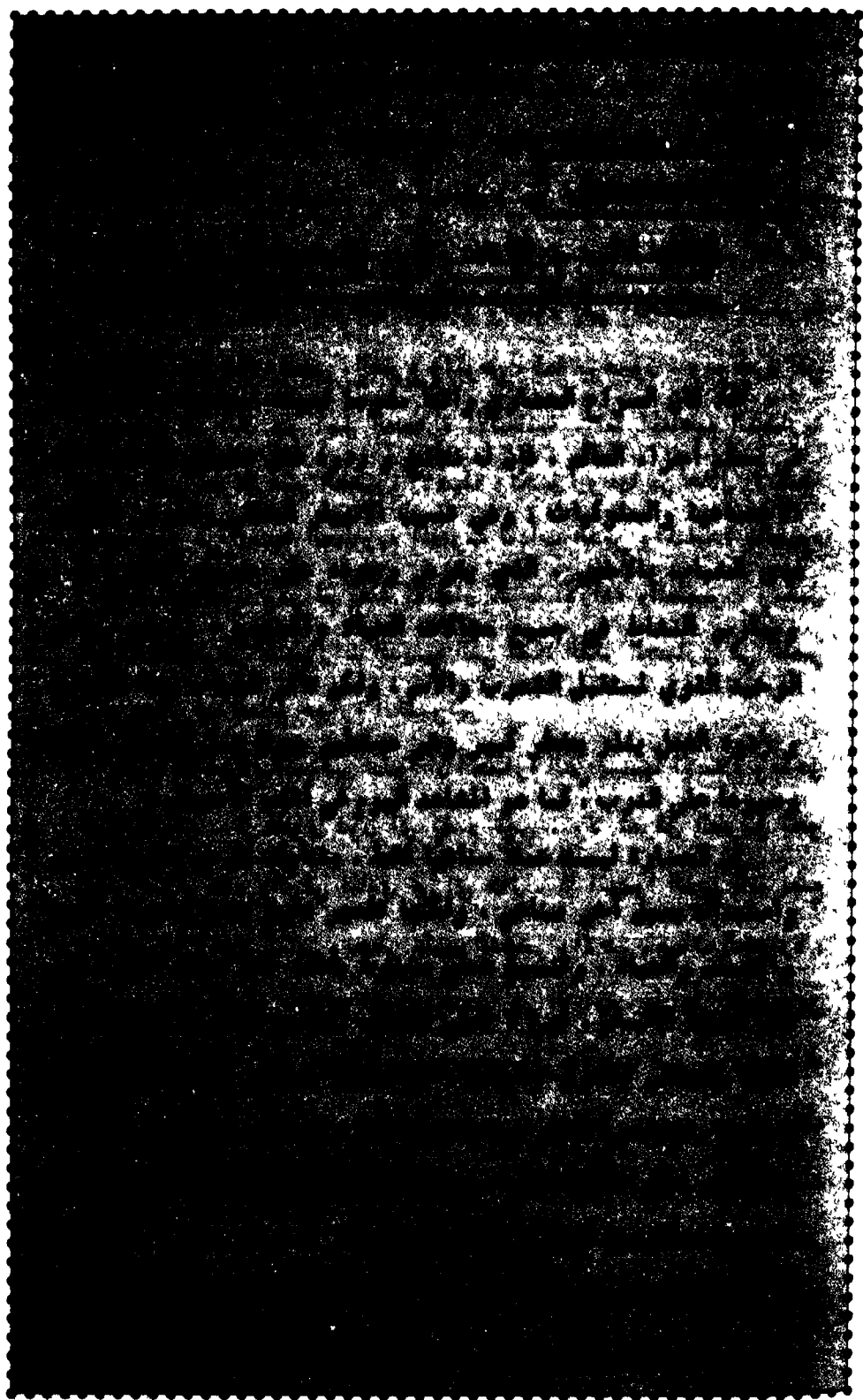
ولا غرو فإن واقع الصراع الحضاري اليوم ليس واقعًا ينبع من صميم الحياة الاجتماعية ولكنه فكرة متوهمة يخلع عليها لباس الواقع زعماء الحضارات المادية الحديثة ، و يغالطون بها طبقات الناس من العامة والخاصة ، وهم لا يتوخون من وراء ذلك إلا استرعاء اهتمامهم بفكرهم الحضاري الذي يتكفل بتوجيه السعادة والهناء إلى المجتمعات البشرية وإنقاذها من أخطار الفقر والجوع والمرض ، كما يزعمون ، ويوحون إلى أوليائهم أن ذلك هو أصل الحضارة الإنسانية ، أما المفاهيم الحضارية غيرها فهي تعرقل سير الحضارة الأصيلة وتخنق روحها من خلال الأنشطة التي تنبع من أسسها الحضارية الملتزمة بآداب الدين والمتقيدة بالقيود الخلقية الخاصة ، ومن ثم يفقد الإنسان حرية الإرادة والضمير ، ويكبّل حياته بأغلال من التصورات الدينية التي تضاد الفكر الحضاري في العصر الذي يعيش فيه العالم حضارة الكمبوتير .

ولو أن هؤلاء المساكين علموا أن الحضارة التي يبنيها الإسلام ويدعو إليها الناس ، لا تحول دون أي تقدم علمي ، ولا تعرقل الطريق نحو السعادة والرخاء والرقي المادي في أي حال ، لما اتهموا الدين بأنه يضع الأغلال في أعناق الناس ويحظر عليهم التحضر والأخذ بأسباب الحضارة ، والتقدم إلى تفجير طاقات الكون والتدبر في الآيات ، بل على العكس من ذلك إنه يشجع الفكر الحضاري ، ويوجه إلى الآيات التي أودعها الله تعالى في النفس والحياة والكون ، ويمهد بذلك الطريق نحو معرفة الإله وقدراته الخارقة ، وأداء الوظيفة التي يتحملها الإنسان ويزيد بها سعادة وهناءً وطمأنينة وأمنًا وسلامًا ، انظروا : كيف يعد الله سبحانه بعض آياته في النفس والكون والخلق والحياة ، كأنه يدعو إلى معرفة الأسس

الحضارية والآيات الكونية التي توفر البعد الكامل للحضارة الإلهية الذي يجب أن يتبنّاه المرء في التعايش مع الناس والتفاعل مع البيئة .

﴿ ومن آياته أن خلقكم من تراب • ثم إذا أنتم بشرٌ تنتشرون • و من آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجًا لتسكنوا إليها • وجعل بينكم مودة ورحمة • إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون • ومن آياته خلق السماوات واختلاف ألسنتكم وألوانكم • إن في ذلك لآيات للعالمين • ومن آياته منامكم بالليل والنهار وابتغاؤكم من فضله • إن في ذلك لآيات لقوم يسمعون • ومن آياته يريكم البرق خوفًا وطمعًا وينزل من السماء ماءً • فيحيي به الأرض بعد موتها • إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون • ومن آياته أن تقوم السماء والأرض بأمره • ثم إذا دعاكم دعوة من الأرض إذا أنتم تخرجون • وله من في السماوات والأرض • كل له قانتون ﴾ .

إنها الحضارة الإلهية التي يرتفع صرحها على أسس إنسانية طبيعية ترفع قيمة الإنسان إلى درجة أن تفضله على الملائكة وتربطه بالملكوت الأعلى والقوة الخارقة ، برباط وثيق متين من الإيمان والعبودية حيث يتنزه الإنسان من جميع الأفكار الهابطة والعقائد الفاسدة ويتحرر من عبودية غير الله ، مالاً كان أو منصبًا حاكمًا كان أو سلطانًا ، ويُطل من قمة التكريم الرباني إلى أسفل فإذا بالدنيا كلها تبدو حقيرة صغيرة بإزاء ذلك الشرف الذي خلعه الله عليه وأعلنه مدويًا في كتابه : ﴿ ولقد كرّمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلاً ﴾ .

فالعقائد الإيمانية كلها ذات تأثير فعال في بناء الحضارة الإسلامية

وإشباع نهمة الأخلاق والقيم والفضائل العالية التي تجعل [illegible]
مطمئنة يأتيها رزقها رغدًا من كل مكان ، هذا في الدنيا ، أما في الآخرة
فيحيى حياة أطيب وأسعد من حياته في الدنيا ، إنه يعيش حياة [illegible]
كلها أمن وسلام وحب و وئام وهدوء وطمأنينة وروح وريحان ، بالعكس
من الحياة التي يعيشها أولياء الحضارات المادية في قلق نفسي وتوتر
عصبي وهموم وأحزان تتجدد ، ومشكلات عويصة لا نهاية لها ، فلا
تفارقهم المحاذير من الأخطار والمتاعب والأحداث المفاجئة وما إلى ذلك .

إن المنهج الحضاري للإسلام له جذوره العميقة التي تمس أعماق الفطرة ،
فطرة الله التي فطر الناس عليها ، لذلك فإنه المنهج الدائم القائم الثابت
الباقي إلى يوم الدين لا تبديل له ولا تطوير ، يخلو من جميع عناصر
الصراع وأخطار الصدام ، وليس فيه ما يدعو إلى التفكك والانهيار ،
كشأن الحضارات المادية التي فشلت في تأليف قلوب الناس ، وتوحيد
صفوفهم ، وجمع الشمل ولمّ الشعث ، وأخفقت في توفير الأمن والسلام
على المستوى الاجتماعي والعالمي ، وفي تحبيب القيم الروحية الخلقية
والمثل العليا على الصعيدين الفردي والجماعي إلى النفوس ، وقد شهد
بذلك كثير من حملة لواء الحضارات المادية ممن عرفوها واكتووا
بنارها ، ثم تراجعوا عنها إلى حضارة الإسلام عندما [illegible] كانوا
كانوا يحملون به في حضارات مادية ، من العطاء الدائم الذي يشمل الروح
والمادة على السواء ، ويغذي الجانبين على [illegible]

فهذا « ارنلد توينبي » يقول : « إن أزمة المجتمع [illegible]
وليست مادية ؛ إذ رغم [illegible] المجتمع [illegible]

ما يربح بحشي بجوع روحي ، وإذا كانت النفوس الغربية قد استبد بها قلق الفراغ الروحي ، فإن ذلك يفتح الباب لشياطين مثل القومية والفاشستية والشيوعية ، فإلى متى تحتمل العيش بدون عقيدة دينية » .

ويشير إلى واقع الحضارات المادية « سوركن » ذلك أنها فارغة عن الروح والمشاعر الوجدانية والقيم الخلقية العليا ، يقول : « لما كانت الحياة الاجتماعية في الحضارة الحسية معقدة جدًا ، وكان النضال فيها من أجل السعادة عنيفًا ، فإن السعي وراء اللذة يحطم التوازن العقلي والأخلاقي لدرجة أن الجهاز العصبي لمعظم الناس لا يحتمل الضغط الرهيب الذي يتعرض له فيتفكك ، ولما لم يكن للإنسان من مثل هذه الحضارة مثل عليا وكانت حياته يكتنفها صراع مضطرب فإنه يقع فريسة للأوهام والدوافع ويكون كالريشة في مهب الريح فيفقد اتزانه ويزداد تفككه ، ويتعرض لرجّاتٍ عنيفة تحطم الحصانة » [الفكر الغربي للأستاذ أنور الجندي] .

ويأتي « جارودي » فوق اكتاف هؤلاء الأقطاب الغربيين (على حد تعبير أنور الجندي) وقد كان علامة الحضارة الغربية والفكر الماركسي ، ولقد الله تعالى إلى الاهتداء إلى دين الإسلام بعد ما درسه بتعمق وبصيرة واقتنع بأنّ الإسلام إنما هو المنقذ الوحيد للإنسان التائه من شقاء الحضارات المادية وعذابها النفسي ، إنه « شاهدُ سقوط الحضارة الغربية ودليل على مستقبل البشرية الوحيد ، في ظل الإسلام ، ومن خلال مفهوم رجل كان يرى أن الماركسية ربما تعطي العالم شيئًا ، وقد خاب ظنه فيها، فإذا به يجد في الإسلام ما يحتاج إليه المجتمع الغربي اليوم وما تحتاجه الإنسانية كلها ، ومن أبرز ما قرره في هذا بالنسبة للإسلام :

= قدرة الإسلام على الربط بين الوسائل والغايات ، وهي المهمة الخطيرة التي عجزت عنها الحضارة الغربية وكانت مصدرًا للشرخ الشديد الذي أصابها والذي هو موردها مورد الهلكة .

= الإصرار على البعد الإلهي للمجتمعات والحضارات ، والإقرار بالسلطة العلوية ، وهو البعد الذي تجاهلته تمامًا ، وكان من أسباب عجزها وتمزقها .

ويرى أن إنكار الألوهية أساسًا هو أكبر محاذير الفكر الغربي والحضارة الغربية ، وأنه هو الخطر الأكبر» . [أنور الجندي - الفكر الغربي]

إذن فأي صراع بين الحضارات المادية التي تجتمع على نقطة واحدة من إنكار الإله وتفسير وظيفة الإنسان بغير ما تفسره الحضارة الإسلامية التي توفر له الوسائل لأدائها في ظل من السعادة والعلاقة المخلصة بالله وبالعباد ، فهي رؤية حضارية ناقصة لا تكاد تعطي العائش في ظلها أي شئ مما يحتاج إليه من الهدوء النفسي والشعور بالكرامة والاتصال بمصدر العز والنصر والقوة ، وليس واقع الصراع الحضاري مما يمت بأي صلة إلى الحقائق الثابتة ، والذي يشهده العرب من صراع حضاري إن هو إلا ردود فعل لإجراءاته التعسفية وارتجالياته المشئومة مما يتجلى في سلوكيات العائشين تحت ظلها وخاصة الشباب الطائش الفج الذي لا يعرف للحياة معنى ولا يدري للمجتمع مفهومًا واضحًا ، إنما هو التيه والحيرة والتسكع ليس غير ، فمن له إلا الحضارة الإسلامية ذات الظلال الوارفة ، التي يلتجئ إليها من شمس الحضارات المادية و وهجها اللافح .

والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم ٧

سعيد الأعظمي

قيمة الأمة الإسلامية بين الأمم ، ودورها في العالم

[هذه محاضرة قيمة ألقاها سماحة العلامة الشيخ السيد أبي الحسن علي الحسني الندوي في الموسم الثقافي الذي نظمته وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية لدولة قطر ، في عام ١٩٩٥م-١٤١٥هـ]   [التحرير]

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيد المرسلين وخاتم النبيين ، محمد وآله وصحبه أجمعين ، ومن تبعهم بإحسان ودعا بدعوتهم إلى يوم الدين .

أما بعد ! فأعوذ بالله من الشيطان الرجيم :

﴿ ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة • فاتقوا الله لعلكم تشكرون ﴾ [سورة آل عمران ، الآية : ١٢٣] إن هذه الآية تختص بمعركة بدر ، وفيها عبرة كبيرة ، ودرس خالد لنا ومثير لهممنا وعزائمنا ، ومعين لموقفنا وهدفنا في كل عصر وبيئة .

تعلمون أن العالم الإسلامي كله - بما فيه من حكومات وإمارات ، ومظاهر رخاء وثراء ، وعلم وفن ، ومكتبات ومدارس وجامعات ، ومراكز للنشاط ، كل ذلك مدين لانتصار المسلمين في معركة بدر ، فلو أن المسلمين كانوا فريسة الأهداف الفاتكة المدمرة التي كان يحملها قريش ، وانهزم المسلمون - لا قدّر الله - في معركة بدر ، ما كان للعالم الإسلامي

وجود - بما فيه من مظاهر عظمة ، ومظاهر عزة ، ومظاهر قوة - هذا هو الواقع التاريخي لا ينكر .

اسمحوا لي أن أقول : إن كل مدينة إسلامية ورقعة في العالم الإسلامي الواسع المأهول ، بل العالم الإسلامي الواسع حتى شبه القارة الهندية ، و وجود الجالية الكبيرة الإسلامية في الهند ، والمسلمون في مصر ، والمسلمون في سوريا ، وفي العراق وتركيا ، والمغرب الأقصى ، والمسلمون في الشرق العربي الإسلامي ، وجنوب آسيا الشرقي ، كلهم - بما فيهم من اختلاف في العناصر ، والقوميات والجنسيات ، وفي الأنساب والثقافات ، واللغات - كل ذلك مدين لانتصار المسلمين في معركة بدر .

فلو انهزم المسلمون - لا قدر الله - في بدر ، لما كان للعالم الإسلامي وجود ، ولما كان للدعوة الإسلامية أن تشقّ طريقها إلى الأمام ، وأن تسخر القلوب ، وأن تفتح البلاد ، وأن تؤسس الحكومات ، وأن تنشئ المؤسسات العلمية والمكتبات الغنية ، وأن تنشئ النوابغ والعبقريين والأولياء الصالحين ، والدّعاة المصلحين .

ولكن الذين يكثرون القراءة ، ويطالعون كتب السيرة والتاريخ ، قد يمرون بقطعة تاريخية تسترعي انتباههم ، وتستوقفهم متأملين ، يمرون بها مرًّا سريعًا عابرًا ، حين كان من المعقول المتوقع أن يقف القارئ أمامها متأملاً حائرًا .

من ذلك أن رسول الله -ﷺ- لما استعرض الواقع في ساحة بدر - واستعراض الواقع لا ينافي مكانة النبوة - لما استعرض الرسول الأعظم -ﷺ- الواقع ، ورأى الفرق الشاسع البعيد بين عدد المسلمين وبين عدد الزاحفين المشركين ، الذين جاءوا من مكة ليستأصلوا شأفة الإسلام ،

وليقضوا عليه وعلى مستقبله نهائيًا ، وبين عدد المسلمين الذين جاءوا لتخييب هذه الأهداف المدمرة ، قد جاءوا للجهاد في سبيل الله - كان الفرق هائلاً ، وكانت الفجوة سحيقة بعيدة ، واسعة طويلة ، كانوا ألف رجل ، مسلحين بالسلاح التام من قريش ، وثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً (١) في الجيش الإسلامي ، والأنبياء - عليهم الصلاة والسلام - على ما خصهم الله تعالى به من الاعتماد على نصر الله ، وعلى قدرة الله تبارك وتعالى - لا يتغافلون عن الواقع .

فلما استعرض الرسول -ﷺ- هذا البون الشاسع البعيد ، وهذه الهوة الواسعة بين جيش الكفار الزاحفين ، وبين المسلمين المدافعين ، ورأى أنه لا يمكن أن يكون انتصار المسلمين بالقوة فقط ، والسلاح فقط ، لا بد من إغاثة الله تبارك وتعالى لهؤلآء المستضعفين ، ونصره المعجز الخارق للعادة ، المنافي للقياس ، فقام يصلي ويبتهل ، حتى رقّ قلب سيدنا أبي بكر الصديق - رضي الله عنه - ، وسلّى رسول الله -ﷺ- ، ولكن الرسول -ﷺ- قال كلمة خالدة ، تسترعي انتباه العقلاء وأولي الأفهام ، والدارسين للتاريخ والسيرة في كل زمان ، لما استعرض الواقع ، ورأى أن المعركة بين هؤلآء - ألف جندي مسلح ، وثلاثمائة وبضعة عشر رجلاً ، غير مسلحين بالسلاح التام ، منهم بعض الغلمان - ونظر إلى المحيط نظر المتبصر و نظر الواقعي ، قال : « اللهم إن تُهلك هذه العصابة

---

(١) رواه أحمد والبزّار والطبراني . وكذلك أخرجه ابن أبي شيبة والبيهقي ، و في فتح الباري أن هذا هو المشهور عند ابن إسحاق وجماعة من أهل المغازي : ج/٧، ص/ ٢٩١، وقد جاءت في روايات وكتب سيرة أعداد أخرى ، وهي أرقام متقاربة .

لا تعبد » (١) .

كلمة معجزة من معجزات رسول الله -ﷺ- ! من يستطيع أن يقول هذا لله سبحانه وتعالى ! إن فعلت هذا كان كذا ، وإن فعلت هذا كان كذا ! والرسول المجتبى ، والرسول المحبب ، والرسول المكرم ، والرسول الذي قضى الله تعالى بخلود رسالته ونصره ، قال : « اللهم إن تُهلك هذه العصابة لا تعبد » .

يا رب إن هرمت هذه العصابة لا يلحق بالدنيا ضرر كبير ، لا يصيب الإنسانية خطب كبير ، أو تطور عظيم ، لا تزال الدول كما كانت ولا تزال الثروات كما كانت ، ولا تزال المكاسب كما كانت ، ولا تزال العبقريات كما كانت ، لا ترال المدنية كما كانت - ولكن شيئًا واحدًا لا يكون ، وهو عبادتك وحدك ، ونفاذ شريعتك ، وبقاء دينك الحنيف ، لأن هذه العصابة - على قلتها وضآلتها وحرمانها من أسلحة الدفاع القوية الكثيرة - هي العصابة الوحيدة على وجه الأرض التي تدعو إلى التوحيد ، والتي تعبد الله وحده ، والتي تؤمن بأن الله هو المصرف للكائنات ، وهو القادر المقتدر ، وله الحق وحده في العبادة والطاعة ، ولشريعته وأحكامه الحق الوحيد في النفاذ والطاعة المطلقة .

كان من المتوقع أن يقف القارئ الواعي ، المؤمن بجلال الله وعظمته وغناه ، وبمقام الرسالة والنبوة ، وبما خصّ الله تعالى به نبيه -ﷺ-

---

(١) جاء في صحيح مسلم ، وسيرة ابن هشام ، وكنز العمال : « اللهم إن تُهلك هذه العصابة من أهل الإسلام لا تُعبد في الأرض » وجاء في بعض الروايات : « اللهم إن شئت لم تُعبد بعد اليوم أبدًا » دلائل النبوة للبيهقي : ج/٢ ، ص/٥٠ .

المجتبى من معرفة صفات الله الأحد الصمد ، القادر القاهر ، الغني القوي ، أن يقف برهة من الزمان حائرًا خاشعًا متأملاً أمام هذا الكلام الذي نُقل عن الرسول الأعظم -ﷺ- في هذا الموقف الرهيب الطالب للخشوع والرضا بالقضاء ما معناه : اللهم إن تُهلك هذه العصابة لا يكون الدين لك وحدك .

هنالك أجاب الله هذا الدعاء ، لأن هذه الكلمة ، كلمة موحاة ، كلمة ملهمة من الله تبارك وتعالى ، والله تبارك وتعالى هو عالم الغيب والشهادة ، فنصر الله المسلمين رغم قلة عددهم ، وضآلة أسلحتهم ، وكونهم حفنة (١) أمام هذه الكثرة الكاثرة ، وهذا الجيش العرمرم ، فنصر الله المسلمين .

فثبت من ذلك أن وجود المسلمين ، وأن بقاء المسلمين ، وأن شوكة المسلمين ، مدينة لقيامهم بالدعوة إلى الله تبارك وتعالى ، ولعبادة الله وحده ، وليكون الدين كله لله ، وشريعته نافذة .

ولو فقدوا هذه الميزة ، وأقول لكم بكل صراحة - وسامحوني - لو كان المسلمون كلهم أصحاب إمارات وحكومات ، وأنا أحمد الله تبارك وتعالى على وجودها وأدعو لها بالبقاء والاستمرار ، وأدعو لها بالرُقي والازدهار - لكني أقول : لو فقدت الأمة الإسلامية هذه الصفة الوحيدة وهي الدعوة إلى الله تبارك وتعالى وعبادته وحده ، والطاعة المطلقة له ، وتنفيذ شريعته وأحكامه على الفرد والمجتمع ، وصياغة الحياة والمدنية وفق تعاليمها وأحكامها ، وملكوا الدنيا كلها ، لما كان لبقاء المسلمين ضمان ، لأن رسول الله -ﷺ- قال :

---

(١) الحَفنة والحُفنة : ملء الكفين .

« اللهم إن تُهلك هذه العصابة لا تُعبد » .

هذا - بالتأكيد - لا يقوله إلا رسول موحى إليه ، وصاحب مقام عند الله تبارك وتعالى ، قال : « اللهم إن تُهلك هذه العصابة لا تُعبد » .

فأقول لكم بكل صراحة : إن المسلمين لو اعتزلوا عن حمل رسالة الإسلام ، وتناسَوا هذه المسئولية التي عُقدت بهم ، والتي عُلقت عليهم لما كان لبقائهم ضمان في العالم ، على رغم ما يملكون من طاقات عسكرية ، ومن طاقات عددية ، ومن ثروات اقتصادية ، ومن فرص متاحة ، فكل ما يملكونه من حول وطول لا ينفعهم ، لأن الله تبارك وتعالى إنما نصرهم لقول الرسول -ﷺ- : « اللهم إن تُهلك هذه العصابة لا تُعبد » .

يكون كل شئ : تقوم الحكومات ، وتزدهر المدنية ، ويتضخم الثراء ويتوسع العلم ، كل شئ يكون ، ولكن الشئ الوحيد الذي لا يكون هو عبادتك وحدك ، وحمل رسالتك ، ودعوتك ، وأن يكون الدين كله لله -عزوجل- ، تُسعد أوامره ، وتحرى أحكامه ، ويخضع نظام الحياة لأوامره وتعليمات دينه .

فالشئ الذي يجب أن يحتفظ به المسلمون أكثر من كل شئ ، ويغاروا عليه ، أكثر من صحتهم ، وأكثر من حكمتهم ، وأكثر من لباقتهم ، وأكثر من سياستهم ودعايتهم ، وأكثر من تملكهم للدول العظيمة :

هو أن يكونوا دائمًا دعاة إلى الله تبارك وتعالى ، حاملين لواء التوحيد ، مؤثرين للآخرة على الدنيا ، مؤثرين لرضاه ونفاذ أحكامه على كل وطر وهدف ، وتشريع وتقنين ، فهذه هي الضمانة ، وهذا هو التكفل لبقاء المسلمين .

أجاب الله تعالى دعاء الرسول -ﷺ- وقضى بانتصار المسلمين على

عدوهم وبقائهم ، فكأنما كان بقاء المسلمين مشروطًا بقيام حياة العبودية - بمعانيها الواسعة - بهم ، وقيامهم بها ، ودعوتهم إليها ، فلو انقطعت الصلة بينهم وبين عبادة الله تعالى - بمعانيها الواسعة - ورواجها وازدهارها في العالم ، ونهوضهم بالدعوة إليها على مستوىً عالمي ، وفي إطار آفاقي ، انقطعت الصلة بينهم وبين الحياة ، ولم يبق على الله لهم حق وذمة ، وأصبحوا -كسائر الأمم- خاضعين لنواميس الحياة وسنن الكون .

بل كانوا أخسّ مكانة ، وأقل قيمة من الأمم الأخرى ، إذ لم يشترط لبقائها وحياتها مثل ما اشترط لهم ، وكان ما أخبر الله تعالى : ﴿ قل ما يعبأ بكم ربي لو لا دعاؤكم ، فقد كذبتم فسوف يكون لزامًا ﴾ [سورة الفرقان ، الآية : ٧٧] .

وقد حافظ المسلمون على هذا الشرط ، وبروا بهذا العهد ، وتذكروا أنهم إنما نُصروا على عدوهم - وقد كاد يأتي عليهم ويستأصلهم في ساحة بدر-وتُركوا على ظهر الأرض ، لأن عبادة الله منوطة بهم على أرض الله .

بهذه الرسالة انبثّوا في العالم ، وحملوها إلى الملوك ، والسوقة والأمم ، وفي سبيل ذلك هاجروا وجاهدوا ، ولأجل ذلك حاربوا وعاهدوا ، ولم يزالوا يعتقدون أنهم مبعوثون من الله تعاى إلى الأمم ، وحاملون راية الإسلام في العالم ، وأنهم محسنون إلى الناس ، منقذوهم مما هم فيه من اتباع للهوى ، وعادات وتقاليد جاهلية ، وهوايات ومظاهر يرتبطون بها ارتباط الأسير بالسلاسل والأغلال ، عبودية يعتقدونها ملوكية ، ويعيشون عيش الطائر في القفص ، عيالاً على غيرهم ، حتى في مأكلهم ومشربهم ، ويحسبونه بلاطًا وقصرًا ، وخدمًا وحشمًا ، وهو في الحقيقة قفص ، والقفص قفص ، ولو كان من ذهب .   [يتبع]

وجهة نظر
لـــمـــو

النظام العالمي الجديد

« رؤية إسلامية »

بقلم . سعادة الدكتور محمد عمارة

إقامة العلاقات الدولية بين الأمم والشعوب والدول والحضارات على قاعدة من المساواة في الكرامة . والعدالة في تبادل المنافع وفق الرؤية الإسلامية هو امتثال لحكم الله . فالتكريم الإلهي هو لـبـنـي آدم و ليس لشعب أو جنس أو حـتـى لأبـنـاء دين معين .

ليست للإسلام وأمته وحضارته وعالمه مشكلة مع علاقات دولية عادلة ونظام عالمي رشيد .. بل إن مشاركة المسلمين في إقامة هذه العلاقات الدولية العادلة والنظام العالمي الرشيد هو تكليف إلهي فرضه الله ، سبحانه وتعالى ، على المسلمين ..

فالتعددية في الشرائع - ومن ثم في الحضارات .. وفي اللغات والألوان - أي القوميات والأجناس - .. وفي القبائل والأمم والشعوب .. هذه التعددية - بالنص القرآني .. وفي التصور الإسلامي - سنة إلهية وقضاء تكويني لا تبديل له ولا تحويل ..

وإقامة العلاقات بين فرقاء هذه التعددية « بالمعروف » ، و وفق « ما يتعارف عليه الناس » .. والتعارف ، أي « التفاعل في المعروف » ، هو التكليف الإلهي بإقامة العلاقات مع الآخرين ..

﴿ ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ولا يزالون مختلفين • إلا من رحم ربك ولذلك خلقهم ﴾ [سورة هود ، الآيتان : ١١٨-١١٩] ﴿ لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة ولكن ليبلوكم فيما آتاكم فاستبقوا الخيرات ، إلى الله مرجعكم جميعًا فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون ﴾ [سورة المائدة ، الآية : ٤٨] ﴿ يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبًا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير ﴾ [سورة الحجرات ، الآية : ١٣] .

والتفاعل بين الحضارة الإسلامية وسائر الحضارات الإنسانية ، البائدة منها والحية ، الماضية منها والمعاصرة ، تكليف إلهي أقامه المسلمون بانفتاحهم على مختلف الحضارات .. فشريعة من قبلنا شريعة لنا ، ما لم تكن هناك خصوصية لشريعتنا نسخت نظيرها في الشرائع الأخرى .. والسياسة الشرعية لا تقف عند البلاغ القرآني والبيان النبوي ، وإنما يدخل فيها كل ما يحقق الصلاح وينفي الفساد ، إذ هي - في تعريف السلف : « الأعمال والتدابير التي يكون الناس معها أقرب إلى الصلاح وأبعد عن الفساد ، وإن لم ينزل بها وحي أن ينطق بها رسول » .. ذلك أن « الحكمة » هي في التعريف النبوي : « الإصابة في غير النبوة » .. أي الصواب الذي يدركه البشر بالعقل والوجدان والحواس والتجريب .. والمسلمون مدعوون إلى طلب هذه الحكمة « الصواب » من أي مصدر ، وأية أمة ، وأية حضارة .. وكما يقول الرسول -ﷺ- : « الكلمة الحكمة ضالّة المؤمن » أنى وجدها فهو أحق الناس بها ..

ومنذ فجر الإسلام ، وضع المسلمون هذا المنهاج في التفاعل الحضاري موضع التطبيق ، فأخذوا من تجارب وقواعد وتراتيب الحضارات الأخرى « المشترك الإنساني العام » وأضافوه إلى « الخصوصيات الإسلامية » التي تميز بها منهاج الرسالة الإسلامية الخاتمة .. فاختاروا « التفاعل الحضاري »، من موقع « الراشد المستقل » ، رافضين « التبعية والتشبه والتقليد » ، وكذلك « العزلة والانغلاق » .. صنعوا ذلك عند ما أخذوا عن الرومان «تدوين الدواوين » ولم يأخذوا «القانون الروماني» استغناء بالشريعة الإسلامية المتميزة .. وعندما أخذوا عن الهند « الفلك والحساب » ولم يأخذوا فلسفة الهند ، استغناء « بالتوحيد » فلسفة الإسلام .. وعندما أخذوا من الإغريق « العلوم التجريبية » ، ولم يأخذوا أساطيرهم الوثنية ، المنافية للتوحيد الإسلامي ..

بل صنعت ذلك الحضارة الغربية ، إبان نهضتها الحديثة ، عند ما أخذت عن الحضارة الإسلامية العلوم التجريبية والمنهج التجريبي ، ولم تأخذ عنا التوحيد ، ولا الوسطية ، ولا القيم .. وأحيت خصوصياتها الإغريقية والرومانية .. فكان هذا الصنيع دليلاً على أن التفاعل الصحي بين الحضارات ، والعلاقات العادلة والحرة بين الأمم والدول ، لابد أن تتأسس على حرية اختيار الأمم والحضارات لما يناسب هويتها الحضارية المتميزة ، فيدعم الاستقلال والتميز لهذه الهوية .. وحرية الرفض لما يمسخ ويشوه هذه الخصوصيات ..

وهذا هو « القانون » المعيار الذي نريده حاكما للعلاقات بين أمتنا

وحضارتنا والأمم والحضارات الأخرى ..

وإذا كانت أمتنا تشكو من التخلف الحضاري ، فإن طوق نجاتها من هذا التخلف هو « التجديد والإحياء الحضاري » .. وأعدى أعداء هذا «التجديد» هو « التقليد » فالتقليد للنماذج الحضارية الغربية والوافدة يعطل ملكة الإبداع والابتكار .. ولن تنهض الأمة إلا بالتجديد .. ولن يكون هناك تجديد إلا إذا شعرت الأمة بالحاجة إليه ، وبأنه ضروري .. ولن يتأتي ذلك إلا إذا آمنت بأن لها في النهضة مشروعًا متميزًا عن المشاريع الأخرى للحضارات الأخرى .. عند ذلك تدفعها الحاجة إلى التجديد والإحياء ، وتنمو لديها ملكات الابتكار والإبداع ، تلك التي تذبل وتموت في ظل « التشبه والمحاكاة والتقليد » للآخرين ..

ولقد كانت اليقظة الإسلامية ، الحديثة والمعاصرة على وعي بهذه الحقيقة منذ بداياتها ، فدعا أعلامها إلى التمييز في التفاعل الحضاري ، والعلاقات مع أمم الحضارات الأخرى بين النافع والضار.. بين الملائم وغير الملائم .. بين المشترك الإنساني العام والخصوصيات الثقافية والعقدية والحضارية .. بين العلم التجريبي ذي القوانين والحقائق العامة والمحايدة وبين الفلسفات والثقافات والعلوم الإنسانية والآداب والفنون التي موضوعها النفس الإنسانية المتميزة بتميز الحضارات ، فقال جمال الدين الأفغاني : « إن أبا العلم وأمه هو : الدليل ، والدليل ليس أرسطو بالذات ولا جاليليو بالذات .. والحقيقة تلتمس حيث يوجد الدليل .. والتمدن الأوربي هو في الحقيقة تمدن للبلاد التي نشأ فيها على نظام الطبيعة وسير الاجتماع الإنساني .. والمسلمون الذين يقلدونه إنما

يشوهون وجه الأمة ، ويضيعون ثروتها ، ويحطون من شأنها .. إنهم المنافذ لجيوش الغزاة يمهدون لهم السبيل ويفتحون لهم الأبواب ؟! »

والإمام حسن البنا هو القائل : « إن الإسلام لا يأبى أن نقتبس النافع وأن نأخذ الحكمة أنى وجدناها ، ولكنه يأبى كل الإباء أن نتشبه في كل شئ بمن لبسوا من دين الله على شئ .. إن الأمة إذا أسلمت في عبادتها ، وقلدت غير المسلمين في بقية شئونها ، فهي أمة ناقصة الإسلام ، تضاهي الذين قال الله تعالى فيهم : ﴿ أ فتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض فما جزاء من يفعل ذلك منكم إلا خزي في الحياة الدنيا ويوم القيامة يردون إلى أشد العذاب وما الله بغافل عما تعملون ﴾ [سورة البقرة ، الآية : ٨٥] ... إننا نريد أن نفكر تفكيرًا استقلاليًا يعتمد على أساس الإسلام الحنيف ، لا على أساس الفكرة التقليدية التي جعلتنا نتقيد بنظريات الغرب واتجاهاته في كل شئ ، نريد أن نتميز بمقوماتنا ومشخصات حياتنا كأمة عظيمة مجيدة ، تجر وراءها أقدم وأفضل ما عرف التاريخ من دلائل ومظاهر الفخار والمجد ..» .

تلك هي صورة العلاقات الدولية العادلة التي نريد .. أن يكون عالمنا « منتدى حضارات مستقلة » تتفاعل فيما هو « مشترك إنساني عام » وتتمايز فيما هو « خصوصيات حضارية » ، وتتبادل المنافع وفق معايير عادلة ، ليتحقق الأمن والتقدم والسلام للإنسانية ، التي شملها الله سبحانه وتعالى بالتكريم وحملها أمانة الاستخلاف في إقامة العمران .

ونحن نؤمن بأننا المالكون للنبأ العظيم ، والكتاب المبين ، والوحي الوحيد الذي لم يصبه التحريف .. وإننا حملة الشريعة الإلهية الخاتمة

والخالدة ، المصححة لانحرافات وتحريفات الشرائع السابقة ، والمصدقة بأنبياء ورسل كل الرسالات الإلهية ، والمهيمنة على التراث الديني للإنسانية جمعاء ..

وفي ذات الوقت نؤمن بمبدأ وقيمة حرية الاعتقاد .. فالإيمان الديني في الرؤية الإسلامية هو تصديق قلبي يبلغ مرتبة اليقين .. ومحال أن يكون هذا الإيمان ثمرة للإكراه والترهيب ﴿ لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغيّ .. ﴾ [سورة البقرة ، الآية : ٢٥٦] ﴿ وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر .. ﴾ [سورة الكهف ، الآية : ٢٩] ﴿ قل يا أيها الكافرون • لا أعبد ما تعبدون • ولا أنتم عابدون ما أعبد • ولا أنا عابد ما عبدتم • ولا أنتم عابدون ما أعبد • لكم دينكم ولي دين ﴾ [سورة الكافرون] ﴿ قال يا قوم أ رأيتم إن كنت على بينة من ربي وآتاني رحمة من عنده فعميت عليكم أ نُلزمكموها وأنتم لها كارهون ﴾ [سورة هود ، الآية : ٢٨] ﴿ ولو شاء ربك لآمن من في الأرض كلهم جميعًا أ فأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين ﴾ [سورة يونس ، الآية : ٩٩] .

ولقد أنفق المسلمون الأوائل القرن الأول من عمر الإسلام في فتوحات أزالت سلطان البغي - البيزنطي - الذي استعمر الشرق وفتن أهله عن دينهم ، حتى عند ما كان دينهم هذا مذهبا مخالفًا لمذهبه داخل النصرانية التي ينتسب إليها الجميع ! فأنجز المسلمون - ومعهم شعوب الشرق ، وهي على دياناتها القديمة - « تحرير الأرض » و « تحرير الضمير والاعتقاد » .. وبنوا « الدولة » وتركوا الناس أحرارًا في اختيار

« الدين » الذي به يؤمنون .. فكانت سابقة لا نظير لها في التاريخ ! ..

فعالمية الإسلام ، التي لا تجعله دين العرب خاصة ولا دين جنس من الأجناس دون سواه .. هذه العالمية تتوجه به إلى كل البشر ، وتراهم بازاء دعوته : إحدى أمتين :

أ - أمة الاستجابة التي اختارته اختيارًا حرًا ، فالتزمت بأمانة إقامته إلى يوم الدين ..

ب - وأمة الدعوة التي على المسلمين أن يعرضوا عليها الوجه الحق للإسلام ، لعل الله أن يهديها إلى هذا الدين ..

ذلك هو التقسيم الإسلامي للعالم ، منذ أن ظهر الإسلام .. فالناس ، إزاءه : أمة دانت به وله .. وأمة هي مدعوة - بالحكمة والموعظة الحسنة - لتدخل فيه ..

أما ذلك التقسيم القديم الذي تحدث عنه مصادر الفقه الإسلامي ، والذي قسم العالم إلى دار إسلام وسلام ، و دار كفر وحرب .. أو إلى دار إسلام و دار عهد ، ودار حرب .. فإن الذي اقتضاه وفرضه هم الذين أعلنوا الحرب المستمرة على الإسلام وأمته وداره منذ فجر ظهور الإسلام .. وإلا ، فبماذا كان مطلوبًا من فقهائنا أن يسموا « ديار » الذين عاشوا يجيشون الجيوش ويشنون الغارات على ديار الإسلام ؟!..

لقد ظلت « القسطنطينية » على امتداد تاريخها النصراني منذ عهد هرقل (٦١٠-٦٤١م) وحتى الفتح الإسلامي لها (٨٥٧هـ-١٤٥٢م) في حرب دائمة ضد الدولة الإسلامية .. والحملات الصليبية التي قادتها البابوية

الكاثوليكية .. وقادها أمراء الاقطاع الأوربيون .. وموّلتها المدن التجارية الأوربية .. وشاركت فيها شعوب أوربا ، هذه الحملات ظلت حربًا قائمة ومستمرة على الإسلام وأمته وعالمه قرنين من الزمان (٤٨٩-٦٩٠هـ-١٠٩٦-١٢٩١م) .. وفي أثنائها أقامت الصليبية مع الوثنية التترية حلفا ضد دار الإسلام !؟.. ولما افتتح المسلمون قاعدة تجييش الجيوش ضد عالمهم -القسطنطينية (٨٥٧هـ-١٤٥٢م)- صعد الجناح الغربي للنصرانية الغربية الضغط على الإسلام ، فاقتلعوه من الأندلس (٨٩٧هـ-١٤٩٢م) وبدأوا حرب القرون الخمسة ، تلك التي بدأت بالالتفاف حول العالم الإسلامي ، ثم الغزوة الاستعمارية الحديثة لقلبه ، قبل قرنين من الزمان .. وهي الغزوة التي التهمت أقطار الإسلام ، وأسقطت خلافته ، وما زالت تمارس الهيمنة والاستغلال لكل عالم الإسلام ..

فهو تاريخ من الحرب الدائمة القائمة والمعلنة على عالم الإسلام ، ذلك الذي جعل فقهاءنا يقسمون العالم إلى « دار إسلام » و « دار حرب » .. أما الإسلام فإنه يريد لهذا العالم أن يكون : « دار إسلام » و « دار دعوة » إلى الإسلام .. وفي ظل نظام دولي عادل يصبح العالم بأسره في الرؤية الإسلامية « دار عهد » تحكم علاقات دوله وشعوبه وحضاراته « عهود ومواثيق » هذا النظام العالمي وآليات مؤسساته العالمية والدولية .. وتصبح الشعوب غير المسلمة « أهل عهد .. وأمة دعوة » .. فيسقط تعبير دار الحرب ، من رؤية الفقه الإسلامي للعلاقات الدولية ، إذا طوى الآخرون صفحة الحرب التي أعلنوها على الإسلام .

تلك هي رؤيتنا للعالم المعاصر الذي نريده .. ولقد سبق للإمام البنا أن عبر عن هذه الرؤية عند ما كتب يقول : « إن الإخوان المسلمين يرون الناس بالنسبة إليهم قسمين : قسم اعتقد ما اعتقدوه من دين الله وكتابه ، وآمن ببعثة رسوله وما جاء به ، وهؤلآء تربطنا بهم أقدس الروابط ، رابطة العقيدة ، وهي عندنا أقدس من رابطة الدم ورابطة الأرض ، فهؤلآء هم قومنا الأقربون الذين نحن إليهم ونعمل في سبيلهم ونذود عن حماهم ونفتديهم بالنفس والمال في أي أرض كانوا ومن أي سلالة انحدروا : ﴿ إنما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم ﴾ [سورة الحجرات ، الآية : ١٠] .. وقوم ليسوا كذلك ولم نرتبط معهم بهذا الرباط ، فهؤلآء نسالمهم ما سالمونا ، ونحب لهم الخير ما كفوا عدوانهم عنا ، ونعتقد أن بيننا وبينهم رابطة الدعوة ، علينا أن ندعوهم إلى ما نحن عليه لأنه خير الإنسانية كلها ، وأن نسلك إلى نجاح هذه الدعوة ما حدد لها الدين نفسه من سبل و وسائل ، فمن اعتدى علينا منهم رددنا عدوانه بأفضل ما يرد به عدوان المعتدين : ﴿ لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين • إنما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين وأخرجوكم من دياركم وظاهروا على إخراجكم أن تولوهم ..﴾ [سورة الممتحنة ، الآيتان : ٨-٩] .

أما النظام العالمي المعاصر ، كما تجسده موازين القوى في « المؤسسات الدولية » و « الممارسات الواقعية » فإنه في الحقيقة : « نظام غربي » يمثل « الطور المعاصر » للنظام الاستعماري الغربي الحديث ، ويمارس الهيمنة والاستغلال ضد أمم وحضارات الجنوب ، وفي مقدمتها الأمة

الإسلامية ..

إن عالمية أي نظام لا يمكن أن تتحقق إلا إذا راعت مواثيقه ومؤسساته الخصوصيات الحضارية والعقدية والثقافية للأمم والحضارات المتميزة في هذا العالم .

والمؤسسات الدولية لا يمكن أن تكون دولية حقًا إلا إذا راعت المصالح العادلة لمختلف الدول التي تتمتع بعضوية هذه المؤسسات ..

تراعي ذلك في التمثيل بالمؤسسات - العامة والفرعية - .. وفي اتخاذ القرارات .. و في حق الاعتراض على القرارات - النقض .. الفيتو .. - وفي معايير تطبيق القرارات .. وفي توزيع العوائد المادية والثقافية والعلمية والفنية للمؤسسات والمنظمات الدولية المتخصصة ..

وبذلك وحده يكتسب النظام صفة العالمية حقًا .. وتكون مؤسسات هذا النظام بحق مؤسسات دولية ..

ونحن نريد لعالمنا نظامًا عالميًا عادلاً ، يسعى لتحقيق التوازن - أي العدل - بين شعوب العالم وأممه وحضاراته .. ونعلم أن ذلك لن يتحقق بمجرد التمني : ﴿ ليس بأمانيكم ولا أماني أهل الكتاب من يعمل سوءًا يجز به ولا يجد له من دون الله وليًا ولا نصيرًا ﴾ [سورة النساء ، الآية : ١٢٣] وإنما طريقنا إليه إقامة النظام العربي والنظام الإسلامي الذي يجعل من أمتنا وإمكاناتها كتلة ذات وزن في مكونات هذا النظام .

[مع الشكر لمجلة « العربي » الكويتية]

++ ++

الغزو الفكري في حياة المسلمين

منافذ دخوله . و وسائل مقاومته

[الحلقة الثالثة]

بقلم : سعادة الدكتور عمر يوسف حمزة
كلية الشريعة والدراسات الإسلامية قسم التفسير والحديث - جامعة قطر

آثار الغزو الفكري في الصحة :

حينما أيقن أعداء الله ، أنه لا سبيل إلى الإسلام ، وعقيدته الحية في قلوب المسلمين ، فكانت بداية التبشير مع نهاية الحروب الصليبية فشلاً في مهمتها ، وهو ما يصرح به « ملخص تاريخ التبشير» (٢٣) .

ويقول القسيس المبشر زويمر : إن جزيرة العرب التي هي مهد الإسلام لم تزل نذير خطر للمسيحية (٢٤) ويكمل وليم جيفور بالكراف المعنى فيقول : متى توارى القرآن ومدينة مكة عن بلاد العرب ، يمكننا حينئذ أن نرى العربي يتدرج في سبيل الحضارة التي لم يبعده عنها إلا محمد وكتابه (٢٥) .

واتخذ التبشير لدعوة المسلمين أساليب عديدة من أوضحها ما يأتي :

أ - المدارس المختلفة التي فتحت في أرحاب العالم الإسلامي ، وتحدثت عنهـا بشئ من التفصيل فيما تقدم « راجع آثار الغزو الفكري فـي التعليم » .

ب - ومن أخطر هذه الوسائل البعثات المسيحية الغربية ، وأول مثل لأثر البعثات ، ما حدث لرفاعة الطهطاوي الذي أقام في باريس من سنة

١٢٤٢هـ-١٨٢٦م إلى سنة ١٢٤٧هـ-١٨٢١م فقد عاد ذلك الشيخ ، بغير العقل الذي ذهب به (٢٦) وقس على الشيخ رفاعة .. من ذهبوا بعده (٢٧).

ج - ثم تأتي سائر وسائل التبشير ، فتح المستشفيات وبعث الإرساليات الطبية التي يقرر كثير من المبشرين في مؤتمراتهم وكتاباتهم .. أنها أدت إلى نتائج أسرع وأفضل من عمل القسس التبشيرية ، يقول الطبيب بول هاريسون في كتابه : « الطبيب في بلاد العرب » لقد وجدنا في بلاد العرب لنجعل رجالها ونساءها نصارى (٢٨) .

ويذكر الأستاذ السيد أبو الحسن الحسني الندوي في كتابه : « الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية » أن الأفغانيين الذين خلعوا ملكهم أمان الله خان لأنه سمح لزوجته أن تخرج سافرة قبلوا بعد ذلك أن يلغوا الحجاب ، وتم ذلك عن طريق القابلات ودور الولادة الطبية التي أنشأها المبشرون ، وقد صنف القسيس زويمر كتابًا جمع فيه بعض تقارير عن التبشير وسماه : « العالم الإسلامي اليوم » .

جمع هذا الكتاب ونشره القسيس « فلمينغ » الأمريكي وكتب عليه هذه الكلمة « نشرة خاصة » بمعنى أنه طبع ليتنقل في أيدي فئة خاصة من رجال التبشير لا ليطلع عليه كل الناس وقد ضمنه المباحث التي دارت في مؤتمر القاهرة واختتمه بنداءين استنهض بأحدهما همم رجال النصرانية ليجمعوا قواهم ويتضافروا بأعمال مشتركة وعمومية فيستولوا على أهم الأماكن الإسلامية ، والنداء الثاني خاص بأعمال نسائية .

أما الفصل الأول من الكتاب فيبحث في الطريقة التي ينبغي إنتاجها

في التبشير ، وعما إذا كان مفيدًا ضم إرساليات تبشير المسلمين إلى إرساليات تبشير الوثنيين وفضل بقاءهما منفصلين .

وفيه البحث أيضًا عما إذا كان الإله الذي يعبده المسلمون هو إله النصارى واليهود أم لا ؟ وقد صرح الدكتور لبسيوس في مؤتمر القاهرة بأن إله الجميع واحد إلا أن القسيس زويمر خالفه في هذا الرأي ، فقال : إن المسلمين مهما يكونوا موحدين فإن تعريفهم لإلههم يختلف عن تعريف المسيحيين ، لأن إله المسلمين ليس إله قداسة ومحبة .

وفي الفصل الثاني والثالث بحث في الصعوبات التي تحول دون تبشير المسلمين العوام ، وذكر الوسائل التي يمكن استجلابهم بها وتحبيب المبشرين إليهم ، وأهم هذه الوسائل العرف بالموسيقي الذي يميل إليه الشرقيون كثيرًا ، وعرض مناظر الفانوس السحري عليهم ، وتأسيس الإرساليات الطبية بينهم .. إلخ ، وقد بحث مؤتمر القاهرة التبشيري الذي عقد سنة ١٩٠٦م مسألة إرساليات التبشير الطبية ، فقام المستر هاربر وأبان وجوب الاكثار من الإرساليات الطبية ، لأن رجالها يحتكون دائمًا بالجمهور ويكون لهم تأثير على المسلمين أكثر مما للمبشرين الآخرين ، وهنا ذكر المستر ربر حكاية طفلة مسلمة عني المبشرون بتمريضها في مستشفى مصر القديمة ثم ألحقت بمدرسة البنات البروتستانية في باب اللوق ، وكانت نهاية أمرها أن عرفت كيف تعتقد بالمسيح بالمعنى المعروف عند النصارى ، إلى غير ذلك من الأمثلة .

ثم قام الدكتور أراهاس طبيب إرسالية التبشير في طرابلس الشام ، فقال : إنه قد مر عليه اثنان وثلاثون عامًا وهو في عمله لم يفشل إلا

مرتين فقط وذلك عقب منع الحكومة العثمانية أو أحد الشيوخ لاثنين من زبائنه من الحضور إليه .

وأورد إحصاء لزبائنه فقال : إن ٦٨٪ منهم مسلمون ونصف هؤلآء من النساء .. وختم كلامه قائلاً : يجب على طبيب إرساليات التبشير أن لا ينس و لا في لحظة واحدة ، أنه مبشر قبل كل شئ ، ثم هو طبيب بعد ذلك (٣٩) .

وقام بعده الدكتور تماسي ودكر الصعوبات التي يلقاها الطبيب في التوفيق ببن مهنتي التبشسر والطب كما حدث معه هو ، إلا أن ما بذله من المحهودات قد أعانه على النحاح حتى تمكن من تأسيس مستشفى التبشير من طريق الاكتتابات ، وكان أول مكتتب لهذا المستشفى التبشيري رجلاً مسلماً (٤٠) .

وما نزال الإرساليات الطبية التي تعتبر من أحطر أدوات الغزو الفكري منتشره في كثير من بلاد المسلمين ، وتدحل إلى هذه البلاد الإسلامية تحت أسماء وشعارات متعددة .

٤- آثار الغزو الفكري في السياسة :

أما في عالم السياسة فلم يكن الأمر أقل سوءًا ، بل ربما كان أشد خطوره .. لقد حاول نابليون من قبل تنحية الشريعة الإسلامية ، و وضع « قانون نابليون » بدلاً منها ، ومنذ أن تسلط الغرب الصليبي على الشرق الإسلامي .. أخذ يحدث التغيير السياسي اللازم .. لبقاء سيطرته أولاً ثم لتحقيق الهدف من هذه السيطرة ثانيًا فكان :

احتلال فرنسا للجزائر سنة ١٨٢٠م ، ولتونس سنة ١٨٨١م ، ومراكش

سنة ١٩١٢م ، وللشام سنة ١٩٢٠م ، وكان احتلال بريطانيا سنة ١٨٥٧م للهند إيذانًا بزوال إحدى الدول الإسلامية الكبرى التي قامت في مستهل القرن التاسع عشر ، واحتلالها لمصر سنة ١٨٨٢م ، وللعراق سنة ١٩١٤م ، ولفلسطين سنة ١٩٢٠م .

وقد كان هذا التوزيع نتيجة للاتفاق المبرم بين بريطانيا وفرنسا سنة ١٣٢٢هـ-١٩٠٤م عن جانب من سياسة تقطيع أوصال العالم الإسلامي (٤١).

وصحب ذلك التقسيم إثارة القوميات المختلفة كالقومية الطورانية في تركيا ، والقومية العربية في البلاد العربية ، حتى اقتتل المسلمون تحت قيادة النصارى باسم القومية والتحرير .

وقد صحب ذلك دعوة خبيثة إلى العلمانية .. بمعنى فصل الدين عن الدولة تبنتها جماعات كثيرة مشبوهة الصلات والأهداف ..

القومية العلمانية كبديل عن الإسلام :

وكان الشيء الخطر في هذه الدعوة إلى « القومية العربية » أنهم جعلوها بدلاً عن الإسلام ورسالة محمد -ﷺ- (٤٢) من أن العروبة بغير الإسلام ، تصبح لفظًا بلا معنى ، وجثة بلا روح .

وماذا يبقى في تاريخ العرب ، لو أننا فرغناه من تاريخ الإسلام ، وأمجاد المسلمين ، وما خلفه أعلامهم وعلماؤهم وأبطالهم من روائع ؟ هل يبقى فيه إلا حرب البسوس وداحس والغبراء وغيرها من أيام العرب ، وغارات بعضهم على بعض ؟ مضافًا إليها بعض قصص الكرم والشجاعة والنجدة التي لا تكون تاريخًا له اعتبار (٤٣) .

ولقد خطط أعداء الإسلام لوقف الزحف الإسلامي الذي كانت تقوده

تركيا على أوربا ، ثم لما توقف المد الإسلامي ، انتقل البحث إلى كيفية تقطيع أوصال الخلافة .. ثم القضاء على الخلافة بعد ذلك .

ومهما بكن من أخطاء وقع فيها سلاطبن تركيا ، وفي مقدمتها التفرقة الظالمة بين بني الدبن الواحد ، وتميز الأتراك على غيرهم من بني الأوطان الأخرى ، فبالرغم مما أخذ علي هؤلآء السلاطين ، فلقد كانت الخلافة تظل المسلمين وتجمع شملهم ، وترهب عدو الله وعدوهم .

ولم بكتف أعداء الإسلام بتقطيع أوصال دولة الخلافة ، بل جاوزوا ذلك إلى القضاء على الخلافة نفسها .. ومنع قيامها بعد ذلك في أي بلد إسلامي .

ولقد تم لهم ما أرادوا بالغاء مصطفى كمال الشهير بأتاتورك - الخلافة استجابة للتخطيط اليهودي - الصليبي (٤٤) .

ولقد ترتب على ذلك نتيجة خطيرة ، أصبحت منذ ذلك الحين جزءًا من واقع هذه الأمة ، هي استيراد النظم والمبادئ - للمسلمين - من عند أعداء الإسلام ، فقد كانت هذه هي المرة الأولى في حياة الأمة ، التي تستورد فيها « المبادئ » من خارج الإسلام ، وتستورد النظم - السياسية والاقتصادية والاجتماعية - من خارج الإسلام .

وتوالت جهود أعداء الله من اليهود والنصارى لحرب الإسلام والمسلمين على ما يقرب من قرنين من الزمان ، بلا هوادة ، ولا توقف ، بل بعنف متزايد على الدوام .

وقد اتخذت هذه الجهود صورتين مختلفتين على فترتين متميزتين من الزمن ، وإن كانت الفترة الثانية قد اعتمدت على الأولى اعتمادًا

كبيرًا .

المرحلة الأولى : تمتد بصفة عامة إلى الحرب العالمية الثانية ، حيث كانت السيطرة الصليبية « اليهودية » في يد بريطانيا وفرنسا ، وهما اللتان تقومان -أساسًا- بمحاربة الإسلام ، وزحزحة الأمة الإسلامية عنه .

وتبدأ المرحلة الثانية : من بعد الحرب العالمية الثانية ، حيث انتقلت السيطرة الصليبية اليهودية إلى أمريكا ، وتولت هي - أساسًا - حرب الإسلام ، وإن كانت حرب الإسلام -دائمًا- جهدًا مشتركًا بين كل أعدائه ، يقوم كل منهم بنصيبه فيه (٤٥) .

وقد كان الشعار المرفوع في الفتره الأولى هو « الوطنية » من جهة ، و « الديمقراطيه » من جهه أخرى ، والذي يقوم باللعبة هو الأحزاب السياسية التي صنعها الغرب لتخدم أهدافه بعملية « التغريب » .

ولم يكن الإسلام في هذه الفتره - يحارب حربًا دموية عنيفة - وإن كانت الحرب الدموية وقعت في نهاية هذه الفتره ، وإنما تسلل أعداء الله إلى المسلمين عن طريق الغزو الفكري ، وعن طريق مناهج التعليم و وسائل الإعلام ، وعن طريق إخراج المرأه إلى الشارع وإفساد أخلاقها وتحويلها إلى « فتنة » لنفسها وللرجل ، وعن طريق إيجاد مؤسسات لا تحكم بما أنزل الله ، وإعطائها ثقل « الأمر الواقع » والزعم بأنها هي الصورة الوحيدة الممكنة .

في تلك الفترة عني المخططون بعدم مهاجمة الدين هجومًا صريحًا مباشرًا - وإن هوجم تحت شعار محاربة « التقاليد » العتيقة البالية - وقد قلص الإسلام من الحياه العامة تقلصًا كبيرًا ، ونحيت الشريعة الإسلامية عن الحكم .

وحينما تسلمت أمريكا راية الحروب الصليبية اليهودية ضد الإسلام ، تميز عهدها بتغيرات جذرية في « اللعبة » السياسية .

فقد استخدمت لحروب الإسلام في المنطقة العربية بالذات عنصرين جديدين تمامًا ، لا عهد للمنطقة بهما : أولهما الانقلابات العسكرية ، وثانيهما الاشتراكية ، والهدف من تمكين الانقلابات العسكرية يتلخص في الآتي :

١- لأنها تلبي الأوامر الخارجية ، وتلتزم بها حرفيًا ، وهذا راجع إلى ما تعلموه في الحياة العسكرية .

٢- لأن سيطرتها على الحكم أقوى وتستطيع أن تقضي على أي معارضة .

٣- وقد أعدت إعدادًا خاصًا يجعلها « علمانية » و « غربية » لا تنكر الانحلال لنفسها ولا لغيرها ، ومن ثم فهي أنسب الفئات لتنفيذ مخطط الإبعاد من الإسلام .

٤- أنها تقطع الطريق على أي عناصر دينية تريد أن تصل إلى الحكم عن الطريق الشعبي العادي (٤٦) .

.. .. إلى غير ذلك من الوسائل التي يمكن بها السيطرة على الحكم في أي بلد ويظهر لنا من كل ما تقدم أن عداء الإسلام قد اتفقوا على علمنة التعليم وعلمنة الاعلام ، وعلمنة المجتمع كله عن طريق المرأة والشباب .. .. ليبتعد بذلك عن الإسلام ، ونجد ذلك في الدول الإسلامية رغم اختلاف نظم الحكم الحاكمة .. لأن التغيير السياسي وإن اختلف أسلوبه .. فالهدف لا يختلف وهو التغيير الاجتماعي أو التغريب ، أو بعبارة أوضح : الإبعاد عن الإسلام .

وهو في نفس الوقت أن تتجه الأمة الإسلامية اتجاه علمانيًا وطنيًا أو

قوميًا ، وهو في بدايته اتجاه دخيل ، يتخذ الغرب قبلة وإمامًا في جل شئون الحياة ، وعلى هذا الأساس يمكن الإشارة إلى عناصر هذا الاتجاه كما طبقت في العالم الإسلامي ، وأهم هذه العناصر والمقومات هي :

١- العلمانية ، بمعنى فصل الدين عن الدولة .

٢- النزعة الوطنية والقومية .

٣- الاقتصاد الرأسمالي والإقطاعي .

٤- الحرية الشخصية - بالمفهوم الغربي - وخاصة حرية في التبرج والاختلاط .

٥- التمكين للقوانين الأجنبية الوضعية .

٦- ظهور الحياة النيابية البرلمانية وإعلان أن الأمة مصدر السلطان .

وكان لهذه العناصر أثر بارز في حياة الأمة الإسلامية ، المادية والروحية ، الفكرية والسلوكية ، الفردية والاجتماعية (٤٧) .

[يتبع]

++ ++

الهوامش :

(٢٣) كتاب ملخص التبشير لادوين بلس ، أشار إليه أ. ل. شاتليه ، نقلها إلى العربية محي الدين الخطيب وساعد اليافي ، تحت عنوان : الغارة على العالم الإسلامي .

(٢٤) قالها زويمر في مؤتمر لكناؤ بالهند سنة ١٣٢٩هـ-١٩١١م وكان هو رئيس المؤتمر لما له في التبشير من سجل حافل ، المرجع السابق : ص/١٠٢.

(٣٥) قالها وليم جيفور في مؤتمر للتبشير المنعقد سنة ١٣٢٤هـ-١٩٠٦م في منزل أحمد عرابي الذي صادره الإنجليز بعد ثورته .

(٣٦) انظر : مزيدًا من التفصيل لهذا الموضوع في : أساليب الغزو الفكري للعالم الإسلامي : ص/٢١ ، د/علي محمد حريشه ، ومحمد شريف الزيبق ، دار الاعتصام .

(٣٧) راجع تحليلاً رائعًا للأستاذ الدكتور محمد محمد حسين - أستاذ الأدب الحديث بجامعة الاسكندرية - في كتابه الإسلام والحضارة الغربية ، نشر دار الفتح ، الطبعة الثانية ، سنة ١٣٩٢هـ ، والكتاب عبارة عن محاضرتين ألقاهما بالكويت سنة ١٣٨٥هـ وهو يتناول أثر التقريب وله في نفس الخط مؤلف آخر تحت عنوان « حصوننا مهددة من الداخل » مجموعة مقالات نشرها في مجلة الأزهر .

(٣٨) ابراهيم خليل أحمد ، المستشرقون والمبشرون في العالم العربي والإسلامي ، من مكتبة الوعي العربي بالقاهرة ١٣٨٤هـ .

(٣٩) الغارة على العالم الإسلامي : ص/٢٢ .

(٤٠) المصدر السابق : ص/٢٤ .

(٤١) أساليب الغزو الفكري للعالم الإسلامي . ص/٤٥ .

(٤٢) بهذا العنوان « القومية العربية كبديل عن دين الله ورسالة محمد » قدم الدكتو محمد البهي بحثًا إلى المؤتمر الخامس لـ « مجمع البحوث الإسلامية » بالأزهر ، هاجم فيه قومية ساطع الحصري وميشل عفلق وجورج حبش .

(٤٣) الحلول المستاوردة وكيف جنت على أمتنا : ص/٢٠٢ ، د/يوسف القرضاوي ، مكتبة وهبة ، الطبعة الثالثة ربيع الأول ١٣٩٧هـ مارس ١٩٧٧م .

(٤٤) أساليب الغزو الفكري للعالم الإسلامي : ص/٤٦ .

(٤٥) واقعنا المعاصر : ص/٢٤٨ .

(٤٦) أساليب الغزو الفكري للعالم الإسلامي : ص/٥٢ .

(٤٧) الحلول المستوردة وكيف جنت على أمتنا : ص/٤٦ . وانظر : الإسلام والمدنية الحديثة : ص/٢٢ .

الغيبة مرض خطير

بقلم : سعادة الدكتور محمد بن سعد الشويعر
رئيس تحرير مجلة « البحوث الإسلامية » - الرياض

حدثني أحدهم قائلاً : كنت معك في الأسابيع الماضية ، عند ما تحدثت عن الحسد ، وعن الظن ، وأثرهما في إثارة الشحناء بين الناس ، وتوريث العداوات ، وتوقعت أن تعرج على أدواء اجتماعية ثلاثة خطيرة ، هي : الغيبة والنميمة والبهتان ، لأن الناس تساهلوا في ذلك ، وأصبح أشهى حديث عندهم ، يتمتعون به ، ويزجون به أنفس الأوقات ، على اختلاف طبقات المجتمع ، ذكورًا وإناثًا : التلذّذ بأكل لحوم البشر ، والتشفى بالإساءة إليهم ، إذ لا شك أن هذا مقترن بالموضوعين السابقين .. وهما الحسد والظن .

فأجبت محدثي بالتقدير له ، على اهتمامه ومتابعته ، وبأنني كنت أتوقع الحديثين السابقين يكفيان .. ولذا انتقلت إلى موضوع مهم ، وهو التنصير ومخططات أعوانه ، وجعلت ذلك في حلقتين .

قال : لا شك أن التنصير - أو ما يسمونه التبشير أمر مهم - ولكن في نظري ، أن ما سرت فيه يمثل مسارين مصبهما واحد ، ومنبعهما واحد ، أما المصب فهو الدفاع عن الإسلام ، وأما المنبع فهو الحقد والكراهية ، إذ لا شك أن الحاسد حاقد على من يحسده ، وكاره ما هو فيه

من فضل ونعمة ، ويتمنى زوالها عنه ، والمنصر حاسد للمسلمين ما أنعم الله به عليهم من فضل الإسلام ، فيريد تحولهم عنه ، كما ظهر ذلك في آيات كثيرة من كتاب الله ، وكاره ما هم فيه من نعمة ، وحاقد عليهم .. لكن أحدهما يعتبر مساره داخليًا كعدو يجب الحذر منه ، لأن استشراءه بين المسلمين يجعل الانتشار أشد أثرًا من الأمراض المحسوسة الخطيرة ، وأما الآخر وهو التنصير ، فمن عدو خارجيّ يجب الحذر من مكره ، وكيده ، والاستعداد لملاقاته بسلاح أمضى من سلاحه .. وكلاهما يجب إدراك نواياه ثم الحيطة منه ، قلت : لا أحب الإطالة معك في الحوار والنقاش ، ولكنني أعدك الاستجابة بحديثين أو أكثر ، عن الغيبة والنميمة ، بقدر ما يفي الموضوع حقه ، أو أكبر جزء من حقه .. والتحدث عن أثر كل منهما ، ونظرة التعاليم الشرعية إليهما : تحذيرًا وعلاجًا .

أما البهتان فهو مقترن بالغيبة ، أخذًا من الحديث الشريف الذي جاء فيه : « أفرأيت إن كان في أخي ما أقول ؟ قال -ﷺ- : إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته ، وإن لم يكن فيه ما تقول فقد بهتّه ». [رواه الترمذي]

فأقول : لا شك أن الغيبة مرض خطير يفتك بالمجتمعات ، وهو من أشد أدواء النفس البشرية ، وهو أمكن في الخطر من الأمراض السارية المعديّة ، وعلاج ذلك بقوة الإيمان ، ومغالبة النفس ، وردها عن غيّها ، وقد اعتبر شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - في كتابه : أمراض القلوب وشفاؤها ، الغيبة مرضًا قلبيًا ، ومرضًا لسانيًا ، فهي مرض قلبي

: لأن الغيبة لا تخرج إلا من قلب ران عليه المرض ، وشده الحنق على الإنسان المغتاب ، رغبة في نقص قدره ، والحطّ من مكانته ، والإضرار به ، وذلك في بذل الجهود من الذي أثار الاغتياب ومن يثيرهم ويرغبهم في أمور، تسلب ما أفاء الله على المسلط عليهم الاغتياب ، من صحة أو جاه ، أو مال أو ولد ، أو مكانة اجتماعية ، أو استقرار أسري ، وسواء كان المغتاب رجلاً أو امرأة ، فإن الهدف واحد ، وهو الإضرار به ، وسلبه ما أعطاه الله ، ليصبح في وضع يسر الشامتين ، وتتشفّى به القلوب المريضة ، التي تتوقع أن سرورها لا يتم إلا في الإضرار والإساءة ، وزوال النعم التي أفاءها الله .. وهذا مبعثه الحسد الدفين ، الذي يأتي من ضعف الوازع الديني .. وعدم الرضا بما قسم الله ، فإن الله سبحانه يعز من يشاء ، ويذل من يشاء ، ويغنى من يشاء ، ويفقر من يشاء ، لا مبدل لحكمه البالغة .

وقد تتمكن الغيبة من القلب ، ليكون حالك السواد ، فلا يرى بعين مبصرة ، إلا ما يتوقعه مسيئًا لمن يهتم باغتيابه ، ولا يمشى صاحبها إلا في أمر يتحسس منه الضرر للآخرين ، ليسلط على من يريد اغتيابه أسلحة عديدة تسيئ إليه : ظاهرة أو خفية .

فأما الظاهرة فبالكذب ، وتكبير الصغائر ، وتخيل الأوهام على أنها وقائع ، ثم الانقياد للشيطان ، والقدوة به في حديث استراق السمع في الزيادة بما يجسم به الأمر ، ويثقل وطأته في آذان السامعين ، وليبرهن على الصدق في المقولة ، حتى يوغر الصدور ، ويكثر الأعداء والشانئين ،

ومع أنه هو منبع الغيبة ، فإنه يأخذ من تجسيم الآخرين للأمور وزياداتهم ، ما يحرك رغبة في نفسه - مع أنها أكاذيب مضافة على إفادته هو ، مما يجعل أوهامه حقيقة ، وضلالاته وقائع ، ولذا نهي الله الفئة المؤمنة عن الغيبة لمالها من أثر جسيم في إيغار الصدور ، فقال سبحانه في سورة الحجرات التي هي آداب اجتماعية ، وفضائل إسلامية ، في أدب التعامل الذي يجب أن يكون بين المسلمين مع بعضهم ، ولنهيهم عما يسئ إلى العلاقات ، ويفصم عرى المودة والتآلف ، بما يثار من شحناء نتيجة الحسد والغيبة ، يقول سبحانه وتعالى : ﴿ ولا يغتب بعضكم بعضًا • أ يحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتًا فكرهتموه • واتقوا الله إن الله تواب رحيم ﴾ [الآية : ١٢] .

فقد روى ابن عمر - رضي الله عنهما - قال : رأيت النبي -ﷺ- يطوف الكعبة ، ويقول : « ما أطيبك و أطيب ريحك ، ما أعظمك وأعظم حرمتك ، والذي نفس محمد بيده ، لحرمة المؤمن أعظم عند الله تعالى حرمة منك ، ماله و دمه ، وأن يظن به إلا خيرًا » تفرد به ابن ماجة من هذا الوجه .

قال ابن كثير - رحمه الله - في تفسير قول الله تعالى : ﴿ ولا يغتب بعضكم بعضًا ﴾ فيه نهي عن الغيبة ، وقد فسرها الشارع كما جاء في الحديث الذي رواه أبو داؤد بسنده إلى أبي هريرة - رضي الله عنه - ، قال : قيل : يا رسول الله ما الغيبة ؟ قال -ﷺ- : « ذكرك أخاك بما يكره » قيل : أفرأيت إن كان في أخي ما أقول ؟ قال -ﷺ- : « إن كان

فيه ما تقول فقد اغتبته ، وإن لم يكن فيه ما تقول فقد بهته » ورواه الترمذي ، وقال : حسن صحيح .

كما أورد جملة من الأحاديث الكثيرة في الغيبة منها حديث أورده أبو داؤد الطيالسي في مسنده ، حدثنا الربيع عن يزيد عن أنس أن رسول الله -ﷺ- أمر الناس أن يصوموا يومًا ، ولا يفطرن أحد حتى آذن له ، فصام الناس ، فلما أمسوا جعل الرجل يجئ إلى رسول الله -ﷺ- فيقول : ظللت منذ اليوم صائمًا ، فأذن لي فأفطر ، فيأذن له ، ويجئ الرجل فيقول ذلك فيأذن له ، حتى جاء رجل فقال : يا رسول الله إن امرأتين من أهلك ظلتا منذ اليوم صائمتين ، فائذن لهما فلتفطرا ؟ فأعرض عنه ، ثم أعاد فقال له رسول الله -ﷺ- : « ما صامتا ، وكيف صام من ظل يأكل لحوم الناس ؟ اذهب فمرهما إن كانتا صائمتين أن تستقيئا ، ففعلتا فقاءت كل واحدة منهما علقة ، فأتى النبي -ﷺ- فأخبره ، فقال رسول الله -ﷺ- : « لو ماتتا وهما فيهما لأكلتهما النار » وفي رواية الإمام أحمد جاء قوله -ﷺ- : « إن هاتين صامتا عما أحل الله تعالى لهما ، وأفطرتا على ما حرم الله عليهما ، جلست إحداهما إلى الأخرى ، فجعلتا تأكلان لحوم الناس » .

وتعريف الغيبة عند اللغويين ، كما قال الزبيدي في تاج العروس : روى بعضهم أنه سمع : غابه يغيبه ، إذا عابه وذكره بما فيه من السوء ، وفي عبارة : وذكر منه ما يسوؤه كاغتابه ، والغيبة من الغيبوبة ، والغيبة من الاغتياب ، يقال : اغتاب الرجل صاحبه اغتيابًا ، إذا وقع

فيه ، وهو أن يتكلم خلف إنسان مستور بسوء ، أو بما يغمه ، وإن كان فيه ، فإن كان صادقًا فهو غيبة ، وإن كان كذبًا فهو البهت والبهتان ، كذلك جاء عن النبي -ﷺ- ، والاسم الغيبة ، ولا يكون ذلك إلا من ورائه .. وفي التنزيل العزيز : ﴿ ولا يغتب بعضكم بعضًا ﴾ أي لا يتناول رجلاً بظهر الغيب بما يسوؤه ، مما هو فيه ، وإذا تناوله بما ليس فيه فهو بهت وبهتان ، وعن ابن الأعرابي غاب إذا اغتاب ، وغاب إذا ذكر إنسانًا بخير أو شر ، والغيبة فعله منه ، أي من الاغتياب ، تكون حسنة وقبيحة ، وأطلقه عن الضبط لشهرته [١/٤١٧] .

وقد أجمل هذا التعريف ، وأوضحه الغزالي ، فقال في كتابه إحياء علوم الدين : الغيبة أن تذكر أخاك بما يكرهه لو بلغه ، سواء ذكرته بنقص في بدنه ، أو نسبه أو في خلقه ، أو في فعله أو في قوله ، أو في دينه أو في دنياه ، حتى في ثوبه وداره ، ودابته .

ثم بدأ في تفصيل ذلك بقوله ، أما البدن : فكذكرك العمش والحول ، والقرع والقصر والطول ، والسواد والصفرة ، وجميع ما يتصور أن يوصف به مما يكرهه كيفما كان .

وأما النسب : فبأن تقول أبوه نبطيّ أو هندي ، أو فاسق أو خسيس ، أو اسكاف أو زبّال ، أو شئ مما يكرهه كيفما كان .

وأما الخلق : فأن تقول هو سئ الخلق بخيل متكبر مراء ، شديد الغضب ، جبان عاجز ، ضعيف القلب متهور ، وما يجرى مجراه .

وأما في أفعاله المتعلقة بالدين : فكقولك هو سارق أو كذاب ، أو

شارب خمر ، أو خائن أو ظالم ، أو متهاون بالصلاة أو الزكاة ، أو لا يحسن الركوع أو السجود ، أو لا يحترز من النجاسات ، أو ليس بارًا بوالديه ، أو لا يضع الزكاة مواضعها ، أو لا يحسن قسمتها ، أو لا يحرس صومه عن الرفث والغيبة ، والتعرض لأعراض الناس .

وأما فعله المتعلق بالدنيا : فكقولك إنه قليل الأدب ، متهاون بالناس ، أو لا يرى لأحد على نفسه حقًا ، أو يرى لنفسه الحق على الناس ، أو أنه كثير الكلام كثير الأكل ، نئوم ينام في غير وقت النوم ، ويجلس في غير موضعه .

وأما في ثوبه : فكقولك إنه واسع الكم ، طويل الذيل ، وسخ الثياب .

ثم قال : وقال قوم لا غيبة لمجهول الاسم ، ولا غيبة في الدين ، لأنه ذم ما ذمه الله تعالى ، فذكره بالمعاصي وذمه بها يجوز بدليل ما روى أن رسول الله -ﷺ- ذكرت له امرأة ، وكثرة صلاحها وصومها ، ولكن تؤذي جيراتها بلسانها ، فقال -ﷺ- : « هي في النار » .

وقال الحسن : ذكر الغير ثلاثة : الغيبة والبهتان والإفك ، وكل في كتاب الله -عزوجل- فالغيبة أن تقول : ما فيه ، والبهتان : أن تقول ما ليس فيه ، والإفك أن تقول ما بلغك [١٤١/٢] .

فهذه الأمور التي ذكرها الغزالي ، والأدلة من واقع الحال التي أبانتها أحاديث رسول الله -ﷺ- العديدة والكثيرة ، حيث شدد النكير في عقاب الغيبة عليه الصلاة والسلام ، وحرص على استقصائها السيوطي - رحمه الله - في تفسيره الدر المنثور ، عند مروره بتفسير آيات من سورة

الحجرات ، وكذا الآثار والوقائع التي حرص على إبانتها جميع المفسرين ، وخاصة ابن كثير - رحمه الله - في تفسيره ..

ومع كل هذا نرى كثيرًا في هذا الزمان في أنحاء ديار الإسلام ، أناسًا ينتسبون للعلم ، ويدعون غيرتهم على الدعوة لدين الله ، وحرصهم على إبانة شرع الله أمرًا بمعروف ونهيًا عن منكر ، يتعامون عن تربية رسول الله -ﷺ- ، وما حرص عليه سلف الأمة ، من قدوة في البعد عن الغيبة .

ذلك أن مثل هؤلاء يحبون أن يوجدوا لأنفسهم مكانة وشهرة على أكتاف الغافلين ، وذلك بالنيل من زيد ، أو الإساءة إلى عبيد ، وتشويه صورة عمرو ، وتحذير الناس من فلان أو علان بظنون أو غيبة ، وبادعاء معرفته للناس ، ليمس الذوق على عمله حتى يتراخي ، ويطعن الغافل حتى ينال منه ، وهو لا يدري عما يحاك ضده في الخفاء ، وإذا جاء من ينبهه ، أو يثيره في إخبار عما قيل فيه ، لأي سبب كان حسنًا أو سيئًا ، لم يجد له حيلة إلا التمثل بقول الحسن بن علي - رضـــي الله تعالى عنهما - : لا أحب أن اسمع عن إخواني شيئًا أكرهه ، حتى لا أخرج إليهم موغر الصدر ، أما إذا حزبه الأمر وأهمه لأن طبيعة النفس البشرية أن تستاء مما تكرهه ، خاصة إذا كان أمرًا مفترىً ، ومصدره حاقد أو صاحب هوى ، فإنه يعتصم بالله ، ممتثلاً لأمره سبحانه وتعالى عند ما قال : وقوله الحق : ﴿ الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم • فزادهم إيمانًا وقالوا : حسبنا الله ونعم الوكيل • فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء واتبعوا رضوان الله والله ذو فضل عظيم ﴾ [سورة

آل عمران ، الآيتان : ٧٣-٧٤] .

وما أحسن ما قيل في هذا ، عند ما سئل أحد العلماء عن رأيه فيما يقوله بعض الناس فيه من كيت وكيت ، فقال : كفوا عني هذا الكلام ، فإن نبح الكلاب لا يضر السحاب ، وإن الإنسان ليحرص على العمل الصالح من صلاة وصيام وصدقة ، فتكون من نصيب إنسان غافل لم يعمل مثل هذا العمل ، لكنه ابتلاه شخص أو أكثر بلسانه ، ولذا قال بعض الصالحين : إن الذي يغتاب الناس ، يعطى عمله لأبغض الناس إليه ، لأن صلاته لم تنهه عن الفحشاء والمنكر ، والغيبة كبيرة من كبائر الذنوب .

إن بعض الناس قد ابتلى بآفة خطيرة في لسانه ، ومرض عضال في هواجسه ، ومركب نقص في نفسه ، فهو يريد لنفسه مكانة لم يردها الله له ، ويتصور أن أوهامه في الآخرين ، وتسليط لسانه على ما حباهم الله نعمة هي من الله فضل ، وهي عليهم نعمة يجب شكرها ، وامتحان ينظر الله ما يعملون فيه ، فيجعل ذلك المريض من نفسه حارسًا لأعمال خلق الله وتصرفاتهم ، وكأنه يعترض على حكمة الله وتدبيره سبحانه ، ليبث ما يحلو له في الملأ تنفيرًا وتنقيصًا وتحسبًا ، وكلما كبر الحقد في قلبه زاد استشراؤه كالكلب المسعور الذي ينهش هذا ، ويتعلق بأثواب ذاك .

وقد علم عن بعض الفئات ممن ينتسبون للإسلام خصلتان مذمومتان : الأولى أن من يخالفهم الرأي ولو كان ناسكًا عابدًا حريصًا على تطبيق سنة رسول الله -ﷺ- في كل أموره ، منصرفًا عن الناس وشئونهم ، فإنه عدو يجب الحذر منه ، وانتهاك عرضه ، على مبدأ من ليس معي فهو ضدي ،

ولذا نراهم يلبسونه أثوابًا ليست له ، ويضعون فيه أمورًا لا تمتّ له بصلة ، ويجسمون ذلك لغرض في نفوسهم ، يغترّ به قاصر الفهم ، ليساعدهم في الإشاعة ، متعامين عن وعيد الله الشديد فيمن يشيع الفاحشة في الفئة المؤمنة ، كما في سورة النور ، وعمن يغتاب الغافلين والغافلات ، أو يبهتم بغير ما اكتسبوا .

الثانية : أن من يوافقهم الهدف ، ويكون رأيه صدى لآرائهم فإن أفعاله تحسّن ، ولو كان فاسقًا مقصّرًا في أمور دينه ، أو ممن يخالفهم في الدين أصلاً ، بحجة أن عمله لنفسه ، ولنا منه ما يساعدنا في هدفنا ، وإن من مكافحة داء الغيبة التعاون في الذبّ عن أعراض المسلمين ، لأن شريعة الإسلام بمصدريها : كتاب الله ، وسنة رسوله -ﷺ- تحث على المحَافظة على أعراض المسلمين ، والمستمع إذا رضي بهذه الغيبة ولم يدافع يكون كالقائل ، لأن المستمع لا يخرج من إثم الغيبة ، إلا أن ينكر بلسانه ، أو بقلبه إن خاف ، وإن قدر على القيام ، أو قطع الكلام بكلام آخر فلم يفعل لزمه ، كما أوضح -ﷺ- ذلك من حديث أبي الدرداء - رضي الله عنه - أن رسول الله -ﷺ- قال : « من رد عن عرض أخيه بالغيب ، كان حقًا على الله أن يرد عن عرضه يوم القيامة » رواه ابن أبي الدنيا .. وفي حديث آخر قادم - إن شاء الله - نزيد الموضوع بيانًا هدى الله الجميع للحق واتباعه .

زكاء النعمان :

ذكر صاحب الأغاني أن أبا زبيد الطائي قال : جلس النعمان بن المنذر

ذات يوم ، وجلسنا بين يديه ، كأن على رؤوسنا الطير ، وكأنه صقر فقام رجل من الناس فقال له : أبيت اللعن ، أعطني فإني محتاج ، فتأمله طويلاً ثم أمر به فأدنى حتى قعد بين يديه ، ثم دعا بكنانة فاستخرج منها سهامًا ، فجعل يجأبها في وجهه حتى سمعنا قرع العظام ، وخضبت لحية وصدره بالدم ، ثم أمر به فنحي ، ومكثنا مليًا .

ثم نهض آخر فقال له : أبيت اللعن أعطني ، فتأمله ساعة ثم قال : اعطوه ألف درهم ، فأخذها وانطلق .

ثم التفت عن يمينه ويساره وخلفه ، فقال ما قولكم في رجل أزرق أحمر يذبح على هذه الأكمة ، أ ترون دمه سائلاً حتى يجرى في هذا الوادي ؟ فقلنا له : أنت أعلى برأيك عينًا ، فدعا برجل على هذه الصفة فأمر به فذبح .

ثم قال : ألا تسألوني عما صنعت ؟ فقلنا : من يسألك أبيت اللعن عن أمرك وما تصنع ؟ فقال : أما الأول فإني خرجت مع أبي نتصيد ، فمررت به وهو بفناء داره وبين يديه عسّ من شراب أو لبن ، فتناولته لأشرب منه فثار إليّ فهراق الإناء ، فملأ وجهي وصدري ، فأعطيت الله عهدًا لئن أمكنني الله منه لأخضبن لحيته وصدره من دم وجهه ، وأما الآخـــر فكانت له عندي يدٌ كافأته بها ، و لم أكن أثبته ، فتأملته حتى عرفته .

وأما الذي ذبحته ، فإن عينًا لي بالشام كتب إلي : إن جبلة بن الأيهم قد بعث إليك برجل صفته كذا وكذا ، ليغتالك ، فطلبته أيامًا فلم أقدر عليه ، حتى كان اليوم . [الأغاني : ١٢/١٢٦]

أهداف الحج ومقاصده

بقلم . سماحة العلامة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز
مفتي عام المملكة العربية السعودية
ورئيس هيئة كبار العلماء وإدارة البحوث العلمية والإفتاء - الرياض

الحج عبادة عظيمة سنوية شرعها الله للعباد لما فيها من المنافع العظيمة وما تهدف إليه من المقاصد الجليلة ولما يترتب عليه من خير في الدنيا والآخرة ، وهي فريضة على جميع المكلفين في جميع أقطار الدنيا رجالاً ونساءً ، إذا استطاعوا السبيل إليها ، كما قال - جلّ وعلا- : ﴿ و لله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلاً ﴾ وفي الصحيحين عن ابن عمر - رضي الله عنهما - عن النبي -ﷺ- أنه قال : « بني الإسلام على خمس : شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله ، وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، وصوم رمضان ، وحج البيت » فهذه الدعائم الخمس : هي أركان الإسلام وهي عمده التي يقوم بناؤه عليها .. وكان فرضه في السنة التاسعة أو العاشرة من الهجرة .. وفي صحيح مسلم من حديث عمر - رضي الله عنه - في سؤال جبرائيل عن الإسلام والإيمان ، قال له - عليه الصلاة والسلام - : « الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله ، وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلاً » وفي الصحيحيس عن النبي -ﷺ- أنه قال : « من أتى هذا البيت فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه » وهذا يعم الحج والعمرة جميعًا .. وفي الصحيحين عن أبي هريرة - رضي الله عنه - عن النبي -ﷺ- أنه قال : « العمرة إلى العمرة كفارة لما بينهما والحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة » وهذا من مقاصد الحج ومقاصد العمرة

فمن أداها على الوجه الشرعي كان جزاؤه الجنة والكرامة وغفران الذنوب وحط الخطايا .. ويا لهذا الهدف من خير عظيم وفضل كبير ، إن من أتى هذا البيت مخلصًا لله -جل وعلا- يريد وجهه الكريم من قريب أو بعيد ثم أدى هذا الحج على وجه البر لا رفث فيه ولا فسوق ، فإن الله -جل وعلا- يكتب له به الجنة وغفران الذنوب ، وهكذا العمرة ، لقوله -ﷺ- : « من أتى هذا البيت » ولقوله -ﷺ- : « العمرة إلى العمرة كفارة لما بينهما » .

فهذا الهدف العظيم لقاصدي هذا البلد المبارك هو مطلب كل مؤمن وكل مؤمنة الفوز بالجنة والنجاة من النار وغفران الذنوب وحط الخطايا والله -جل وعلا- أخبر عن خليله إبراهيم - عليه الصلاة والسلام - ، أنه دعا هذا البلد ، فقال -جل وعلا- على لسان خليله إبراهيم : ﴿ ربنا وابعث فيهم رسولاً منهم يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم إنك أنت العزيز الحكيم ﴾ واستجاب الله هذا الدعاء فبعث خليله محمدًا -عليه الصلاة والسلام- بهذه الأمور التي بينها الخليل - عليه الصلاة والسلام - يتلو عليهم كتاب الله المنزل ويعلمهم الكتاب وهو القرآن ، والحكمة وهي السنة ، ويزكيهم بما بعثه الله به من الأخلاق العظيمة والعبادات الرفيعة المتنوعة ويطهرهم من الأخلاق الذميمة والصفات المنكرة ، فالإسلام طهرة لهم وزكاة لهم من جميع أعمالهم وجميع أخلاقهم المنحرفة ، وتوجيه لهم إلى طيب الأعمال وزكيّ الأخلاق ، ومن ذلك الحج .

والله بعث محمدًا وسائر الأنبياء بما فيه طهارة القلوب وطهارة الأعمال ، وصلاح القلوب وصلاح الأعمال ، وصلاح الأخلاق .

فمن الزكاة والطهرة إقامة الصلوات كما شرعها الله وأداء الزكاة كما شرعها الله ، وصوم رمضان كما شرعه الله وحج البيت كما شرعه الله ..

وهكذا أداء بقية الأوامر مع اجتناب النواهي ، فالرسل -عليهم الصلاة والسلام - و على رأسهم خاتمهم و إمامهم نبينا محمد - عليه الصلاة والسلام - بعثوا ليطهروا الناس من أخلاقهم الذميمة وأعمالهم الخبيثة ويزكوهم بالأعمال الطيبة والأخلاق الكريمة ، التي أعظمها وأساسها توحيد الله سبحانه وتعالى ، وإخلاص العبادة له -جل وعلا- في جميع الأحوال ، وترك عبادة ما سواه والإيمان به وبرسوله ، وبكل ما أخبر الله به و رسله عما كان وما يكون ، والإيمان بنبيه محمد -ﷺ- ، والاستقامة على دينه هذا أصل هذا الدين وأساسه ، توحيد الله والإخلاص له وهو أعظم هدف للحج وأعظم مقصد ، أن يأتي العبد مخلصًا لله ، يقصد وجهه الكريم ويلبي ويقول : « لبيك لا شريك لك » يريد إخلاص العبادة له وحده يريد توجيه قلبه وعمله لله سبحانه وتعالى ويكرر : « لبيك اللهم لبيك » يعني أنا عبدك مقيم لعبادتك إقامة بعد إقامة ، ومجيب لدعوتك على دين رسولك وخليلك إبراهيم وعلى دين حفيده محمد -ﷺ- مجيب لذلك إجابة بعد إجابة ، أقصد وجهك وأخلص لك العمل وأنيب إليك في جميع الأعمال من صلاة وحج وغير ذلك.. « لبيك اللهم لبيك،لبيك لا شريك لك لبيك ، إن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك » هذا أول شئ يبدأ به قاصد البيت العتيق إخلاص العبادة لله وحده والتوجيه إليه والإقرار بأنه سبحانه الواحد الأحد لا شريك له في الخلق والتدبير والملك ، ولا مثيل له في ذلك ، وله العبادة وحده دون كل ما سواه ، فهو مختص بالعبادة وحده دون كل ما سواه ، كما قال -جل وعلا-: ﴿ ومن يدع مع الله إلهًا آخر لا برهان له به فإنما حسابه عند ربه إنه لا يفلح الكافرون ﴾ فسماهم كفرة بذلك .

فمن أعظم مقاصد الحج وأعظم أهدافه إخلاص العبادة لله وحده وتوجيه القلوب إليه -جل وعلا- إيمانًا بأنه يستحق العبادة وإيمانًا بأنه

المعبود بالحق وإيمانًا بأنه رب العالمين وحده وأنه صاحب الأسماء والصفات الكريمة وحده لا شريك له ولا شبيه له ولا ند له سبحانه وتعالى وقد أشار إلى هذا في قوله -جل وعلا- : ﴿ وإذ بوّأنا لإبراهيم مكان البيت أن لا تشرك بي شيئًا وطهر بيتي للطائفين والقائمين والركع السجود ﴾ وفي البقرة قال تعالى : ﴿ وإذ جعلنا البيت مثابة للناس وأمنًا واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى وعهدنا إلى إبراهيم وإسماعيل أن طهرا بيتي للطائفين والعاكفين والركع السجود ﴾ بأن يعبدوه وحده عند بيته الكريم ويطهروا ما حول البيت من الأصنام والأوثان وسائر ما حرم الله ومن النجاسات ومن كل ما يؤذي الحجيج أو العمار أو يشغلهم عن هدفهم . فالبيت للمصلين وللطائفين وللعاكفين وهم المقيمون عنده يعبدون الله فيه وفي حرمه يجب أن يطهر لهم من كل ما يصد عن سبيل الله أو يلهي الوافدين إليه من قول أو عمل ، ثم يقول سبحانه بعد ذلك ...: ﴿ وأذّن في الناس بالحج يأتوك رجالاً وعلى كل ضامرٍ يأتين من كل فج عميق ﴾ وقد أذن إبراهيم - عليه الصلاة والسلام - في الناس وأسمع الله صوته لمن شاء من العباد وأجاب الناس هذه الدعوة المباركة من عهد إبراهيم إلى يومنا هذا ، وقد ثبت بالأدلة الشرعية أن أول من قام بتعميره والدعوة إليه هو إبراهيم - عليه الصلاة والسلام - وأظهر تحريمه بين الناس وقد حرمه الله يوم خلق السماوات والأرض فهو حرام بحرمة الله إلى يوم القيامة .. ثم قال -جل وعلا- : ﴿ ليشهدوا منافع لهم ﴾ أطلقها وأبهمها لعظمها وكثرتها .. منافع عاجلة وآجلة منافع دنيوية وأخروية فمنها وهو أعظمها ليشهدوا توحيده والإخلاص له ، في الطواف ببيته والصلاة في رحاب بيته والدعوة له سبحانه والإنابة إليه والضراعة إليه بأن يقبل حجهم ويغفر لهم ذنوبهم ويردهم سالمين إلى بلادهم ويمن عليهم بالعودة إليه مرة بعد مرة ، ليضرعوا إليه -جل وعلا- هذه أعظم المنافع أن

يعبدوه وحده وأن يأتوا قاصدين وجهه الكريم لا رياء ولا سمعة بل جاءوا ليطوفوا ببيته ، وليعظموه وليصلوا في رحاب بيته ويسألوه من فضله -جل وعلا- .. هذه أعظم المنافع وأكبرها توحيد الله والإخلاص له والإقرار بذلك بين عباده والتواصي بذلك بين العباد الوافدين .. يتعرفون هذا الأمر العظيم ويلبون بأصوات يسمعها كل أحد ، ولهذا شرع الله رفع الصوت بالتلبية ، ليعرفوا هذا المعنى وليتحققوه وليتعهدوه في قلوبهم وألسنتهم ، وفي الحديث عن الرسول -ﷺ- قال : « إن جبرائيل أتاني فأمرني أن آمر أصحابي أن يرفعوا أصواتهم بالإهلال » فالسنة رفع الصوت بهذه التلبية حتى يعلمها القاصي والداني ويتعلمها الكبير والصغير ، والرجل والمرأة ، وحتى يستشعر معناها ويتحقق مقتضاها ، وأن معناها إخلاص العبادة لله وحده ، والإيمان بأنه إلَهم الحق وخالقهم ورازقهم ومعبودهم -جل وعلا- في الحج وغيره .

ومن مقاصد الحج أن يتعارف المسلمون ويتواصوا بالحق ويتناصحوا، يأتون من كل فج عميق من غرب الأرض وشرقها وجنوبها وشمالها ، يجتمعون في رحاب بيت الله العتيق في عرفات وفي مزدلفة وفي منى وفي رحاب مكة يتعارفون ويتناصحون ويعلم بعضهم بعضًا ويرشد بعضهم بعضًا ويساعد بعضهم بعضًا ، ويواسي بعضهم بعضًا ، مصالح عاجلة وآجلة ، مصالح التعليم والتوجيه والإرشاد والدعوة إلى سبيل الله وتعليم مناسك الحج وتعليم الصلاة وتعليم الزكاة يسمعون من العلماء ما ينفعهم لأن الله بعث محمدًا -ﷺ- بما يزكيهم وبما يعلمهم الكتاب والحكمة ، فيسمعون في رحاب البيت العتيق وفي رحاب مسجد رسول الله -ﷺ- يسمعون من العلماء ما فيه الهداية والبلاغ والإرشاد إلى طريق الرشاد ، وسبيل السعادة إلى توحيد الله والإخلاص له ، إلى ما أوجبه الله على عباده من الطاعات وإلى ما حرم عليهم من المعاصي ليحذروها ، وليعرفوا حدود

الله ويتعاونوا على البر والتقوى فمن أعظم المنافع وأجلها أن يتعلموا دين الله ، ويتبصروا في رحاب البيت العتيق ورحاب المسجد النبوي من العلماء والمرشدين والمذكرين ما قد يجهلون من أحكام دينهم وما قد يجهلون من أحكام حجهم وعمرتهم حتى يؤدوها على علم وبصيرة وحتى يعبدوا الله في أرضهم وأينما كانوا على علم وبصيرة .

من هنا نبع هذا العلم علم التوحيد وصدر ، ثم من المدينة ثم من سائر هذه الجزيرة ومن سائر بلاد الله التي وصلها العلم وأهله ، لكن أصله من هنا .. من رحاب بيت الله العتيق .

فعلى العلماء أينما كانوا وعلى الدعاة أينما كانوا ولا سيما هنا في رحاب بيت الله أن يعلموا الناس ، وأن يعلموا الحجيج ويعلموا العمار ويعلموا القاطنين والوافدين والزائرين يعلمونهم مناسك حجهم يعلمونهم لماذا خلقوا ، وبماذا أمروا ، خلقوا ليعبدوا الله وأمروا بعبادة الله ، قال تعالى : ﴿ وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون ﴾ وقال سبحانه : ﴿ يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتّقون ﴾ فعلى العلماء وفقهم الله أينما كانوا ولا سيما الموجودون في رحاب البيت العتيق ، أن يعلموا الناس وأن يعلموا ضيوف بيت الله الحرام وأن يرشدوهم في المساجد وفي الطرقات وفي السيارة وفي الطائرة وفي السفينة ، وفي أي مكان ، عليهم أن يعلموهم دينهم وما خلقوا له وأن يرشدوهم إلى أسباب النجاة وأن يحذروهم من أسباب الهلاك وعليهم بوجه خاص أن يعلموهم مناسك حجهم وعمرتهم التي جاءوا ليؤدوها يعلموهم في البيوت إذا اجتمعوا في البيوت وفي الخيمة وفي الطريق وفي المسجد وفي السيارة وفي السفينة وفي أي مكان ، هكذا المؤمن وهكذا العالم وهكذا طالب العلم لا يدع فرصة إلا انتهزها للتعليم ، والتوجيه والإرشاد ، والمؤمن لا يدع فرصة إلا انتهزها للتعلم ،

والاستفادة من العالم ، وطالب العلم أينما كان ولا سيما في رحاب بيت الله العتيق في أيام الحج هذا الموسم العظيم .

فالمسلم مأمور بالتعلم وبالتفقه أينما كان وفي أي مكان وزمان ولكن في رحاب بيت الله العتيق الأمر أعظم والحاجة ماسة للتفقه في الدين وفي مناسك الحج والعمرة بوجه أخص فأنت في أشد الحاجة إلى أن تتعلم ويجب عليك أن تتعلم ، يقول النبي -ﷺ- في الحديث الصحيح : « من يرد الله به خيرًا يفقهه في الدين » متفق على صحته ، فمن علامات الخير لك والسعادة أن تتفقه في دين الله ، هنا في بلد الله العتيق وفي بلادك وفي أي أرض كنت من أرض الله متى وجدت العالم بشرع الله سبحانه فانتهز الفرصة ولا تتكبر ولا تكسل ، فالعلم لا يناله المتكبرون ولا يناله الكسالى والعاجزون فهو يحتاج إلى نشاط وهمة عالية ، ولا يناله المستحون وليس التأخر عن طلب العلم بحياء ولكنه خور وضعف وعجز ، يقول الله سبحانه : ﴿ إن الله لا يستحيي من الحق ﴾ ويقول مجاهد التابعي الجليل - رحمه الله - : « لا يتعلم العلم مستح و لا مستكبر» فالمؤمن البصير لا يستحيي في هذا بل يتقدم ويسأل والمؤمنة كذلك كل منهما يتقدم ويسأل ويبحث ويبدى ما لديه من الاشكال حتى يزول إشكاله .

ومن علامات السعادة والتوفيق والخير أن تتعلم وأن تتفقه في دين الله ، يقول -ﷺ- : « من سلك طريقًا يلتمس فيه علماً سهل الله له به طريقًا إلى الجنة » وفي الصحيحين عن أبي موسى الأشعري أن النبي -ﷺ- قال : « مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم كمثل الغيث الكثير أصاب أرضًا فكانت منها نقية قبلت الماء فانبتت الكلأ والعشب الكثير وكانت منها أجادب أمسكت الماء فنفع الله بها الناس ، فشربوا وسقوا وزرعوا وأصاب طائفة منها أخرى إنما هي قيعان لا تمسك ماء ولا تنبت كلأ

فذلك مثل من فقه في دين الله ونفعه ما بعثني الله به فعلم وعلم ومثل من لم يرفع بذلك رأسًا ولم يقبل هدى الله الذي أرسلت به » ، فعلى كل مؤمن ومؤمنة التفقه في دين الله ، ومن أهداف الحج والعمرة التبصر والتفكر في دين الله وهذا من أعظم المنافع .

ومن منافع الحج نشر العلم بين الحجاج ممن جاء وافدًا وعنده علم ينشره بين الناس مع إخوانه في مكة ، ينشر العلم بين الحجيج وبين رفقائه في الطريق ، في السيارة ، في الطائرة ، في الخيمة ، في كل مكان ، ينشر علمه الشرعي فهي فرصة ساقها الله إليه فليغتنمها ، ومن أهداف الحج أن تنشر علمك وأن توضح للناس ما لديك ، لكن بالاعتماد على قول الله ورسوله لا بالآراء الخارجة عن الكتاب والسنة ، وتعلم الناس ما علمت من كتاب الله ومن سنة رسوله -ﷺ- ومما استنبطه أهل العلم من كتاب الله وسنة رسوله -ﷺ- لا عن جهل وعدم بصيرة بل بالعلم والبصيرة ، كما قال الله تعالى : ﴿ قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة ﴾ .

ومن أهداف الحج ومقاصده ومنافعه الاستكثار من الصلوات والطواف كما قال الله سبحانه : ﴿ ثم ليقضوا تفثهم وليوفوا نذورهم وليطوفوا بالبيت العتيق ﴾ فيشرع للحاج والمعتمر أن يكثر من الطواف متى قدر عليه من غير مزاحمة ولا مشقة والإكثار من الصلاة في الحرم وفي مساجد مكة والصواب أن التفضيل في الثواب يعم المساجد كلها وبمكة يعم الحرم كله فاغتنم الفرصة في المسجد الحرام وفي مساجد مكة وفي بيتك أكثر من الصلاة وقراءة القرآن الكريم وأكثر من التسبيح والتهليل والذكر والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والدعوة الى الله .

وعليك أيها الحاج أن تنتهز فرصة اجتماع هذا الجمع الغفير من الناس من افريقيا وأوربا وأمريكا وآسيا وغيرها بأن تحرص على التبليغ عن الله وأن تعلم مما أعطاك الله ، ثم احرص على العمل الصالح من

صلاة وطواف ، ودعوة إلى الله وتسبيح وتهليل وذكر وقراءة قرآن وأمر بالمعروف ونهي عن المنكر وعيادة المريض ، وإرشاد الحيران إلى غير ذلك من وجوه الخير .

ومن منافع الحج العظيمة الوفاء بما عليك من نذور كالعبادات التي نذرتها بأن تؤدى في المسجد الحرام ومن هدايا تذبحها في منى وفي مكة ومن صدقات تؤديها، وإن كان النذر لا ينبغي فالنبي -ﷺ- قال : « النذر لا يأتي بخير» ولكن متى نذرت طاعة وجب الوفاء بها لقول النبي -ﷺ- : « من نذر أن يطيع الله فليطعه » فإذا نذرت في هذا الحرم صلاة أو طوافًا أو غير ذلك من العبادات فيجب أن تؤديها في هذا البلد الحرام لقول الله سبحانه : ﴿ وليوفوا نذورهم ﴾ ومن المقاصد العظيمة والأهداف الجليلة للحج أن تواسي الفقير وتحسن إليه من الحجاج وغير الحجاج ، في هذا البلد الأمين وفي الطريق وفي المدينة المنورة .. تواسي مما أعطاك الله تواسي الحجيج الفقراء وتواسي من قصرت به النفقة ممن عدموا القدرة على الهدي وهذه الأهداف والمقاصد العظيمة قد أطلقها -عزوجل- في قوله سبحانه : ﴿ ليشهدوا منافع لهم ﴾ فهي منافع كثيرة ومنها مواساة الحجيج الفقراء والإحسان إليهم وسدّ خلتهم مما أعطاك ، ومداوة المريض وعلاجه والشفاعة له لدى من يقوم بذلك وإرشاده إلى المستشفيات والمستوصفات حتى يعالج ، وإعانته على ذلك بالمال وبالدواء كل هذا من المنافع .

ومن المنافع العظيمة التي ينبغي لك أن تلزمها دائمًا الإكثار من ذكر الله في هذا البلد الأمين والإكثار من ذكر الله في كل الأحوال قائمًا وقاعدًا وعلى فراشك ومن ذلك : « سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله »والدعاء والإلحاح فيه ، فمن

المنافع العظيمة أن تجتهد في دعاء ربك والضراعة إليه أن يتقبل منك وأن يصلح قلبك وعملك وأن يعينك على ذكره وشكره وحسن عبادته وأن يعينك على أداء الحق الذي عليك على الوجه الذي يرضيه سبحانه وأن يعينك على الأحسان إلى عباده ونفعهم وأن لا يتأذوا منك بشئ .. تسأل الله أن يجعلك مباركًا لا تؤذي أحدًا وتنفع عباده ، فمن المنافع العظيمة أن تحرص على النفع وعدم الأذى .. لا تؤذي الناس لا في الطريق ولا في الطواف ولا في السعي ولا في عرفات ولا في مزدلفة ولا في منى ولا في أي مكان ولا في الباخرة ولا في الطائرة ولا في السيارة ولا في الخيمة ، ولا تؤذهم لا بسب ولا بكذب ولا بيدك ولا برجلك ولا بغير ذلك ، تتحرى أن تنفع ولا تؤذي أينما كنت تتحرى نفع الناس من الحجيج وغيرهم وألا تؤذي أحدًا لا بقول ولا بعمل ، هذه من المنافع العظيمة .

ومن المنافع العظيمة للحج أن تؤدي المناسك في غاية من الكمال وفي غاية من الإتقان وفي غاية من الإخلاص ، في طوافك وسعيك ورمى الجمار .. وفي عرفات ، وفي مزدلفة تكون في غاية الإخلاص ، وفي غاية من حضور القلب ، وفي غاية من جمع القلب على الله في دعائك وذكرك وقراءتك وصلاتك ، وغير ذلك .. تجمع قلبك على الله وتحرص أينما كنت على الإخلاص لله .

ومن المنافع الهدايا ، سواء كانت واجبة عند التمتع والقران أو غير واجبة تهديها تقربًا إلى الله سبحانه وتعالى .. وقد أهدى النبي في حجة الوداع مائة بدنة وأهدى الصحابة - رضي الله عنهم - ، فالهدي قربة إلى الله ويوزع على الفقراء والمحاويج ، في أيام منى وفي غيرها .. هدايا تطوع تنفع بها الناس في منى ، وفي غير منى قبل الحج وبعده .

أما هدى التمتع فيذبح في منى وفي مكة أيضًا وفي بقية الحرم في

أيام منى وهي أربعة يوم النحر وأيام التشريق الثلاثة .. أما الصدقة بالذبائح وبالمال ففي أي وقت .. لو ذبحت في أيام العشر أو قبليها وتصدقت و وزعتها على الفقراء و وزعت أطعمة أو ملابس أو دراهم ، كله خير ، إنما الذي يخص به أيام منى ، الأيام الأربعة هدايا التمتع والقران والضحايا ، أما التطوعات بالذبائح فوقتها واسع ، في جميع الزمان .

هذا وأسأل الله -عزوجل- أن يوفقنا وجميع الحجاج وجميع المسلمين للعلم النافع والعمل الصالح ، وأن يصلح قلوبنا وأعمالنا جميعًا وأن يتقبل منا ومن سائر الحجاج حجنا وعمرتنا وأن يعيد الحجاج جميعًا إلى بلادهم سالمين موفقين مغفورًا لهم متعلمين متبصرين وقد عرفوا الحق بدليله ، وعرفوا التوحيد على بصيرة حتى يرجعوا إلى بلادهم غانمين موفقين قد عرفوا دين الله على بصيرة وقد أدوا حجهم على بصيرة وعمرتهم ومناسكهم على بصيرة .

أسأل الله بأسمائه الحسنى وصفاته العلى أن يوفقنا جميعًا لما يرضيه وأن يصلح قلوبنا وأعمالنا جميعًا وأن يمنحنا الفقه في دينه وأن يوفق حجاج بيت الله الحرام وعماره لكل ما يرضيه وأن يمنحهم الفقه في الدين وأن يعلمهم ما ينفعهم وأن يردهم غانمين موفقين سالمين إلى بلادهم وأن يتقبل من الجميع وأن ينصر دينه ويعلي كلمته وأن يصلح أحوال المسلمين في كل مكان وأن يولي عليهم خيارهم ويصلح قادتهم وأن يوفق جميع ولاة أمر المسلمين لتحكيم شريعته والتحاكم إليها وإلزام الشعوب بها ، إنه -جل وعلا- جواد كريم والحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله نبينا محمد وعلى آله وأصحابه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين .

أدوار حاسمة للمرأة المسلمة في التاريخ

فضيلة الشيخ عبد الله محمد الحسني الندوي
أستاذ الحديث بدار العلوم لندوة العلماء

من قديم الزمان تختلف تصورات الناس عن المرأة ، فيشك بعضهم في صلاحياتها التي أودعها الله فيها منذ أن خلقها ، ويقول : هل هي تستطيع أن تلعب دورًا ما في الأوساط الإنسانية والمجتمعات البشرية ، وبعضهم يسوّيها مع الرجال ، ولنا في التارخ خير شاهد ودليل على أن المرأة إذا أتيحت لها الفرصة المتكافئة لمكانتها وقدراتها ، فإنها مثلت دورًا بارزًا ، وقامت بأعمال جليلة في عصور مختلفة ، وهي رغم ضعفها في البنيان إنما ثبتت كالجبال الراسيات ، ورغم نقصان عقلها قد أتت بما حيرت أولى الألباب ، و قامت بأعمال خارقة للعادة ، و إذا صح التعبير : فهي قطرة من البحر إن لم تكن بحرًا و هي تثقب الحجر الصلب الثقيل إذا عالجته وألحت عليه ، وهي وإن لم تكن جبلاً ولكنها قطعة من جبل ، وقد تعمل القطعة ما لا يعمله الجبل .

فالمرأة ضعيفة في البنية ولكنها قوية في الإرادة والعزم ، وهي منطوية على نفسها ولكنها محدثة للثورة ، وهي مفتقرة إلى من يكفلها وينفق عليها ، ولكنها مربية للجيل ومرشدة للنشء الجديد ، وقد تكون موجهة لمن تتكفل به ويعولها .

إنها قدمت أمثلة رائعة ونماذج عملية في صور شتى وأشكال مختلفة ، والمرأة اليوم تستطيع أن تأتي بما أتت بها وأن تقوم بدور فعّال ملموس كما قامت به من قبل ، ولكن لا تتسنى هذه الأعمال لإحداهن ، حتى تتمكن من إنشاء الإيمان القوي وإيجاد اليقين الكامل في القلوب ، لأن الإيمان

هو الدافع القوي والحافز المتين لمواجهة الأخطار والمجازفة بالنفس والنفيس ، وإليكم بعض النماذج .

المرأة كأم : بقيت زوجة سيدنا إبراهيم - عليه الصلاة والسلام - في واد غير ذي زرع وحيدة فريدة ، ليس به أحد إلا الطفل الصغير إسماعيل - عليه الصلاة والسلام - ، ولكنها كانت واثقة بالله ومتوكلة عليه ، لا تدهشه الجبال الجرداء المحيطة بها ، ولا تزعجه الصحارى القاحلة التي تتناجى معها ، لأنها عرفت أن الله -عزوجل- الذي خلق كل شئ فقدره تقديرًا ، هو الذي يصونها ، وهو رب كل شئ ، فكيف لا يربيها وابنها ، وكيف يضيعها وهي تطيعه وتعبده ، فبدأت تربى طفلها على مرأى ومسمع من ربه الكريم ، حتى نشأ الطفل نشأة كريمة ، وأنبته الله نباتًا حسنًا ، دلّ عليه قول الله تعالى في كتابه العزيز ، إذ حكى هذه القصة فقال : ﴿ فلما بلغ معه السعي قال يا بُنيّ إني أرى في المنام أنى أذبحك فانظر ماذا ترى • قال يا أبت افعل ما تؤمر ستجدني إن شاء الله من الصابرين ﴾ [سورة الصافات ، الآية : ١٠٢] إن هذه الكلمة هي الثمرة الطيبة لشجرة التربية الصالحة التي غرستها الأم الحنون في هذه التربة الصالحة ، فبدأت تؤتي أكلها وتأتي بثمارها ، وهي ثمار الطاعة والانقياد والفداء العظيم ، التي خلدت ذكر ابنها إلى يوم الدين ، وما ذلك إلا نتيجة للتربية الإيمانية الفذة التي قامت بها المرأة الصالحة الوحيدة المنعزلة عن العالم ، والواثقة بنصر الله .

أم تلقى إبنها في البحر :

تستبشر أم موسى برؤية رضيعها الجديد الحبيب الأثير إلى النفس ، ولكنها ما لبثت أن غشيتها سحابة من الحزن والكآبة بعد ما فكرت في فرعون وعمله ، حيث يقتل أبناء بني إسرائيل ويستحيي نساءهم ، ولكن سرعان ما تقشعت هذه السحب الكثيفة ، وتبددت هذه الظلمات ، وانبلج

النور ، وأسفر الصبح بالوحي الإلهي والإلهام الرباني ، إذ نزل عليها ما يثبت قلبها ويسلي نفسها ويقوي عزمها : ﴿ وأوحينا إلى أم موسى أن أرضعيه فإذا خفت عليه فألقيه في اليم ولا تخافي ولا تحزني إنا رادّوه إليك وجاعلوه من المرسلين ﴾ [سورة القصص ، الآية : ٧] فلما خافت على فلذة كبدها من الشرطة الفرعونية دفعها إيمانها بالوحي الرباني إلى أن تلقيه في اليم من غير وجل ولا هياب فلم يبق موسى - عليه الصلاة والسلام - حيًا مهجورًا بل أصبح من الأنبياء المرسلين ، نجى به الله بني إسرائيل المضطهدين المقهورين نتيجة لما قامت به أمه الحنون الكريمة القوية الإيمان حيث لم يأخذها القلق والانزعاج ولا الشك ولا الارتياب فيما أوحي إليها من فوق سبع سماوات لمستقبلها ومستقبل ولدها الحبيب .

الحمد لله الذي شرفني بقتلهم :

هذه هي الخنساء التي طبق صيتها بين الأوساط الأدبية بمراثيها التي خلدت ذكرى أخيها الذي أحبته من أعماق النفس وصارت مضرب المثل في حب أخيها وقد بكت على موته بكاءً لا مثيل له ، وبقيت هذه المراثي ذات قيمة أدبية ، لأنها تحمل معاني إنسانية لطيفة ، وتصور العواطف القلبية والنزعات النفسية تصويرًا دقيقًا يجعلها تحتل المكان اللائق في الأدب العربي .

ولكنها لما آمنت بالله ورسوله ، وذاقت حلاوة الإيمان واطمأنت نفسها للتضحية في سبيل الله بكل ما تملك يداها و يتعلق به قلبها قامت بفداء أربعة أبناء في سبيل الله حينما شعرت حاجة الإسلام إلى التضحية والفداء ، بثغر باسم وقلب راض إيمانًا بالله واحتسابًا ، دع التاريخ يروي قصتها .

كان للخنساء أربعة بنين فلما ضرب البعث على المسلمين لفتح فارس

سنة ١٦هـ أوصتهم من الليل بقولها : يا بني إنكم أسلمتم طائعين وهاجرتم محتارين ، والله الذي لا إله إلا هو إنكم لبنو رجل واحد كما انكم بنو امرأة واحدة ما هجنت حسبكم ولا غيرت نسبكم ، واعلموا أن الدار الآخرة خير من الدار الفانية واصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون ، فإذا رأيتم الحرب قد شمرت عن ساقها وجللت نارًا على أرواقها فتيمموا وطيسها ، وجالدوا رسيسها تظفروا بالغنم والكرامة في دار الخلد والمقامة ، فلما أضاء لهم الصبح باكروا إلى مراكزهم فتقدموا واحدًا بعد واحد ينشدون أراجيز يذكرون فيها وصية العجوز لهم حتى قتلوا عن آخرهم فبلغ الخبر إليها ، فقالت : « الحمد لله الذي شرفني بقتلهم وأرجو من ربي أن يجمعني بهم في مستقر الرحمة » (١) .

أما آن لهذا الراكب أن ينزل :

لمـــا اشتد الحصر على عبد الله قبل قتله بعشرة أيام دخل على أمه أسماء وهي شاكية ، فقال لها : إن في الموت لراحة ، فقالت له : لعلّك تمنّيته لي ، ما أحب أن أموت حتى يأتي على أحد طرفيك ، إما قتلت فاحتسبك وإما ظفرت بعدوك فتقر عيني ، فضحك فلما كان اليوم الذي قتل فيه دخل عليها ، فقالت له : يا بني لا تقبلن منهم خطة تخاف فيها على نفسك الذل مخافة القتل ، فوالله لضربة بسيف في عز خير من ضربة بسوط في ذل ، وخرج على الناس وقاتل ثم جاءت أمه تقاد ، فقالت للحجـــاج : أما آن لهذا الراكب أن ينـــزل ، فقـــال لها الحجـــاج : « المنـــافق » ؟ قالت : والله ما كان منافقًا ولكنه كان صوامًا قوامًا وصولاً (٢) .

---

(١) الدر المنثور في ص/١١١ ، وأعلام النساء : ج/١ ، ص/٢١٣-٢١٤.

(٢) انظر . أسد الغابة في معرفة الصحابة . ج/٢ ، ص/١٦٤ .

هذه الكلمة القوية تدل على قوة إيمانها واحتسابها لله تعالى فقد ألقت فلذة كبدها في نار الحرب التي كانت تتأجج حوله وتضطرم بلهيبها، ما شاهدت السماء أمًّا تفدى بابنها الحبيب في سبيل الحق والصدق هكذا ، رحمها الله رحمةً واسعةً وجزاها الله خيرًا عن الإسلام وعن المرأة المسلمة التي لا تبالي بما إذا قدمت أفلاذ كبدها فداءً في سبيل الله تعالى .

إذن لا يضيعنا : إن زوجة إبراهيم - عليه السلام - تبرز مطيعة له في ظروف قاتمة وأوضاع شركية ، تصاحبه في الحل والرحال وترافقه في المنشط والمكره ثم تبدو حين يتركها في واد غير ذي زرع ، واثقه بالله متوكلة عليه حق التوكل ، مؤمنة به كاملة الإيمان ، من غير هياب ولا دهشة تدل عليه الكلمة الخالدة التي نطقت بها وسجّلها المؤرخون والمحدثون ، يروى ابن عباس : جاء بها إبراهيم وبابنها إسماعيل وهي ترضعه حتى وضعها عند البيت عند دوحة فوق زمزم في أعلى المسجد وليس بمكة يومئذ أحد ، وليس بها ماء فوضعهما هنالك و وضع عندهما جرابًا فيه تمر وسقاء فيه ماء ، ثم قفل إبراهيم منطلقًا فتبعته أم إسماعيل ، فقالت : يا إبراهيم ! أين تذهب وتتركنا بهذا الوادي ليس فيه أنيس ولا شئ ، فقالت له ذلك مرارًا : وجعل لا يلتفت إليها ، فقالت له : آلله أمرك بهذا ؟ قال : نعم ، قالت : إذن لا يضيعنا ثم رجعت فانطلق إبراهيم (١) .

وحينما عرفت أن هذا الأمر من الله اطمأنت وارتاحت ، وقالت كلمتها الخالدة : إذن لا يضيعنا ، التي تنم عن إيمانها القوي وطمأنينة نفسها الراسخة ، وكمال توكلها ، وتشير إلى تلك الإرادة القوية والثبات العظيم الذي جعلها تستعد لتحمل المشاق واحتمال المكاره في سبيل الله تعالى . [يتبع]

---

(١) ذكره صاحب البداية والنهاية نقلاً عن البخاري : ج/١ ، ص/١٥٤ .

سياسة التجريم والعقاب

في الفقه الجنائي الإسلامي

(الحلقة الثانية) سعادة الدكتور مصطفى عبد الرحيم آدم رشاش

طبيعة و ماهية العقوبة في النظام العقابي الإسلامي :

تتوقف طبيعة وماهية العقوبة في الشريعة الإسلامية على نوع الجريمة المرتكبة ، فمناط تحديد العقوبة إذن هو طبيعة العمل الإجرامي الذي قام به الجاني ، إذ تتنوع العقوبات تبعًا لتنوع الجرائم إلى ثلاثة أنواع هي : عقوبات الحدود ، وعقوبات القصاص ، وعقوبات التعزير، وفيما يلي بيان موجز لأنواع العقوبات الثلاث ، هذه من حيث المشروعية ونطاق التطبيق .

١- عقوبات الحدود :

الحدود جمع حد ، والحد عند علماء اللغة العربية هو ما يحجز به بين شيئين فيمنع اختلاطهما ، بينما الحد في اصطلاح الفقهاء هو عقوبة مقدرة من عند الله تعالى لتمنع وتزجر الجاني عن ارتكاب الجرائم ، وسميت هذه العقوبات حدودًا لكونها تمنع عن المعاودة أي معاودة ارتكاب الفعل غير المشروع ، ويطلق اسم الحدود على نفس الجرائم التي يعاقب عليها بعقوبات الحدود ، ومن ذلك قول الله تعالى : ﴿ تلك حدود الله فلا تقربوها ﴾ [سورة البقرة ، الآية : ١٨٧] .

وقوله تعالى : ﴿ تلك حدود الله فلا تعتدوها ومن يتعد حدود الله فأولئك هم الظالمون ﴾ [سورة البقرة ، الآية : ٢٢٩] .

وقوله تعالى أيضًا : ﴿ وتلك حدود الله يبينها لقوم يعلمون ﴾ [سورة البقرة ، الآية : ٢٣٠] .

هذا وتتميز عقوبات الحدود بأنها لا يجوز بحال من الأحوال إبطالها أو تخفيفها أو استبدالها بأي عقوبة أخرى ، فالقضاة ملزمون شرعًا بتطبيقها متى ما توفرت في الجريمة الشروط الموجبة لعقوبة الحد ، وذلك لأن عقوبات الحدود تعتبر حقًا لله تعالى و روعيت فيها مصلحة المجتمع وحماية المقاصد التي عنيت الشريعة الإسلامية بصونها وحفظها ، ولهذا لا يجوز فيها العفو ولا أي نوع من التسوية بين الجاني والمجني عليه ، إلا ما اعتبر فيه حق العبد أغلب كالسرقة مثلاً حيث يجوز فيها العفو والتسامح .

ذهب جمهور الفقهاء إلى أن جرائم الحدود التي يعاقب عليها بعقوبات حدية تنحصر في سبع جرائم هي : الزنا ، والقذف ، وشرب الخمر ، والسرقة ، والحرابة ، والردة والبغي ، بينما أسقط بعض الفقهاء جريمة البغي بكونها ليست جريمة حدية ، وفريق آخر من الفقهاء حصر جرائم الحدود في الزنا والقذف والسرقة والحرابة ، أما شرب الخمر والردة في رأيهم يعاقب عليهما بعقوبة تعزيرية .

سبقت الإشارة إلى أن عقوبات الحدود ثبت تقريرها وتحديدها من عند الشارع الحكيم ، فيجدر بنا بذلك استعراض النصوص من القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة التي تضمنت هذه العقوبات .

فيما يتعلق بجريمة الزنا وعقوبتها ، قال الله تعالى : ﴿ الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر • وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين ﴾ [سورة النور ، الآية : ٢] .

وجاء في الحديث الشريف أيضًا عن عقوبة الزنا : روى عبادة بن الصامت - رضي الله عنه - أن النبي -ﷺ- قال : « خذوا عني فقد جعل الله لهن سبيلاً ، البكر بالبكر جلد مائة وتغريب عام ، والثيب بالثيب جلد مائة والرجم » (١) .

وفيما يتعلق بعقوبة جريمة القذف ، قال الله تعالى : ﴿ والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة ولا تقبلوا لهم شهادة أبدًا وأولئك هم الفاسقون ﴾ [سورة النور ، الآية : ٤] .

وعن عقوبة جريمة السرقة ، قال الله تعالى : ﴿ والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما جزاءً بما كسبًا نكالاً من الله والله عزيز حكيم ﴾ [سورة المائدة ، الآية : ٣٨] .

وجاء في الحديث الشريف عن عائشة - رضي الله عنها - قالت : قال رسول الله -ﷺ- : « لا تقطع يد سارق إلا في ربع دينار فصاعدًا » (٢) .

وفيما يتعلق بعقوبة جريمة الحرابة ، قال الله تعالى : ﴿ إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فسادًا أن يقتلوا أو

---

(١) ابن حجر : ج/٤ ، ص/٤ .

(٢) ابن حجر : ج/٤ ، ص/١٨ .

يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض ذلك لهم خزيٌ في الدنيا ولهم في الآخرة عذاب عظيم ﴾ [سورة المائدة ، الآية : ٣٣] .

وعن عقوبة جريمة شرب الخمر جاء في السنة النبوية المطهرة : عن معاوية -رضي الله عنه- عن النبي -ﷺ- أنه قال في شارب الخمر : « إذا شرب فاجلدوه ثم إذا شرب فاجلدوه ثم إذا شرب الثالثة فاجلدوه ثم إذا شرب الرابعة فاضربوا عنقه » (١) .

وعن أنس بن مالك - رضي الله عنه - أن النبي -ﷺ- أتى برجل قد شرب الخمر فجلده بجريدتين نحو أربعين ، قال : وفعله أبو بكر فلما كان عمر استشار الناس ، فقال عبد الرحمن بن عوف : أخف الحدود ثمانون ، فأمر به عمر (٢) .

وعن عقوبة جريمة الردة ورد في السنة النبوية الشريفة أن رسول الله -ﷺ- قال : « من بدل دينه فاقتلوه » (٣) .

وفيما يتعلق بعقوبة جريمة البغي وهو الخروج عن طاعة الإمام الذي تولى مقاليد الحكم بالطرق المشروعة ، وذلك بإرادة عزله وتنحيته عن السلطة ، روى عن أبي هريرة -رضي الله عنه- عن النبي -ﷺ- قال : « من خرج عن الطاعة ، وفارق الجماعة ، ومات فميتته ميتة جاهلية » (٤) .

هذه هي أدلة مشروعية عقوبات الحدود ، غير أننا نجد الغربيين ، من

---

(١) ابن حجر : ج/٤ ، ص/٣١ .

(٢) ابن حجر : ج/٤ ، ص/٢٨ .

(٣) ابن حجر : ج/٣ ، ص/٢٦٥ .

(٤) ابن حجر : ج/٣ ، ص/٢٥٨ .

وقت لآخر يثيرون ضجة شديدة لا مبرر لها ضد السياسة العقابية في الشريعة الإسلامية ، وعلى وجه الخصوص عقوبة قطع اليد في حالة السرقة وعقوبة الرجم بالنسبة للزاني المحصن ، إذ أنهم نظرًا لهاتين العقوبتين ، يصفون الشريعة بأنها نظام همجي و وحشي ورجعي لا يتمشى مع روح وتطلعات ومقتضيات عصرنا الحاضر .

و دحضًا لهذه الافتراءات يمكن القول بأن الشريعة الإسلامية مع أنها قررت هذه العقوبات التي يصفها البعض بالقسوة والغلظة ، إلا أنها وضعت في نفس الوقت من الضوابط والقيود ما يجعل نطاق تطبيق هذه العقوبات ضيقًا جدًا ، وأهم هذه الضوابط وأظهرها هو مبدأ الشبهة ، إذ جعلت الشريعة الشبهة سببًا مسقطًا لعقوبة الحد ، وذلك بناء على قول رسول الله -ﷺ- : « ادرؤا الحدود بالشبهات » (١) .

فمتى ما كانت هناك شبهة أو أدنى شك فيما إذا كان الجاني قد ارتكب الجريمة المعينة حقيقة أم لا ، أو ما إذا كان عند ارتكاب الجريمة سليم العقل أم لا ، أو كان يعمل تحت تأثير إكراه أم لا ، أو كان هناك شك في أهلية الشهود وقوة شهادتهم لإثبات التهمة ، فإن كل هذه الشكوك وغيرها من الظنون الأخرى تمنع توقيع عقوبة الحد .

ومن ناحية أخرى جعل قانون الإثبات الإسلامي إجراءات إثبات جرائم الحدود من الصعوبة بمكان ، فوضع عدة شروط يتعلق بعضها بعدد الشهود ونوعهم من حيث الذكورة والأنوثة ، والبعض الآخر من الشروط

---

(١) ابن حجر : ج/٤ ، ص/١٥ .

يتعلق بأهلية الشهود لأداء الشهادة ومضمون أقوالهم وشهادتهم ، وتظهر هذه الشروط أكثر صعوبة بالنسبة لإثبات جريمة الزنا ، إذ بجانب ما وضعته الشريعة من شروط لتحقيق الاحصان في حالة الزنا الذي تكون عقوبته الرجم ، لا تثبت جريمة الزنا إلا بشهادة أربعة شهود ذكور يشترط أن يكونوا قد شاهدوا جميعهم الزاني والزانية وهما في حالة ارتكاب الزنا حقيقة ، كما وضعت الشريعة قيودًا كثيرة ومشددة لإثبات جريمة السرقة التي يعاقب عليها بقطع يد السارق .

وفيما يتعلق بالإقرار ، الذي هو سيد الأدلة ، يعتبر الرجوع عنه بشبهة تدرأ وتسقط الحد تفاديًا ودراءً لتوقيع عقوبات الحدود بقدر الإمكان متى ما قامت هناك أدنى شبهة على نحو ما تقدم ذكره ، وفي هذا روى أن رسول الله -ﷺ- قال : « ادرءوا الحدود عن المسلمين ما استطعتم فإن كان له مخرج فخلوا سبيله فإن الإمام أن يخطئ في العفو خير من أن يخطئ في العقوبة » (١) .

وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال : أتى رجل من المسلمين رسول الله -ﷺ- - وهو في المسجد - فناداه ، فقال : يا رسول الله ، إني زنيت فأعرض عنه ، فتنحى تلقاء وجهه فقال : يا رسول الله ، إني زنيت ، فأعرض عنه ، حتى ثنى ذلك أربع مرات ، فلما شهد على نفسه أربع شهادات دعاه رسول الله -ﷺ- ، فقال : « أبك جنون ؟ » قال : لا ، فقال : « فهل أحصنت ؟ » فقال : نعم ، فقال النبي -ﷺ- : « اذهبوا به

---

(١) الصنعاني : ج/٤ ، ص/١٥ .

فارجموه » (١) .

دل هذا الحديث على أن إعراض رسول الله -ﷺ- عن هذا الرجل - وقيل إنه ما عز بن مالك - أن رسول الله -ﷺ- قصد من ذلك الاعراض اتاحة الفرصة لماعز لكي يرجع عن إقراره بالزنا وبالتالي يسقط عنه الحد ، وكذلك سؤاله -ﷺ- عما إذا كان بماعز جنون وعما إذا كان محصنًا أم لا ، دل كل هذا على الاستيثاق والتيقن من عدم وجود أي شبهة تتعلق بأهلية الجاني واستيفائه لكل القيود والشروط التي توجب عليه عقوبة حد الزنا .

وثمة وسيلة أخرى لدرء عقوبات الحدود ، هي التوبة ، فإذا تاب السارق وردّ المال المسروق لصاحبه قبل أن يرفع الأمر إلى سلطان التحرى والقضاء ، فإن توبته تسقط عنه الحد ، وكذلك إذا تاب قاطع الطريق قبل القبض عليه فإن توبته تدرأ عنه الحد ، وفي هذا يقول الله تعالى : ﴿ و السارق والسارقة فاقطعوا أيديهما جزاءً بما كسبا نكالاً من الله والله عزيز حكيم • فمن تاب من بعد ظلمه وأصلح فإن الله يتوب عليه إن الله غفور رحيم ﴾ ، وقوله تعالى : ﴿ إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فسادًا أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض ذلك لهم خزيٌ في الدنيا ولهم في الآخرة عذاب عظيم • إلا الذين تابوا من قبل أن تقدروا عليهم فاعلموا ان الله غفور رحيم ﴾ [سورة المائدة ، الآيات : ٣٨-٣٩ ، ٣٣-٣٤] .

---

(١) ابن حجر : ج/٤ ، ص/٦ .

عقوبات القصاص :

القصاص مأخوذ من القص أو قصّ ، ومعناه لغة قطع أو تتبع الأثر ، وفي الاصطلاح الفقهي ، القصاص هو المساواة والمماثلة في العقوبة كالقتل بالقتل والسن بالسن والجرح بالجرح ، وتطبق عقوبات القصاص على الأفعال العمدية ضد حياة الإنسان وجسمه .

الأصل في عقوبات القصاص قول الله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص في القتلى الحر بالحر والعبد بالعبد والأنثى بالأنثى ﴾ [سورة البقرة ، الآية : ١٧٨] ، وقوله تعالى : ﴿ وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس والعين بالعين والأنف بالأنف والأذن بالأذن والسن بالسن والجروح قصاص ﴾ [سورة المائدة ، الآية : ٤٨] .

وفي الحديث الشريف ، عن أبي مسعود - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله -ﷺ- : « لا يحل دم امرئ مسلم يشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله إلا بإحدى ثلاث : الثيب الزاني ، والنفس بالنفس ، والتارك لدينه المفارق للجماعة » (١) . [متفق عليه]

كما أن هذا الحديث يستدل به على مشروعية عقوبة القصاص في حالة القتل العمد وذلك بأن من قتل شخصًا عمدًا دون وجه حق يجب قتله ، يستدل به أيضًا على مشروعية عقوبة الزنا للزاني المحصن وهو الرجم بالحجارة حتى الموت ، وكذلك مشروعية عقوبة الردة وهي القتل وذلك أن المرتد بعد أن يستتاب ثلاثة أيام ويصر بعدها على الردة يجب قتله .

---

(١) ابن حجر : ج/٤ ، ص/٦ .

أما الجرائم غير العمدية على النفس والجسم فعقوبتها الدية وهي عقوبة مالية يدفعها ذوو الجاني إلى المجني عليه ، كما قد تكون الدية بدلاً عن القصاص في الجرائم العمدية إذا ما عفا المجني عليه عن الجاني وتنازل عن حقه في القصاص وطالب بدفع الدية ، والأصل في الدية كعقوبة بديلة للقصاص قول الله تعالى : ﴿ فمن عفي له من أخيه شئ فاتباع بالمعروف وأداءٌ إليه بإحسان ذلك تخفيف من ربكم ورحمة فمن اعتدى بعد ذلك فله عذاب عظيم ﴾ [سورة البقرة ، الآية : ٤٨] ، وقوله تعالى : ﴿ وما كان لمؤمن أن يقتل مؤمنًا إلا خطأً ومن قتل مؤمنًا خطأً فتحرير رقبة مؤمنة ودية مسلمة إلى أهله إلا أن يصدقوا ﴾ [سورة النساء ، الآية : ٩٢] .

وجاء في الحديث الشريف أن رسول الله -ﷺ- كتب إلى أهل اليمن : « إن من اعتبط مؤمنًا قتلاً (١) عن بينة فإنه قود إلا أن يرضى أولياء المقتـول ، و إن في النفس الدية مائة من الإبل ، و في الأنف إذا أوعب جدعه (٢) الدية ، وفي العينين الدية ، وفي اللسان الدية ، وفي الشفتين الدية ، وفي الذكر الدية ، وفي البيضتين الدية ، وفي الصلب الدية ، وفي الـــرجل الواحد نصف الدية ، و في المأمومة (٣) ثلث الدية ، و في الجائفة (٤) ثلث الدية ، وفي المنقلة (٥) خمس عشرة من الإبل ، وفي كل

---

(١) من اعتبط مؤمنًا قتلاً: أي قتله بلا جناية كانت منه ولا جريرة توجب قتله .

(٢) وفي أنف إذا أوعب جدعه : أي قطع جميعه .

(٣) المأمومة : الجرح الذي يصل إلى أم الدماغ .

(٤) الجائفة : الطعنة التي تصل إلى الجوف .

(٥) المنقلة : هي التي تنقل العظم من مكان إلى مكان .

أصبع من أصابع اليد والرجل عشر من الإبل ، وفي السن خمس من الإبل وفي الموضحة (١) خمس من الإبل ، وإن الرجل يقتل بالمرأة ، وعلى أهل الذهب ألف دينار » (٢) .

٢- *عقوبات التعزير :*

عقوبات التعزير لم يرد تحديدها في القرآن الكريم ولا في السنة النبوية المطهرة إنما ترك أمر تحديدها لأولى الأمر لتحديدها عن طريق مجلس الشورى الذي هو بمثابة الجهاز التشريعي الإسلامي ، لتتلاءم مع الجرائم المختلفة غير التي ورد ذكرها تحت جرائم الحدود والقصاص ، ويستحسن أن تتنوع عقوبات التعزير بحيث يتيح تنوعها هذا مجالاً واسعًا للقضاة لتوقيع العقوبة التي تتناسب وطبيعة وجسامة الجريمة المرتكبة ، وذلك بأن يكون لكل جريمة عدة عقوبات كالجلد أو الغرامة أو السجن ليختار القاضي أيا من هذه العقوبات يراها كافية لردع وزجر الجاني .

وتتراوح عقوبات التعزير بين اللوم والتوبيخ والإنذار والجلد والغرامة والسجن ، وفي بعض الأحيان قد تبلغ عقوبة التعزير درجة القتل إذا روعيت فيه مصلحة الجماعة التي يكون قد أصبح جليًا أنه لا يمكن أن تصان إلا باستئصال الجاني عن المجتمع .   [يتبع]

---

(١) الموضحة : هي التي تكشف عن العظم .

(٢) ابن حجر : ج/٢ ، ص/٢٤٤ .

نظام الحكومة

في عهد النبي الكريم -ﷺ-

[الحلقة الثانية]

العلامة السيد سليمان الندوي - رحمه الله تعالى -

تعريب : عبد الباسط شرف الدين الندوي

ومن عادة الملوك أنهم كانوا يزعمون غنائم البلاد المفتوحة ، ومحاصلها وإيراداتها ملكًا لهم ، ويحسنون بدفع شئ منها إلى من يرونه جديرًا به .

أما نظام الحكم في الإسلام فإنه يعتبر جميع ما يحصل من الأموال مال الله يودع في بيت مال المسلمين ، فمثلا ما يحصل من الزكاة والصدقات والخراج والجزية ، مما كان يأتي إلى رسول الله -ﷺ- بحيث إنه كان أميرًا لهم ، ولكنه -ﷺ- ما حيّزه لنفسه بل جعله ملكًا لجميع المسلمين مع اختلاف الشروط ، وما كان ينفق منه على نفسه شئ ، بل حرم كل نوع من الزكاة على نفسه وعلى آله وأسرته بني هاشم ، وخصها بأمر من الله تعالى للمساكين والمحتاجين ، وأعلن ذلك حيث قال : « ما أوتيكم من شئ وما امنعكموه ، إن أنا إلا خازن أضع حيث ما أمرت » (١) ، وقال : « إنما أنا قاسم ... والله يعطي » (٢) .

وكانت الغنائم توزع في المجاهدين أيضًا ، فلا يبقى لإنفاق رسول الله -ﷺ- وفي تصرفه إلا الخمس منها ، كذلك كان -ﷺ- يعطى من هذا الخمس - عدا أهل بيته - المساكين الذين لا يستحقون الغنائم ، وكذلك البلاد التي تفتح بدون قتال فإن كان فيئها وغنائمها خالصة لرسول الله -ﷺ-

ولكنه -ﷺ- بعد أخذ نفقة منها لأهل بيته ينفقه في مصالح المسلمين ، ويجعله مال الله .

ومن الصحابة الذين رأوا حضارة الروم والفرس وبريقها كانوا يزعمون أن الفخفخة والعظمة والشوكة لازمة لإدخال مهابة الإسلام ، وحرمته إلى القلوب ، فكان يخطر ببالهم مرة بعد أخرى ، ويحبون أن يقضي النبي -ﷺ- حياته في تنعم وترف مثل قيصر الروم وسلاطين إيران ولا يؤثر الزهد والقناعة والتواضع والبساطة .

ذات مرة دخل عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - على النبي -ﷺ- بيته الذي يعيش فيه الرسول -ﷺ- فيروى هو بنفسه ما رآه فيه ، يقول : « دخلت على رسول الله -ﷺ- وهو مضطجع على حصير فجلست فأدنى عليه ازاره وليس غيره - وفي رواية وتحت رأسه وسادة من أدم حشوها ليف » وإذا الحصير قد أثر في جنبه فنظرت ببصري في خزانة رسول الله -ﷺ- فإذا أنا بقبضة من شعير نحو الصاع ومثلها قرظًا في ناحية الغرفة وإذا أفيق معلق ، قال : فابتدرت عيناي ، قال : ما يبكيك يا ابن الخطاب ، قلت : يا نبي الله وما لي لا أبكي وهذا الحصير قد أثر في جنبك وهذه خزانتك لا أرى فيها إلا ما أرى ، وذاك قيصر وكسرى في الثمار والأنهار وأنت رسول الله -ﷺ- وصفوته وهذه خزانتك ، فقال : يا ابن الخطاب ألا ترضى أن تكون لنا الآخرة ولهم الدنيا ، قلت : بلى » (٢) وفي رواية فرفعت بصري في بيته فو الله ما رأيت فيه شيئًا يرد البصر غير أهبة ثلاثة ، فقلت : يا رسول الله -ﷺ- ادع الله فليوسع على أمتك فإن فارسًا والروم قد وُسع عليهم واعطوا الدنيا وهم لا يعبدون

الله ، فجلس النبي -ﷺ- وكان متكئًا ، فقال : أوَفي هذا أنت يا ابن الخطاب إن أولئك قوم عُجلوا طيباتهم في الحياة الدنيا ، فقلت : يا رسول الله استغفر لي » (٤) .

وكان من تأثير هذا الواقع أن عمر - رضي الله عنه - الذي كان يتمنى لرسول الله -ﷺ- حياة ذات ترف وتنعم وعظمة وشوكة لما وُلّي صار يحكم ملوك قيصر الروم والفرس ، أصحاب الجواهر والثروات بثياب صفيقة مرقعة جالسًا في كوخه ، ويهزمهم في كل ساحة وفي كل مجال .

وعن قيس بن سعد - رضي الله عنه - قال : أتيت الحيرة ، فرأيتهم يسجدون لمرزبان لهم ، فقلت : رسول الله -ﷺ- أحق أن يسجد له ، قال : فأتيت النبي -ﷺ- ، فقلت : إني أتيت الحيرة فرأيتهم يسجدون لمرزبان لهم ، فأنت يا رسول الله أحق أن سجد لك ، قال : أرأيت لو مررت بقبري ، أ كنت تسحد له ، قال : قلت : لا ، قال : فلا تفعلوا ، لو كنت آمِرًا أحدًا أن يسجد لأحد لأمرت النساء أن يسجدن لأزواجهن لما جعل الله لهم عليهن من الحق » (٥) .

وفي رواية : لما قدم معاذ - رضي الله عنه - من الشام سجد للنبي -ﷺ- فقال : : « ما هذا يا معاذ ؟ » قال : أتيت الشام فوافقتهم يسجدون لأساقفتهم وبطارقتهم فرددت في نفسي أن نفعل ذلك بك ، فقال رسول الله -ﷺ- : فلا تفعلوا ، فإني لو كنت آمرًا أحدًا أن يسجد لغير الله لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها (٦) .

فيبدو من جميع هذه الأمور والوقائع أن العرب كانوا متعودين على أن ينظروا أمراءهم وسلاطينهم في الترف والنعم والأبهة الكبيرة

والحشمة العظيمة كملوك المناطق والبلدان المجاورة ، ولكن النبي -ﷺ- بتعاليمه وتزكيته وتربيته وأسوته الحسنة المثالية ، قدم أمام العالم بأن الله سبحانه وتعالى لا يحب الاستكبار والترفع والإسراف والتبذير ، وأن تعاليم الإسلام لا ترضى بذلك ولا تقبله ، فإن زينة الحياة الدنيا وبهاءها ليست أكثر من سراب بقيعة ، وقد بين الله سبحانه وتعالى هذه الحقيقة في القرآن الكريم مرارًا وتكرارًا ، وقدمها النبي -ﷺ- أمام العالم بأسوته الحسنة وسيرته العطرة واتبعه الخلفاء الراشدون والصحابة - رضوان الله عليهم أجمعين - فظلت هذه البساطة والتواضع شعارًا للإسلام والمسلمين .

كانت المحاصل والغنائم تدفع في دول العالم ابتغاء التزلف إلى الملوك والأمراء الذين كانوا متنعمين بالوراثة ، فكانت النتيجة أنها كانت لا تزيد الأثرياء إلاّ ثراءً ولا الفقراء إلا فقرًا ، وكانت دولة بين الأغنياء ، ولكن الشريعة الإلهية التي جاء بها النبي -ﷺ- وفق أوامر الله تعالى ليست فيها الثروة والتقرب سببًا لحصول الغنائم بل أصبحت الحاجة والضرورة هي الأساس ، فكان الضعفاء أحق من الأقوياء ، وكذلك ما كان في العرب حق للعبيد والإماء ولكن النبي -ﷺ- أعطاهم حقوقهم كالأحرار ، ففي سنن أبي داؤد : « عن عائشة - رضي الله عنها - : أن النبي -ﷺ- أتى بظبية فيها خرز فقسمه للحرة والأمة » (٧) وعن أبي عبد الرحمن عبد الله بن عمر قال : إني رأيت رسول الله -ﷺ- أول ما جاء شئ بدأ بالمحررين » (٨) .

وكان التكلم عند السلاطين بدون إذن منهم يعد ذنبًا كبيرًا ، فإن أذن

لأحد بذلك يختار أسلوبًا مزخرفًا صناعيًا مع الخضوع التام أمامهم ، وهكذا كان يستطيع عرض أغراضه عليهم ، وأما في الإسلام فإن عظمة النبي -ﷺ- وهيبته كانت تأخذ القلوب فيكونون كأن على رؤسهم الطير ، ولكن كل واحد منهم يستطيع عرض حوائجه وأهدافه عليه بدون أي تكلف وتصنع ، وكان الأعراب يأتون إليه ويخاطبونه بقولهم : يا محمد ا والنبي -ﷺ- يجيبهم ببشاشة من قلبه ، وكان المسلمون يخاطبونه : يا رسول الله ، يعرضون عليه أغراضهم ، وكان امتثال أوامره -ﷺ- من صميم إيمانهم وعقيدتهم ، ولكنهم حينما كانوا يعرفون أن هذا الأمر ليس من أمره -ﷺ- ولكنه من رأيه فيظهرون آراءهم بدون أي تكلف وكان النبي -ﷺ- يسمع منهم بكل رأفة ، ولا يكرههم على قبول مشورته ورأيـــــه .

فمن قوانين الإسلام أنه إذا زوّج أحد أمته بغلام فبعد عتقها يكون لها الخيار إن أحبت أقامت هذا النكاح أو فسخته ، فكانت بريرة - رضي الله عنها - أمة لعائشة - رضي الله عنها - ، فلما عتقت فسخت النكاح وأنكرت أن تكون تحت زوجها العبد ، وكان زوجها يطوف وراءها ويبكي ودموعه تسيل على لحيته ، فقال النبي -ﷺ- : لو راجعتــه ، قالت : يا رسول الله تأمرني ، قال : إنما أشفع ، قالت : فلا حاجة لي فيه (٩) ، ولم ينكر عليها النبي -ﷺ- .

وفي غزوة بدر نزل رسول الله -ﷺ-بموضع ، فقال الحباب بن الجموح يا رسول الله : أ رأيت هذا المنزل أ منزلاً أنزلكه الله ليس لنا أن نتقدمه ولا نتأخر عنه ، أم هو الرأي والحرب والمكيدة ، قال : بل هو

الرأي والحرب والمكيدة ، قال : يا رسول الله فإن هذا ليس بمنزل فأمض بالناس حتى نأتي أدنى ماء من القوم فننزلــه ، ثم نغور ما وراءه من القليب ، ثم نبني عليه حوضًا فنملؤه ماء ثم نقاتل القوم فنشرب ولا يشربون ، فقال رسول الله -ﷺ- : « لقد أشرت بالرأي » (١٠) وعمل رسول الله -ﷺ- برأيه ، ولمثل هذه الأمور التجريبية قال : « أنتم أعلم بأمر دنياكم » (١١) .

وعن رافع بن خديج قال : قدم النبي -ﷺ- المدينة وهم يابرون النخل يقول يلقحون النخل ، فقال : « ما تصنعون ، قالوا : كنا نصنعه ، قال : لعلكم لو لم تفعلوا كان خيرًا » قال : فتركوه ، فنفضت أو قال فنقصت ، قال : فذكروا ذلك له ، فقال : « إنما أنا بشر إذا أمرتكم بشيء من دينكم فخذوا به وإذا أمرتكم بشيء من رأي فإنما أنا بشر » وفي رواية أن النبي -ﷺ- مر بقوم يلقحون ، فقال : لو لم تفعلوا لصلح ، قال : فخرج شيصا فمر بهم فقال : ما لنخلكم ، قالوا : قلت كذا وكذا ، قال : « أنتم أعلم بأمر دنياكم » (١٢) .

فإن هذا الحديث له أهمية كبرى في الأمور التجريبية التي تتعلق بالشئون الدنيوية ، ولكن الأمور التي لها علاقة بالوحي ، فهي مبنية على حكمة الله تعالى ، وقد عرفها النبي -ﷺ- بوحي من الله تعالى ، فلا مجال ولا رأي لأحد فيها ، لأنها هي من مشيئة الله التي يجب امتثالها ، فلا خيار فيها لعبد .

وفي غزوة الحديبية لما رضي الرسول -ﷺ- بجميع شروط المشركين وقبلها ، فأحس سيدنا عمر - رضي الله عنه - في نفسه بأنا قد أخِذنا

ضغطة وثارت حماسته الدينية وغيرته الإيمانية فاضطرب ، وهو يقول بنفسه : « فأتيت نبي الله -ﷺ- ، فقلت : أ لست نبي الله حقًا ؟ قال : بلى ، قلت : ألسنا على الحق وعدونا على الباطل ؟ قال : بلى ، قلت : فلم نعطى الدّنيّة في ديننا إذن ، قال : إني رسول الله ولست أعصيه وهو ناصري ، قلت : أو ليس كنت تحدثنا أنا سنأتي البيت فنطوف به قال : بلى ، فأخبرتك أنا نأتيه العام ، قلت : لا ، قال : فإنك آتيه ومطوف به ، قال : فأتيت أبا بكر، فقلت : يا أبا بكر أ ليس هذا نبي الله حقًا ، قال : بلى ، قلت : أ لسنا على الحق وعدونا على الباطل ، قال : بلى ، قلت : فلم نعطى الدنية في ديننا إذن ، قال : أيها الرجل ! إنه رسول الله وليس يعصى ربه وهو ناصره فاستمسك بغرزه فو الله إنه على الحق ، قلت : أ ليس كان يحدثنا أنا سنأتي البيت ونطوف به ، قال : بلى ، فأخبرك أنك تأتيه العام ، قلت : لا ، قال : فإنك آتيه ومطوف به (١٣) فلما كشفت عليه هذه الحقيقة وأظهرها الله عليه عمل لذلك أعمالاً من الصدقة والصيام والعتق ، فتحقق بهذا أن سيدنا عمر - رضي الله عنه - وإن كان قدم كثيرًا من التساؤلات إلى النبي -ﷺ- وأبي بكر - رضي الله عنه - ، ولكن النبي -ﷺ- ما بدل حكمه وقراره لأنه كان من أمر تعالى وحسب مشيئته .

وكذلك في نفس الحديبية : « لما فرغ من قضية الكتاب ، قال رسول الله -ﷺ- لأصحابه : قوموا فانحروا ثم احلقوا ، قال : فو الله ما قام منهم رجل حتى قال ذلك ثلاث مرات » (١٤) وسببه أن الصحابة - رضوان الله عليهم أجمعين - قد ساد عليهم الحزن لعدم زيارتهم الكعبة

بعد ما كانوا مشتاقين إليها بشدة ، وما أرادوا بعدم امتثالهم لأمر الرسول -ﷺ- إلا أن يترحم لهم النبي -ﷺ- ويبدل حكمه حسب أمانيهم ، ولكنه -ﷺ- رأى أن إصرارهم هذا معارض لحكمة الله سبحانه وتعالى : « فلما لم يقم منهم أحد دخل على أم سلمة فذكر لها ما لقي من الناس ، فقالت أم سلمة : يا نبي الله أتحب ذاك ، أخرج ، ثم لا تكلم أحدًا منهم كلمة حتى تنحر بدنك وتدعو حالقك فيحلقك ، فخرج فلم يكلم أحدًا منهم حتى فعل ذلك ، نحر بدنه ودعا حالقه فحلقه ، فلما رأوا ذلك قاموا فنحروا وجعل بعضهم يحلق بعضًا حتى كاد بعضهم يقتل بعضًا غمًا» (١٥).

في هذا الواقع نجد المثالين كليهما ، إن حكم الحديبية كان بأمر من الله تعالى فما اعتنى فيه الرسول -ﷺ- برأي أحد ، وأما تدبير الإحلال من الإحرام الذي اختاره النبي -ﷺ- برأي أم سلمة - رضي الله عنها - ، فإنه كان حيلة إنسانية تتعلق بعلم النفس والأمور التجريبية فعمل بها بدون أي تأمل (١٦) .

وكم من الأمور والوقائع اعترض فيها الناس على النبي -ﷺ- غضبًا وغيظًا بسبب قلة فهمهم وعدم حزمهم وبمقتضي من الطبيعة البشرية ، ولكن الرسول -ﷺ- تحمل كل ذلك وما عاقبهم على ذلك .

ذات مرة خاصم الزبير رجل من الأنصار في شراج الحرة التي يسقون بها ، فقال الأنصاري : سرح الماء يمر فأبى عليه الزبير ، فقال النبي -ﷺ- للزبير : اسق يا زبير ثم ارسل إلى جارك ، قال : فغضب الأنصاري ، فقال : يا رسول الله ! إن كان ابن عمتك ، فتلون وجه رسول الله -ﷺ- ، ثم قال : اسق احبس الماء حتى يرجع إلى الجدر (١٧) .

من قوانين الإسلام أن الأرض التي تكون قريبة من البئر هي تستحق السقي والماء ، وأما الحقول التي تبعد من البئر ليس لأهلها أن يسرح الماء من أرض غيره بدون إذنه ، فأولاً أمر النبي -ﷺ- الزبير بأن يرسل الماء للأنصاري بعد سقي أرضه ، وهذا الأمر كان أخلاقيًا وشفقة عليه ، ولكن الأنصاري لم يفهمه ، فقال : ما قال ، فحكم النبي -ﷺ- بينهما كما يقتضى القضاء .

ومرة كان رسول الله -ﷺ- يقسم قسمًا أتاه ذو الخويصرة وهو رجل من بني تميم ، فقال : يا رسول الله ! اعدل ، فقال : ويلك ومن يعدل إذ لم اعدل ، قد خبت وخسرت إن لم أكن أعدل ، فقال عمر : يا رسول الله -ﷺ- ائذن لي فيه اضرب عنقه ، فقال له : دعه ، فإن له أصحابًا يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم وصيامه مع صيامهم ، يقرأون القرآن الكريم لا يجاوز تراقيهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية ، قال أبو سعيد : أشهد أن علي بن أبي طالب قاتلهم وأنا معهم (١٨) وهم كانوا خوارج .

فإن هذين الاعتراضين قد تجاوزا إلى إساءة الأدب والوقاحة ويمكن أن يكون بعضهم من المنافقين ، إلا أنه يُعلم من ذلك أن النبي -ﷺ- كان يتحمل رحمة وكرمًا إذا انتقده أحد بأسلوب غير صالح بسبب من الجهل أو قلة الفهم ، وإن في ذلك لأسوة حسنة ودرسًا عظيمًا للخلفاء والأمراء بعده -ﷺ- ، ذلك أن لا يحجزهم كبرهم وشوكتهم وأنانيتهم من اتباع الحق وعرفانه والقيام به والسعى له . [يتبع]

الهوامش :

(١) السنن للإمام أبي داؤد - رحمه الله - كتاب الخراج والإمارة ، باب فيما

يلزم من أمر الرعية .. إلخ : ٢/٤٠٩ .

(٢) المسند للإمام أحمد - رحمه الله - : ٤/١٠١ . والحديث الكامل : « إنما أنا مبلغ والله يهدي ، وقاسم والله يعطي .

(٣) الجامع الصحيح للإمام مسلم - رحمه الله - كتاب الطلاق باب بيان أن تخييره امرأته لا يكون طلاقًا إلا بالنية : ١/٤٨٠ . والسنن لابن ماجة ، أبواب الزهد ، باب ضجاع آل محمد .

(٤) الجامع الصحيح للإمام البخاري - رحمه الله - كتاب النكاح ، باب موعظة الرجل ابنته لحال زوجها . ٢/٧٨١

(٥) السنن للإمام أبي داؤد كتاب النكاح باب في حق الزوج على المرأة : ١/٢٩١ .

(٦) السنن لابن ماجة أبواب النكاح ، باب حق الزوج على المرأة .

(٧-٨) السنن لأبي داؤد كتاب الخراج والفيئ والإمارة ، باب قسم الفيئ : ٢/٤١٠ .

(٩) الجامع الصحيح للإمام البخاري كتاب الطلاق ، باب شفاعة النبي -ﷺ- في زوج بريرة ، وهذا هو الحكم إذ كان زوج الأمة عبدًا ، وأما إذا كان حرًا ففيه خلاف بين الفقهاء .

(١٠) البداية والنهاية . ٢/٢٦٧ ، غزوة بدر العظمى .

(١١-١٢) الجامع الصحيح للإمام مسلم ، كتاب الفضائل ، باب وجوب امتثال ما قاله شرعًا .. إلخ : ٢/٢٦٤ .

(١٣-١٤-١٥) الجامع الصحيح للإمام البخاري ، كتاب الشروط : ١/٢٨٠ .

(١٦) لا يزعم أحد بأن أم المؤمنين أم سلمة - رضي الله عنها - كانت أعلم بالنفسيات من رسول الله -ﷺ- . فالحقيقة أن علوم التلاميذ مستفادة من أساتذتهم ، وإنهم يذهلون أحيانًا عنها لشغلهم في أهم الأمور والمسائل فيعرض عليهم تلاميذهم .

(١٧) السنن للإمام أبي داؤد ، كتاب القضاء ، باب من القضاء : ٢/٥١٢ .

(١٨) الجامع الصحيح للإمام البخاري ، كتاب المناقب ، باب علامة النبوة في الإسلام : ١/٥٠٩ .

الإسرائيليات وحكمها أخذًا و ردًّا (+)

[الحلقة الثانية الأخيرة]

إعداد وتقديم . حافظ أبو البركات محمد حزب الله

أثر الإسرائيليات في التفسير :

ولقد تركت الإسرائيليات في التفسير أثرًا سيئًا حيث أخذ المفسرون منهم كل ما قيل دون تمييز بين الحق والباطل وبين السليم والسقيم كما فعل الصحابة في الأخذ منهم مدققين بين الصحيح والعليل ، ودخل في هذا النوع من التفسير كثير من القصص الخيالية والمخترعة وغرس المفسرون المكثرون من هذه الإسرائيليات الشوك في طريق المشتغلين بالتفسير وذهبوا بكثير من الأخبار الصحيحة بجانب ما رواه من قصص مكذوبة وأخبار لا تصح ، كما أن نسبة هذه الإسرائيليات التي لا يكاد يصح شئ منها إلى بعض من آمن من أهل الكتاب جعلت بعض الناس ينظر إليهم بعين الاتهام والريبة (٢٠) .

أقسام الأخبار الإسرائيلية ، قيمتها وحكمها :

تنقسم الأخبار الإسرائيلية من حيث القبول والرد أو بالحكم ، إلى

(+) معتذر إلى قرائنا الكرام عما إذا وقع خطأ مطبعي في كتابة عنوان الحلقة الأولى لهذا البحث المنشور في العدد السابق الثالث لهذا المجلد .

ثلاثة أقسام :

الأول : ما هو مقبول أي يقبل ويؤخذ به .

الثاني : ما هو مردود أي لا يقبل ولا يؤخذ به .

الثالث : ما هو متوقف فيه أي لا يحكم بالقبول ولا بعدم الأخذ به ، بل يجوز التحدث به دون جزم ويقين .

وتفصيل ذلك ، أن من الأخبار الإسرائيلية ما يتعلق بالسند والمتن أو ما يتعلق بموافقة الشريعة ومخالفتها أو ما يتعلق بالخبر الإسرائيلي ، وكل وجه من تلك الوجوه ينقسم إلى أقسام ثلاثة :

الوجه الأول : ما يتعلق بالسند والمتن : فهو أما صحيح من ناحية السند و المتن أو صعيف من ناحية السد أو المتن أو كليهما أو موضوع (٢١) .

الأول : ما هو صحيح من ناحية السند والمتن :

ومثال ذلك : ما رواه ابن كثير في تفسيره عند قوله تعالى : ﴿ الذين يتبعون الرسول النبي الأمي ...﴾ [سورة الأعراف ، الآية : ١٥٧] ، حيث يقول : « قال ابن جرير حدثنا المثنى حدثنا عثمان بن عمر .. عن عطاء ابن يسار قال : لقيت عبد الله بن عمرو بن العاص ، فقال : اخبرني عن صفة رسول الله -ﷺ- في التوراة ، قال : أجل ، والله إنه لموصوف في التوراة كصفته في القرآن : « يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدًا ومبشرًا ونذيرًا وحرزًا للأميين أنت عبدي ورسولي ... » (٢٢) .

ثم علق ابن كثير على هذه الرواية بقوله : « وقد رواه البخاري في صحيحه (٢٣) عن محمد بن سنان عن فليح عن هلال بن علي ، فذكر

بإسناده نحوه (٢٤) .

حكم هذا القسم : جواز الأخذ به ما دام السند والمتن صحيحًا ولم يصادم القرآن ولا السنة .

الثاني : ما هو ضعيف سندا أو متنا أو كليهما :

مثال الضعيف سندًا : ما ذكره ابن كثير عند تفسيره ، قوله تعالى : ﴿ و إذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم ... ﴾ [سورة البقرة ، الآية : ٣٤] ، روى في تفسير هذه الآية عن السدي بسنده إلى ابن عباس وابن مسعود وعن أناس من أصحاب النبي -ﷺ- : « لما فرغ الله من خلق ما أحب استوى على العرش فجعل إبليس على ملك السماء الدنيا .. » (٢٥) .

ويلاحظ ابن كثير على هذا الإسناد بقوله : « فهذا الإسناد إلى هؤلاء الصحابة مشهور في تفسير السدى ، يقع فيه إسرائيليات كثيرة ، فلعل بعضها مدرج ليس من كلام الصحابة أو أنهم أخذوه من أهل الكتاب المتقدمة ، والله أعلم » (٢٦) .

وقال الطبري : « إذ كنت بإسناده مرتابًا » (٢٧) .

مثال الضعيف متنًا : قوله تعالى : ﴿ وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة ﴾ [سورة البقرة ، الآية ٣٠] ، قال ابن كثير نقلاً عن ابن أبي حاتم عمن سمع أبا جعفر محمد بن علي يقول : « السجل ملك وكان هاروت وماروت من أعوانه وكان له في كل يوم ثلاث لمحات في أم الكتاب ، فنظر نظرة لم تكن له ، فأبصر فيها خلق آدم على نبينا وعليه الصلاة والسلام وما كان فيه من الأمور » (٢٨) .

قال ابن كثير عقبه : « وهذا أثر غريب وبتقدير صحته إلى أبى

جعفر فهو نقله عن أهل الكتاب و فيه نكارة توجب رده ، والله أعلم » (٢٩) .

مثال الضعيف سندا ومتنا : قوله تعالى : ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ أورد ابن كثير أثرًا عن إسماعيل بن يحيى : « إن عيسى بن مريم أسلمته أمه إلى الكتاب ليعلمه ، فقال له المعلم : اكتب ، قال : ما أكتب ؟ قال : بسم الله ، قال له عيسى : وما بسم الله ؟ قال المعلم : ما أدري ، قال له عيسى : الباء بهاء الله والسين سناؤه والميم مملكته والله إله الآلهة والرحمن رحمن الدنيا والآخرة والرحيم رحيم الآخرة » (٣٠) .

ضعف السند : فإسماعيل بن يحيى يقول عنه ابن عدي : « يحدث عن الثقات لا يحل الرواية عنه بحال » ، و قال الدار قطني : « كذاب متروك (٣١/١) .

ضعف المتن والسند معًا : قال ابن الجوزي : ما يضع مثل هذا الحديث إلا ملحد يريد شين الإسلام ، أو جاهل في غاية الجهل و قلة المبالاة بالدين (٣١/٢) .

حكم هذا القسم : لا ينبغي روايتها إلا لبيان ما فيها فقط .

الثالث : ما هو موضوع :

مثال ذلك : ما ذكره ابن كثير عند قوله تعالى : ﴿ وإذ قال موسى لفتاه لا أبرح حتى أبلغ مجمع البحرين أو أمضى حقبًا ﴾ ، [سورة الكهف ، الآية : ٦٠] إن سعيد بن جبير قال : قلت لابن عباس - رضي الله عنه - : إن نوف البكالي يزعم أن موسى صاحب الخضر - عليه السلام - ليس هو موسى صاحب بني إسرائيل ، قال ابن عباس : كذب عدو الله (٣٢) .

فتكذيب ابن عباس زعم نوف البكالي كان على أساس انه يعارض القرآن

الكريم .

حكم هذا القسم : وهذا القسم مردود وباطل وذلك لمخالفة هذا النوع الشريعة مباشرة ، و وضع مثل هذه الأقوال الزائفة ، يؤدى إلى التشكيك .

الوجه الثاني : ما يتعلق بموافقة الشرع ومخالفته أو ما سكت عنه الشرع ، وهو برجع إلى ثلاثة أقسام :

الأول : ما يوافق الشرع : أي ما بعلم صحته بأن نقل عن النبي -ﷺ- نقلاً صحيحًا .

مثال ذلك : تعيين اسم صاحب موسى - عليه السلام - بأنه الخضر : فقد جاء هذا الاسم صريحًا على لسان رسول الله -ﷺ- كما رواه البخاري بسنده عن سعيد بن جبير في حديث طويل (٢٣) .

حكم هذا القسم : مثله بؤخذ وبقبل ويجوز الاستشهاد به والاعتماد عليه لما عرفت صحته من مصدر موثوق حيث لا يتطرق إليه الشك .

الثاني : ما يخالف الشرع : أي ما بنافى الشر ويناقضه .

مثال ذلك : نقل الفخر الرازي عند تفسيره ، قوله تعالى : ﴿ وإذ قلتم يا موسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرةً فأخذتكم الصاعقة وأنتم تنظرون ﴾ [سورة البقرة ، الآية : ٥٥] عن السدى : « أولئك السبعون بعد إحيائهم ، قالوا : يا موسى ، إنك لا تسأل من الله شيئًا إلا أعطاك فادعه أن يجعلنا أنبياء ، فدعاه بذلك فأجاب الله دعوته » (٢٤) .

يعلق ابن كثير على هذا بقوله : « وقد أغرب الرازي حين حكى قصة هؤلاء السبعين أنهم بعد إحيائهم ، قالوا : يا موسى ، إنك لا تطلب من الله شيئًا إلا أعطاك ، فادعه أن يجعلنا أنبياء ، فدعا بذلك ، فأجاب الله

دعوته ، وهذا غريب جدًا ، إذ لا يعرف في زمن موسى علي نبينا وعليه الصلاة والسلام نبي سوى هارون - عليه السلام - ويوشع بن نون - عليه السلام - (٢٥) .

حكم هذا القسم : لا يجوز قبوله ولا روايته ويجب الرد عليه وبيان بطلانه لما ينافي مثل هذه الروايات الشرع عقلاً ونقلاً .

الثالث : ما هو مسكوت عنه : أي : لا هو من قبيل الأول ولا هو من قبيل الثاني .

مثـــال ذلك : ما رواه ابن كثير عن السدى عند قوله تعالى : ﴿ وإذ قال موسى لقومه • إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة ﴾ [سورة البقرة ، الآية : ٦٧] من الحكايات (١/٢٦) ، قال ابن كثير بعد ذكر القصة : « و هذه السياقات عن عبيدة وأبي العالية والسدى وغيرهم ، فيها اختلاف ، الظاهر أنها مأخوذة من كتب بني إسرائيل » (٢/٢٦) .

حكم هذا القسم : قال ابن كثير بعد سرد القصة المذكورة : « وهي مما يجوز نقلها ، ولكن لا نصدق ولا نكذب ، فلهذا لا يعتمد عليها إلا ما وافق الحق عندنا ، والله أعلم » (٢٧) .

قال الدكتور الذهبي بعد ذكر الحكم السابق لهذا لنوع ما ملخصه : « إذا جاء شئ من هذا القبيل - أي : ما سكت عنه الشرع ولم يكن فيه ما يؤيده أو يفنده - عن أحد من الصحابة بطريق صحيح ، فإن كان قد جزم به فهو كالقسم الأول يقبل ولا يرد ، وإن كان لم يجزم به فالنفس أسكن إلى قبوله .

أما إن جاء شئ من هذا عن بعض التابعين فهو مما يتوقف فيه ولا يحكم عليه بصدق ولا بكذب ، وهذا إذا لم يتفق أهل الرواية من علماء

التفسير على ذلك ، أما إن اتفقوا عليه فحينئذ تسكن النفس إلى قبوله والأخذ به ، والله أعلم (٣٨) .

الوجه الثالث : ما يتعلق بالخبر الإسرائيلي : وله ثلاثة أنواع :

الأول : ما يتعلق بالعقائد :

مثال ذلك : ما روى عن عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه - قال : جاء حبر من اليهود إلى النبي -ﷺ- فقال : إنه إذا كان يوم القيامة جعل الله السماوات على أصبع والأرضين على أصبع والشجر على أصبع والماء والثرى على أصبع وسائر الخلائق على أصبع ثم يهزهن ، ثم يقول سبحانه : أنا الملك أنا الملك ، فلقد رأيت النبي -ﷺ- يضحك حتى بدت نواجذه تعجبًا وتصديقًا لقوله ، ثم قال النبي -ﷺ- : « وما قدروا الله حق قدره - إلى قوله تعالى - يشركون » (٣٩) .

حكم هذا النوع : توضح من تصديق النبي -ﷺ- بأنه يجوز التحدث به.

الثاني : ما يتعلق بالأحكام :

مثال ذلك : ما رواه البخاري مما جرى بين اليهود وبين عبد الله بن سلام من حكم الزنا الموجود في التوراة أمام رسول الله -ﷺ- (٤٠) .

حكم هذا النوع : يجوز التحدث به والرجوع إليه والاعتماد عليه ما دام لم ينسخ الإسلام مثل هذا الحكم .

الثالث : ما يتعلق بالمواعظ والأحداث : التي ليست لها صلة ، لا بالعقائد ولا بالأحكام .

مثال ذلك : ما ذكر الحافظ ابن كثير اسم الملك المذكور في قول الله تعالى : ﴿ أما السفينة فكانت لمساكين في البحر فأردت أن أعيبها وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة غصبًا ﴾ [سورة الكهف ، الآية : ٧٩] بأنه هدد

ابن بدد وأنه مذكور في التوراة في ذرية العيص بن إسحاق (٤١) .

حكم هذا النوع : التوقف ما بين التصديق والتكذيب ، أما التحدث به فلا بأس به ما لم يتعلق بالعقائد ولا بالأحكام .

ونستخلص من العرض السابق في جدول يعطى أقسام الأخبار الإسرائيلية مع حكمها :

أقطاب الروايات الإسرائيلية :

استكمالاً للإفادة أود أن أذكر الأقطاب والشخصيات التي تدور عليهم الأخبار الإسرائيلية بالأسماء فقط ، ويجد القارئ المتعمق والمتمعن في كتب التفسير بأن عددهم قلما يتعدى عن أربعة أشخاص ، وهم على ما يلي:

١- عبد الله بن سلام (ت ٤٢هـ) . ٢- كعب الاحبار (ت ٣٢هـ) .

٣- وهب بن منبه (ت ١١٠هـ) .

٤- عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج (ت ١٥٩ هـ) (٤٢) .

هذا وقد استعرضت في هذه المقالة العلمية صورة واضحة حيث يجد القارئ فيها ما يساعده على معرفة الحكم بالإسرائيليات المنقولة على ضوء الأحاديث المروية ، وأسأل الله تعالى أن يلهمنا مراشد أمورنا ويعيذنا من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ،وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

++ ++

الهوامش :

(٢٠) التفسير والمفسرون : ١/١٨١ .

(٢١) الإسرائيليات في التفسير والحديث : محمد حسين الذهبي ، مجمع البحوث الإسلامية ، مطبعة الأزهر دون تاريخ وطبع : ص/٢٦ .

= الإسرائيليات وأثرها في كتب التفسير ، د/رمزي نعناعة ، الطبعة الأولى دار الضياء بيروت ١٣٩٠هـ : ص/٧٦ .

= موقف الإمام ابن كثير من الإسرائيليات في ضوء تفسيره : ص/١٥٥ وما بعدها .

(٢٢) مختصر تفسير ابن كثير : محمد علي الصابوني ، دار القرآن الكريم ، بيروت الطبعة السابعة ١٤٠٢هـ-١٩٨١م : ٢/٥٥ .

جامع البيان عن تأويل القرآن : محمد بن جرير الطبري الطبعة الثالثة الحلبي ١٣٨٨هـ-١٩٦٨م : ٩/٨٢ .

(٢٣) فتح الباري ، كتاب التفسير : ٨/٥٨٥-٥٨٦ .

(٢٤) تفسير ابن كثير ، الطبعة الأولى مكتبة المعارف ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م بيروت : ٢/٢٦٤ .

(٢٥-٢٦) تفسيرالقرآن العظيم ، ابن كثير ٨/أجزاء، تحقيق : عبد العزيز غنيم ، محمد أحمد عاشور ، محمد ابراهيم البناء دار الشعب دون طبع وتاريخ : ١/١٠٩ تفسير ابن كثير (مكتبة المعارف) : ١/٧٩ .

(٢٧) تفسير الطبري : تحقيق وتعليق : محمود محمد شاكر ، مراجعة وتخريج الأحاديث : أحمد شاكر ، دار المعارف ، دون طبع وتاريخ : ١/٢٥٤ .

(٢٨-٢٩) تفسير ابن كثير (مكتبة المعارف) : ١/٧٤ .

(٢٠) المرجع السابق : ١/١٩ .

(١/٢١) الموضوعات : ابن الجوزي ، تحقيق : عبد الرحمن محمد عثمان ، ٢/أجزاء الطبعة الأولى المكتبة السلفية ، دون تاريخ ، المدينة المنورة : ١/٢٠٤ .

(٢/٢١) المرجع السابق : ١/٢٠٤-٢٠٥ .

(٢٢) تفسير ابن كثير (مكتبة المعارف) : ٢/٩٧ ، وانظر : فتح الباري ، كتاب التفسير : ٨/٤٢٢-٤٢٢/٤٧٢٧ .

(٢٣) فتح الباري : باب التفسير : ٨/٤٢٢/٤٧٢٧ .

(٢٤) مفاتيح الغيب : فخر الدين الرازي . الطبعة الأولى دار الفكر ١٤٠١هـ-١٩٨٠م : ٢/٨٩-٩٠ .

(٢٥) تفسير ابن كثير (مكتبة المعارف) : ١/٩٧-٩٨ .

(١/٢٦-٢/٢٧) انظر : الحكايات في ابن كثير (مكتبة المعارف) : ١/١١٢-١١٤، لم أذكرها خوف التطويل .

(٢٨) المرجع السابق : ١/١١٤ .

(٢٩) التفسير والمفسرون : ١/١٨٢-١٨٢ .

(٤٠) فتح الباري ، كتاب التفسير : ٨/٥٥٠-٥٥١/٤٨١١ ، والآية من سورة الزمر : ٦٧ .

(٤١) المرجع السابق : ٨/٢٢٤/٤٥٥٦ .

(٤٢) تفسير ابن كثير (دار الشعب) : ٥/١٨١ و (مكتبة المعارف) : ٢/١٠٢ .

(٤٣) انظر : تراجمهم في التفسير والمفسرون : ١/١٨٦-٢٠٢ .

صور و أوضاع

دور الشعب في تقرير المصير

!!!!!!!!! واضح رشيد الندوي !!!!!!!!!

جرت الانتخابات العامة في الفترة الأخيرة في أربع دول ديمقراطية ، تركيا، مصر، والاتحاد السوفيتي وبنغلاديش وأعلنت مواعيد الانتخابات العـــامة في الهند ، وبذلك بدأت حملة الانتخابات في هذه البلاد ، والانتخابات العامة هي الوسيلة الوحيدة لتشكيل حكومة في النظام الديمقراطي ، ولكنها تختلف باختلاف النظام السياسي في كل بلد ، إلا أنها من شروط النظام البرلماني الجمهوري مهما كانت أشكالها ومناهجها ، ولا بديل عنها ، ولا مناص منها في أي نظام سياسي يدعي بالديمقراطية وتمثيل الشعب في الحكم ، وتعبر نتائج الانتخابات إذا جرت في جوّ الحرية عن اتجاه الشعب ، ومنهج الحكومة القائمة وسياستها .

كانت الانتخابات في مصر ، وبنغلاديش انتخابات مختلفة عن الانتخابات العادية ، فقد كانت انتخابات من جهة واحدة في مصر حيث كان المعارضون في السجون ، أو كانوا ممنوعين من الاشتراك في حملة الانتخابات ، وفي بنغلاديش قاطعت المعارضة الانتخابات ، ولم تشترك فيها ، فكانت هذه الانتخابات مجرد مناورة سياسية لا تعبر عن رأي الشعب ، وقد شجعت أمريكا أيضًا سياسة الحكومة المصرية في سدّ كل باب للمعارضة ، وقد جرت الانتخابات فيها على غرار الانتخابات التي تجرى

في الدول الاشتراكية التي لا يسمح فيها بقيام أي حزب سياسي ، ولا يسمح فيها للمعارضة بأن تلعب دورها ولا يرشح فيها إلا أعضاء الحزب الحاكم بدون منافس . والواقع أن أي نظام لا توجد فيه المعارضة لا يمكن أن يوصف بنظام ديمقراطي ، أو بنظام شعبي ، لأن كل نظام بدون حرية النقد فيه يصبح نظامًا استبداديًا ، والغريب أن الدول التي تدعى بالديمقراطية الأوربية ، وتقوم على أساس حرية الفرد وحرية التعبير والعمل ، تنهج سياسة غير ديمقراطية بسدّ باب النقد ، وحرية التعبير ، ولم يمنع في هذه الدول الإسلاميون وحدهم من ممارسة حقوقهم الدستورية في الانتخابات ، بل كل من لم يكن يتفق مع سياسة الحكومة ، إلا أن الخاسرين في هذه المعركة والمحرومين من ممارسة حقوقهم ، بصفة رئيسية هم الناخبون الذين يحملون الاتجاه الإسلامي ولذلك لم يركز الاعلام العالمي على هذه السياسة القمعية ولم يتهم هذه النظم بسياسة الاستبداد ، لأن قمع الحركة الإسلامية بأي طريق يتم وينال رضا المسئولين عن الاعلام في الغرب الذي يعتبر الحركة الإسلامية أكبر خطر على الإنسانية المعاصرة ، وقد أثار هذا الاعلام ضجة كبرى عند ما فازت جبهة الإنقاذ في الجزائر ، وحزب الرفاه في تركيا ، وكادت الظروف في تركيا تسير مسار الجزائر ، إلا أن حلم الاتراك ورزانتهم وإدراكهم للواقع منعهم من أن يعيدوا في تركيا ما جرب في الجزائر ، فأنقذوا البلاد من الصراع المسلح ، وسفك الدماء والاضطراب السياسي الذي لا يزال يستمر في الجزائر .

وقد أفادت الأنباء بأن الإجراءات القاسية التي اتخذت في مصر

أتاحت الحركة الإسلامية شعبية ، لم يكن في وسعها أن تنالها عن طريق الاشتراك في عملية الانتخابات وبالإعلام والإعلان فيها ، والذين يعيشون في النظم الديمقراطية يعرفون أن سياسة القهر ، والحرمان ، تجلب للمرشحين أو للأحزاب السياسية عاطفة ود من الشعب ، وتميل قلوب الناس إلى المضطهدين ، وقد جربت هذه العاطفة الشعبية في عدة دول ، مثل سريلانكا ، حيث انتخبت زوجة بهندرا نائكى ، الذي قتل ، وفي باكستان ، استغلت ابنة ذو الفقار علي بوتو ، هذه العاطفة فانتخبت مرتين ، وفي الفلبين انتخبت اكينو التي قتل زوجها ظلماً في عهد ماركوس و في بنغلاديش انتخبت بيكم خالده ضياء و لا تزال تحكم البلاد ، وترجع شعبية السيدة بيكم واجدة حسين ، وهو المنافسة للسيدة ضياء إلى العاطفة التي تولدت بقتل الشيخ مجيب الرحمن ، كذلك تنال الطوائف والفئات والفرق التي تضطهد ، وتحرم حقوقها ويقطع طريقها عواطف الود والرحمة من الشعب إذا استمر الاضطهاد ، و قد جربت في الهند أيضًا ، تأثير مثل هذه العاطفة في الانتخابات التي جرت بعد حكم الطوارئ ، فانتخب في الانتخابات السابقة عدد من المرشحين الذين كانوا في السجون ، ولم يسمح لهم بأن يشتركوا في حملة الانتخابات ولكن أعوانهم كسبوا التأييد بعرض شقائهم وحرمانهم وظلم الحكام واستبدادهم على الشعب فمالت القلوب إليهم ، وفي بعض الأحوال تولى بعض هؤلآء المسجونين الوزارة أو المناصب العليا إثر انتخابهم ، وتشكيل حكومة للحزب الذي كانوا ينتمون إليه .

اختار حزب الرفاه في تركيا الجلوس في البرلمان كحزب من أحزاب

المعارضة ، واتخاذ موقف إيجابي بناء لا يحدث الشحناء ولا الكراهية ، ولا السلبية ، وذلك هو الطريق الذي يوسع نطاق شعبية الحزب ، لأن الحزب الذي يتولى الحكم يفقد شعبيته عند ما تواجه مشاكل وتخفق في حلّها ، ومشاكل الدول النامية مشاكل معقدة لا يستطيع أي حزب ما أوتي به من قدرات وإمكانيات أن يحل هذه المشاكل المعقدة ، وبالعمل خارج النظام السياسي تبقى ثقة الشعب وحسن ظنه به ، بل تتصاعد التطلعات إليه ، والآمال في صلاحيته لحل المشاكل ، وإن ابتعاده عن الحكم سيتيح له فرصة للإعداد ، لإعداد النفوس ولتوسيع دائرة تأثيره ، ومجال عمله في الشعب .

يجب على الحركة الإسلامية في مصر أن تستفيد من هذه الفرصة للعمل في أوساط عامة الناس وحتى في السجون ، عليها أن تواصل دعوتها إلى الخير والصلاح وتتبع سنة يوسف - عليه السلام - إن أكبر الأرجحيات امام الحركات الإسلامية في الوقت الحاضر الذي تميل إليها النفوس بعد فشل الفلسفات ، والمذاهب المستوردة في إسعاد الشعوب ، لإخفاقها في حل مشاكل البلاد ، هي إثبات قدرتها وصلاحيتها لحل المشاكل المعلقة ، والقضايا المتوارثة ، ومكافحة آثار التخلف والفقر والجهالة ، ومعالجة الحياة الاجتماعية التي تنحل عراها وتتفكك أواصرها ، والتصدى للانحلال الخلقي ، وقد أثبتت بعض الجمعيات الإسلامية في أمريكا التي عملت في السجون سداد هذا المنهج ، فأصلحت حياة الذين عرفوا بارتكاب الجرائم في المجتمع الأمريكي ، وكان الناس يتحاشون التعايش معهم ، فتغيرت حياة الكثيرين ، وصلحت مجتمعاتهم ، فبدأ الناس

يفضلون الآن أن يعيشوا في كنفهم ، ويشعرون بالسعادة والطمأنينة في مجتمعاتهم ، وكانت حياة بعض هؤلاء المسلمين النزيهة السعيدة جاذبة للآخرين .

إن إصلاح المجتمع ، ونشر الخير في الناس وإسعادهم باتباع تعاليم الإسلام والإقرار في النفوس أن الإسلام دين العدل ، وإعادة الثقة في النفوس أنه هو الحل للمشاكل المعاصرة ، وإزالة سوء التفاهم عنه في أوساط المثقفين المسئولين عن أجهزة الأمن ، والإدارة ، والإعلام والتعليم لا يتم إلا بالاختلاط والامتزاج برجال مختلف الدوائر ، وشعب الحياة ، ومصالح الحكومة .

لقد أثار الإعلام الغربي شكوكًا وشبهات عن الحركة الإسلامية ، ويحاول أن يقرنها بالإرهاب والعنف ، ومعاداة الغرب ، وأن وصول رجالها إلى البرلمان أو إلى الحكم سيعيد البلاد إلى الوراء ، ويقلب الموازين ، وهو دعاية مغرضة تبثها الدول الاستعمارية بوسائل إعلامها للحفاظ على سيطرتها وسيادتها التي فرضتها على الدول الإسلامية ، وتوسع الآن دائرة نفوذها إلى سائر الدول النامية ، عن طريق المعاهدات التجارية ، والاقتصادية والدفاعية باسم الأسرة الأوربية ، ومن أرجحيات الحركة الإسلامية أن تزيل عن النفوس هذه الشكوك والشبهات ، وتثبت أنها ليست حركة سياسية تسعى إلى الوصول إلى الحكم ، وتبرر في تحقيق هذا الهدف كل وسيلة ممكنة ، شرعية أم غير شرعية ، فإن منهج الدعوة الإسلامية والعمل له التزامات وحدود ، وله تحفظات وقيود لا يلتزم بها أي حزب سياسي .

تشير نتائج الانتخابات في روسيا أيضًا إلى أن الوعي الشعبي ،

والشعور النفسي يعمل اثره في تغيير الأوضاع ، كانت سياسة القهر والقمع التي مارسها النظام الاشتراكي أكثر من سبعين سنة وسدّت جميع المنافذ فيها واتخذت أقسى الإجراءات لقمع كل صوت معارض ، قد أدت إلى رد فعل في الشعب ، وثار الشعب عند ما اتيحت له الفرصة ليعبر عن صوت ضميره ، فسقط النظام رغم كل ما كان يمارسه من وسائل رادعة ، و بعد فترة قصيرة شعر الشعب الروسي أن النظام الجديد لم يحقق أمانيه ، وآماله ، وأن البلاد تتجه إلى مزيد من الفساد ، وأن الحكام يسعدون على حساب شقاء الشعب ، فعبر عن رأيه في تغيير النظام ، وقد دلت نتائج الانتخابات البرلمانية الأخيرة على أن الشعب لا يرضى بالسياسة الراهنة ، فعاد في الانتخابات عدد كبير من الشيوعيين والوطنيين ، وتفيد التقارير الأخيرة بأن الأغلبية منهم تريد العودة إلى نظام الاتحاد القديم ، كما يبدو قرار دوما بإلغاء معاهدة عام ١٩٩١م للانفكاك ، وقد أثار هذا الموقف تساؤلات في الأوساط العربية ، التي كانت تعتقد بأن روسيا لم تعد قوة يحسب لها حساب ، وأنها كسرت ذلك الصنم ، وعليها أن تركز على العدو الجديد ، وتحاربه ، وهو الأصولية الإسلامية .

وقد أفادت التقارير الأخيرة بأن يلتسين سيواجه مشاكل في انتخاب الرياسة للتدمر الشديد والمقت العام من الشعب لسياساته ، وصرحت بعض الدوائر أن جورباتشوف يفكر في ترشيح نفسه من جديد ، بعد تغير الوضع في البرلمان الروسي .

إن هذه النتائج تفيد بأن الوعي الشعبي ينتصر وأن وسائل القمع لا تستطيع أن تقف في سبيله مدة طويلة إذا منع الشعب حرية التعبير .

++ ++

إلى رحمة الله تعالى :

١- فضيلة شيخ الأزهر في ذمة الله تعالى

قلم التحرير

أفادت الأنباء بوفاة فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر جاد الحق على جاد الحق في ١٥/من شهر مارس ١٩٩٦م المصادف ٢٥/من شوال ١٤١٦هـ . وذلك في مقره بالقاهرة عقب نوبة قلبية فأجأته من غير علة مسبقة . عن عمر يربو على سبعين عامًا. فإنا لله وإنا إليه راجعون .

عاش شيخ الأزهر حياة حافلة بخدمة العلم والدين والدعوة الإسلامية . وتدرج من مناصب علمية حتى وصل أخيرًا إلى منصب شيخ الأزهر الذي زينه بعلمه العزير وثباته على جادة الحق . وقد عُرف أخيرًا بمواقفه المحمودة نحو القضايا والإحداث التي ظهرت على الساحة . وخاصة بموقفه الجاد من ميثاق ومشروع مؤتمر التنمية والسكان الذي عقدته الأمم المتحدة في القاهرة في سيتمبر عام ١٩٩٤م بإشراف من الحكومة المصرية . لقد وقف منه موقفًا شديدًا واستنكر القرارات التي كانت تصادم أحكام الشريعة الإسلامية . بالرغم من موقف الحكومة المصرية اللين . وبقي على الرؤية الإسلامية في جميع القضايا الساخنة . فقد استعاد الأزهر في عهده كثيرًا من الثقة بمكانته الدينية العالية . حيث كان منبرًا جريئًا للعلم والدين والدعوة .

تميز الفقيد بالجمع بين العلم والإيمان . والنظرة العميقة والخبرة الواسعة . فكان يصدر الفتاوى في ضوء أحكام الشريعة في قضايا مستحدثة . من غير مداهنة أو انحياز . وفقه الله تعالى إلى الاشتغال بالعلم وإخراج مؤلفات قيمة . فكانت علاقته وطيدة بندوة العلماء وكان يحب سماحة العلامة الشيخ السيد أبي الحسن علي الحسني الندوي . ويقتنى مؤلفاته ويقرأها بغاية من الشوق وروح الاستفادة .

أحدثت وفاته في وقت كان الأزهر والمسلمون فيه بأشد حاجة إليه . فراغًا كبيرًا . وكانت خسارة كبيرة للعلم والدين . لا تعوض إلا بفضل من الله ومنته . وما ذلك على الله بعزيز .

رحمه الله رحمة واسعة . وغفر له زلاته وأغدق عليه شآبيب الرحمة والغفران . وألهم أهله وذويه وجميع المسلمين الصبر والسلوان .

٢- فضيلة الشيخ عبد الصمد شرف الدين في ذمة الله

تلقت أسرة المجلة وندوة العلماء نبأ وفاة فضيلة الشيخ عبد الصمد شرف الدين صاحب « الدار القيمة » والمآثر العلمية الغالية ، في بومبائ ، وبيوندي ، وذلك في ١٦/من شهر فبراير ١٩٩٦م-٢٦/من شهر رمضان المبارك ١٤١٦هـ . فإنا لله وإنا إليه راجعون .

عرف الشيخ عبد الصمد شرف الدين منذ عهده المبكر بشغف كبير بكتب التراث وإحيائها ولعل تأسيس مطبعته العربية باسم « الدار القيمة » كان الباعث عليه هو طبع وإخراج هذه الكتب بشكل جذاب ولباس عربي جميل ، وبهذا الواقع اتسعت علاقته وتوطدت بدول الخليج والجزيرة العربية وبالمكة السعودية بوجه خاص حيث عرفه الناس كعالم هندي كبير ، يحمل مؤهلات علمية كبيرة ونظرة واسعة عميقة في المصادر العلمية والتاريخية ، وخاصة كان مشغوفًا بفكرة ابن تيمية وتلميذه ابن قيم الجوزية ، وكان يطبع مؤلفاتهما في مطبعته العربية ويقوم بنشرها وتوزيعها في الدول العربية والإسلامية ، ولقد كانت مدارس الهند الإسلامية وطلابها يطلبون الكتب الإسلامية المطبوعة في مصر ولبنان والدول العربية بواسطة منه .

وفقه الله تعالى لتحقيق وطبع وتوزيع ، كتب قيمة كثيرة من التاريخ لإسلامي والسنة النبوية ، فكان ذلك منة كبيرة له على علماء المدارس والمراكز الإسلامية والمكتبات الإسلامية التي تجملت بالكتب التي صدرت من الدار القيمة .

كان الفقيد ممن أكرمه الله تعالى بالورع والخشوع الكبير في الصلوات ، التي كانت له قرة عين ، وله في ذلك حكايات كثيرة ، كان عالماً سلفيًا بارعًا يعمل بما يراه أقرب إلى الكتاب والسنة ، فكان محببًا لدى الناس بجمعه بين العلم والعمل ، كانت علاقته بسماحة العلامة الشيخ السيد أبي الحسن علي الحسني الندوي مخلصة ومتينة ، يحبه في الله بإخلاص وصدق .

رحمه الله ، وغفر له ، وأكرمه بالجنة والنعيم وألهم أهله ومحبيه وذويه الصبر والسلوة .

٣- كلمة تعزية إلي فضيلة الشيخ محمد ولي الرحماني

فوجئنا بوفاة نجل الشيخ محمد ولي الرحماني ، خالد ولي الرحماني ، البالغ من العمر ١٦/سنة ، وذلك في الأسبوع الأول من شهر مارس ١٩٩٦م و عقب حادث اصطدام بسيارة نقل على مقربة من مدينة « پتنه » عاصمة ولاية بيهار .

لقد كانت الصدمة عنيفة وعميقة جدًا ، نعزى على الحادث فضيلة الشيخ ولي الرحماني وجميع أعضاء أسرته وذويه وندعو الله تعالى للفقيد الغالي أن يجعله ذخيرة لهم في الآخرة وأن يعوضهم عنه ما هو خير في الدنيا ، وإنا لله وإنا إليه راجعون .

بسم الله الرحمن الرحيم

أنشأها :

فقيد الدعوة الإسلامية الأستاذ محمد الحسني - رحمه الله تعالى -

في عام ١٣٧٥هـ-١٩٥٥م

البعث الإسلامي

العدد الرابع - المجلد الحادي والأربعون

محرم - صفر ١٤١٧هـ

يونيو - يوليو ١٩٩٦م

رئاسة التحرير

سعيـــد الأعـــظـــمي

واضح رشيد الندوي

==================

المراسلات

بعنوان مكتب البعث الإسلامي

مؤسسة الصحافة والنشر

ص. ب ٩٣ - لكناؤ (الهند)

ALBAAS-EL-ISLAMI

C/o NADWATUL ULAMA

P.O.Box. 93, LUCKNOW

Pin : 226 007 (INDIA)

محتويات العدد

الافتتاحية :

التوجيه الإسلامي .

الدعوة الإسلامية

الفقه الإسلامي

دراسات في التفسير

من أعلام الدعوة والفكر .

اخبار اجتماعية وثقافية .

الى رحمه الله تعالى .

بسم الله الرحمن الرحيم

افتتاحية :

دور العلم في دعم العقيدة والإيمان

لقد كان الإسلام أول دين ركز على العلم وأدواته ، وجعله من أولى الأولويات التي يقوم عليها صرحه الشامخ الجميل ، فأشاد رسول الإسلام بالعلم ودعا إلى طلبه وتحمّل المشاق في سبيله ، ففي أول وحي أمر -ﷺ- بالقراءة التي ترفع منزلة الإنسان وتؤهله لقيادة مسيرة الحياة ، وأداء دوره في بناء المجتمع السليم ، ﴿ اقرأ باسم ربك الذي خلق • خلق الإنسان من علق • اقرأ وربك الأكرم الذي علم بالقلم • علم الإنسان ما لم يعلم ﴾ بهذه الصراحة الكبيرة بالقراءة ، والضغط الشديد على وسائل الكتابة تتبين مكانة الإسلام بين جميع الديانات السماوية ، والوضعية ، والفلسفات التعليمية ، والنظريات العلمية ، التي اعتمدت في إبداء اهتمامها بالعلم على النظرية العلمية فحسب ، ولم تتجاوز الفلسفات الفكرية إلى تطبيقها العملي على الحياة والمجتمع ، على عكس ما هو الشأن في الفلسفة العلمية التي يتبناها الإسلام ، ويطبقها على حياة أتباعه بصورة عملية بالتركيز على الأمر بالقراءة المقترنة باسم الرب الخالق العلام ، واستحضار تلك القدرة الخلاقة التي أوحت إلى الإنسان أن يتخذ القلم أداة للتعليم ، والتعلم لما لم يكن في حوزته ، ولا كان قد خطر على باله ما لهذه الميزة العلمية من دور عظيم في تحقيق الهدف المنشود من هذه الحياة التي يعيشها الإنسان في هذا الكون الواسع .

أما الفلسفات العقلية والأفكار الفلسفية التي ابتكرها رجال الحضارات اليونانية والرومية ، فلم تكن ترمز إلا إلى الفكر [illegible]

[illegible] والسر الإلهي الذي أودعه الله سبحانه في هذا الكون [illegible] ما تحولت العقلانية إلى أصناف من الوثنية والرمزية ، ونحت [illegible] والآلهة من الخشب والحجر وصوغها من الطين و المدر ، و قد [illegible] الجنسية والفكرية كلها نحو إخضاع الطاقات الإنسانية والعواطف النفسية أمام التوهمات الباطلة من العقل المجرد عن كل تصور [illegible] الواحد القهار : ﴿ هيهات هيهات لما توعدون إن هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا و ما نحن بمبعوثين ﴾ .

لم يكن هناك واقع أخسأ مما عاشه الناس في وثنيات لا يأتي عليها الحصر ، وكان ذلك باسم العلم والعقل والفلسفة ، فالعلم الذي خلقه الله سبحانه لإنقاذ الحياة البشرية من جاهليات العالم البشري وتلوّثات الفكر والعمل ، إنما وضع في قطع صلة الإنسان بالرب الأكرم وإنشاء معوقات فكرية تتولى إبعاده عن الواقع وتربطه بأرخص الأشياء وأتفه الأهداف ، ألم يبلغ الإنسان في ابتكار الأشكال والألوان من الوثنية إلى ذروة من الجهالة الحقير على العبودية والخنوع لأرذل الحيوانات وأخسّ الحشرات والديدان ، ففي الهند وحدها تفاقم عدد الآلهة والإلاهات وتجاوز الرقم القياسي فبلغ إلى ٣٣٣/مليون إلهًا ، ولما ضاق بالناس الذرع في ابتكار الأصنام والأوثان أقبلوا على اتخاذ آلات التناسل من الذكر والأنثى آلهة ، وخضعوا أمامها من غير حياء أو حشمة .

أي علم كان يساعد البشر في هذا المجال وغيره من مجالات الحياة ، حتى أغفل الهدف وعاش التناقضات والمعاكسات الطبيعية ، التي رضخت الإنسانية بالذل والهوان ، وجعلت الإنسان أضل من الأنعام ، لقد كان العلم قد انحرف به الطريق فسبب الفساد والدمار وأهلك الحرث والنسل ،

وشوه صورة الإنسان القائد ، الذي رضي بحمل الأمانة وتمثيل دور القيادة العالمية ، فإذا به يتنازل عن مقصده العظيم ويرضى بالتبعية الخاسئة والسير وراء الأصوات والأصداء ، ويتهيب من الأشكال الجوفاء ، ويفقد الشعور بالكرامة التي خلعها الله عليه يوم كرّمه بإزاء الخلق كله وفضله على كثير ممن خلقهم تفضيلاً : ﴿ ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلاً ﴾.

ذلك هو العلم المبتور عن واقع الحياة ونور الإيمان الذي تبناه الغرب واستخدمه في تدمير المجتمعات البشرية بأحدث ما تنتج مصانعه الحربية من أسلحة فتاكة وآلات نسف وقصف تقضي على سكان القرى والبلدان بأسرها وتستأصل جذور الأمم والشعوب بذاتها التي تكون أثرًا بعد عين ، وتتحول إلى رماد للأجسام البشرية لا يرثى لها قلب ولا تدمع لها عين ، الواقع الذي يعيشه عالمنا الحديث في مختلف أجزائه وشعوبه ، ولا يزال يستشري الوضع في البلدان والدول التي هي عالة على الغرب في كثير من شئونها العلمية والاجتماعية ، فهو يفرض عليها إرادته من غير هوادة ولا رحمة ، ويكبله بأغلال من الشهوات والمطامع ، ثم يتظاهر بأن ذلك ليس إلا حرصه الشديد على تزويدها بالعلم والتقنية وفنون من الثقافة والمعرفة ، ولا أدل على نوايا الغرب الشريرة من الاعلام الغربي الذي يفرض وجوده على العالم الإسلامي ومجتمعات المسلمين ، ويوجه إليها سوءات وهنات ورذائل خلقية باسم العلم والفن والثقافة ، حتى أصبح من العسير جدًا التخلص من برامجه الهدامة ومسلسلاته الجنسية وأفلامه المتعرية ، التي يبثها بواسطة أقوى الأجهزة الاعلامية التي تغزو

مخادع البيوت ومداخل النفوس .

إننا لا ننكر وجود العلم في عصور خالية وبيئات إنسانية كثيرة ، إلا أن التوجيه العلمي الصحيح لم يتيسر لها فعاد العلم وبالاً لها ، وسد عليها الطريق نحو سعادة الحياة وبناء المستقبل الجميل ، كما هو الواقع في الحضارة اليونانية التي كانت غنية بالعلم والأدب والفلسفة الحضارية ، ولكنها عاشت في حرمان عن تفجير طاقة العلم والأدب في صالح الحياة والمجتمع وبناء المستقبل اللامع والسعادة الحقة ، ذاك أنها ركزت كل قواها على المحسوس المادي ، وعلى الاستغناء عن القيم الدينية والاهتمام الكبير باللذات والمنافع المادية ، والانصراف الزائد إلى اللهو والهزل وتقديس العرق والدم والوطن ، فأنتج كل ذلك ما أنتج من فساد وشره وتهافت على حطام الدنيا ، وأورث أهلها بعقلانية مجردة خشيبة ساقتهم إلى عبادة النفس والهوى ، ونفي الصفات عن الله تعالى ، والاعتماد الكامل في الخلق والأمر على العقل الأول الفعال

ولقد صور كتاب الله تعالى ذلك العالم الذي أكرمه بالعلم وألهمه آياته وآتاها إياه ، ولكنه لم يقدر هذه النعمة الجليلة التي تفرد بها فانسلخ منها ، وأساء استعمال ذلك العلم الموهوب من ربه واتخذه ذريعة للضلال والفساد ، وغمط الحقوق ، وهدم الفضائل والأخلاق ، ونشر الرذائل والأعمال المنكرة في المجتمعات الإنسانية فأخذه الله بالعقاب ، والنقمة ، ذاك أن يخلد إلى الأرض ويتبع هواه ، فكان مثله كمثل الكلب ، يقول الله سبحانه : ﴿ واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها فأتبعه الشيطان • فكان من الغاوين • ولو شئنا لرفعناه بها • ولكنه أخلد إلى الأرض واتبع هواه • فمثله كمثل الكلب • إن تحمل عليه يلهث أو تتركه

بلهث ذلك مثل القوم الذبن كذبوا بآباتنا • فاقصص القصص لعلهم يتفكرون • ساء مثلاً القوم الذين كذبوا بآياتنا وأنفسهم كانوا يظلمون ﴾ [سوره الأعراف ، الآيتان : ١٧٦-١٧٧] .

قال ابن عباس - رضي الله عنهما - هو (بلعم بن باعوراء) الذي كان عنده اسم الله الأعظم ، وقال ابن مسعود - رضي الله عنهما - : هو رجل من بني إسرائيل بعثه موسى - علبه السلام - إلى ملك « مدس » داعيًا إلى الله ، فرشاه الملك وأعطاه الملك على أن بترك دين موسى وبتابع الملك على دبنه ، ففعل وأضل الناس بذلك ، وهناك أقوال كثيرة عن الرحل ، من هو ؟ ومهما كان الرحل الذي أعطي العلم ، ولكن العلم هو الذي حجب علبه نور الإيمان ، وسلب منه التوفيق الإلهي الذي ساعده في ربط الإنسان بمنبع ذلك النور ، وتوفير أسباب السعادة والكرامة له في الدنيا ، و إيجاد الاتزان الصحيح في الحياة ، وبين المادة والروح ، والتوفيق بين الدنيا والآخرة ، فكان العلم سببًا للشقاء والفساد ، والضلال والانحراف وقطع الصلة الكريمة عن مصدر العز والقوة ، والإنسياق وراء الأهواء والشهوات .

ذلك هو مثل العلم المجرد الذي لا مدلول له في عالم الحقيقة ولا مفهوم له في لغة الدين والشريعة ، لا تتجاوز فاعليته هوى النفس وإغراءات الشيطان ، وإشباع الغرائز النفسية ، وبناء قصور البذخ والترف والنعيم على حساب الفقراء والضعفاء ، وتشييد معالم الحضارة المادية في الأرض لهدم العقيدة ونسخ الشريعة ، وإبطال القيم والفضائل الخلقية ، واحترام القوة المادية والجسدية ، بالانصراف عن مطالب الروح وتزكية الضمير ، وتطهير النفس عن شوائب الظلم والطمع والشهوات .

ولنا فيما يجري اليوم من السباق الخطير بين أهل العلم المجرد

والرؤية المادية ، وأصحاب العلم بآيات الله وحملة لواء العقيدة والإيمان ، إن لنا فيه شهادة على أن العلم الذي هو منحة من الله تعالى لعباده ونعمة عظيمة عليهم ، لا تعادلها نعمة ، قد أسيئ استعماله ، وحُدّد نطاقه ، فلا يعمل إلا في العوامل السلبية والأعمال المبيدة للطاقات الإنسانية ، وذلك ما يعكس اليوم على المجموعات الدولية والمؤسسات العالمية التي لا تدخر وسعًا في توجيه إفرازاتها السلبية إلى مجتمعات المسلمين ، والعالم الإسلامي الذي يحمل راية الدعوة الإسلامية وبالتالي تنطلق منه الصحوة الإسلامية إلى جميع أنحاء العالم ، وتشق الطريق نحو السعادة الدائمة للتائهين في دياجير العلم المادي والحضارات الاستغلالية التي لا ترحم ولا تلين للإنسانية المعذّبة الشقية بأي حال .

إن وظيفة العلم هي تعريف عقيدة التوحيد وربط الحياة بها قبل كل شيئ ، ونشر الخلائق الحميدة والمكارم الخلقية والقيم الإنسانية بين بني البشر وجمعهم على الهدى ، وبالتالي الكشف عن آيات الله في الخلق والأمر ، واختلاف الليل والنهار ، وإزاحة الستار عن الأسرار المودعة في الكون الواسع العريض ، والدعوة إلى التأمل فيها وتعيين الموقف الإيجابي من كل ذلك في ضوء العقيدة والإيمان بقدرة الله تعالى .

أما توظيف العلم لبيان فلسفة التشريع ، وعرض قواعد النظام الإسلامي في الفرد والمجتمع ، أو تنظير الإسلام ودعوته العامة أو المقارنة بين الشرائع السابقة و شريعة الإسلام فليس هــو الهدف الأصيل منه ، إنما هو التكوين العقيدي والإيماني أولاً الذي يتجلى في السلوك والعمل ويقوم عليه ثانيًا صرح الحياة بجميع فروعها ومناحيها وتفاصيلها وأوضاعها ، ﴿ قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين ﴾ ٧

سعيد الأعظمي

قيمة الأمة الإسلامية بين الأمم ،

و دورها في العالم

[الحلقة الثانية الأخيرة]

سماحة العلامة الشيخ السيد أبي الحسن علي الحسني الندوي

ومن أمثلته ونماذجه الرائعة ، حديث دار بين رجل من عسكر المسلمين الفاتحين في إيران ، وقائد الجيوش الفارسية وأميرهم رستم :

طلب رستم من سعد - رضي الله عنه - أن يرسل إليه من يُكلمه ويعرف منه غاية الغزو ، وذلك قبل القادسية ، فأرسل سعد ربعيّ بن عامر - رضي الله عنه - رسولاً إلى رستم - قائد الجيوش الفارسية وأميرهم - (١) فدخل عليه وقد زين مجلسه بالنمارق المذهّبة والزرابي ، وأظهر اليواقيت واللآلي الثمينة ، والزينة العظيمة ، وعليه تاجه وغير ذلك من الأمتعة الثمينة ، وقد جلس على سرير من ذهب ، ودخل ربعي - رضي الله عنه - بثياب صفيقة ، وسيف وترس ، وفرس قصيرة ، ولم يزل راكبها حتى داس بها على طرف البساط ، ثم نزل وربطها ببعض الوسائد ، وأقبل

---

(١) طلب رستم من قائد الجيش الإسلامي أن يرسل إليه رجلاً من المسلمين ليعرف ما الذي دفع عرب البادية إلى محاربة أقوى جيش وأرقى مملكة ، فإذا كان الدافع تحصيل ما يحتاجون إليه من مِيرة وكسوة وأسباب معيشة ، دَفَعَ إليهم ، وتعادى من الحرب ونتائجها ، وقد بين رسول المسلمين أن الذي دفعهم إلى هذا الإقدام ، هي الرحمة بهم لا الرحمة بأنفسهم ، وإخراجهم من الضلال إلى الهداية ، ومن ضيق الدنيا إلى سعتها ، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام كما سيأتي .

وعليه سلاحه ودرعه ، وبيضته على رأسه .

فقالوا له : ضع سلاحك .

فقــال : إني لم آتكم ، وإنما جئتكم حين دعوتموني ، فإن تركتموني هكذا ، وإلا رجعت .

فقال رستم : ائذنوا له ، فأقبل يتوكّأ على رمحه فوق النمارق فخرق عامتها .

فقالوا له : ما جاء بكم ؟

فقــال : الله ابتعثنا لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله ، ومن ضيق الدنيا إلى سعتها ، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام ، فأرسلنا بدينه إلى خلقه لندعوهم إليه ، فمن قبل ذلك قبلنا منه ورجعنا عنه ، ومن أبى قاتلناه أبدًا حتى نفضي إلى موعود الله .

قالوا : وما موعود الله ؟

قال : الجنة لمن مات على قتال من أبى ، والظفر لمن بقي .

وهذا الحوار القصير - الذي جاء في تاريخ الغزو الإسلامي ، والدعوة الإسلامية ، وتاريخ المسلمين - بقي مطمورًا مغمورًا ، يمر به القارئ مرًا سريعًا ، لا يتأمل في قيمته الدعوية العميقة الجريئة ، وفي دوافعه الإيمانية القوية ، ومصدره ، وهو تغلغل الدعوة الإسلامية النبوية في أحشاء هذا العسكري المسلم الذي لا يعرف التاريخ إلا اسمه وأصله ، وهي بادية العرب .

إن الوضع في العالم الحديث ، وفي الغرب الذي يملك القيادة - الفكرية والمبدئية والحضارية والسياسية - لا يختلف عن العصر الذي

ظهرت فيه دعوة الإسلام ، وانتشرت فيه دعاته يحملون رسالة الإسلام إلى البلاد والمجتمعات ، والشعوب والحكومات .

كان مثالاً رائعًا من أمثلته ، ونموذجًا مثيرًا للاستغراب والدهشة ، ما حكيناه من حوار بين ربعي بن عامر - رضي الله عنه - ، أحد الأعراب القادمين من بادية العرب ، وبين رستم رئيس قادة الجيوش الإيرانية ، والذي كان يلي إمبراطور إيران في المكانة والهيبة والإجلال ، والبون بين الوضع السائد على الإمبراطوريتين - الساسانية والرومانية - وما كان تحتهما من مدن ومجتمعات ، ومقاييس ومستويات ، وأعراف وشائعات ، وبين الغرب الواصل إلى أوج المدنية ، العائش على قمتها ، المتمكن من توجيه العالم حضاريًا وثقافيًا واقتصاديًا وسياسيًا ، ومبدئيًا ، وفكريًا ، ليس بعيدًا وكبيرًا .

فالبون بين الوضعين السائدين على العالم الشرقي في القرن السادس المسيحي ، والعالم الغربي في القرن العشرين ، أقل من البون بين هاتين الرقعتين ، مساحة جغرافية ، ومساحة زمنية .

والجاهلية (١) - بمعانيها الواسعة - ضاربة أطنابها على الغرب المتحضر المثقف الراقي ، وفي أرقى الجاهليات التي سجلها التاريخ وعرفها المؤرخون ، لا يتحكم فيها إلا النفع المادي ، أو تسلية النفس ،

---

(١) الجاهلية هي الحياة أو المدنية التي تنشأ وتبقى بعيدة ومستغنية عن تعاليم النبوة والتوجيهات السماوية لمنهج الحياة والتعايش من العقيدة إلى السلوك والأخلاق والاستحسان والاستهجان .

أو « الأبيقورية » (١) أو المنفعة السياسية أو الاقتصادية ، وتجعل الدين قضية شخصية محدودة في أمكنة خاصة - الكنائس - وأزمنه خاصة - وهي الأعياد الدينية - لا دخل لها في السلوك الفردي أو الجماعي ، أو السياسي أو الاقتصادي .

ويعيش الغرب في سجن أوسع من سجن الملوك القدماء ، وفي قفص أجمل وأزهى من قفص الأمراء المدللين ، أو الحكام المخدومين في القديم ، وهو سجن أو قفص الموضات (Fashions) والأعمال الرتيبة ، والأعراف والمستويات التي يتوقعها الجمهور ، ويطالب بها المجتمع والعصر من ملابس أو مساكن أو مظاهر .

وبذلك لا يختلف الغرب المتحضر المتحرر المتنور ، عن العصر الذي سبق الإسلام أو عاصره - في الإمبراطورتين العظيمتين - البيزنطية والساسانية - فكانت في العصر الجاهلي الأول عبادة آلهة ، ومعبودات قديمة موروثة ، أو مصنوعة منحوتة ، وفي الغرب عبادة النفس والشهوات ، والفائدة واللذة ، والمنافع السياسية والاقتصادية ، وكان اعتماد الملوك والأمراء والحكام والأغنياء - في القديم - على الخدم والحشم والعادات والتقاليد ، وأدوات الزينة والراحة ، وكانوا متقيدين بها وعائلين عليها ، كطائر مدلل أو سجين مكرم ، والرجل الغربي - مهما بلغ من الثراء والرخاء ، والحكم والقضاء ، مرتبط - أو مربوط - بموضات وتقاليد ، يفرضها المجتمع ، وأعراف ومستويات ، ويُحكَمُ بها

---

(١) مدرسة فلسفية إغريقية تحكم على الأشياء وتركها واختيارها على أساس اللذة التي تحصل من العمل بها أو تركها .

على ما بلغه الرجل الغربي من العز والشرف والرخاء والثراء ، فكان كل واحد منهما - الجاهلي القديم والعصري الحديث - في حاجة إلى أن يخرج من السجن إلى الفضاء ، ومن ضيق الدنيا إلى سعتها .

ولكن من الذي يمثل دور ربعي بن عامر - رضي الله عنه - في إطار فردي أو جماعي - ويواجه الغرب أو الغربي المالك لأزمة الأمور ، كرئيس الجمهورية ، أو رئيس الوزراء في عاصمة من عواصم الغرب ، أو مركز من مراكز القيادة السياسية والاقتصادية ، فيواجهه كما واجه ربعي بن عامر قائد قوّاد الفرس رستم الذي كان ينوب عن إمبراطور الدولة الساسانية ، ويبلغه هذه الرسالة الصادقة الجريئة ، المخلصة البريئة ، التي ليست في صالح فرد أو جماعة ، بل هي في صالح الإنسانية ، وفي صالح الشعب ؛ الحاكم والمحكومين ؟

إنما كان ذلك مسئولية هذه الأمة الإسلامية ، وقادتها ودعاتها ومفكريها ، وكتّابها ، ولا تزال هذه المسئولية قائمة ، ومستقبل العالم مرتبط بها .

« لقد تضخم العلم ، وتقدمت الصناعة في أوربا ، ولكنها بحر الظلمات ليست فيه عين الحياة .

إن تجارتها قمار يربح فيه واحد ويخسر فيه ملايين .

إن هذا العلم والحكمة والسياسة ، والحكومة التي تتبجح بها أوربا ، ليست إلا مظاهر جوفاء ، ليست وراءها حقيقة .

إن قادتها يمتصون دماء الشعوب وهم يلقون دروس المساواة الإنسانية ، والعدالة الاجتماعية .

إن الأمـــة التي لا نصيب لها في التوجيه السماوي ، والتنزيل الإلهي ، غاية نبوغها تسخير الكهرباء والبخار .

إن المدنية التي تتحكم فيها الآلات ، وتسيطر فيها الصناعات ، تموت فيها القلوب ، ويقتل فيها الحنان والوفاء ، والمعاني الإنسانية الكريمة .

إن شعار الحضارة الحديثة الفتك ببني آدم الذين تقوم عليهم تجارتها، وتنفقُ سلعَتُها ، ليست هذه المصارف العظيمة إلا وليدة دهاء اليهود ، الذي انتزع نور الحق من صدور بني آدم .

إن العقل والحضارة والدين حلم من الأحلام ما لم يعد هذا النظام رأسًا على عقب .

إنها حضارة شابة - بحداثة سنّها ، والحيوية الكامنة فيها - ولكنها محتضرة تعاني سكرات الموت ، وإن لم تمت حتف أنفها فستنتحر ، وتقتل نفسها بخنجرها ولا غرابة في ذلك ، فإن كل وكر يقوم على غصن ضعيف ليس له استقرار ، ولا يستغرب أن يرث تراثها الديني ويدير كنائسها اليهود .

إن أساس هذه الحضارة ضعيف منهار ، وجدرانها من زجاج لا يحتمل صدمة .

إن الفكر المارد الذي أزاح الستار عن قوى الطبيعة أصبح بمجموعه يهدد وكر الغربيين ومهدهم .

إن العصر يتمخض عن عـــالم جديد ، وإن العالم القديم الذي حوّله الغربيون مكانًا للقمار - يقامر فيه بأمن العالم وكرامة الأمم - يلفظ نفسه .

إن عقلها الجريء يغير على ثروة الحب ، وينمو على حساب العاطفة ، وإن عماليقها وثوارها قد طغى عليهم التقليد فلا يخرجون - حتى في ابتكارهم وثورتهم - عن الطريق المرسوم والدائرة المحدودة (١) .

وأقول لكم إخواني :

أقول لكم : لو أن قريشًا الذين فقدوا أعضاء أسرهم في معركة بدر ، وفي ساحة أحد ، لو رفعوا قضية ضد المسلمين ، وقالوا : إنا عرضنا الثراء إنا عرضنا الزواج الكريم ، إنا عرضنا الشرف العظيم على رسولكم فأبى ورفض ، وقال : ما بُعثت لهذا ، فكيف تعيشون هذه الحياة .

لا تُهِمُّكم إلا المعيشة الباذخة ، لا يُهِمُّكم إلا تحقيق المطالب البشرية ، وقضاء مآرب النفس ، لا دعوة ولا جهاد .

توحد عبادة الله وحده ، ولكن لا توجد الدعوة إلى أن يكون الدين كله لله ، وتنفذ شريعته وأحكامه .

إنا عرضنا عليكم الأموال ، وعرضنا عليكم الفرص الكريمة ، والمعيشة الطيبة الباذخة ، وأسباب الترف ، وعرضنا كل ذلك على نبيكم عرضنا عليه الفرص الطيبة المتاحة لعيشة باذخة مترفة ، ناعمة مشرفة ، فرفض وقال : ما بُعثت لهذا ، إنما بُعثت لأدعوكم إلى عبادة الله سبحانه وتعالى، وليكون الدين واحدًا ، لأن الدين عند الله الإسلام ، إنا حاربناكم لأنكم تريدون أن تقيموا الدولة للإسلام ، ويكون الإقبال والتهافت على الإسلام ، أنتم كنتم تقولون : العبادة لله وحده ، هو المتصرف في الكائنات ، وهو

---

(١) ملتقط من « روائع إقبال » لكاتب هذه السطور .

المدبر ، وهو الخالق ، وهو الرازق ، وكنا ننكر هذا ، فوقعت الحرب بيننا وبينكم ، وقتل من قتل من عظمائنا وزعمائنا ، وأشرافنا .

لكنكم أقبلتم على الدنيا ، وتهافتم عليها تهافت الفراش على النار ، تريدون أن تكونوا باذخين ، مترفين ، وتتهيأ لكم الأسباب - أسباب النعيم ، أسباب الترف ، وأسباب التنعم واللذة - ما نرى فيكم همًا ، وما نرى فيكم حماسًا إسلاميًا ، وما نرى لكم السيرة الإسلامية الأولى التي كان يعيشها أصحاب نبيكم -ﷺ- .

معذرةً إليكم ، ومعذرةً إلى ضميري وشعوري الإسلامي ، إن كثيرًا من البلاد والمدن ، ولا سيما إذا دخل فيها غير مسلم ، دخل فيها دارس للتاريخ ، أو الذي يستطيع أن يقارن بين الماضي والحاضر ، رأى أن الحياة لا تختلف كثيرًا ، إنما هو نشاط لكسب المعيشة ، وحماس لجمع المال والمادة ، وحماس لقضاء الأهواء والشهوات ، وحرص على التكالب على الدنيا ، وتفضيل لغير مسلم على مسلم في التجارة والمصانع ، لمصلحة تجارية ومردود من الربح ، فهذه حقيقة مؤلمة .

يا إخواني : إن أسلوب الحياة التي يعيشها المسلمون الآن لا يتفق مع رسالة الإسلام اتفاقًا كليًا ، ولا يتفق مع أهداف الرسول -ﷺ- ، ولا يتفق مع الغاية التي خرج لأجلها المسلمون من المدينة إلى بدر ، وقاتلوا في سبيل الله على سبيل العموم .

فعلينا أن ننتبه إلى هذه النكتة ، وهو أنه قد صدق الله تبارك وتعالى ما قاله الرسول -ﷺ- ونصر المسلمين في بدر - على قلة عددهم وعلى ضآلة سلاحهم - فلما نصرهم الله كان معنى ذلك أن الله صدق ما قاله

الرسول -ﷺ- ، وكان عند الله قيمة لهذا :

« إن تُهلك هذه العصابة لا تُعبد » .

فأبقى الله سبحانه وتعالى المسلمين ، ونصرهم - على قلة عَدَدهم وعُددهم - عل أعدائهم من قريش ، فنشأ مجتمع إسلامي وحياة إسلامية في عهد الرسول - عليه الصلاة والسلام - ، وبعد وفاته في عهد الخلفاء الراشدين - رضي الله عنهم - وفي عهود كثيرة وطويلة .

ولكن الآن - مع الأسف - ضيعنا الشئ الكثير من هذه الأهداف ، ومن هذه الغايات ، ومن هذه الروح والعواطف ، ومن هذه الدوافع الدينية الإيمانية ، إنما نريد أن نرى هنا وفي كل بلد عربي يقطنه المسلمون ، حياة إسلامية سائرة ، ملحوظة ومرئية ، مجربة ، ملموسة ، يلمس الانسان تلك الحياه ، الاستقامة على التوحيد ، والاستقامة على الإيمان بالله ، الاستقامة على إيثار الآخره على الدنيا ، الاستقامة على خشية الله تعالى ، الاستقامة على تفضيل الإيمان والإسلام وأهلهما على من لا يدين بدين الإسلام ، رغم ما يحصل من النفع على استخدامه ، والاستقامة على العمل بشريعة الإسلام بكل شُعَبها رجالاً ونساءً ، والاستقامة على دعوة العالم - حتى العالم الغربي - إلى عبادة الله وحده وأن يكون الدين كله لله .

و الحمد لله رب العالمين

وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد

وعلى آله وصحبه وتابعيه بإحسان إلى يوم الدين .

الغزو الفكري في حياة المسلمين
منافذ دخوله ، و وسائل مقاومته

[الحلقة الرابعة] بقلم : سعادة الدكتور عمر يوسف حمزة
كلية الشريعة والدراسات الإسلامية قسم التفسير والحديث - جامعة قطر

آثار الغزو الفكري في وسائل الاعلام :

إن الغزو الفكري لم يقف على مناهج التعليم فحسب ، في حربه مع الإسلام ، وإنما تعدى ذلك إلى أداة أخرى لا تقل خطرًا إن لم تكن أخطر ، تلك هي وسائل الاعلام ، على تنوعها واختلافها .

لقد أدرك المستعمرون ما لهذه الوسائل الاعلامية من خطر فاستخدموها استخدامًا ناجحًا في غزوهم الفكري المنظم لأمة الإسلام .

يقول مؤلف « التبشير والاستعمار في البلاد العربية » (٤٨) نقلاً عن المصادر التبشيرية الأجنبية : « إن الصحافة لا توجه الرأي العام فقط ، أو تهيئه لقبول ما ينشر عليه بل هي تخلق الرأي العام » .

و وسائل الاعلام المختلفة من صحافة وإذاعة وتلفزيون وسينما ، مسخرة لإشاعة الفاحشة ، والإغراء بالجريمة ، والسعي بالفساد في الأرض بما يترتب على ذلك من زعزعة للعقيدة في النفوس ، وتحطيم للأخلاق والقيم والمثل .. وهما : « العقيدة والأخلاق » أساس لبناء الإسلام فإذا انهدم الأساس فكيف يقوم البناء ؟ وأجهزة الإعلام أشد خطرًا من المدارس والجامعات ، فهي تخاطب جميع فئات الأمة : متعلمين وغير متعلمين ، وصغارًا وكبارًا ، ونساءً ورجالاً ، وحضريين وريفيين ، وأغنياء وفقراء ، وقد شكلت هذه الأجهزة وفق قيم ومناظر بعيدة عن

الإسلام عقيدة وشريعة (٤٩) .

وإذا كانت السيطرة على أجهزة التعليم والتشريع متعذرة في بعض البلاد ، فإن التغلغل إلى أجهزة إعلامه الداخلية ، وإغراق سوقه بمنتجات إعلامية موجهة وجهة تغريبية يضمنان تطبيع أجياله تطبيعًا مدمرًا .

وإذا كانت المدارس تقوم بتدريس الدروس الدينية ، والمساجد ما زالت عامرة بالمصلين فإن توجيه عشرات أجهزة الإعلام توجيهًا تغريبيًا يضمن حدوث خلل نفسي ، وتناقض وجداني ، وتمزق عقلي ، وازدواج في الشخصية .

وبذلك استطاع الغزو الفكري أن يخلق أجيالاً وفق قيم معينة ، تتصادم مع قيم أخرى مبثوثة هنا وهناك .

وهذه من أخبث حيل التشويه في فكر المسلمين وقيمهم ، فإذا كانت المدارس تضم ملايين ، فإن الإذاعة والتلفاز تتعامل يوميًا مع ملايين أكثر عددًا ، وأقل حصانة ، وإذا كانت الدول الإسلامية تستطيع فرض رقابة على مدارسها وجامعاتها ، إلا أنها لا تستطيع أن تفرض سلطتها على البرامج الإذاعية التي تبث من عواصم دول أجنبية ، كما لا تستطيع أن تتحكم في الأفلام السينمائية وأفلام الفيديو ، وإن كثيرًا من الأفلام والشرائط تهرّب بطرق بعيدة عن رقابة الدولة .

والعالم اليوم أصبح أشبه بقرية صغيرة ، وزالت الحدود والحواجز أمام أجهزة الإعلام المتطورة في هذا العصر .

وإن كثيرًا من الإذاعات المسموعة والمرئية داخل الأقطار الإسلامية وخارجها إنما تجري على سياسة إشباع الشهوات ، لا التوجيه والإرشاد ، وإن كثيرًا من برامجها يفسد ولا يصلح ، فقصصها المسلسلة مثار للفزع الذي يقلق النفوس ويسقم الناشئة ويجنح بطبائعهم إلى الانحراف .

وقد يكون تأثير مثل هذه البرامج والمسلسلات الملفقة والحوادث المصنوعة ضعيفًا على كبار النفوس وناضجي العقول من ذوي التجربة والمثقفين ، لأنهم لا يندمجون فيما يسمعون ، فهم دائمًا على ذكر من أن الذي يسمعونه هو مجرد أوهام لا تمت للواقع بصلة ، ولكن الشباب والأطفال وضعاف العقول لا يفرقون بين ما يسمعونه في الإذاعة وبين ما يشاهدونه في الحياة ، ولا يميزون بين القصة التي يشاهدونها على لوحة الخيال وبين واقع الأمر في الحياة ، فهم يندمجون اندماجًا كاملاً فيما يرون وما يسمعون من ذلك كله ، فتجذبهم الأحداث إلى الهياج تارة وإلى البكاء تارة أخرى ، وتنطبع آثارها في نفوسهم فتصبح جزءًا أصيلاً من مشاهداتهم وتجاربهم ، بل إنها تصبح أجمل من كل ما شاهدوا وما جربوا لما يحيطها من عوامل الاغراء والإقناع والتأثير التي افتن فيها مخرجوها وبلغوا في ذلك أقصى الطاقة والجهد (٥٠) والهدفُ من القصص والمسرحيات التي تنشر من خلال وسائل الإعلام - هو تحطيم القيم الإسلامية التي تمنع الاختلاط وتنفر من الفاحشة والتحلل الخلقي .. فقد كانت هذه القيم مع ضعفها في حياة المسلمين - عقبة ضخمة في سبيل الإفساد الخلقي الهائل الذي تهدف الصليبية إلى إحداثه في المجتمع الإسلامية .

وكذلك من وسائل الإعلام المدمرة الترجمة من اللغات الأجنبية إلى لغات المسلمين فترجمت كثير من كتب القصص الغرامي والفن ، وقد كان الفن الذي يترجم هو الفن الذي تخلص تمامًا من القيم الدينية ، وراح يدعو إلى إقامة مجتمع حرٍ « طليق » من تلك القيم ، مجتمع يهبط تدريجيًا حتى يصبح مجتمعًا حيوانيًا في النهاية ، ولم تكن هذه النهاية واضحة في القرن الماضي كما هي واضحة اليوم لكل ذي حس سليم ، وقد

كان هناك تشجيع خفي لنشر هذا الفن وترويجه بين الشباب خاصة ، والهدف من ذلك واضح (٥١) .

أما الكتب التي تحمل الفكر « العلماني » فالهدف من ترجمتها يوضحه (أ. شاتيلييه) في مقدمة كتاب « الغارة على العالم الإسلامي » بقوله : « ولا شك في أن إرساليات التبشير من بروتستانتية وكاثولوكية ، تعجز عن أن تزحزح العقيدة الإسلامية في قلوب منتحليها ، ولا يتم لها ذلك إلا ببث الأفكار التي تتسرب مع اللغات الأوربية ، فبنشرها اللغات الإنجليزية والألمانية والهولندية والفرنسية يحتك الإسلام بصحف أوربا ، وتمهد السبل لتقدم إسلامي مادي وتقضي إرساليات التبشير لبانتها من هدم الفكرة الدينية التي لم تحفظ كيانها وقوتها إلا بعزلتها وانفرادها (٥٢) .

أما الصحافة فشأنها أعظم في نشر الغزو الفكري ، فقد استغل المبشرون الصحافة في كثير من بلاد المسلمين ، وعلى الأخص في مصر ، حيث قامت الصحافة بدور من أخطر الأدوار في حملة « التغريب » فإن مصر في نظر المخططين هي مركز التوجيه الروحي والثقافي بسبب موقعها الجغرافي ومكانتها التاريخية ، وبسبب وجود الأزهر فيها .. فإذا أمكن إفسادها من الناحية الإسلامية كان ذلك عونًا كبيرًا للذين يخططون لإفساد العالم الإسلامي كله لأن الفساد سيصدر يومئذ وعليه خاتم القاهرة ، فيكون أفعل في الإفساد مما لو جاء ، وعليه خاتم لندن أو باريس (٥٣) .

يقول المستشرق الإنجليزي المشهور « جب » في كتابه : « وجهة الإسلام » متحدثًا عن أهمية الصحافة في مجال الغزو الفكري (٥٤) : « والواقع أن المدارس والمعاهد العلمية لا تكفي ، فليست هي في حقيقة

الأمر إلا الخطوة الأولى في الطريق ، لأنها لا تغني شيئًا في قيادة الاتجاهات السياسية والإدارية .

وللوصول إلى هذا التطور الأبعد الذي - بدونه تظل الأشكال الخارجية مجرد مظاهر سطحية - يجب ألا ينحصر الأمر في الاعتماد على التعليم في المدارس الابتدائية والثانوية ، بل يجب أن يكون الاهتمام الأكبر منصرفًا إلى خلق رأي عام ، والسبيل إلى ذلك هو الاعتماد على الصحافة ، ويقرر « جب » : « أن الصحافة هي أقوى الأدوات الأوربية وأعظمها نفوذًا في العالم الإسلامي ، كما يقرر أن مديري الصحف اليومية ينتمون في معظمهم إلى التقدميين » ولذلك كان معظم هذه الصحف واقعًا تحت تأثير الآراء والأساليب الغربية .

ويستعرض الكاتب بعد ذلك صحافة العالم الإسلامي مشيرًا إلى ما بينها من فروق فيقول : إن الصحافة التركية هي بطبيعة الحال وطنية لا دينية ، وهي لا تجرؤ على أن تكون دينية ، لأنها مراقبة من الحكومة مراقبة شديدة ، أما الصحافة المصرية فهي على العكس من اتجاه الأولى الثوري - تتطور في بطء وتعرض طائفة من الآراء الجديدة ، وهي على كل حال لا دينية في اتجاهها .

وللأسباب التي ذكرتها وغيرها مما لم أتطرق إليه - فإن الدراسات الاجتماعية والتربوية المعاصرة تعتبر « صناعة الإعلام » من أخطر وأهم الصناعات على الصغير والكبير ، المتعلم والأمي ، المسلم وغير المسلم .

وإذا كانت الانقلابات العسكرية تستهدف أول ما تستهدف الاستيلاء على الإذاعة والتلفاز ، فإن أجهزة الغزو الفكري تستهدف ذلك بنفس الدرجة وبذات الأهمية ، لكن بطريقة ذكية ، وبناء على خطة بعيدة المدى .

وإذا كانت المجتمعات الإسلامية تشكو من ارتفاع نسبة الأمية

الأبجدية ، فلتكن السيطرة الغازية إذن على المسموع والمشاهد ، ولتستمر بذلك الأمية الأبجدية ، ولتضاف إليها أمية دينية ، وأمية ثقافية ، ولتحل محلها شخصيات ممسوخة قد تحللت من الدين عقيدة وشريعة .

وقد أوصى المؤتمر العالمي لتوجيه الدعوة وإعداد الدعاة المنعقد في عام ١٣٩٧هـ-١٩٧٧م بالمدينة المنورة على ساكنها أفضل الصلاة وأزكي السلام - وقد ندد هذا المؤتمر بحال الإعلام في البلاد الإسلامية : " و بندد المؤتمر بالهوة السحيقة التي تردى فيها إعلامنا ولا يزال يتردى ، عن علم القائمين به أو عليه أو عن جهل منهم ، فبدلاً من أن يكون الأعلام في البلاد الإسلامية منبر دعوة للخير ، ومنار إشعاع للحق صار صوت إفساد وسوط عذاب .. وسكت القادة فأقرّوا بسكوتهم أو جاوزوا ذلك فشجعوا وحموا .. وزلزلوا الناس في إيمانهم وقيمهم ومثلهم ، ولم يعد الأمر يحتمل السكوت من الدعاة إلى الحق » (٥٥) .

[يتبع]

الهوامش :

(٤٨) التبشير والاستعمار في البلاد العربية : ص/٢١٢ الطبعة الثانية .

(٤٩) وسائل مقاومة الغزو الفكري للعالم الإسلامي : ص/٧٢ .

(٥٠) حصوننا مهددة من داخلها ، د/محمد محمد حسين ، الطبعة الخامسة ، المكتب الإسلامي .

(٥١) واقعنا المعاصر : ص/١٢٧ .

(٥٢) راجع هذه المقدمة في كتاب « الغارة على العالم الإسلامي » ترجمة محي الدين الخطيب .

(٥٣) واقعنا المعاصر : ص/٢٢٩ .

(٥٤) « الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر» : ص/٢٠٢ .

(٥٥) أساليب الغزو الفكري للعالم الإسلامي : ص/٧٢ .

الغيبة مرض خطير

[الحلقة الثانية الأخيرة]

سعادة الدكتور محمد بن سعد الشويعر
رئيس تحرير مجلة « البحوث الإسلامية » - الرياض

تهتم دول العالم في عصرنا الحاضر ، حيث تقدم الطب ، وتطور وسائله ، بأسباب الوقاية من المرض قبل وقوعه ، ولذا ابتكرت الأمصال واخترعت وصنعت اللقاحات ، للتحصين بها ضد عديد من الأوبئة ، على مبدأ الوقاية قبل العلاج ، هذا فيما يعهده الإنسان من الأمراض الجسمانية المحسوسة .. أما الأمراض القلبية ، المرتبطة بالإسلام عقيدة ، وما يتعلق بالمرء مع خالقه ، و وظيفته الأساسية التي جاء إلى الدنيا من أجلها ، وما ينعكس على عبادته مع الله ، فإن تعاليم الإسلام ، تحجر النفس البشرية عن غيها ، وتحميها عن الشرور التي توقع صاحبها المهالك .

والغيبة واحده من الشرور التي اهتم بمعالجتها الإسلام ، و وضع حواجز تمنع النفس البشرية من الانغماس في أوحالها ، حيث يجب على كل مسلم أن يحذرها ، وأن يغالب نفسه عن الوقوع فيها ، وذلك بأن يحرص على تحصين قلبه ، وحماية لسانه باللقاح الذي رسمته سنة رسول الله -ﷺ- : أدبًا خلقيًا ، وتربية رفيعة ، وتوجيهًا بنماذج محسوسة ، ليكون من ذلك حصانة للنفس ، و وقاية للمجتمع .

يظهر مثل ذلك ، في هذا التوجيه الكريم ، والدرس العملي ، من رسول الله -ﷺ- لأفضل الصحابة وهما : أبو بكر و عمر - رضي الله عنهما - ، وهما من هما سابقة في الإسلام ، ودفاعًا عنه ، وحسن اتباع لرسول الله -ﷺ- ، حيث أخرج الحكيم الترمذي في نوادر الأصول عن يحيى بن أبي بكر أن نبي الله -ﷺ- كان في سفر ومعه أبو بكر وعمر ، فأرسلوا إلى

رسول الله -ﷺ- يسألونه لحمًا ، فقال : أو ليس قد ظللتم من اللحم شباعًا ؟ قالوا : من أين ؟ فو الله ما لنا باللحم عهد منذ أيام ؟ فقال -ﷺ- : من لحم صاحبكم الذي ذكرتم ، قالوا : يا نبي الله ، إنما قلنا إنه لضعيف ، ما يعيننا على شئ ، قال : ذلك فلا تقولوا : فرجع إليهم الرجل فأخبرهم ، بالذي قال -ﷺ- ، فجاء أبو بكر فقال : يا نبي الله استغفر لي ، ففعل ، وجاء عمر فقال : يا نبي الله استغفر لي ، ففعل .

وأخرج ابن مردويه عن أم سلمة - رضي الله عنها - ، أنها سألت عن الغيبة ، فأخبرت أنها أصبحت يوم الجمعة ، وغدا رسول الله -ﷺ- إلى الصلاة وأتتها جارة لها من نساء الأنصار ، فاغتابتا وضحكتا برجال ونساء ، فلم ببرحا على حديثهما من الغيبة حتى أقبل النبي -ﷺ- منصرفًا من الصلاة ، فلما سمعتا صوته سكتتا ، فلما قام بباب الدار ، القي طرف ردائه على أنفه ، ثم قال : « أفٍ ، أخرجا فاستقيئا ، ثم طهرا بالماء » ، فخرجت أم سلمة فقاءت لحمًا كثيرًا قد أحيل ، فلما رأت كثرة اللحم ، تذكرت أحدث لحم أكلته ، فوجدته في أول جمعتين مضتا ، فسألهما عما قاءت فأخبرته ، فقال -ﷺ- : « ذاك لحم ظللت تأكلينه ، فلا تعودى أنت وصاحبتك فيما ظللتما فيه من العيبة » وأخبرتها صاحبتها أنها قاءت مثل الذي قاءت مس اللحم ، فهل ينتبه كثير من المسلمين اليوم رجالاً ونساءً لمثل هذا الأمر الخطير الذي يحبط الأعمال .

فأخرج البخاري في الأدب ، عن ابن مسعود - رضي الله عنه - قال : مس أغيب عنده مؤمن فنصره جزاه الله بها خيرًا في الدنيا والآخرة ، ومن أغيب عنده فلم ينصره جزاه الله بها في الدنيا والآخرة شرًا ، وما التقم أحد لقمة شرًا من اغتياب مؤمن ، إن قال فيه ما يعلم فقد اغتابه ،

وإن قال فيه ما لا يعلم فقد بهته ، [الدر المنثور : ٧/٥٧٢] ، وما أقل في هذا الزمان من يحمى الأعراض ، ومن ينصر المؤمن لإيمانه وتقواه .

والغيبة لا تقتصر على اللسان ، كما بان من أحاديث رسول الله -ﷺ- ، و فهم علماء الإسلام ، وقد أوضح ذلك بدقة ، الغزالي حيث عقد فصلاً بهذا ، وقال : اعلم أن الذكر باللسان إنما حرم لأن فيه تفهيم الآخرين نقصان أخيك ، وتعريفه بما يكرهه ، فالتعريض به كالتصريح ، والفعل كالقول والإشارة ، والإيماء والغمز والهمز ، والكتابة والحركة ، وكل ما يفهم المقصود فهو داخل في الغيبة ، وهو حرام .

فمن ذلك قول عائشة - رضي الله عنها - : دخلت علينا امرأة فلما ولّت أومأت بيدي أنها قصيرة فقال النبي -ﷺ- : اغتبتيها ، ومن ذلك المحاكاة كأن يمشي متعارجًا ، أو كما يمشي ، فهو غيبة ، بل هو أشد من الغيبة ، لأنه أعظم في التصوير والتفهيم ، ولما رأى رسول الله -ﷺ- عائشة حاكت امرأة قال : « ما يسرني أني حاكيت إنسانًا ولي كذا وكذا » وهذا النوع يتمادى فيه من يريدون إضحاك الناس والتطرف إليهم من ممثلين وغيرهم .

وكذلك الغيبة بالكتابة ، فإن القلم أحد اللسانين ، وذكر المصنف شخصًا معينًا ، وتهجين كلامه في الكتاب غيبة ، إلا أن يقترن به شئ من الأعذار المحوجة إلى ذكره ، وأما قوله : قال قوم كذا ، فليس ذلك غيبة ، إنما الغيبة التعرض لشخص معين ، إما حي وإما ميت .

ومن الغيبة أن تقول : بعض من مرّ بنا اليوم ، أو بعض من رأيناه ، إذا كان المخاطب يفهم منه شخصًا معينًا ، لأن المحذور تفهيمه دون ما به

التفهيم ، فأما إذا لم يفهم عينه جاز ، فقد كان رسول الله -ﷺ- إذا كره من إنسان شيئًا قال : « ما بال أقوام يفعلون كذا وكذا » فكان لا يعين ، وقولك بعض من قدم من السفر ، أو بعض من يدعى العلم ، إن كان معه قرينة تفهم عين الشخص فهي غيبة ، وأخبث أنواع الغيبة ، غيبة القراء المرائين ، فإنهم يفهمون المقصود ، على صيغة أهل الصلاح ، ليظهروا من أنفسهم التعفف عن الغيبة ، ويفهمون المقصود ، ولا يدرون بجهلهم أنهم جمعوا بين فاحشتين : الغيبة والرياء ، وذلك مثل أن يذكر عنده إنسان ، فيقول : الحمد لله الذي لم يتبلنا بالدخول على السلطان ، والتبذل في طلب الحكام ، أو يقول : نعوذ بالله من قلة الحياء ، نسأل الله أن يعصمنا منها ، وإنما قصده أن يفهم عيب الآخرين ، فيذكرهم بصيغة الدعاء ، وكذلك قد يقدم مدح من يريد غيبته ، فيقول : ما أحسن أحوال فلان ، ما كان يقصر في العبادات ، ولكن قد اعتراه فتور ، وابتلي بما يبتلي كلنا ، وهو قلة الصبر ، فيذكر نفسه ، ومقصوده أن يذم غيره ، في ضمن ذلك ، ويمدح نفسه بالتشبه بالصالحين ، بأن يذم نفسه ، فيكون مغتابًا ومرائيًا ، ومزكيًا نفسه ، فيجمع بين ثلاث فواحش ، وهو بجهله يظن أنه من الصالحين المتعففين عن الغيبة ، ولذلك يلعب الشيطان بأهل الجهل ، إذا اشتغلوا بالعبادة من غير علم ، فإنه يتبعهم ، ويحيط بمكايده عملهم ، ويضحك عليهم ، ويسخر منهم .

ومن ذلك أن يذكر عيب إنسان فلا يتنبه له بعض الحاضرين ، فيقول : سبحان الله ما أعجب هذا ، حتى يصغي إليه ، ويعلم ما يقول ، فيذكر الله تعالى ، ويستعمل اسم آلة له ، في تحقيق خبثه ، وهو يمتن على الله

-عزوجل- بذكره جهلاً منه وغرورًا ، وكذلك يقول : ساءني ما جرى على صديقنا من الاستخفاف به ، نسأل الله أن يروح نفسه ، فيكون كاذبًا في دعوى الاغتمام ، وفي إظهار الدعاء له ، بل لو قصد الدعاء لأخفاه في خلوته عقيب صلاته ، ولو كان يغتم به ، لاغتم أيضًا بإظهار ما يكرهه ، و كذلك يقول : ذلك المسكين قد بلي بآفة عظيمة ، تاب الله علينا وعليه ، فهو في كل ذلك يظهر الدعاء ، والله مطلع على خبث ضميره ، وخفي مقصده ، وهو لجهله لا يدري أنه قد تعرض لمقت أعظم ، مما تعرض له الجهال إذا جاهروا .

ومن ذلك الإصغاء إلى النميمة على سبيل التعجب ، فإنه إنما يظهر التعجب ليزيد نشاط المغتاب في الغيبة ، فيندفع فيها ، وكأنه يستخرج الغيبة منه بهذا الطريق ، فيقول : عجيب ما علمت أنه كذلك ، ما عرفته إلى الآن إلا بالخير ، وكنت أحسب فيه غير هذا .

بل الساكت شريك المغتاب قال -ﷺ- : « المستمع أحد المغتابين » فجمع بينهما ، فالمستمع لا يخرج من اثم الغيبة ، إلا أن ينكر بلسانه أو بقلبه إن خاف ، وإن قال بلسانه اسكت وهو مشته لذلك بقلبه فذلك نفاق ، ولا يخرجه من الإثم ، ما لم يكرهه بقلبه ، ولا يكفى في ذلك أن يشير باليد أي اسكت ، أو يشير بحاجبه وجبينه ، فإن ذلك استحقار للمذكور ، بل ينبغي أن يعظم ذلك ، فيذب عنه صريحًا . [إحياء علوم الدين : ٢/١٤٢-١٤٣] .

وقد استثنى العلماء حالات من الغيبة ، قال ابن كثير في تفسيره : والغيبة محرمة بالإجماع ، ولا يستثنى من ذلك إلا ما رجحت مصلحته كما

في الجرح والتعديل ، والنصيحة كقوله -ﷺ- لما استأذن عليه ذلك الرجل الفاجر : « ائذنوا له بئس أخو العشيرة » وكقوله -ﷺ- لفاطمة بنت قيس - رضي الله عنها - ، وقد خطبها معاوية ، وأبو الجهم : « أما معاوية فصعلوك ، وأما أبو الجهم فلا يضع عصاه عن عاتقه » وكذا ما جرى مجرى ذلك ، لأن المستشار مؤتمن ، ثم بقيتها على التحريم الشديد وقد ودر فيها الزجر الأكيد [٢/٢١٤] .

والغزالي في الإحياء قد توسع في الغيبة ، واستوفاها حقها ، وذكر الأسباب الباعثة على الغيبة ، وهي مجملة في أحد عشر سببًا ، والأعذار المرخصة للغيبة ، وشرحها في ستة أمور ، وتوسع في العلاج الذي به يمنع اللسان من الغيبة ، وخرج من ذلك بخلاصة في بيان تحريم الغيبة بالقلب ، ثم ختم ذلك ببيان كفارة الغيبة ، التي جعلها آفة من آفات اللسان ، ولأهمية ذلك ، رجاء أن ينتفع به كل صاحب غيبة ، بأن له من هذا المقال نقطة الضعف من نفسه ، فإن من المناسب إيراد قوله في الخاتمة : اعلم أن الواجب على المغتاب أن يندم ويتوب ، ويتأسف على ما فعله ليخرج به من حق الله سبحانه ، ثم يستحل المغتاب ليحله ، فيخرج من مظلمته ، وينبغي أن يستحله ، وهو حزين متأسف نادم على فعله ، إذ المرائي قد يستحل ليظهر من نفسه الورع ، وفي الباطن لا يكون نادمًا ، فيكون قد قارف معصية أخرى ، وقال الحسن : يكفيه الاستغفار دون الاستحلال ، وربما استدل في ذلك بما روى عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله -ﷺ- : « كفارة من اغتبته أن تستغفر له » ، وقال مجاهد كفارة أكلك لحم أخيك أن تثني عليه وتدعو له بخير ، وسئل عطاء بن

أبي رباح عن التوبة من الغيبة قال : أن تمشي إلى صاحبك فتقول له ، كذبت فيما قلت ، وظلمتك وأسأت ، فاءن شئت أخذت بحقك ، وإن شئت عفوت ، وهذا هو الأصح .

وقول القائل : العرض لا عوض له ، فلا يجب الاستحلال منه ، بخلاف المال ، كلام ضعيف ، إذ قد وجب في العرض حد القذف ، وتثبت المطالبة به ، بل في الحديث الصحيح ما روى أنه -ﷺ- قال : « من كانت لأخيه عنده مظلمة في عرض أو مال ، فليستحلها منه ، من قبل أن يأتي يوم ليس هناك دينار ولا درهم ، إنما يؤخذ من حسناته ، فإن لم يكن له حسنات أخذ من سيئات صاحبه فزيدت على سيئاته » ، وقالت عائشة لامرأة قالت لأخرى : إنها طويلة الذيل ، قد اغتبتيها فاستحليها ، فإذن لابد من الاستحلال إن قدر عليه ، فإن كان غائبًا أو ميتًا ، فينبغي أن يكثر له الاستغفار والدعاء ، ويكثر من الحسنات ، فإن قلت فالتحليل هل يجب ؟ فأقول : لا لأنه تبرع ، والتبرع فضل وليس بواجب ، ولكنه مستحسن وسبيل المعتذر أن يبالغ في الثناء عليه ، والتودد إليه ويلازم ذلك حتى يطيب قلبه ، فإن لم يطب قلبه كان اعتذاره وتودده حسنة محسوبة له ، يقابل بها سيئة الغيبة ، في القيامة ، وكان بعض السلف لا يحلل ، قال سعيد بن المسيب : لا أحلل من ظلمني ، وقال ابن سيرين : إني لم أحرمها عليه فأحللها له ، إن الله حرم الغيبة عليه ، وما كنت لأحلل ما حرم الله أبدًا ، فإن قلت : فما معنى قول النبي -ﷺ- : ينبغي أن يستحلها ، وتحليل ما حرمه الله تعالى غير ممكن ، فنقول : المراد به العفو عن المظلمة لا أن ينقلب الحرام حلالاً ، وما قاله ابن سيرين حسن في التحليل ، قبل الغيبة ، فإنه لا يجوز له أن يحلل لغيره الغيبة ، فإن قلت : فما معنى

قول النبي -ﷺ- : « أ يعجز أحدكم أن يكون كأبي ضمضم ؟ كان إذا خرج من بيته قال : اللهم إني قد تصدقت بعرضي على الناس » فكيف يتصدق بالعرض ، ومن تصدق به فهل يباح تناوله ؟ فإن كان لا تنفذ صدقته ، فما معنى الحث عليه ، فنقول : معناه إني لا أطلب مظلمة في القيامة ، ولا أخاصمه وإلا فلا تصير الغيبة حلالاً به ، ولا تسقط المظلمة عنه ، لأنه عفو قبل الوجوب ، إلا أنه وعد وله العزم على الوفاء بأن لا يخاصم ، فإن رجع وخاصم كان القياس كسائر الحقوق ، أن له ذلك ، بل صرح الفقهاء أن من أباح القذف لم يسقط حقه من حد القاذف ، ومظلمة الآخرة مثل مظلمة الدنيا .

وعلى الجملة فإن العفو أفضل ، قال الحسن : إذا جثت الأم بين يدي الله -عز وجل- ، يوم القيامة ، نودوا : ليقم من كان له أجر على الله ، فلا يقوم إلا العافون عن الناس في الدنيا ، وقد قال سبحانه : « خذ العفو وأمر بالعرف ، وأعرض عن الجاهلين » فقال النبي -ﷺ- : « يا جبريل ما هذا العفو ؟ فقال : إن الله تعالى يأمرك أن تعفو عمن ظلمك ، وتصل من قطعك ، وتعطي من حرمك » وروى عن الحسن : أن رجلاً قال له : إن فلانًا قد اغتابك ، فبعث إليه رطبًا على طبق ، وقال : قد بلغني أنك أهديت إلي من حسناتك فأردت أن أكافئك عليها ، فاعذرني فإني أقدر أن أكافئك على التمام [إحياء علوم الدين : ٢/١٥٠] .

وهذا ملمح جدير بالعناية اهتم به أسلافنا ، فهل لنا أن نتأسى بهم لننقذ أنفسنا قبل الندامة ، أرجو أن يحاسب كل مسلم نفسه ، ويراجعها بتوبة صادقة مع الله والعزم على ترك الغيبة .

من صدق الله نجا :

جاء في كتاب مجمع الأمثال ، أن أبا هريرة - رضي الله عنه - روى عن النبي -ﷺ- أنه قال : « إن ثلاثة نفر انطلقوا إلى الصحراء ، فمطرتهم السماء ، فلجأوا إلى كهف في جبال ينتظرون إقلاع المطر ، فبينما هم كذلك ، إذ هبطت صخرة من الجبل ، وجثمت على باب الغار ، فيئسوا من الحياة والنجاة ، فقال أحدهم : لينظر كل واحد منكم إلى أفضل عمل عمله فليذكره ، ثم ليدع الله تعالى عسى أن يرحمنا وينجينا، فقال أحدهم : اللهم إنك تعلم أني كنت بارًا بوالديّ ، وكنت آتيهما بغبوقهما فيغتبقانه ، فأتيت ليلة ، بغبوقهما فوجدتهما قد ناما ، وكرهت أن أوقظهما ، وكرهت الرجوع ، فلم يزل ذلك دأبي حتى طلع الفجر فإن كنت عملت ذلك لوجهك فأفرج عنا ، فمالت الصخرة عن مكانها حتى دخل عليهم الضوء ، وقال الآخر : اللهم إنك تعلم أني هويت امرأة ، ولقيت في شأنها أهوالاً حتى ظفرت بها ولكني تركتها خوفًا منك ، فإن كنت تعلم أنه ما حملني على ذلك إلا مخافتك فأفرج عنا ، فانفرجت الصخرة ، حتى لو شاء القوم أن يخرجوا لقدروا .

وقال الثالث : اللهم إنك تعلم أني استأجرت أجراء ، فعملوا لي فوفيتهم أجورهم إلا رجلاً واحدًا ترك أجره عندي ، وخرج مغضبًا ، فربيت أجره ، حتى نما وبلغ مبلغًا ، ثم جاء الأجير فطلب أجرته ، فقلت : هاك ما ترى من المال ، فإن كنت تعلم إني ما عملت ذلك إلا لمخافتك فأفرج عنا ، فمالت الصخرة وانطلقوا سالمين ، فقال -ﷺ- : « من صدق نجا » [١٦٧/٢] .

تجربتي في الدعوة الإسلامية في اليابان

[الحلقة الأولى]

[بقلم : الدكتور صالح السامرائي]

تعرفت عند وصولي لباكستان في سبتمبر ١٩٥٨م على السيد عبد الرشيد أرشد الذي كان مهندسًا كبيرًا في مصلحة التلفونات والبرق وذلك عن طريق سماحة الأستاذ أبي الحسن علي الحسني الندوي الذي كان حينئذ في زيارة لباكستان ، وكان السيد أرشد من جماعة التبليغ العاملة في حقل الدعوة الإسلامية ومنذ ذلك الحين توطدت الصلة بيني وبينه ، وذهب مرة في مهمة استطلاعية رسمية إلى اليابان استغرقت تسعة شهور كان يكتب لي من هناك عن نشاطه وجماعة التبليغ في نشر الإسلام ، وبعد عودته كان دائمًا يحثني على الذهاب إلى اليابان وكان مما يقوله : « إن اليابان مثل بالباكستان مليئة بالفواكه ، وإنك حين تدخله تبدأ في جني الثمار وجمعها رأسًا حتى تملأ كل ما عندك من أوعية » وكان يصف اليابانيين الذين يسلمون ويشبههم بالصحابة - رضي الله عنهم - في إيمانهم وسلوكهم ، ولكثرة ما شوقني لزيارة اليابان قلت في نفسي،دعني أذهب لأتأكد مما يقوله هذا الأخ الباكستاني ويطمئن قلبي لصحة حديثه فإن كان الأمر كما يقول عدت إلى بلاد العرب لأقف خطيبًا في مساجدهم قائلاً : « إنكم إذا أردتم أن تفتحوا بلدًا بصورة سلمية فهلموا إلى اليابان » وبعد أن أنهيت دراستي الجامعية في باكستان من جامعة البنجاب في الزراعة حصلت على قبول للدكتوراة من جامعة شتوت كارد بألمانيا ومن جامعة

جنيف بسويسرا وعزمت على السفر إلى اليابان لمصاحبة مجموعة من أهل التبليغ ثم من هناك أتوجه إلى ألمانيا أو إلى سويسرا، وفي طريقي إلى أوربا كنت مخططًا أن أزور الصين والمناطق الإسلامية في الاتحاد السوفيتي للاطلاع على أحوال المسلمين هناك ، سافرت من باكستان إلى الهند ومن كلكتا ركبت الباخرة متوجهًا إلى اليابان وبعد خمسة وعشرين يومًا وصلت ميناء يوكوهاما في السابع والعشرين من تشرين الأول أكتوبر ١٩٦٠م والتحقت في طوكيو بمجموعة التبليغ الباكستانيين وهم كانوا قد وصلوا قبلي بشهر ، وتجولت معهم لمدة شهرين تقريبًا في مختلف أنحاء اليابان وكان مما لاحظته هو أن عددًا كبيرًا من اليابانيين يدخلون الإسلام ويقبلونه إلا أن جماعة التبليغ تعود لبلدها وتترك هؤلاء المسلمين بدون رعاية فمثلهم كمن يزرع بذورًا في صحراء فإن أصابها مطر نبتت وترعرعت وإن لم يصبها ماء ماتت في مهدها ، فاستخرت ربي واستشرت بعض أصدقائي وقررت البقاء في طوكيو لأكمل الدراسة في إحدى جامعاتها ثم أوجه نظر العالم الإسلامي والعرب خاصة لمساعدة الدعوة الإسلامية الناشئة في هذا البلد الناشئ ، و وفقني الله للحصول على قبولي في أكبر جامعة باليابان وهي جامعة طوكيو « في طوكيو وحدها مائة جامعة » .

لقد كانت هناك بدأت محاولة لتشكيل جمعية للطلبة المسلمين إلا أن القائمين عليها غادروا طوكيو ، أحدهما إيراني رجع إلى بلده وهو المهندس معين وإسمه سعدي فاضل والآخر عراقي وسامرائي أيضًا نقل إلى جامعة كيوشو في أقصى جنوب اليابان ، فبدأت الاتصال بالطلبة المسلمين وشكلنا جمعية الطلبة المسلمين في اليابان التي كانت تضم طلابًا من

أندونيسيا « وكانوا أكثر نسبة بين الطلاب المسلمين » وباكستان وإيران وتركيا و البلاد العربية و الملايو و من الأقليات المسلمة في تايلاندا وبورما وفيتنام وكمبوديا ومعهم الطلاب اليابانيون المسلمون وكان ذلك في أوائل ١٩٦١م ، كانت هناك جمعيات قومية و وطنية مثل جمعية الطلبة العرب وجمعية الطلبة الأندونيسيين وجمعية الطلبة الباكستانيين إلا أن أغلب أعضاء هذه الجمعيات من المسلمين كانوا أوتوماتيكيا أعضاء في جمعية الطلبة المسلمين وكان هناك انسجام بين انتماء الفرد لوطن أو عرق وبين ولائه للعقيده الإسلامية وهذا هو عين ما وقع في تاريخ الإسلام الطويل إذا أنه لم يقض على القوميات بل اعترف بها وآخي بينها ﴿ وجعلناكم شعوبًا وقبائل لتعارفوا ﴾ فمنذ ظهور الإسلام ظل سلمان فارسًا وصهيب روميًا وبلال حبشيًا وصلاح الدين كرديًا ومحمد الفاتح تركيًا وتقي العربي عربيًا والأفغاني أفغانيًا إلا أن محصلة جهودهم وإخلاصهم و ولائهم كانت للإسلام .

والنشاط الذي كانت تقوم به الجمعية ذو شقين : الأول مع الطلبة من أعضائها والآخر مع المسلمين اليابانيين ، فلقد هيأت للطلبة جوًا ساعد على اعتزازهم بدينهم وعدم ذوبانهم في مجتمع غريب عنهم ، إذ من المعلوم أن الإنسان إذا تغرب بضعف أمام التيارات ، فإذا وجد من يقومه استقام ، وكانت تستغل المناسبات الإسلامية و تستفيد منها كالأعياد ورمضان فيجتمع الطلبة ، وتعمل الاحتفالات والإفطار المشترك والسفرات والندوات ، كل هذه ساعدت إلى حد كبير على احتفاظ الطالب بنوع من الصلة بدينه ومجتمعه الذي جاء منه ، ولقد كان الارتباط واضحًا بين الطلبة المسلمين أثناء إقامتهم في بيوت الطلبة المختلفة سواء لدى

إدارة هذه البيوت أو المقيمين فيها من أتباع الملل الأخرى ، أما بالنسبة للنشاط مع المسلمين اليابانيين فقد تأسس مجلس إسلامي مشترك مع جمعية مسلمي اليابان أخذ على عاتقه مسئولية التخطيط للدعوة الإسلامية في البلد ، وأول عمل قام به هو توجيه نداء إلى العالم الإسلامي للفت نظره لمساعدة النشاط الإسلامي في اليابان ، ولقد حصلنا على مساعدات مادية من الكويت والسعودية كانت الأساس في أغلب أعمالنا ، وحصلنا على كتب ونشرات من بعض البلاد الإسلامية مثل الباكستان ، وطبعت عدة كتيبات ورسائل باللغة اليابانية وصدرت جريدة « صوت الإسلام » في اليابان مرة كل عشرين يومًا ، وعقدت دورات للشباب المسلم الياباني لتعليم اللغة العربية والقرآن الكريم والحديث النبوي الشريف .

وكانت هذه الدورات تعقد في معبد مونجين الذي يبعد عن طوكيو ثلاث ساعات ، والمعبد على سفح جبل أخضر « واليابان كلها خضراء لوجود الغابات وأشجار الفاكهة » أسلم صاحبه واسمه مونجين وأحاله إلى مسجد بعد أن كانت تقام فيه الشعائر الوثنية ، إن الإنسان يشعر بقربة من الله وتتراءي له عظمة هذا الدين في تلك الأصقاع التي لم تشهد في حياتها مسلماً بينما ترتج جوانب الجبال بصوت الله أكبر يرفع خمس مرات ، ونحمد الله على أن ظهر من أبناء هذا الشعب الذي ما سمع كلمة التوحيد من قبل ولم تتعفر جبهته بتراب السجود لله من يقف بكل خشوع مصليًا ويتلو القرآن الكريم بعجمة هي أوضح من عجمة أي شعب مسلم غير عربي ، رغم أنه حديث عهد بالإسلام ، ومما يجعل الجو أقرب إلى الفطرة هو أننا خلال إقامتنا عند مونجين لا نتناول إلا الطعام الطبيعي الذي تُنبته الأرض كالرز الأسمر الذي لم تتناوله يد الإنسان

بالتبييض والتمليح وأنواع الفاكهة والخضر المكبوسة وبراعم البامبو المسلوقة والجلوس لتناول الطعام يكون على الأرض على الطريقة اليابانية ، وهنا يعطى المسئول عن الدورة الإشارة ببدء الطعام ولكن بدلاً من أن يستعمل اللفظ الياباني التقليدي « إيتادا كيمس » يقول : « بسم الله الرحمن الرحيم » ويتبعها باللفظ التقليدي الذي يعطى معنى مقاربًا للإسلام ، في مثل هذه الدورات كنا نعد الشباب الياباني المسلم ، وقد ذهب قسم من هؤلآء بل أكثرهم إلى الأزهر الشريف وبقية الجامعات في البلاد العربية والإسلامية ورجعوا بعد أن تعلموا الكثير واستلموا جمعية مسلمى اليابان وهم يلعبون الآن دورًا هامًا في النشاط الإسلامي باليابان بل إن أساتذة اللغة العربية في اليابان معظمهم منهم وكان المجلس الإسلامي يقوم بإرسال الدعاة والملقنين إلى أنحاء اليابان المختلفة لتفقد التجمعات الإسلامية ولدعوة الآخرين إلى الإسلام ، وكان المجلس يتحمل نصف نفقات الدعاة والنصف الباقي يتحمله الدعاة أنفسهم ومعظمهم من الطلبة ، وكانت هذه الجولات تعمل على تقوية الأواصر الأخوية بين الداعين أنفسهم وتزيد من ارتباطهم بعقيدتهم إضافة لما يقدمونه من مثل حي عن الإسلام ، إذ إن معظمهم من الشباب ومن جنسيات مختلفة ، والأندونيسيون منهم أقرب في سحنتهم إلى اليابانيين ، كل هذه الأمور تجعل الياباني يطمئن إلى هؤلآء القادمين السمر والصفر ، ذلك الاطمئنان الذي لا يتوفر مثله لدعاة الأديان الأخرى ، كما أن ذلك يشعر الياباني أن له مكانًا داخل المجتمع الإسلامي ، وقد دفع هذا الشعور أحد طلاب جامعة طوكشيما التي كنا نتحدث فيها مرة عن الإسلام إلى القول : « إن الدولة العالمية التي هي حلم الفلاسفة قديمًا وحديثًا لا يمكن تحقيقها إلا عن طريق

الإسلام » ، وكنا نمثل الإسلام في المؤتمرات التي تعقد فلقد دأبت إحدى الجامعات التبشيرية الخمس في طوكيو على عقد مؤتمر سنوي دولي للطلاب ، وكانوا يدسون الموضوع الذي يريدونه بين عدة مواضيع تبحث في حلقات وندوات مختلفة فكنت اختار الندوة التي يريدونها هم - وهي التي تبحث موضوع الدين والسياسة - وحضرتها مع أخ ملايوي ولما وصلني الحديث بعد أن تحدث أصحاب الأفكار والأديان الأخرى ، قلت : « إنني لا أوافق أن يتدخل أي دين في السياسة إلا الإسلام » وشرحت لهم وجهة نظر الإسلام وفي نهاية المناقشة نهض شاب ياباني فصافحني قائلاً : « من بين هؤلاء الذين حضروا الندوه أبابعك على الإسلام ومعلما قبوله » وكان لنا صديق أمريكي يعمل رئيسًا لمعهد الأديان المقارن ويعمل في التبشير المسيحي في اليابان لأربعين عامًا ، ودعا هذا الرجل واسمه الدكتور وودرد ممثلي جميع الأديان لمناقشة استمرت يومًا كاملاً ، وحضر ممثلو الهندوكية والبوذية ، والشنتو « دين اليابان الأصلي » والمسيحية والإسلام ، ومن أعجب ما دار في المناقشة أن وجه المندوب الهندوكي سؤالاً وجهه لأتباع الديانات : « هل تؤمن بأن جميع ما جاء في كتابك المقدس حق مطلق : ﴿ لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ﴾ ؟ فكان أن أجاب ممثلو الأديان جميعًا بأنهم لا يعتقدون ذلك بما فيهم المندوبون المسيحيون الثلاثة وهم طالب ماجستير أمريكي وبروفيسور أمريكي والدكتور وودرد ، وحين وصلني الدور ومعي الأخ عبد الرحمن الصديقي قلنا بلسان واحد : نعم نحن نعتقد أن كل ما جاء في القرآن حق مطلق فبهت الحاضرون .

هذا مجمل عن نشاط جمعية الطلبة المسلمين التي كنت فيها مساعدًا

للسكرتير العام خلال السنين الثلاث الأولى من إقامتي في اليابان وسكرتيرها العام خلال السنين الثلاث الأخيرة ، وكان السكرتير العام الأخ عبد الرحمن الصديقي الباكستاني وهو شاب يتقد ذكاء وحركة ونشاطًا ، وداعية من الطراز الأول ، وكان طالبًا في جامعة التجارة بطوكيو .

والآن لنتكلم عن اليابان والشعب الياباني باختصار ، فمساحة البلد نصف مساحة سوريا وتشكل الجبال ثمانين بالمائة من أراضيها ويبلغ تعداد السكان مائة مليون يعيش منهم اثنا عشر مليون في طوكيو ولذا تعتبر اليابان من أكثر البلدان ازدحامًا .

والبلد فقير في المواد الأولية ورغم ذلك فإنه ثاني دولة في الإنتاج الصناعي ، والياباني دؤوب ومخلص في العمل و واقعي في نظرته وقد ينظر إلى نفسه أنه متأخر عن بعض الدول المتقدمة إلا أنه يبذل جهده للتغلب على هذا الشعور بالجد والاجتهاد ، والياباني شرقي في مشاعره رغم محاولات الاستغراب ، يهتم في الأقطار الآسيوية لا بدافع اقتصادي فحسب ، وهذا عامل مهم في علاقة اليابان بالبلدان الأخرى ، ولكن نتيجة لشعورهم بوحدة المصير وتشابه الأحاسيس والعادات ، وهذه المشاعر تؤثر على نظرة الياباني إلى العالم وخصوصًا نظرته للأديان والمبادئ العالمية ، أما عن الوضع الديني للشعب الياباني وعلاقة ذلك بالدعوة الإسلامية وإمكانيات نشرها ، فإن الديانة الأصلية لليابانيين هي الشنتو والتي تعتمد على عبادة المظاهر الطبيعية وأرواح الأسلاف .

ثم جاءت البوذية عن طريق الصين في القرن السابع الميلادي ، وبعد صراع مع الديانة الأصلية استطاعت أن تكسب جانبًا من الشعب الياباني وتعايشت الديانتان بسلام ، ثم جاءت المسيحية بعد ذلك في القرن

السادس عشر وبعد محاولات عديدة استمالت نصف مليون ياباني تقريبًا، وفي الوقت الحاضر وبعد اندحار اليابان في الحرب العالمية الثانية فقدت ديانة الشنتو والبوذية سلطانها الأصلي وبقيت منها العادات والتقاليد التي أصبحت جزءًا من حياة الفرد الياباني ، ولو سألت الناس عن دينهم لأجابوك بكل بساطة بأنه لا دين لهم ، وهذا يعبر عن الضياع الفكري الذي يعاني منه الشعب الياباني ، أما بالنسبة للإسلام فلم يحفظ لنا التاريخ أية محاولة مبكرة لدخوله هذه الجزر، وأول المحاولات التي وصلت إلينا هي محاولتان في أوائل هذا القرن الميلادي أولها رواها مسلم تتري من قازان التي كانت يومًا مـا معقلاً إسلاميًا و هي الآن مسخها السوفيت ، و اسمه عبد الرشيد إبراهيم من تلاميذ جمال الدين الأفغاني - رحمه الله - .

فقد نقل أن امبراطور اليابان ميجي بعث للمرحوم السلطان عبد الحميد رسالة،طلب فيهاأن يبعث لليابان دعاة مسلمين يبلغون الإسلام للشعب الياباني ، فاستشار السلطان عبد الحميد جمال الدين الأفغاني ، فقال : يا أمير المؤمنين ! إنك إذا بعثت لهم العلماء الموجودين في السلطنة فإن هذا ليس في مصلحة الإسلام لأنهم غير مهيئين لهذا النوع من الدعوة والأحسن أن تدرب بعض الدعاة على مثل هذا العمل وترسلهم .

وذكر ابراهيم أن جمال الدين الأفغاني حثه على السفر إلى اليابان فسافر ١٩٠٩م واستقبله الصحافة على أنه مندوب السلطان وبقي ثمانية أشهر أسلم على يده أول مسلم ياباني اسمه عمر ياما أوكا الذي حج معه وألف كتابًا عن الإسلام ، والمحاولة الثانية ذكرها صاحب جريدة « الإرشاد » المصرية واسمه علي أحمد الجرجاوي حيث سمع عن عقد مؤتمر للأديان في طوكيو وأن اليابانيين يفتشون عن دين فسافر في عام

١٩٠٦م يصحبه عالم أزهري ورجل تونسي عن طريق البحر والتحق بهم شخص صيني مسلم من هونگ كونگ واستقبلهم في ميناء يوكوهاما شخص أسماه مخلص محمود الروسي وتعاون هؤلآء كلهم وأنشأوا مركزًا إسلاميًا مؤقتًا وعقدوا الاجتماعات التي بينوا فيها مبادئ الإسلام ، وقال : هذا الداعية المصري إنه أسلم حينئذ اثنا عشر ألف ياباني نصفهم أسلموا خلال فترة إقامته باليابان والتي استغرقت اثنين وثلاثين يومًا فقط .

وبعد ذلك جرت محاولات أخرى مقصودة وغير مقصودة قام ببعضها المسلمون من الأتراك التتار المهاجرون من روسيا ، كما أن بعض اليابانيين أسلموا في الصين أثناء احتلال اليابان لمنشوريا والصين وفي أندونيسيا والملايو أثناء الحرب العالمية ، ويبدو أن الهزائم التي حلت بالمسلمين في العالم خلال النصف الأول لهذا القرن الميلادي وعدم مداومة الاتصال بالمسلمين الجدد في اليابان وغير ذلك من العوامل عملت على انحسار المد الإسلامي - إن صح هذا التعبير- مما أدى إلى أن يقل عدد المسلمين عن الأرقام التي أعطيت سابقًا ، إلا أن أكبر محاولة منظمة وموجهة لنشر الدعوة الإسلامية في اليابان هي التي قام بها أعضاء جماعة التبليغ في الهند وباكستان وبدأوها في أواسط الخمسينات من القرن العشرين الميلادي ، لقد عملوا على الاتصال بمن تبقى من المسلمين القدامى وبالمسلمين الذين أسلموا بعد المحاولات الأولى فأحالوهم من مسلمين سلبيين إلى دعاة متحركين ، ومن هؤلآء الذين أثر فيهم الحاج عمر ميتا أول مترجم مسلم لمعاني القرآن الكريم إلى اللغة اليابانية ، وهذه الترجمة تمت تحت إشراف رابطة العالم الإسلامي وتم طبع مائة ألف نسخة منها بأمر جلالة الملك فيصل - رحمه الله تعالى - .

[يتبع]

الإسلام دين الاجتهاد والمبادرة إلى الأعمال الصالحة

بقلم : الأستاذ يسري عبد الغني عبد الله
باحث ومحاضر في الدراسات العربية والاسلامية - القاهرة

[يدعو الإسلام إلى الاجتهاد في الطاعات ، وإلى المبادرة بالأعمال الصالحة والبعد عن العوائق والقواطع ، وذلك من منطلق خشية الله والخوف منه خوفًا حقيقيًا واعيًا]

يحفل ديننا الإسلامي الحنيف بالحديث الهادي عن ثمرات الخوف من الله تعالى ، والاجتهاد الفعال في الطاعة ، والمبادرة إلى الأعمال الصالحة حذرًا من القواطع والعوائق .

روى الترمذي في سننه عن أبي هريرة - رضي الله عنه - أنه قال : قال رسول الله -ﷺ- : « مَن خاف أدلج ، ومَن أدلج بلغ المنزل ، ألا إن سلعة الله غالية ، ألا إن سلعة الله الجنة » .

ومن (أدلج) بلغ المنزل : أدلج بسكون الدال من (الإدلاج) ، وهو السير أول الليل ، ويذهب بعض أهل اللغة إلى أن (الإدلاج) هو سير الليل كله ، ولعله الأنسب في هذا الحديث .

أما (ادَّلج) بتشديد الدال وفتحها فمعناه سار آخر الليل ، و (الدُّلجة) بتشديد الدال وضمها أو فتحها ، هي سير الليل كله اتفاقًا .

والخوف : هو المكروه أو المرعج الوارد على قلب الإنسان من أجل شئ مترقب مستقبلاً .

والسلعة : هي المتاع ، وغالية : أي رفيعة القيمة ، والجنة : هي دار

النعيم الدائم وطريقها المبادرة إلى الأعمال الصالحة ، والاجتهاد في الطاعات .

نقول (وبالله التوفيق) : إن العادة جارية بأن من خاف فوات الرفقة في السفر ، وانقطاعه عن القافلة الراحلة ، بحيث يكون عرضة للوحشة بالانفراد ، أو مسّ الضر بالتخلف والانقطاع ، فإنه ينشط ويسير أول الليل أو الليل كله ليلحق بالقافلة ، وليبلغ المنزل الذي يقصده في أقرب وقت ممكن ، وأقل زمن ، مع الأمن والأمان ، إذًا المسافر ليلاً ، يقطع من المسافات الأرضية ما لا يقطعه المسافر نهارًا ، إذ المشاغل والحوائل تقل ، وقد يكون لكون الليل وهوائه العليل دخل في ذلك النشاط أو الاجتهاد كأن الأرض تطوى للسائر ليلاً طيًّا .

وهذا هو المعنى الحقيقي للسير الحسي ، وقطع المسافات الأرضية ، ولكن هذا المعنى ليس هو المراد في الحديث الذي رواه الترمذي عن أبي هريرة - رضي الله عنه - وذكرناه آنفًا ، إذ لا مسافة حسية يقطعها السائر ليلاً ، للوصول إلى المنزل الحقيقي الخالد الدائم للمؤمن التقى الصالح وهو الجنة .

وإنما المراد المعنى المجازي بضرب من التشبيه والتقريب والتمثيل ، تمثيل المعقول بالمحسوس كي يتقرر ويتأكد في النفوس تمام التقرير ، ويرسخ كمال الرسوخ ، فالمراد المطلوب : إنما هو التشمير في طاعة الله الواحد الأحد ، والمبادرة إلى الأعمال الصالحة ، حذرًا من العوائق والقواطع ، فهو مثل لطالب الآخرة وكون الشيطان وهو العدو على طريقه ، فإذا دأب واجتهد في الطاعة ، وثابر وصبر مدة أيامه القلائل ، فقد أمن

فيه الشيطان .

وقيل : إن المعنى من خاف الله تعالى ، هرب من المعاصي ، والأول أرجح عندنا .

نقول : إن المسافات التي يقطعها طالب الآخرة للوصول إلى الله تعالى ، أو الجنة : إنما هي مجاهدات نفسانية موروثة بالفضل الإلهي ، ويعين عليها الخوف الواعي من الله تعالى .

ذلك هو المراد من قول رسولنا الأكرم -ﷺ- : « مَن خاف أدلج ، ومَن أدلج بلغ المنزل » .

وكذلك الشأن في قوله -ﷺ- : « ألا إن سلعة الله غالية » والتي فسرها بالجنة عندما ، قال : « ألا إن سلعة الله الجنة » .

والكلام في ذلك -أيضًا- من باب التشبيه والتمثيل ، والمراد تصوير أعظم الجزاء في الدار الآخرة ، وهو دخول الجنة ، فينبغي ، بل يجب أن يقابله من العبد أعظم الاجتهاد في طاعة الله تعالى ورسوله الهادي الأمين .

إذ أن الجنة وهي دار النعيم الخالدة ، عزيزة غالية القدر والقيمة لا تنال إلا بالجهاد والاجتهاد في العمل والطاعة ، والصبر على الشدائد و المكاره في سبيل الله والدين والحق والعدل والفضيلة وكل القيم الأصيلة ، اقرأ قوله تعالى : ﴿ أم حسبتم أن تدخلوا الجنة • ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم ﴾ [سورة البقرة ، الآية : ٢١٤] ، وقوله : ﴿ أم حسبتم أن تدخلوا الجنة و لما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ﴾ . [سورة التوبة ، الآية : ١٦] .

والجنة أشبه بالعروس البارعة الجمال ، المتحلية بالخلق المرضي ،

وهي غالية المهر بالنسبة لمن هن دونها ، ومن يطلب الحسناء لا يهمه مهرها مهما كان غاليًا ، ولنقرأ قول الله تعالى في هذا المقام : ﴿ إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة ﴾ [سورة التوبة ، الآية : ١١١] ، وقوله تعالى : ﴿ ومن الناس من يشرى نفسه ابتغاء مرضاة الله ﴾ [سورة البقرة ، الآية : ٢٠٧] .

وفي صحيح البخاري عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قول الرسول الكريم -ﷺ- : « حجبت الجنة بالمكاره ، وحجبت النار بالشهوات » .

والجهاد هنا يتناول جهاد العدو الخارجي ، وجهاد كل من يهدد أمن الدين وسلامته ، وأمن الوطن ، والشيطان ، وكذلك العدو الداخلي ، وهو النفس الأمارة بالسوء التي لا ترتقي إلى مرتبة النفس اللوامة أو النفس الآمنة المطمئنة ، النفس بأهوائها وشرورها وهو أعظم الجهاد ، ومن هنا أكد الرسول المعلم -ﷺ- في الحث عليه ، بأسلوب الاهتمام والإعظام للأمر حيث قال في الحديث الذي رواه الترمذي عن أبي هريرة - رضي الله عنه - وذكرناه آنفًا : « ألا إن سلعة الله غالية ، ألا إن سلعة الله الجنة » .

و « ألا » هنا أداة استفتاح ، استفتاح الكلام المهم والشأن العظيم الذي يأتي عقبها ، ولابد دون الشهد من إبر النحل ، والجزاء دومًا من جنس العمل .

أقول لكم : إن الحديث السالف حديث جليل وباب عظيم ، وركن ركين في فصل الخوف من الله الفرد الصمد وآثاره الطيبة ، وكم للخوف من الله تعالى من فضائل ومزايا لا تحصر ولا تعد ، نوه بها كتاب الله المجيد ، ومنها قوله سبحانه : ﴿ وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فإن

الجنة هي المأوى ﴾ [سورة النازعات ، الآية : ٤٠] ، وقوله : ﴿ ولنسكننكم الأرض من بعدهم ذلك لمن خاف مقامي وخاف وعيد ﴾ [سورة ابراهيم ، الآية : ١٤] ، وقوله : ﴿ ولمن خاف مقام ربه جنتان ﴾ [سورة الرحمن ، الآية : ٤٦] ، وقوله : ﴿ يجاهدون في سبيل الله ، ولا يخافون لومة لائم ﴾ [سورة المائدة ، الآية : ٥٤] ، وقوله : ﴿ يخافون ربهم من فوقهم ويفعلون ما يؤمرون ﴾ [سورة النحل ، الآية : ٥٠] ، وقوله : ﴿ يبتغون إلى ربهم الوسيلة أيهم أقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه ﴾ [سورة الإسراء ، الآية : ٥٧] .

كما نوهت السنة النبوية المطهرة بالخوف من الله تعالى ، ومزاياه وفضائله في العديد من الأحاديث المشرفة ، نذكر منها قوله -ﷺ- : « إن من عباد الله ناسًا ما هم بأنبياء ولا شهداء » ، والحديث القدسي : « وجبت محبتي للمتحابين فيّ » وحديث : « سبعة يظلهم الله في ظله » .

ومنها في كتاب الله تعالى الآيات العديدة .

هذا ، وكما أن الخوف من الله تعالى هو ثمرة الإيمان بالله العلي العظيم ، بما أنزل من كتاب مبارك ، وما أرسل من رسل ، فكذلك الخشية من المولى تعالى : هي ثمرة العلم بالله وصفاته وأحكامه وآياته وسننه في خلقه وتبصرته الإنسان بنفسه ، والخشية من الله ، هي خوف مع إجلال و ورع .

قال تعالى : ﴿ إنما تنذر من اتبع الذكر وخشي الرحمن بالغيب فبشره بمغفرة وأجرٍ كريم ﴾ [سورة يس ، الآية : ١١] .

والله ولي التوفيق ٧

سياسة التجريم والعقاب
في الفقه الجنائي الإسلامي

[الحلقة الثالثة الأخيرة]

سعادة الدكتور مصطفى عبد الرحيم آدم رشاش

فلسفة العقوبة في الفقه الجنائي الإسلامي :

تهدف العقوبة عمومًا في نظر الفقه الجنائي الإسلامي إلى تحقيق ثلاثة أهداف ، وهي : العدالة ، وزجر الجاني وغيره عن ارتكاب الجريمة ، وإصلاح الجاني وجعله عضوًا صالحًا في المجتمع الذي يعيش فيه .

والمراد بالعدالة هو تحقيق العدالة بالنسبة للمجني عليه ولذويه فيما إذا كانت الجريمة قد أفضت بحياته ، وتحقيق العدالة هنا يتمثل في معاقبة الجاني العقاب الذي يتلاءم مع جسامة الجريمة وشدة الألم الذي ألحقه فعله بالمجني عليه ومن جانب آخر يجب أيضًا تحقيق العدالة بالنسبة للجاني نفسه ، وذلك بأن ينال من العقاب ما يتناسب مع فعله من غير تجاوز أو مغالاة أو تنكيل أو تمثيل به .

وفيما يتعلق بالزجر ، يُهدف من العقاب بأن تكون العقوبة بمثابة تحذير للجاني ولكل من تسول له نفسه خوض ذات المعترك الإجرامي من أفراد المجتمع وذلك بحيث يكون الألم الذي توقعه العقوبة بالجاني كافيًا لردع و زجر غيره عن ذلك التفكير الإجرامي ، ومن هذا تظهر لنا الفلسفة التي من أجلها قررت الشريعة الإسلامية أن تتم معاقبة الجناة في بعض الجرائم في مكان عام بحيث يشهد ذلك أكبر عدد من الناس لعل

مشاهدتهم هذه تجعلهم يقلعون عن ارتكاب مثل هذه الجرائم ، وبالتالي يتحقق هدف الزجر الذي ترمى إليه العقوبة في النظام الجنائي الإسلامي .

أما إصلاح الجاني ، فيتمثل في تقويمه خُلقيًا وإعداده روحيًا لأن يصبح عضوًا صالحًا في المجتمع بعد قضاء فترة العقوبة ، وذلك فيما إذا كانت العقوبة سجنًا ، لأننا اليوم نجد أن عقوبة السجن في ظل القوانين الوضعية السائدة الآن لا تخدم غرضًا ولم تؤد مطلقًا إلى الحد من درجة الإجرام ، لأن الجناة اليوم يوضعون في السجن حيث يجدون الخلية والمناخ الملائم لاستعراض وتبادل الخبرات والتجارب الإجرامية والتخطيط لقيام شبكات إجرامية دقيقة ومحكمة يكون تنفيذها رهينًا بخروجهم من السجن ، كما أنهم في داخل السجن يتناولون وجبات طعام موزونة من حيث القيمة الغذائية تكون كفيلة بأن تجعل منهم أكثر قوة وعنفًا ولا يبالون من ارتكاب أخطر الجرائم بعد قضاء فترة السجن ، دون اكتراث لتعاليم الدين وقيم المجتمع ومعاني الإنسانية ، وهذا كله لأنهم في ظل النظم القانونية الوضعية يفتقدون أبسط أنواع التوجيه والتربية الروحية والخُلقية التي من شأنها أن تجعلهم يقلعون عن هذا المسلك الإجرامي ، وتنتهي بهم إلى اتخاذ نهج قويم بعد قضاء فترة السجن ، مما يؤدى إلى نفعهم وبالتالي نفع المجتمع بأسره بكونهم جزءًا لا يتجزأ من أجزائه التي ينبغي أن تتضافر يدًا بيدٍ لتشييد صرحه والذود عن قيمه وأخلاقياته وأمن وسلامة أعضائه ، أي سلامة النفس والدين والعقل والمال والعرض .

ولهذا تولى السياسة العقابية في الفقه الجنائي الإسلامي جانب إصلاح

الجناة قدرًا كبيرًا من الاهتمام والعناية ، وذلك بتكثيف برامج ومناهج التربية الروحية لنزلاء السجون ، لأن في صلاح الأخلاق صلاح المسلك والنهج ، هذا بجانب تدريبهم على المهن الحرة المختلفة التي تؤهلهم في مستقبل حياتهم بعد قضاء فترة السجن إلى طرق سبل الكسب الشريف الحلال والابتعاد عن مواطن الرذيلة والهلاك .

الخاتمـــــــة :

يتضح لنا جليًا ، على ضوء ما تقدم من استعراض لطبيعة العقوبة تحت السياسة العقابية في الفقه الجنائي الإسلامي ، أن عقوبات الحدود تتميز بأنها غير قابلة لأي نوع من التسوية ، هذا بمعنى أنه ليس للمجنى عليه أو القاضي أو خليفة المسلمين بصفته رئيسًا للدولة أن يعفو عن المتهم الذي ثبتت ادانته في جريمة من جرائم الحدود .

أما عقوبات القصاص من جانب آخر ، فإنها قابلة للتسوية ، بمعنى أنه يجوز لكل من المجنى عليه شخصيًا أو وليه فيما إذا كانت الجريمة قد أدت إلى موته ، أن يعفو عن الجاني ، ويطلب الدية بدلاً عن القصاص ، بل يمكن أن يسقط الدية نفسها، ويلاحظ هنا أن الامام ، أي خليفة المسلمين ، لا يجوز له أن يستخدم سلطته بصفته رئيسًا للدولة أن يعفو عن الجاني الذي ثبتت ادانته في جريمة يعاقب عليها بعقوبة القصاص ، لأن هذا الحق ، أي حق العفو في جرائم القصاص خاص بالمجنى عليه أو وليه فقط ، غير أن للامام بصفته وليًا لمن لا ولي له ، أن يعفو عن الجاني الذي ارتكب جريمة من جرائم القصاص في حق الصغير الذي لا ولي له ، بشرط ألا يعفو عن الجاني كلية دون دفع تعويض مالي للصغير ، هذا بمعنى أن

للامام في مثل هذه الحالات سلطة العفو عن توقيع عقوبة القصاص والمطالبة بالعقوبة البديلة وهي الدية تدفع للمفير الذي تحت ولايته .

بينما عقوبات التعزير قابلة للعفو من حيث الأصل ، إذ يجوز لكل من المجنى عليه والامام - رئيس الدولة - أن يعفو عن الجاني في أي جريمة من جرائم التعزير بشرط ألا يعفو المجنى عليه عن الجاني الذي تمت ادانته في جريمة تعزيرية ألحقت ضررًا بأشخاص آخرين ، كما ليس للامام أن يعفو عن الجاني الذي تعلق بجريمته حق خاص بشخص آخر .

ويلاحظ أيضًا مما تقدم أن عقوبات الحدود لا يجوز إسقاطها أو تخفيفها أو استبدالها بعقوبة أخرى ، بيمما نحد عقوبات القصاص ، من جانب آخر ، يمكن استبدالها بالدية بناء على طلب المجنى عليه أو ولي القتيل الذي أدت الجناية إلى موته ، وأما فيما يتعلق بعقوبات التعزير ، فالخيار متروك للقضاة لتوقيع أكثر العقوبات ملاءمة لتحقيق الهدف الذي ترمى إليه فلسفة العقوبه في النطام الحنائي الإسلامي .

وفيما يتعلق بالأهداف التي ترمى إليها السياسة العقابية في الفقه الجنائي الإسلامي ، من خلال أنواع العقوبات الثلاث التي تقدم بيانها وهي عقوبات الحدود والقصاص والتعزير ، فيمكن إجمالها في الآتي :

أولاً : مراعاة توقيع العقوبة التي تتناسب مع حجم الجريمة المرتكبة ، من غير تجاوز أو مغالاة .

ثانيًا : يهدف من معاقبة الجاني إلى ردعه عن معاودة الجريمة وزجر غيره ممن لديهم نزعات إجرامية عن الاقدام لتنفيذ مخططاتهم العدوانية ، وتحقيقًا لهدف زجر الغير هذا ، تقرر في السياسة العقابية الإسلامية

توقيع بعض العقوبات على الجناة في مكان عام بحيث يتمكن أكبر عدد من الناس من مشاهدة ذلك .

ثالثًا : يرجى من معاقبة الجاني إصلاحه وإعداده ليصبح عضوًا صالحًا في المجتمع ، والمراد بالإصلاح هو الإصلاح الروحي والأخلاقي على ضوء أحكام وتعاليم الشريعة الإسلامية ، لأن الإصلاح الروحي والأخلاقي هو الوسيلة الوحيدة التي تؤدي إلى انخفاض معدل الجريمة في المجتمعات ، إذ بغياب مثل هذا الإصلاح والتربية في السياسة العقابية الوضعية نجد الجريمة دائمًا في ازدياد مضطرد بدلاً من انحسارها والقضاء على مسبباتها .

رابعًا : شرعت العقوبات في الفقه الجنائي الإسلامي أساسًا لحماية المقاصد التي عنيت الشريعة الإسلامية بصونها ورعايتها ، وهي حفظ النفس والدين والمال والعقل والنسل ، لأننا إذا نظرنا إلى كل الجرائم التي تقدم ذكرها وهي الزنا والقذف وشرب الخمر والسرقة وقطع الطريق والبغي والردة وجرائم القتل والاعتداء على جسم الإنسان نجدها كلها تتعلق بهذه المقاصد الخمسة .

نظام الحكومة في عهد النبي الكريم -ﷺ-

العلامة السيد سليمان الندوي - رحمه الله تعالى -

[الحلقة الثالثة] تعريب : عبد الباسط شرف الدين الندوي

إن الأمراء والعمال هم في الحقيقة نائبون للسلطان والخليفة ، فكل انتقاد أو اعتراض يُوجّه إليهم إنما يتوجه في الأصل إلى الخليفة والسلطان ، ففي عهد النبي الكريم -ﷺ- كان الناس يأتون إليه -ﷺ- ويشكون عمالَه ، والنبي -ﷺ- لا يُسكتهم بتنفيذ مادة من مواد القانون للدفاع عن الحكام والعمال ، بل كان يتناول كليهما ويسعهما بالنصح وحسن الأخلاق ، فمرة جاء ناس من الأعراب إلى رسول الله -ﷺ- فقالوا : « إن أناسًا من المصدقين يأتوننا فيظلموننا ، فقال رسول الله -ﷺ- : أرضوا مصدقيكم » (١) ، وقال للحكام والعمال : « واتق دعوة المظلوم فإنه ليس بينه وبين الله -عز وجل- حجابٌ » (٢) .

وأشد من كل ذلك المناسبات التي كان الناس يأتون فيها إلى النبي -ﷺ- ويشددون ويغلظون عليه -ﷺ- في الطلب ، والنبي -ﷺ- يجود ويلطف معهم أيضًا ، بل كان يجزل رفدهم ، قد أدركه -ﷺ- أعرابي فجبذه بردائه فحمر رقبته فالتفت ، فقال له الأعرابي : احمل لي على بعيري هذين فإنك لا تحمل لي من مالك ولا من مال أبيك ، فقال النبي

-ﷺ- : لا واستغفر الله ، لا ، واستغفر الله ، لا ، واستغفر الله لا أحمل لك حتى تقيدني من جبذتك التي جبذتني ، فكل ذلك ، يقول له الأعرابي : والله لا أقيدكها ، [فذكر الحديث] ثم دعا -ﷺ- رجلاً ، فقال له : احمل له على بعيريه هذين : على بعير شعيرًا ، وعلى الآخر تمرًا » (٢) .

وعن أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه - قال : جاء أعرابي إلى النبي -ﷺ- يتقاضاه دينا كان عليه فاشتد عليه حتى قال له : أحرّج عليك إلا قضيتني ، فانتهره أصحابه ، وقالوا : ويحك تدري من تكلم ، قال : إني أطلب حقي ، فقال النبي -ﷺ- : هلا مع صاحب الحق كنتم ، ثم أرسل إلى خولة بنت قيس ، فقال لها : إن كان عندك تمر فأقرضينا حتى يأتينا تمرنا فنقضيك ، فقالت : نعم بأبي أنت يا رسول الله ، قال : فأقرضته فقضى الأعرابي وأطعمه ، فقال : أوفيت أوفى الله لك » (٤) .

و عن عائشة - رضي الله عنها - قالت : ابتاع رسول الله -ﷺ- من رجل من الأعراب جزروا أو جزائر بوسق من تمر الذخرة ، وتمر الذخرة العجوة ، فرجع به رسول الله -ﷺ- إلى بيته والتمس له التمر فلم يجده ، فخرج إليه رسول الله -ﷺ- فقال له : يا عبد الله إنا قد ابتعنا منك جزورًا أو جزائر بوسق من تمر الذخرة فالتمسناه فلم نجده ، قال : فقال الأعرابي : واغدراه ، قالت : فنهمه الناس ، وقالوا : قاتلك الله أيغدر رسول الله -ﷺ- ، قالت : فقال رسول الله -ﷺ- : دعوه فإن لصاحب الحق مقالاً ، ثم عاد له رسول الله -ﷺ- ، فقال : يا عبد الله ، إنا ابتعنا منك جزائرك ونحن نظن أن عندنا ما سمينا لك فالتمسناه فلم نجده ، فقال الأعرابي : واغدراه ، فنهمه الناس ، وقالوا قاتلك الله

أ يعذر رسول الله -ﷺ- ، فقال رسول الله -ﷺ- دعوه فإن لصاحب الحق مقالاً، فردد ذلك رسول الله -ﷺ- مرتين أو ثلاثًا ، فلما رآه لا يفقه عنه ، قال لرجل من أصحابه اذهب إلى حويلة بنت حكيم بن أمية ، فقل لها رسول الله -ﷺ- يقول لك : إن كان عندك وسق من تمر الذخرة فأسلفيناه حتى نؤديه إليك إن شاء الله فذهب إليها الرجل ثم رجع الرجل ، فقال ، قالت : نعم هو عندي يا رسول الله -ﷺ- فابعث من يقبضه ، فقال رسول الله -ﷺ- للرجل : اذهب به فأوفه الذي له قال : فذهب به فأوفاه الذي له ، قال : فمر الأعرابي برسول الله -ﷺ- وهو جالس في أصحابه ، فقال : جزاك الله خيرًا فقد أوفيت وأطيبت (٥) .

هكذا كان أخلاقه -ﷺ- مع المسلمين ، ولكن أبلغ وأعظم من كل ذلك أخلاقه التي عامل بها اليهود و واجه بها معاملاتهم السيئة وإساءتهم إليه -ﷺ- مع أنهم كانوا دمين في رعاياه ، فهذا زيد بن سعنة - رضي الله عنه - كان يهوديا ولكنه أسلم إعجابًا بأخلاق رسول الله -ﷺ- فلنتركه يروي قصته : « فلما كان قبل محل الأجل بيومين أو ثلاثة خرج رسول الله -ﷺ- في جنازة رجل من الأنصار ومعه أبو بكر وعمر وعثمان ونفر من أصحابه فلما صلى على الجنازة دنا من جدار فجلس إليه فأخذت بمجامع قميصه ونظرت إليه بوجه غليظ ، ثم قلت ألا تقضيني يا محمد حقي فو الله ما علمتكم بني عبد المطلب بمطلٍ ولقد كان لي بمخالطتكم علم ، قال : ونظرت إلى عمر بن الخطاب وعيناه تدور ان في وجهه كالفلك المستدير ، ثم رماني ببصره ، وقال : أي عدو الله أتقول لرسول الله -ﷺ- ما أسمع وتفعل به ما أرى ، فو الذي بعثه بالحق لو لا ما أحاذر

فوته لضربت بسيفي هذا عنقك ، ورسول الله -ﷺ- ينظر إلى عمر في سكون وتُؤَدَة ثم قال : إنا كنا أحوج إلى غير هذا منك يا عمر أن تأمرني بحسن الأداء وتأمره بحسن التباعة ، اذهب به يا عمر فاقضه حقه وزده عشرين صاعًا من غيره مكان ما رُعته » (٦) ، فتأثر زيد بن سعنة من حكم رسول الله -ﷺ- هذا وشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا عبده ورسوله -ﷺ- وآمن به وصدقه .

وعن عائشة - رضي الله عنها - قالت : « كان على رسول الله -ﷺ- ثوبان قطريان غليظان فكان إذا قعد فعرق ثقلا عليه ، فقدم بز من الشام لفلان اليهودي فقلت لو بعثت إليه فاشتريت منه ثوبين إلى الميسرة ، فارسل إليه فقال : قد علمت ما يريد ، إنما يريد أن يذهب بمالي أو بدراهمي ، فقال رسول الله -ﷺ- : كذب قد علم أنى أتقاهم وأداهم للأمانة » (٧) .

والغرض من ذكر هذه الوقائع والأحداث أن النبي -ﷺ- مع كونه نبيًا كان أميرًا للمسلمين أيضًا ، ومن أجل كونه -ﷺ- أميرًا ، اشتد الناس عليه وانتقدوه وأغلظوا له القول ولكنه -ﷺ- تحمل كل ذلك وعفا عنهم ، ثم حكم في القصة أو بينها للناس وأقنعهم ، فقارنوا بين أمير الإسلام وأمراء العصور وسلاطينها الذين يعدون بسبب كبرهم وصلفهم ، رعاياهم على أدنى إساءة عدوانًا أليمًا رادعًا ، ويسمح لهم بذلك قانونهم أيضًا ، بل أكبر من كل ذلك أن مادة قوانينهم الأولى تنصّ على أن الأمير إنما هو فوق كل قانون ، وأرفع من كل مؤاخذة ومحاسبة ، لأنه فوق كل مؤاخذة ، أما في الإسلام فلا فرق بين الأمير والمأمور ، والحاكم والمحكوم ،

والراعي والرعية ، بل كلهم سواسية في عين القانون الإسلامي .

ومن المعلوم حقًا أن النبي -ﷺ- كان معصومًا بريئًا ، فلا يصدر منه قول ولا فعل يتجاوز الحدود بل كان كل فعله وقوله حسنًا جميلاً ، وكان يكفي للحرمان من الإيمان وللدخول في النار قليل من الإساءة إليه -ﷺ- ، ولكن مع كل ذلك أذن النبي -ﷺ- لكل شخص أن يسأله عن أموره الشخصية والدولية ، لكي تكون فيه -ﷺ- لأمراء الإسلام بعده أسوة حسنة ودرس عملي لهم ، فكان النبي -ﷺ- يتحمل ذلك بغاية من الشفقة والرحمة لكي لا يمنع الأمراء والحكام الذين يأتون بعده رعاياهم عن الاستفسار وإظهار آرائهم ، ولا يغلقوا عليهم أبوابهم .

والدول التي كانت ذات حضارة في العهد النبوي كانت منها دولة إيران التي لم يخطر على بالها أبدًا أن يواجه السلطان أحد بالسؤال أو الاعتراض ، ونزعم أن اليونان والروم كان فيهما حكم ديمقراطي في زمن ، ولكن ما كانت هذه الديمقراطية إلا للأمراء فقط ، وما كانت لها أي علاقة بالجماهير ، ولم يكن للناس حق في سؤال أو استفسار ، فلم يكن أمراؤهم وحكامهم متواضعين ولا كانوا أصحاب حلم وعفو أو على منزلة من الأخلاق بل وكانوا لا يستطيعونها ولا يستطيعون أن يتصوروا مثل هذا الإخلاص والصدق وطهارة الأخلاق ، فأرفع شئ يمكنهم أن يتصوروا أن وطنهم كان معبودًا لهم ، فكانوا يعبدونه ويفدونه بمهجهم وأرواحهم ، وكان وطنهم هذا محدودًا في دائرة محدودة ، ولكن الإسلام هو المذهب الوحيد الذي قدم أمام العالم أسوة لمنزلة الأمير القانونية على حد سويّ ، والعالم كان يجهلها من قبل ، فتدبروا هذه الحقيقة وهذا الواقع من

ناحية أخرى ، وهي أن هذا الاستفسار والسؤال ما كان من الأمير فحسب بل كان ذلك من الرسول المقدس -ﷺ- الذي بلغت محبته في قلوب المسلمين إلى غاية لا تدرك ، وما كانت منزلته -ﷺ- منزلة الأمير والحاكم فحسب ، وإنما كانت أكبر منها وأرفع ، ذاك أنه -ﷺ- كان رسولاً معصومًا عن الخطأ ونبيًا طاهرًا - صلوات الله وسلامه عليه - .

وأما استشارة النبي -ﷺ- المسلمين في أمور الدولة والإمارة ، فالحق أن عقيدة المسلمين في النبي -ﷺ- هي أنه -ﷺ- كان أرفع الناس وأعلاهم وأذكاهم في العقل والعلم والفهم والذكاء والفراسة عدا الوحي من الله تعالى ، فالظاهر أن الذي يكون على هذه المنزلة من العلم والعقل والذكاء والفهم لا يحتاج إلى الاستشارة في الأمور مع من هو دونه ، ولكنه -ﷺ- كان يتشاور مع أصحابه - رضوان الله عليهم أجمعين - لوجهين :

أولاً : لتشجيع قلوبهم . و **ثانيًا** : لأن كل عمله -ﷺ- يصبح قانونًا للشريعة ومنهجًا للدين فيكون تشاوره -ﷺ- مع أصحابه أسوة للأمراء والخلفاء الذين يأتون بعده -ﷺ- وقد أمره الله تعالى بذلك فقال : ﴿ و شاورهم في الأمر﴾ [سورة آل عمران ، الآية : ١٥٩] فعمل به النبي -ﷺ- وأمر المسلمين بالعمل به أيضًا ، فعملوا به فمدحهم الله تعالى فقال : ﴿ وأمرهم شورى بينهم ﴾ [سورة الشورى ، الآية : ٣٨] .

وإن لم يكن في عهد النبوة جميع أقسام الحكومات وإداراتها وما كانت الحاجة دعت إليها ولكن مع ذلك نرى باستقراء الأحاديث وتتبعها أن النبي -ﷺ- تشاور مع أصحابه - رضوان الله عليهم - في عديد من الأمور المهمة للحكومة وعمل برأيهم ، فما كان الغرض منه إلا أن يعلم

الناس بأن الشورى فيما بينهم للإصابة إلى غاية صحيحة مما يُستحسن جدًا ، وإلا فالظاهر أن النبي -ﷺ- ما كانت له حاجة إلى ذلك .

وكان المسلمون حين قدموا المدينة يجتمعون فيتحينون الصلاة دون أن ينادى بها أحد ، فتكلموا يومًا في ذلك ، وفي رواية : ائتمر النبي -ﷺ- وأصحابه كيف يجعلون شيئًا إذا أرادوا جمع الصلاة اجتمعوا لها (٨) ، فقال بعضهم لبعض : اتخذوا ناقوسًا مثل ناقوس النصارى ، وقال بعضهم : بل بوقا مثل قَرْن اليهود ، وفي رواية : قيل له انصب راية عند حضور الصلاة فإذا رأوها أذن بعضهم بعضًا فلم يعجبه ذلك (٩) ، فقال عمر : أولا تبعثون رجلاً ينادى بالصلاة ، فقال النبي -ﷺ- : يا بلال ! قم فأذن بالصلاة (١٠) ، وكان اللفظ الذي ينادى به بلال للصلاة قوله « الصلاة الجامعة » (١١) ، ثم أتى النبي -ﷺ- آت في المنام ، فقال له : مر النبي -ﷺ- يأمر رجلاً عند حضور الصلاة فليؤذن فليقل : الله أكبر .. إلخ ، أي هذا الأذان المشروع (١٢) : وبعض تأثير صحبة النبي -ﷺ- أري بعض الصحابة - رضوان الله عليهم - أيضًا في المنام كعبد الله بن زيد الأنصاري ، وعمر بن الخطاب وغيرهما وأخبروا النبي -ﷺ- عنه فشرعه النبي -ﷺ- وأمر بلالاً أن يؤذن مثل ما رأى في المنام (١٣) .

وفي غزوة بدر ارتحل النبي -ﷺ- و وصل قريبًا من ساحة القتال ، فاستشار الناس وأخبرهم عن قريش فقام أبو بكر الصديق فقال وأحسن ، ثم قام عمر بن الخطاب فقال وأحسن ، ثم قام المقداد بن عمرو فقال : يا رسول الله ! امض لما أراك الله فنحن معك والله لا نقول لك كما قال بنو إسرائيل لموسى : « اذهب أنت وربك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون » ولكن

اذهب أنت وَربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون ، فو الذي بعثك بالحق لو سرت بنا إلى برك الغماد لجالدنا معك من دونه حتى تبلغه ، فقال له رسول الله -ﷺ- خيرًا ودعا له (١٤) ثم ارتحل -ﷺ- ومضى بالناس ونزل بمقام ، فقال الحباب بن منذر بن الجموح : يا رسول الله ! أرأيت هذا المنزل أمنزلاً أنزلكه الله ليس لنا أن نتقدمه ولا نتأخر عنه ، أم هو الرأي والحرب والمكيدة ، قال : بل هو الرأي والحرب والمكيدة ، فقال يا رسول الله ! فإن هذا ليس بمنزل فامض بالناس حتى نأتي أدنى ماء من القوم فننزله ، ثم نغور ما وراءه من القليب ، ثم نبنى عليه حوضًا فنملؤه ماءً ثم نقاتل القوم فنشرب ولا يشربون ، فقال رسول الله -ﷺ- : لقد أشرت بالرأي (١٥) ، وعمل -ﷺ- برأبه ونزل المقام الذي أراه هو .

وكما كان يوم بدر وجئ بالأسارى قال رسول الله -ﷺ- ما تقولون في هؤلآء الأسارى (١٦) فرأوا آراءهم ، فعمل رسول الله -ﷺ- برأي أبي بكر فأخذ منهم الفداء وفلتهم .

وكذلك في غزوة أحد استشار النبي -ﷺ- أصحابه في الخروج من المدينة أو أن لا يخرج منها ويقيم بها ويقاتلهم فيها ، وكان رسول الله -ﷺ- بكره الخروج ، وكان عبد الله بن أبي بن سلول يرى رأيه في ذلك فأشار أن لا يخرج إليهم ويقيم بالمدينة ، فقال رجال من المسلمين : ممن أكرمهم الله بالشهادة يوم أحد وغيره ممن كان قد فاتته بدر : يا رسول الله اخرج بنا إلى أعدائنا لا يرون أنا جبنّا عنهم وضعفنا ، فما زالوا برسول الله -ﷺ- حتى لبس رداءه ثم ندموا ، وقالوا : يا رسول الله أقم فالرأي رأيك ، فقال لهم : ما ينبغي لنبي أن يضع رداءه بعد ما لبسها

حتى يحكم الله بينه وبين عدوه (١٧) فاستشارته -ﷺ- وعمله برأي أصحابه خير نموذج للشورى في أمور الدولة والحكومة .

وإن رسول الله -ﷺ- قام حين جاءه وفد هوازن مسلمين فسألوه أن يرد إليهم أموالهم وسبيهم ، فقال لهم رسول الله -ﷺ- : معي من ترون ، وأحبُ الحديث أصدقه فاختاروا إحدى الطائفتين إما السبي وإما المال ... قالوا : فإنا نختار سبينا ،فقام رسول الله -ﷺ- في المسلمين فأثنى على الله بما هو أهله ، ثم قال أما بعد : فإن إخوانكم قد جاؤنا تائبين ، وإني قد رأيت ان أرد إليهم سبيهم فمن أحب منكم أن يطيب ذلك فليفعل ومن أحب منكم أن يكون على حظه حتى نعطيه إياه من أول ما يُفِئَ الله علينا فليفعل ، فقال الناس : قد طَيَّبْنَا ذلك يا رسول الله ، فقال رسول الله -ﷺ- : إنا لا ندري من أذن منكم في ذلك ممن لم يأذن فارجعوا حتى يرفع إلينا عرفاؤكم أمركم فرجع الناس فكلمهم عرفاؤهم ثم رجعوا إلى رسول الله -ﷺ- فأخبروه أنهم قد طيبوا وأذنوا (١٨) .

فهناك كثير من الأمثلة في الأحاديث النبوية تثبت أن النبي -ﷺ- كان يتشاور مع أصحابه في أمور الدولة الإدارية ويعمل برأيهم إن أحبه .

ومن فيوض الإسلام وبركاته أنه جعل القيام بالدولة وقوانينها عبادة ودينًا ، فالجهلاء التي تمثل البهيمة والوحشة والخدعة والدسيسة والمكر والمكيدة والظلم والجور والإثم والعدوان فهي تعتبر من شأن السياسة ، ويزعمون أن كل إثم في سبيلها هو الصواب ، ولكن تعاليم الإسلام جعلت السياسة مسئولية طيبة رفيعة عالية حتى أصبحت ظل الله في الأرض ، فروى عن عديد من الصحابة - رضوان الله عليهم -

« السلطان ظلَ الله في الأرض ، يأوي إليه كل مظلوم من عباد الله (١٩) » ، وقال أبو بكر الصديق - رضي الله عنه - : « السلطان العادل المتواضع ظل الله ورمحه في الأرض (٢٠) » ، وقد ثبت أيضًا عن النبي -ﷺ- قال : سبعة يظلهم الله يوم القيامة في ظله يوم لا ظل إلا ظله ، الإمام العادل .. إلخ (٢١) .

فالذين يقومون بأمور السلطنة والدولة بحسن أخلاقهم وبرّهم فهم يُجزون عند الله أحسن ما كانوا يعملون مثل عباداتهم الأخرى ، فالقيام بالدولة والحكومة عبادة كذلك ، ومن ثم كانت الدولة من عوامل الصلاح والعز والقوة والفضيلة التي قضت على جميع أنواع الظلم والجور والخيانة في المجتمع الإسلامي ، كان بين معاوية وبين الروم عهد وكان يسير نحو بلادهم حتى إذا انقضى العهد غزاهم فجاء رجل على فرس أو برذون وهو يقول الله : الله أكبر الله أكبر وفاء لا غدر فنظروا فإذا عمرو بن عبسة ، فأرسل إليه معاوية فسأله ، فقال : سمعت رسول الله -ﷺ- يقول : من كان بينه وبين قوم عهد فلا يشدّ عقدة ولا يحلها حتى ينقضي أمدها أو ينبذ إليهم على سواء ، فرجع معاوية - رضي الله تعالى عنه - » (٢٢) . [يتبع]

الهوامش :

(١) الجامع الصحيح للإمام مسلم كتاب الزكاة ، باب إرضاء السعاة : ٢/٢٢٠ .

(٢) المسند للإمام أحمد : ١/٢٣٢ ، والجامع الصحيح للبخاري كتاب الزكاة باب أخذ الصدقة من الأغنياء وترد إلى الفقراء : ١/٢٠٢ .

(٣) السنن للإمام أبي داؤد ، كتاب الأدب ، باب في الحلم وأخلاق النبي الكريم -ﷺ- : ٤/٢٤٨ طبعة دار الحديث - القاهرة .

(٤) السنن لابن ماجة ، كتاب الصدقات ، باب لصاحب الحق سلطان : ٢/٨١٠ .

(٥) المسند للإمام أحمد بن حنبل : ٦/٢٦٨ .

(٦) صحيح ابن حبان : ١/٣٠٠ ، كتاب البر والإحسان ، ذكر الاستحباب للمرء أن يأمر بالمعروف من هو فوقه .. إلخ ، وفي هذا الحديث قصة لإسلام زيد بن سعنة - رضي الله عنه - مفصلاً .

(٧) الجامع للإمام الترمذي ، أبواب البيوع ، باب ما جاء في الرخصة في الشراء إلى أجل : ١/٢٣٠ .

(٨) مراسيل أبي داؤد ، باب ما جاء في الأذان : ص/٦ ، وفتح الباري لابن حجر العسقلاني : ٢/٧٧ .

(٩) السنن لأبي داؤد : ١/٧١ ، وفتح الباري : ٢/٧٧ .

(١٠) فتح الباري لابن حجر العسقلاني : ٢/٧٧ ، و الجامع الصحيح لمسلم : ١/١٦٤ .

(١١) فتح الباري : ٢/٨٢ .

(١٢) مراسيل أبي داؤد ، باب ما جاء في الأذان .

(١٣) وقال الإمام النووي في شرح مسلم : فشرعه النبي -ﷺ- بعد ذلك إما بوحي أو باجتهاده -ﷺ- على مذهب الجمهور في جواز الاجتهاد له -ﷺ- ، وليس هو عملاً بمجرد المنام ، هذا ما لا شك فيه بلا خلاف والله أعلم (مسلم شرح نووي : ١/١٦٤) باب بدء الأذان .

(١٤) البداية والنهاية : ٣/٢٦٢ ، غزوة بدر العظمى .

(١٥) البداية والنهاية : ٣/٢٦٧ ، غزوة بدر العظمى .

(١٦) الجامع للإمام الترمذي ، كتاب التفسير ، سورة الأنفال : ٢/١٢٩ .

(١٧) سيرة ابن هشام : ١٤٩/٢ ، طبقات ابن سعد : ٢٨/٢ ، البداية والنهاية : ١١/٤ .

(١٨) الجامع الصحيح للإمام البخاري ، كتاب المغازي ، باب قول الله تعالى : ويوم حنين : ٦١٨/٢ .

(١٩-٢٠) هاتان الروايتان من أقوال الصحابة - رضوان الله عليهم - ولم تُرفعا إلى النبي -ﷺ- فروى البخاري عن أبي هريرة - رضي الله عنه - ، والبيهقي والحاكم عن ابن عمر - رضي الله عنهما - ، وابن أبي شيبة عن أبي بكر الصديق - رضي الله عنه - مع اختلاف الألفاظ ، انظروا المقاصد الحسنة للسخاوي وكشف الخفاء ومزيل الالتباس لعطاء حلبي .

و « السلطان » في اللغة العربية القديمة ليس معناه « الملك » بل معناه القوة والطاقة أي فإنه مرادف للحكومة والسلطة ، فليس هنا معنى الحديث أن الملك هو ظل الله في الأرض بل معناه أن نظام الحكومة العادل هو ظل رحمة الله سبحانه وتعالى لراحة مخلوقه سبحانه ورحمانهم ، إلا أنه يجوز إطلاق « السلطان » على عمال الحكومة أيضًا بحيث أنهم وكلاء الحكومة ونائبوها كما ورد في الحديث « السلطان ولي من لا ولي له » فالمراد هنا بالسلطان السلطة ، فكل من كان وكيلاً للحكومة كالقاضي ، والحاكم ، والولي فهو السلطان ، ولعله بدأ استعمال السلطان بمعنى الملك من عصر السلطان محمود في القرن الرابع الهجري .

(٢١) المسند للإمام أحمد : ٤٢٩/٢ ، والبخاري كتاب المحاربين ، باب من ترك الفواحش : ١٠٠٥/٢ .

(٢٢) السنن للإمام أبي داؤد ، كتاب الجهاد ، باب في الإمام يكون بينه وبين العدو عهد فيسير نحوه : ٢٨٩/٢ .

أدوار حاسمة للمرأة المسلمة في التاريخ

فضيلة الشيخ عبد الله محمد الحسني الندوي
أستاذ الحديث بدار العلوم لندوة العلماء [الحلقة الثانية الأخيرة]

كلا والله لا يخزيك الله أبدًا :

إنها زوجة رسول الله -ﷺ- الأولى وهي أم المؤمنين خديجة - رضي الله عنها - التي بلغت الذروة العالية والقمة الشامخة من حصافة الفكر ورجاحة العقل والرسوخ في المجالين الثقافي والخلقي ، بدأت توازر رسول الله -ﷺ- وتشاطر همومه وأحزانه وتذلل له صعوبات أعباء النبوة وتزيل عراقيلها وتسهل عليه تحمّل الوحي ومقابلة جبريل ، ولما أخبرها رسول الله -ﷺ- الخبر وقال : لقد خشيت على نفسي (١) ، فعنت به وهونت عليه في ضوء تجاربها ، وقالت : كلا والله لا يخزيك الله أبدًا ، إنك تصل الرحم و تحمل الكل و تكسب المعدم و تقري الضيف و تعين على نوائب الحق (٢) .

إن كل كلمة من هذه الكلمات تحمل في طيها معاني لطيفة ومفاهيم عالية تدل على علو كعبها في علم الأخلاق وعلم النفس فإنها قشعت وبددت سحب الهموم والأحزان التي غشيته في صورة الخشية على النفس ، وجعلته مرتاح البال قرير العين ، مطمئن النفس ، حتى قام بالدعوة إلى الله -عز وجل- سرًا وجهرًا .

(١-٢) رواه البخاري باب بدء الوحي : ص/٢ .

انحر بدنك ولا تكلم أحدًا :

زوجة رسول الله -ﷺ الأخرى أم المؤمنين أم سلمة - رضي الله عنها - التي كانت رفيقة السفر في الحديبية التي كان فيها الصلح الذي تحمله المسلمون على غصص ، [أخرج البخاري] « فلما فرغ المسلمون من قضيته الكتاب ، قال رسول الله -ﷺ- لأصحابه : قوموا فانحروا ثم احلقوا « قال » فو الله ما قام منهم رجل حتى قال ذلك ثلاث مرات ، فلما لم يقم منهم أحد دخل على أم سلمة فذكر لها ما لقي من الناس ، فقالت أم سلمة : يا نبي الله ! أتحب ذاك ، أخرج ثم لا تكلم أحدًا منهم كلمة حتى تنحر بدنك وتدعو حالقك فيحلقك ، فخرج فلم يكلم أحدًا منهم حتى فعل ذلك ، نحر بدنه ودعا حالقه فحلقه ، فلما رأوا ذلك قاموا فنحروا وجعل بعضهم يحلق بعضًا حتى كاد بعضهم يقتل بعضًا غمًا (١) » فإنها قامت لحل هذه العقدة بحكمة ليست فوقها حكمة ودلت على طريقة تليق بشأنه الكريم وتناسبهم ، نظرًا إلى ذلك الحب العميق الذي كان الصحابة يتمتعون به ، والسمع والطاعة الذي كانوا قد تربوا عليه .

المرأة كالداعيـــــة :

كل مصيبة بعدك جلل : عاد المسلمون إلى المدينة من معركة أحد فمروا بامرأة من بني دينار وقد استشهد زوجها وأخوها وأبوها في هذه المعركة ، فلما نعوها قالت : ما فعل رسول الله -ﷺ- قالوا : خيرًا يا أم فلان ، هو بحمد الله كما تحبين ، قالت : أرونيه حتى أنظر إليه فأشير

---

(١) رواه البخاري ، باب الشروط في الجهاد والمصالحة مع أهل الحرب : ج/١ ، ص/٣٨ .

لها إليه حتى إذا رأته قالت : كل مصيبة بعدك جلل .

وهي كانت متمتعة بذلك الحب الطاهر والحب الصادق الذي إذا دخل شغاف القلب وامتزج باللحم والدم حوّل التراب تبرًا والطين إكسيرًا ، هذا هو الحب الذي يجعل الضعيف قويًا والقوى بطلاً مغوارًا باسلاً ، ويجعل المرأة ليثًا ثائرًا وأسدًا مزيرًا ، فكانت هذه المرأة ضعيفة ، ولكن قلبها كان عامرًا بذلك الحب الطاهر ، كانت ممتحنة ، ولكن صدرها كان منشرحا برؤية محيا الحبيب -ﷺ- ، حتى انطلق لسانها بذلك الكلام العجيب الذي كان حاملاً المعاني اللطيفة للحب الطاهر ، كما كان مشيرًا ما يكن صدرها من إجلال وتوقير لسيد المرسلين وعن عواطف التضحية والفداء في سبيله حتى بزوجها وابنها وأخيها .

هذا من عند الله . رزقًا رزقنيه الله :

قال ابن سعد في الطبقات الكبرى : « أسلم زوج أم شريك وهي غزية بنت جابر الدوسية من الأزد وهو أي زوجها أبو العكر مهاجرًا إلى رسول الله -ﷺ- مع أبي هريرة من دوس حين هاجروا ، قالت أم شريك : فجاءني أهل أبي العكر ، فقالوا : لعلك على دينه ، قلت : أي والله إني لعلى دينه ، قالوا : لا جرم والله لنعذبنك عذابًا شديدًا ، فارتحلوا بنا من دارنا ونحن كنا بذي الخلصة وهو موضعنا ، فساروا يريدون منزلاً وحملوني على جمل ثفال شر ركابهم وأغلظه يطعموني الخبز بالعسل ولا يسقوني قطرة من ماء حتى إذا انتصف النهار وسخنت الشمس ونحن قائظون أي من أشد أيام الحر والقيظ ، فنزلوا، فضربوا أخبيتهم أي خيامهم وتركوني في الشمس حتى ذهب عقلي وسمعي وبصري ، ففعلوا بي

ذلك ثلاثة أيام ، فقالوا : اليوم الثالث أتركى ما أنت عليه ، قالت : فما دريت ما يقولون إلا الكلمة بعد الكلمة فأشير بأصبعي إلى السماء بالتوحيد فو الله إني لعلى ذلك وقد بلغني الجهد أي التعب الشديد والتهالك من العطش وشدة الحر إ وجدت بردَ دَلو على صدري فأخذته فشربت منه نفسًا واحدًا ثم انتزع مني فذهبت أنظر فإذا هو معلق بين السماء والأرض ، فلم أقدر عليه ثم دُلّي إلي ثانية فشربت منه نفسًا ثم رفع فذهبت انظر فإذا هو بين السماء والأرض ، ثم دُلّي إلي الثالثة فشربت منه حتى روبت وأهرقت على رأسي و وجهي وثيابي ، فخرجوا فنظروا فقالوا : من أين لكِ هذا يا عدوة الله ، فقلت لهم : إن عدوة الله غيري من خالف دينه ، أما قولكم من أين هذا ، فهذا من عند الله ، رزقًا رزقنيه الله فانطلقوا سراعًا إلى قربهم وأداواهم ، فوجدوها مؤكاة مربوطة ، لم تحل ، فقالوا : نشهد أن ربك هو ربنا وأن الذي رزقك ما رزقك في هذا الموضع بعد أن فعلنا بك ما فعلنا هو الذي شرع الإسلام فأسلموا جميعًا وهاجروا إلى رسول الله -ﷺ- وكانوا يعرفون فضلى عليهم وما صنع الله إليّ » (١) .

هذه أم شريك التي تعيش غريبة في وطنها ضاقت عليها الأرض وتنكرت وقد احتضنتها من ذي قبل و وسعتها دارها ، وعادت قبيلتها عدوه لها ، وقد أحبها وروحها ، لأنها آمنت بالله ورسوله وأعلنت كلمة التوحيد وشهدت شهادة الحق فحملوا عليها حملة رجل واحد وقذفوها متعطشة في قاحلة جرداء ولكنها تصلبت قائمة على الحق ، فأنعم الله

---

(١) طبقات ابن سعد ج/٨ ، ص/١٥٥-١٥٦

عليها من فوق سبع سماوات وترققت لها قلوب قبيلتها فعرفت الحق ونطقت بالشهادتين وآمنت بالله ورسوله على بكرة أبيها .

فالمرأة رغم وحدتها وغربتها تقدر أن تكون كالجبال الراسيات في استقامتها وثباتها على الحق وفي تغييرها مجرى التاريخ وتيار الحياة وفي إحداث ثورة عظيمة في المجتمع وإن كان هذا المجتمع قائمًا على الجاهلية العمياء .

فهذه الطبقة طبقة الإناث لا تزال تتأرجح بين كفتي الإفراط والتفريط منذ قديم الزمان وقد مرت عليها أيام كانت تعتبر فيها وصمة عار وعلامة جهل واختلاق ، وشعار حمق و وسيلة فساد ودمار ، حتى طلعت شمس الإسلام من أفق تهامة فألقت أشعتها على المناطق كلها ، فتنورت ، فأحلها الإسلام محلها ، وعاد بها إلى مقامها وأعطاها الحق الذي سلب منها .

ووضع عليها هالة التقديس والكرامة مرة ، وأشار إلى ما فيها من لطافة وجمال مرة أخرى ، كما أمر الرجال بالملاطفة والترفّق بها مرة وأداء حقها والقيام بتربيتها وتعليمها مرة أخرى ، فأعلن النبي -ﷺ- أن الجنة تحت أقدام الأمهات ، وقال رجل : يا رسول الله -ﷺ- من أحق بحسن صحابتي ، قال : أمك ثم أباك ثم أدناك ثم أدناك [متفق عليه - مشكاة المصابيح : ج/٢ ، ص/٤١٨] .

وأوصى الناس جميعًا بقوله : استوصوا بالنساء خيرًا (١) وأمر بالترفق بهن ، فقال : ارفق يا أنجشة بالقوارير (٢) كما أمر ولاة أمرهن

---

(١) رواه البخاري ج/٢ ، ص/٧٧٩ (٢) بخاري باب الأدب

أن يقوموا بتربيتهن والإنفاق عليهن ، فقال : من كانت له ثلاث بنات أو ثلاث أخوات أو بنتان أو أختان فأحسن صحبتهن واتقى الله فيهن فله (الجنة) وقال : من عال جاريتين ، حتى تبلغا جاء يوم القيامة أنا وهو ، وضم أصابعه (١) ، وهناك آثار كثيرة في كتب الأحاديث التي سجلها المحدثون بدقة وأمانة عن المرأة .

المرأة في عهدها الجديد : ظهرت جاهلية القرن العشرين بنعرة جديدة وثوب جديد ، وطلبت استقلال المرأة وحريتها ، كأنها كانت في سجن مظلم أو جوّ مطبق - وتولى كبرها الغرب ، المشرق الوجه ، المظلم القلب ، المبتسم الثغر المضطرب الباطن - وصاحت بالتسوية بين الرجال والنساء بالاختلاط وإحلالها في المناصب وتوظيفها ، والسفور الكامل لها في الشوارع والطرقات فانخدعت بها وقلدت الموضات التي يعلنها الغرب حتى استنكفت كثير منهن الزواج لأنه حجر عثرة في سبيل الاستقلال والحرية ، فآل الأمر إلى أنه بلغ عدد النساء اللاتي أصبحن فريسة حوادث الجنس في أمريكا في عام واحد ، يتراوح بين ست مائة ألف وسبع مائة ألف ، كما تعدد وكالات الأنباء في أمريكا ، أما التسفل في الأخلاق والميوعة والشذوذ الجنسي ، فقد أصبح موضة العصر الحديث وكالثمار اليانعة التي يتناولها أهل الغرب ، فنشأت مجتمعات تئن تحت وطأتها الإنسانية نساءً ورجالاً ، أطفالاً وأولادًا ، بنين وبنات .

هؤلآء الناس يتناولون أقراص النوم ويتعاطون المسكرات

---

(١) رواه مسلم .

والمخدرات لأن زوجاتهم خدعنهم وفررن إلى الآخرين انسياقًا مع اللذات والشهوات ، فأصبحن كالكرة الجنسية يتداولها المتنعمون ويتراكل بها المتلاعبون ، ويتسلى بها المتمتعون ، ثم يرمونها في سلة المهملات لا رحمة في قلوبهم ولا هوادة في نفوسهم إنما هم عبيد الشهوات واللذات ، والمعدة والمادة ، فقست قلوبهم وجفت نفوسهم .

وهؤلاء الأطفال الصغار والكبار الذين وجدوا في المنتزهات والطرقات ، أو تركتهم أمهاتهم في المستشفيات أو عاشوا في البيوت الخاليات ، ما ذاقوا حلاوة الأمومة وشفقة الأبوة ، وما عرفوا وشائج الأسرة وعلاقات القربى ولم يألفوا رحمة الآباء وشفقة الأمهات .

أما البنات والبنون الذين سجلوا أسماءهم في الجامعات والكليات ، فهم الطلقاء الاحرار يأتون بكل ما تملي عليهم إرادتهم ، ويرتكبون كل جريمة توحي إليها نفوسهم ، ويريدون أن يصلوا في أقرب فرصة إلى ما وصل إليه كبراؤهم في مدة طويلة .

إن هذه التسهيلات التي وصلت إليها المجتمعات الغربية أصبح الرجوع عنها وهمًا من الخيال وضربًا من المحال ، فبدأ المصابون بها يبذلون قصارى جهودهم لنشر أدوائهم في العالم كله ، فعقدوا لأجل ذلك مؤتمرين ، مؤتمرًا في مصر ، ومؤتمرًا في الصين ، اللذين باءا بالفشل والخيبة وأخفقا في تحقيق أحلامهم اللذيذة .

دور المرأة في الحجاب أكبر من دورها في السفور :

إن المرأة السافرة التي تفتخر بالقرن العشرين باعتباره قرن الرقي والازدهار ، وقرن التنور والاستقلال ، أصبحت تعترف بافتتانها المعاكس .

وانخداعها المعادي ، لأن التاريخ الذي سجله المؤرخون ، إنما يدل على أن المرأة الحديثة دورها ضئيل في صنع الرجال والتاريخ ، وأنها لم تلعب دورًا كبيرًا في مجالات الحياة في العصر الحاضر ، حتى لم تبلغ إلى تلك الوظائف الحكومية والمراتب الإدارية العليا (١) ، التي يشغلها الرجال في تلك الدول التي رفعت راية استقلال المرأة وحريتها .

أما النسوة اللاتي لم يخرجن سافرات متبرجات كتبرج الجاهلية الأولى فإنهن قدمن نماذج رائعة وضربن أمثلة رائقة لطبقتهن من الإناث ، فإنك لو سرحت طرفك وأنعمت النظر في الأسباب والدوافع التي أنجبت الرجالات والأبطال المغاوير ، والمشايخ الرواسيين ، والملوك العادلين ، والعلماء الراسخين ، المجاهدين الباسلين ، لوجدت تلك الأيادي الطاهرة الأمينة الدافعة القوية المحركة في صورة أمهات في أكثر الأحيان وفي صورة الزوجات في بعض الأحيان .

---

(١) حرمين عزيز امرأة اسرائيلة نالت صيتًا كبيرًا ، وسمعة عظيمة في العالم كتب عنها مجلة (Indian Express) في ١٤/يونيو أنها قالت : إن الغرب قد فشل في تقديم الحل الناجح لعدم التساوي بين الرجل والمرأة كما أن فكرة المرأة الغربية مبنية على الخطاء الفاحش . بأن المرأة المتحجبة تكون محرومة عن المساواة بل يجب الآن أن ترد هذه الفكرة وتدحض .

وقد جاء في استعراض قدمته مجلة أمريكية (Better Homes and Gardansa) حيث وجهت إلى قرائها سؤالاً ا هل الحياة العائلية تعاني المشاكل في أمريكا ؟ فأجاب - ٧٦ - في المائة بـ نعم ، وقال : - ٨٥ - في المائة إنهم خيبوا آمالهم في أفراح الزواج ومسراته ، هناك اعتراضات كثيرة تشاع وتذاع حينًا لآخر في الجرائد الأمريكية وهي تزداد يومًا فيومًا .

المرأة كالقوة الدافعة :

إن المرأة كالقوة الدافعة في الهيكل الإنساني ، إنها قوة أساسية في الإنسان تدفع عنه الأمراض والأسقام وتدافع عنه الجراثيم الفاسدة التي تدخل الهيكل الإنساني لتأكله فإنها حصن حصين وسد منيع ضد العلل والأوبيـــــة .

إذا اختلت هذه القوة وانهارت أحاطت الأمراض والأسقام بالهيكل الحسماني ونخّرته،و ألم تروا إلى الأيدس (Aids) الذي بدأ ينتشر في العالم بسرعة ، لأن الإنسان بدأ يفقد قوته الدافعة التي هي بمثابة السلاح يدافع عن البدن الإنساني وتقاوم الحملات الجرثومية التي تغير عليه حينًا بعد حين فتعود إليه صحته بمدد يمد به الأطباء الإخصائيون في صورة العمليات الجراحية والأدوية النافعة .

وإنها كالقوة الدافعة في الدولة التي لا تخلى الثغور بل تبقى مرابطة على الثغور ، ولو تركت الحدود خالية لسهل على كل من له قوة ما ، شنّ الغارات والتوغل في البلاد واستعباد العباد ، فإنه ليس من الحكمة والحيطة أن ننقل الجنود إلى دول أخرى ونخلى ثغورنا وبلادنا تحت رحمة الآخرين .

إن المرأة لم تخلق للسفور والتجوال على الشوارع والطرقات ولا للاحتلال في المناصب الحكومية والوظائف الرسمية ، ولا لاختيار المهن والحرف وكسب المعاش ، اللهم إلا إذا اضطرت إلى ذلك واشتدت الحاجة إليها نظرًا إلى الظروف والملابسات ، وإنما خلقت للانجاب وإنشاء الجيل الصالح ، ولكي يُسكن إليها ، ولإنعاش الصلاحيات والمواهب المودعة في الرجال ، فإنها كالقوة الدافعة العظيمة المليئة بالحيوية والنشاط الحافزة على التفاؤل والتقدم والازدهار .

نداء إلى الفتيات : أوجه النداء إلى كل فتاة في العالم وكل امرأة في

الدنيا أن تعرف قيمتها ، وتطلع على ما أودع الله فيها من صلاحيات ومواهب ، وتستغلها في صالح الإنسانية ولا تضيعها في الفنادق والمنتزهات وعلى الشوارع والطرقات ، ولا تهلكها في الليالي الساهرة واحتفالات الرقص والموسيقي ، وفي النوادى الخليعة ، والمحافل الماجنة، حتى تكون كسقط المتاع وأداه للتسلية البدنية وكرة جنسية يلعب بها اللاعبون .

إلى متى تبقين أيتها الفتاة ، يا أم الغدومربية الجيل ، متعة رخيصة وأداة تسلية وكرة جنسية ! انتبهي من سباتك وأفيقي من غفلتك واحذري من أعدائك الذين يأتون إليك في صورة الأصدقاء ، الرافعين لواء الحرية الكاذبة ، وقد صدق الرسول -ﷺ- حيث قال : من أراد أن يلقى الله طاهرًا مطهرًا فليتزوج الحرائر (١) لأن الحرائر من النساء هن الطيبات العفيفات الطاهرات المحتجبات المحتشمات ، ولكن المقاييس تغيرت فأصبحت الحرائر اليوم كاسيات عاريات مائلات مميلات خبيثات متجولات متروغات .

فأفيقي يا أختي واعرفي الحقائق ولا تنخدعي بهذه التقليعات الحديثة والموضات الجديدة التي انبهر ببريقها السذج والبسطاء من الناس ، فأدركي قبل فوات الأوان وتعاوني في بناء المجتمع الأفضل النموذجي الذي هو حاجة الإنسان في كل زمان .

ندعو الله -عزوجل- أن يوفقنا وجميع الاخوة والأخوات والفتيان والفتيات لما فيه صلاح الإنسانية وخيرها وهو سميع مجيب قريب .

وصلى الله تعالى على خير خلقه محمد وعلى آله وصحبه وبارك وسلم .

++ ++

---

(١) رواه ابن ماجة في سننه .

الداعية الكبير والمفكر الإسلامي
محمد الغزالي إلى رحمة الله الواسعة

بقلم . سعادة الدكتور محمد لقمان الندوي

فُجع المسلمون في شتى أنحاء العالم الإسلامي بوفاة الداعية الإسلامي الشيخ محمد الغزالي عن ٧٩ عامًا وهو يؤدى واجبه الدعوى في ندوة ثقافية عنوانها « الإسلام والغرب » انعقدت فى قاعة الملك فيصل للمؤتمرات في مدينة الرياض بالسعودية السبت ١٩/شوال ١٤١٦هـ الموافق ٩/مارس ١٩٩٦م .

وبهذا المصاب الجلل ، فقدت الأمة الإسلامية عالماً عاملاً مجاهدًا ، حمل لواء الدعوة والجهاد بالقلم واللسان فترة طويلة من الزمن ، وعاش حياة مليئة بالأشواك والقتاد ، لم يعرف خلالها الراحة والهدوء .

وعرفته البلاد العربية والإسلامية ، علماً من أعلام الفكر الإسلامي ، ورائدًا من رواد النهضة الإسلامية ، ومساهمًا فعالاً لحركة إسلامية واسعة أقضت مضجع خصوم الإسلام .

ولد الشيخ محمد الغزالي السقا في محافظة البحرة عام ١٩١٧م ، وتدرج في مراحل التعليم في القرية فحفظ القرآن مبكرًا ، وتعلم مبادئ القراءة والكتابة ، ثم التحق بمعهد الإسكندرية الديني والابتدائي - ودرس فيه الكفاءة والثانوي ، ثم غادر الإسكندرية إلى القاهرة والتحق بكلية أصول الدين في جامعة الأزهر عام ١٩٢٧م ، وتخرج فيها عام ١٩٤١م وتخصص في الدعوة ثم حصل على العالمية مع إجازة

التدريس وهي تعادل الماجستير عام ١٩٤٢ .

وعمل واعظًا في الأزهر ثم مفتشا للمساجد وعين بعد ذلك مديرًا لقسم الأوقاف ، ثم مديرًا لإدارة الدعوة الإسلامية و وكيلاً لوزارة الأوقاف للشئون الإسلامية .

وهو في كل هذه المراحل كان محاطًا بالرعاية الربانية فتلقى العلوم الشرعية منذ نعومة أظفاره ، وحفظ القرآن في صغره وأتم دراسته في المعاهد الدينية وارتوى من مناهل أصول الدين ، وهذه الأمور مجتمعة مَكَّنته من التشبع بروح الإسلام النقية ومن التضلع بمعرفة أسرار الشريعة الغراء ، وأثناء دراسته تعرف على الداعية الشهيد حسن البناء ، وصادفته دعوته هوى بنفسه ، ولمست شغاف قلبه ، وانطلق مع قافلة الدعوة ، مجاهدًا مناضلاً لترسيخ أهداف الدعوة الشاملة ، فكانت حياته مليئة بأنواع من النشاط المتعدد الجوانب والكفاح المترامي الذي ينوء بعمله مئات الرجال .

ولكن هذا النشاط الدعوى الذي يستغرق في العادة ، كل أوقات الناس لم يكن ليصرف أستاذنا الكبير عن المساهمة في الميدان الثقافي العلمي .

فقد عرفته المنابر خطيبًا موهوبًا ، وعرفته الجامعات محاضرًا فذًا ، سريع البديهة ، جديد الفكر ، واسع الإحاطة ، شامل النظرة ، وعرفته الأوساط العلمية ، مؤلفًا قديرًا ، يوضح معالم الفكر الإسلامي وينقّيه مما أحاط به من شبهات وألحق به من شوائب، وأثرى المكتبة الإسلامية بالكتب المفيدة والأفكار البناءة ، حتى بلغ عدد مؤلفاته ٢٨ مؤلفًا .

ونال الشيخ جائزة الملك فيصل العالمية لخدمة الإسلام عام ١٤٠٩هـ ،

وسُرّ بذلك كثيرًا ، وقال : « حمدت الله حمدًا كثيرًا طيبًا عند ما نلتُ جائزة الملك فيصل العالمية وشعرت بأن في هذه المنحة إمارة على الرضوان الأعلى ، وتذكرت ما رواه مسلم « عن أبي ذر - رضي الله عنه - قيل لرسول الله -ﷺ- أرأيت الرجل يعمل العمل من الخير ، ويحمده الناس عليه قال : .. تلك عاجل بشرى المؤمن » فإن تكن الجائزة التي منّ الله بها بشرى معجلة ففي الفؤاد شوق إلى البشرى المؤجلة المخبوءة في طيات الغيب ، والتي نرتقب من المنّان تباركت أسماؤه أن يتطوع بها على عبد يمرح في ستره ويتطلع إلى عفوه ﴿ يوم ترى المؤمنين والمؤمنات يسعى نورهم بين أيديهم وبأيمانهم بشراكم اليوم • جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ، ذلك هو الفوز العظيم ﴾ .

سمع الله نداء الشيخ الحار واستجاب دعاءه ، فيسر له الحضور في مدينة الرياض في نفس المكان والزمان وبعد مرور ستة أعوام ، « في ندوة ثقافية » واندفع ليعبر عن آرائه النيرة ، « عن الإسلام والغرب » يحدوه الشوق إلى البشرى المؤجلة المخبوءة في طيات الغيب ، وعند ما حان الأجل المحتوم لبّى نداء الحي القيوم ، وصدق الله العظيم ، يقول : ﴿ فإذا جاء أجلهم فلا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون ﴾ .

ولله در من قال :

يا أيها المعدودة أنفاسه　　　لا بد من يوم يتم العدد

ولله در القائل :

حالفتك المنى فآوتك طيبــــــة

وانتهى الشوط في البلاد الحبيبة

= وتجلت علامة القبول والرضا وتناقلت وكالات الأنباء انتقال الشيخ

إلى رحمة الله تعالى ، وأبدت الأوساط الرسمية والعلمية والدعوية حزنها العميق لهذا المصاب الجلل ، وأكدت أنه ليس فقيد مصر وحدها بل فقيد الأمة الإسلامية جمعاء .

وشملت مكرمات خادم الحرمين الشريفين أسرة الفقيد وذويه ، وأمر بإحضار أسرته من مصر بطائرة خاصة لحضور دفن جثمان الشيخ في البقيع بالمدينة المنورة ، بعد الصلاة عليه بالمسجد النبوي الشريف ، حسب وصية الشيخ الغزالي - رحمه الله - ، ودفن بجانب الشهداء والصالحين والدعاة والمحدثين ، تغمده الله بواسع رحمته ، وأسكنه فسيح جناته .

= ومن علامات القبول والرضوان أنه نال جائزة الملك فيصل العالمية ، وجائزة الدولة التقديرية بمصر، وجائزة التمغة والامتياز الباكستانية ، وجائزة الدعوة الإسلامية من الجزائر .

= ومن أبرز علامات القبول والرصوان أن ترشح المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافية « إيسيسكو » فضيلة الشيخ محمد الغزالي لنيل جائزة السلطان حسن البلقية العالمية « سلطان بروناى دار السلام للدراسات الإسلامية لهذا العام ١٩٩٦م ، وقد أعلنت الأمانة العامة للجائزة التي يتولاها مركز الدراسات الإسلامية في لندن : أن موضوع هذه الجائزة هذه السنة و هو القرآن وعلومه ، وشاءت إرادة الله أمه ينشر في مجلة المجتمع في ١٢/٢ سنة ١٩٩٦م ، هذا الخبر السار في وقت أثارت وفاة الشيخ حزنًا عامًا في العالم الإسلامي ، لتكون إشارة واضحة لاستجابة دعاء الشيخ محمد الغزالي خلال تسلمه لجائزة الملك فيصل العالمية عند ما طلب من المنان الحنان تباركت أسماؤه أن

يتطوع بالمغفرة والرضوان ، على عبد يمرح في ستره ويتطلع إلى عفوه ، وما ذلك على الله بعزيز ، ودعاؤنا أن يوفقه الله فيكون ممن قال الله تعالى عنهم :

﴿ إن الذين يتلون كتاب الله وأقاموا الصلاة وأنفقوا مما رزقناهم سرًا وعلانية يرجون تجارة لن تبور • ليوفيهم أجورهم ويزيدهم من فضله • إنه غفور شكور ﴾ [سورة فاطر ، الآية : ٣٠] .

جهود الشيخ في فقه الإسلام وتربية الشباب ومكافحة أعداء الإسلام : تنوعت جهود الشيخ محمد الغزالي وتعددت جبهاته عبر ساحة الفكر الإسلامي ، يتحدث عن نفسه قائلاً : « مشكلتي أنى أحارب العلمانية والشيوعية والصليبة والصهيونية وبدعًا رديئة في الداخل وعارات ماكرة في الخارج إني أشتبك مع أعداء الإسلام في جبهات شتى يكاد الكلام يعلمني وأنا أورع قواى هنا وهناك » .

= للشيخ مواقف ضد الزحف الشيوعي والليبرالي واستخدم لذلك منابر الخطابة وأساليب الحوار ، وقد أصدر في ذلك عددًا من الكتب : « الإسلام والمناهج الاشتراكية » « الإسلام المفترى عليه بين الشيوعين والرأسماليين » « الإسلام والأوضاع الاقتصادية » وله جهد مشكور في طرد بعض الملاحدة والشيوعيين من الجزائر ومن ملتقيات الفكر الإسلامي .

= وله مواقف ضد الزحف التبشيري في الداخل والخارج وجاء كتابه : « التعصب والتسامح بين المسيحية والإسلام » سدًا منيعًا ضد الزحف .

= وكان الشيخ الغزالي من أبرز الدعاة وقوفًا ضد الغزاة المعجبين بالثقافة الغربية فقد ندد بسارتر و الوجودية ، و كتب في ذلك :

« الاستعمار أحقاد وأطماع » و « ظلام من الغرب » .

= ورأى الشيخ محمد الغزالي أن المسلمين في حاجة ماسة إلى تفهم معاني الأسوة وتبيين معالم ، قوله تعالى : ﴿ لقد كان في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر ﴾ فأخرج كتابه « فقه السيرة » فأصبح رائدًا لإيجاد مدرسة في فهم السيرة ، وتتابعت الكتب في ذلك ، فقه السيرة للبوطي ، السيرة النبوية ، دروس وعبر للسباعي - رحمه الله - وللدكتور عماد الدين الحليل .

= وقدم الشيخ للمكتبة القرآنية أربعة كتب مفيدة في التفسير الموضوعي : « نظرات في القرآن الكريم » « كيف نفهم القرآن » « المصادر الخمسة للقرآن الكريم » « نحو تفسير موضوعي للقرآن الكريم » وإن إنتاجه العلمي في هذا المجال يتصف بالجدة والطرافة وبالأصالة والعمق ويجمع بين الفهم الرشيد لآي الذكر الحكيم ، وبين الاجتهاد في الشرح والتفسير والابتكار في التناول والعرض،وذلك عن طريق جمع الآيات التي تعالج قضية واحدة ، وشرحها ، واستخلاص الأحكام منها وبيان الخطوط التي تشدها إلى بعضها ، ومدى تناسقها وانسجامها .

مواقفة مع الأحداث : كان الشيخ محمد الغزالي يتابع الأحداث الجارية على الساحة الإسلامية ، ويعيش مع قضايا المسلمين في كل مكان ، في الهند والباكستان ، في دول الخليج والأفغانستان ، وفي الرباط والجزائر وفي بلاد الشام وآذربيجان ، يشارك فيها مشاركة إيجابية بصرخاته وتوصياته ، كتابة وخطابة ، ومشاركة في الندوات والمؤتمرات ، وعلى منابر الجوامع ، منبر الجامع الأزهر ثم منبر

مسجد عمر مكرم فمنبر جامع عمرو بن العاص ، وكانت هذه المساجد تغص بالمصلين يرتادها خيرة المثقفين والواعين ، وكانت خطب الشيخ تمتاز بالواقعية والصدق وبمعالجة الأفكار والقضايا المعاصرة . يقول في هذا الصدد : « أتابع النشاط الإسلامي المعاصر بحب وخوف ، حبي لأنني مسلم أريد للحق الذي أعتنقه أن يسود ، وأن يقوم من عثراته التي طالت . وخوفي عليه . لأن الأعداء أقوياء وأغنياء يريدون الإجهاز على الدين الجريح . وانتهاز الفرصة التي لاحت بعد طول الانتظار أو طول التدبير » .

مواقفه مع الشباب :

يقول الشيخ : « قلبي مع شباب الصحوة الإسلامية الذين عملوا الكثير للإسلام ، وينتظر منهم أن يعملوا الأكثر .

= إنهم اشتبكوا مع الروس في أفغانستان فطلعوا عليهم بالردى ، واضطروهم إلى الفرار .

= وقد اشتبكوا من قبل مع الفرنسيين في الجزائر ، وكانت تضحياتهم سيلاً مَوّارًا بالدماء والأشلاء حتى تأذن الله بالفرج .

= وعندما كانت معركة فلسطين إسلامية القيادة ، تضاعفت خسائر اليهود ، واصطدمت أمانيهم بأسوار من حديد ، ويقول : إن قلبي ولُبّي مع الصحوة الإسلامية التي تحاك لها المؤامرات العالمية ، يتعرض أبطالها إلى ظلم بعد ظلم وألم بعد ألم .

= ويوجه الشيخ نصيحة فيقول : إن إقامة دين الله تعني قبل كل شئ تأسيس علاقة زاكية بين المرأ وربه منزهة عن طلب الدنيا والتشبع من لذائذها ، والاستعلاء في أرجائها : ﴿ تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا

يريدون علوًا في الأرض ولا فسادًا ﴾ [سورة القصص ، الآية : ٨٢] .

= والخلاف الفقهي لا يوهن بين المؤمنين أخوة ولا يحدث وقيعة ، ومن الشباب من يجعل من الحبة قبة ومن الخلاف الفرعي أزمة .

ومن توجيهاته للشباب المتحمس : « إن المدافعين لا ينقصهم غالبًا - الحماس والإخلاص ، وإنما ينقصهم عمق التجربة وحسن الفقه » .

«إنهم يحسبون أن حال المسلمين اليوم وليدة علل عارضة ، ومن السهل إزالتها في أيام معدودات ، أو على الأكثر بضع سنين من حياتهم ، ثم يعود المسلمون إلى مجدهم الأول أيام الصحابة والتابعين ، وهذا الاستعجال كان وراءه متاعب كثيرة وخسائر ثقيلة للدعوة الإسلامية بل ربما زاد خصومها تمكينًا وضراوة ، فما موقف الشباب المسلم في هذا العصر الذي تطورت فيه الحروب فانتظم جهازها كل شئ .

إنه لابد من إعطاء صورة سريعة لعلاقة المسلم بدينه ، أو لمطالب هذا الدين من تابعين » وكتب للشباب في العقيدة وهي رأس الأمر كله « عقيدة المسلم » وكتب لهم في السلوك الإسلامي « خلق المسلم » وبدأ بمقدمة عن الأخلاق في الإسلام وصلتها بالتعاليم والعبادات الأخرى ، وعن طبيعة النفس وآثار البيئة .. إلخ .

ولقي الكتاب « خلق المسلم » رواجًا وقبولاً وانتشارًا في أوساط الدعوة ، ويقول في هذا الصدد : « الذي يغلغل النظر في علل هذه الأمة يلحظ على عجل أنها تتنفس في جو فكري خانق ، وأن تغذيتها النفسية والاجتماعية والعقلية والعاطفية رديئة أشد الرداءة ، وفي ضوء هذه النظرة التربوية قدم لهم كتابه « كيف نفهم الإسلام » و « من

هنا نعلم » الذي رد فيه على الشيخ خالد محمد خالد في كتابه : من هنا نبدأ - والذي بدأ فيه رحلة التضليل الثقافي ونسب للإسلام ما ليس منه .

ولعل من أبرز النتائج التي انتهى إليها الشيخ : أن مشكلة المسلمين الرئيسية تكمن في التمزق الثقافي الذي عرض له ، وبين أسبابه في كتابه الأخير « دستور الوحدة الثقافية » .

وخلال دراستنا لهذا الكتاب نستطيع أن نترسم الملامح الرئيسية للدعوة الإسلامية الحديثة وتطورها ، لأن الشيخ كان يعاني الأزمات في الساحات وكان يكتب من أرض المعركة ومن وحي الساعة .

مواقف الشيخ مع مواكب الدعوة خارج مصر :

انضم الشيخ محمد الغزالي إلى هيئة التدريس في جامعة أم القرى في السعودية وأدرك أبعاد البيئة الإسلامية ورأى معالم الحكومة الشرعية . فقدرها كثيرًا كما يظهر في أحاديثه وكتبه وعلى رأسها الطبعة الجديدة لكتاب : الإسلام والأوضاع الاقتصادية .

= وكتاب : المسلمون يستقبلون القرن الخامس عشر ، يشيد بالملكة وللملك عبد العزيز وبأبنائه . وبالأمن في الملكة ، وكان له برنامج يومي في المذياع يحبه الناس ، كما كان يشارك في التلفاز في الصحف ، فضلاً عن توجيهه لطلاب الدراسات العليا ، وأبدى إعجابه بهذه الملكة الإسلامية عند استلامه لجائزة الملك فيصل قائلاً : إن علم الملكة العربية السعودية ، تميز على أعلام مائة وستين دولة بشعار فذ هو كلمة التوحيد ، لقد خلا من الرسوم والأصباغ ، وبرزت على رقعتها الصافية ، الكلمة التي تمثل رسالة الوجود « لا إله إلا الله محمد رسول

الله » عشرات الدول رأت أن ترسم على راياتها شعارات أخرى ، أما السعودية فقد رفضت المواربة والمداهنة ودفعتها عزة الحق وكبرياؤه إلى كتابة أشرف عنوان في الأرض والسماء ، فإذا هاجت الفتن ، وأبت إلا غمط الحقيقة ، ورأت ألا تكون كلمة الله هي العليا احتكمنا إلى القوة التي تحمي الحق وتدفع الباطل احتكمنا إلى السيف » .

= وله جهود مشكورة في نشر الوعي الإسلامي في الجزائر ، وكان يتمتع بثقة الرئيس شاذلي بن جديد ، الذي كان يرعى الجامعة و جامعة الأمير عبد القادر الإسلامية بقسطنطينية رعاية مباشرة وأثمرت الثقة المتبادلة بينهما ، فتوسعت دائرة الجامعة بعد أن كانت كلية واحدة فأصبحت ست كليات موزعة على المدن الجزائرية وشارك في بث الوعي الإسلامي بالوسائل المسموعة والمقروءة .

= قطر من أبرز دول الخليج ، كان للشيخ دور كبير في نشر الوعي الإسلامي وتطوير كلية الشريعة بواسطة المساجد والمنتديات واللقاءات الهادفة ، وقد كان يمضي شهورًا من كل سنة ، وكان يعامل كضيف لدولة قطر ويستشار في كثير من الأمور .

في أوربا وأمريكا : كان الشيخ يُدعى في المؤتمرات والندوات الطلابية والشبابية ، حيث كان يلتقي بخيرة الشباب وطلاب الدراسات العليا ، وكان له دور رائد في توجيههم وإرشادهم .

هموم داعية والتطلع إلي الآفاق العالية :

كان الشيخ محمد الغزالي ، يتمتع بسعة الأفق ، وبشمولية الفكر ، وبالإيمان بعالمية الدعوة وبالاعتقاد الجازم بأن هذا الدين لابد أن يسود ، ويتفاعل مع الأحداث ، يقول : شعرت بالاستحياء وأنا أحصى

الدول الصناعية المنتجة فلا أجد ، بين العشر الأولى ، ولا بين العشر الثانية ، ولا .. دولة مسلمة واحدة ، ويقول : ومعروف أن اليابان بدأت نهضتها من قرن تقريبًا ، وأن شعوبًا إسلامية بدأت نهضتها في الزمان نفسه ، و وصلت اليابان إلى الذروة وبقينا نحن في السفح ؟ ما السبب ؟ قد يكون لفساد الجو السياسي دخل كبير ، ولكن فساد الجو الثقافي له - في نظره - دخل أكبر .

ما تقول في فتيان يريدون إشعال معركة من أجل قضايا جزئية تتعلق باللباس وغيرها هي أقرب إلى سنن العادة منها إلى سنن العبادة ، وقد تأتي في نهاية سُلّم الأولويات .

بين الاجتهاد والتقليد :

اتخذ الشيخ محمد الغزالي طريقًا وسطًا في هذه المسألة وأعجب برأي الشيخ الأديب الفقيه علي الطنطاوي حيث يقول : والحق أنه على المسلم أن يتفقه أولاً في مذهب معين ، فيعرف أحكام دينه ، ثم ينظر في دليلها ، ويحاول أن يتعلم ما يعين على معرفة طرق الاستدلال وقوة الدليل ، ثم ينظر ، فإن رأى دليلاً أقوى من دليل مذهبه أخذ به ، وقد بين ابن عابدين في أول الحاشية أن الحنفي المقلد الذي يجد حديثًا صحيحًا على خلاف مذهبه ، عليه أن يأخذ به ، لا سيما في العبادات ، وليس يخرج في ذلك عن كونه حنفيًا ، والله قد أوجب على المسلم اتباع الكتاب والسنة .. إلخ .

والمتأخرون الذين قالوا باتباع أحد المذاهب ، إنما قالوا ذلك : لما رأوا غلبة العجز على الناس ، ولئلا يصير الأمر فوضى ، فيدعى كل واحد أنه صار أبا حنيفة أو الشافعي كما هو الحال .

تتجلى شخصية الغزالي وسط هذه الآراء متمسكًا ، بالاعتدال والتوازن في فهم أبعاد الشريعة ، ويتحدث عن هذه الوجهة الوسيطة ، فيقول : لقد تتلمذت على كتابات لابن الجوزي وابن تيمية والغزالي وابن رشد ، وانتفعت من صواب أولئك كلهم ، وتركت ما تعقّبهم الآخرون فيه بحق .

« وعندي أن تأويل الغزالي لا يخدشن منزلته ، كما أن إنكار ابن تيمية للمجاز أو توقفه في نفي الجسمية لا يخدشن منزلته .

لماذا أتوقع العصمة من البشر وأجعل الأخطاء القليلة التي تنسب إليهم جبالاً تنهدم فوق رؤوسهم ، وتأتي على ذكراهم » .

وما أحوجني وإياهم إلى مغفرة الله وأحوج الإسلام بعد ذلك إلى جهاد أبنائه .. إلخ .

بهذه العدالة والواقعية يعالج الشيخ محمد الغزالي ، أمور دينه وعلمه ويمتاز في كل خطوة من خطوات دعوته ، بسعة الأفق وبشمولية الفكر .

موقف الشيخ في خلاف الفقهاء :

يرى الشيخ أن الخلاف الفقهي في الفروع قديم قدم الإسلام نفسه وهو خلاف لابد منه ، ولا خوف على الدين من بقائه إلى قيام الساعة !

وكل ما نبغيه أن يكون هذا الخلاف في حدود الفكر العلمي الإسلامي والضمير الراغب إلى الله الحريص على مرضاته ، ويذكر أمثلة لهذا الاختلاف الفقهي ، فيقول : فابن حزم يوقع الطلاق الثلاث ، ويرى هذا الحكم ما تدل عليه السنة ولو كان بكلمة واحدة .

وابن تيمية يرى غير ذلك ، ويعد الثلاث واحدة ما دامت في المجلس

أو بلفظ واحد ، ويبني على ذلك جواز الرجعة ، بينما يرى ابن حزم أنه لا تحل له حتى تنكح زوجًا غيره .

وابن حزم يرى الغناء الحسن مباحًا ويجيز بيع آلاته من معازف ومزامير ويرى ابن الجوزي وابن تيمية وابن القيم تحريم هذا كله .

ثم يعلل هذا الخلاف قائلاً : إن اختلاف الآراء وتباين المذاهب شئ لا يمكن تجاهله ، ولا الفرار منه ، فتلك سنة الله في الأنفس والأذهان .

والخلاف لا يحل بالعصى وإنما يحل بالتعاون على ما اتفقنا عليه والتماس العذر إذا كان أهلاً للبحث والاجتهاد .

وقفات وتأملات مع موكب الشيخ العلمي والدعوي :

ألف - مؤلفات الشيخ رافقت خطوات الدعوة الإسلامية المبكرة ، والتي جاءت تسدد طريقها ، وتبصرها بأعدائها وتحذرها من المزالق التي ترسم لها ، في الوقت الذي كانت تصطرع فيه الأفكار والمبادئ لا يجاد البدائل الثقافية للإسلام .

- ويلاحظ الدارس لهذه الكتب الهادفة ، أنها لا تلتزم المنهج العلمي ، في التخريج والتبويب ، وما إلى ذلك ، ويرد الشيخ علي هذه الظاهرة قائلاً : إنني لا أكتب إشباعًا لترف علمي ، قدر ما أكتب إصلاحًا لأغلاط شائعة وأوضاع جائرة .

ب - كان الشيخ علي صلة مع معاصريه من الدعاة والمؤلفين ، مع سماحة الشيخ عبد العزيز بن عبدالله بن باز ، مع الشيخ المحدث ناصر الدين الألباني مع المفكر الإسلامي أبي الأعلى المودودي مع الداعية العالم أبي الحسن علي الحسني الندوي ، يتبادل معهم الآراء ويتباحث مع بعضهم في أمور ويختلف معهم في المسائل ..

ولكنه كان اختلافًا في الجزئيات وليس في الأساسيات .. واحتد النقاش مع بعضهم حول كتاب : « السنة النبوية بين أهل الفقه وأهل الحديث » ولكنه لم يتجاوز عن كونه « نقاشًا واختلافًا بين مدرستين » كل مدرسة تمثل بيئتها وطبقتها وإن كنا نتمنى أن لا يحدث هذا الخلاف .. ولكن ..

ما كل مـــــا يتمنى المـــــرء يدركه

تجري الرياح بما لا تشتهـــــي السفن

ج - تضلع الشيخ في لغة القرآن والحديث أغنته أن يجيد اللغات الأخرى ، ومع ذلك نراه من أوائل من كتب عن المواضيع المعاصرة : « الإسلام والأوضاع الاقتصادية » و « الإسلام والمناهج الاشتراكية » و « الإسلام المفترى عليه بين الرأسماليين والشيوعيين » .

هـ- كان الشيخ يتمتع بذوق لطيف وبذكاء لماح ، فكان يستشهد في خطبه بالآيات والأحاديث وبأبياتٍ شعرية ، تثير الانتباه،واختار لكتبه عناوين مبتكرة - جدد حياتك - قذائف الحق - حصاد الغرور - ظلام من الغرب - هموم داعية .

د - حرص الشيخ على الالتزام بالاستمرار مع الجماعة ، ولم يحرص على الالتزام بالاستمرار مع الأحزاب .

دعاؤنا أن يرحم الله الشيخ رحمة واسعة ويسكنه فسيح جناته ، وأن يعوض المسلمين بفقده خيرًا وأن يُلهم الجميع الصبر ، والحمد لله على قضائه وقدره وإنا لله وإنا إليه راجعون .

ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

++ ++

المعالم الإسلامية في الهند :

مسجد غيان وافي والحقائق التاريخية

الأستاذ محمد شاهجهان الندوي

بعد هدم المسجد البابري في ٦/من شهر ديسمبر ١٩٩٢م بأيدي الإرهابيين المتطرفين ، لم يزل زعماء الحركات الهندوسية المتطرفة ، يتربصون الفرص السانحة لتنفيذ مخططاتهم حول هدم مساجد أخرى في أرجاء الهند عامة ، وهدم مسجد غيان وافي في بنارس ، والمصلى الملكي في متهرا خاصة ، وقد استتب لهم الأمر ، وتمكنوا من إجراء خطواتهم ، عند ما تولت زمام الحكم في ولاية أترابراديش بتعاون من (ب. ج. پ.) السيدة مايا وتي ، فتضخمت نشاطات هذه الحركات المتطرفة حول مسجد غيان وافي ، والمصلى الملكي ، التي قد أحدثت خللاً في النظام والقانون ، وجعلت هذين المسجدين التاريخيين يتعرضان للخطر المنذر بشر مستطير - والله يعلم ما وراءه - ، ولذلك يحس بي أن ألقى بعض الأضواء على حقائق تاريخية لمسجد غيان وافي .

إن المواضع الذي يقع فيه هذا المسجد التاريخي كان فيه قبل ألفي سنة بئر مطوية ، تسمة بـ « وافي » وقد بنى البوذيون فيه بعد ما طموا البئر تكية لهم ، كانوا يجلسون فيها للمراقبة والتفكير ، فاشتهرت بـ « غيان وافي » .

وكان في ذلك الوقت للبوذيين جولة وصولة في الهند كلها ، فدمروا الهندوس وهدموا معابدهم ، ونهبوا أموالهم .

ولم يكن هدم المعابد الهندوكية مقصورًا على البوذيين ، بل الأمراء الهندوس أيضًا كانوا يهدمون المعابد ، لكي يحوزوا الأموال الطائلة عن طريق أصنام الذهب والفضة التي كانت توجد في تلك المعابد ، هذا ما فعله الحاكم الهندوسي « هرش » وغيره .

وقد اعترف المستر ورما بأن البوذيين هم الذين هدموا المعابد الهندوسية ، حيث يكتب « إن البوذيين قبل دخول المسلمين إلى هذه البلاد النائية ، ألحقوا ضررًا بالغًا بنا وبمعابدنا ، بما أنهم كانوا يخالفون عبادة الأوثان ، لذلك فهدموا المعابد وكسروا الأصنام » .

إن هذا الوضع لم يزل قائمًا إلى قرن ، والبراهمة الذين يعتقدون الزعامة والسيادة حقهم ، كان يقلقهم سيادة البوذيين ، ولذلك فدبروا وخططوا وراء كواليس الظلام المعتم ، إلى أن ظهر في جنوب الهند سوامي شنكر آچاريا ، فاحكم سيادته وبلغ أقصى أوجه ، فقام بحركة الإبادة ضد البوذيين ، و وصل تدريجيًا إلى شمال الهند ، ففتك بمساعدة البراهمة والراجپوت بالبوذيين ، ونفي من بقي منهم من البلاد ، وأزال آثارهم التاريخية ، وبذلك نالت الهندوسية حياة جديدة ، وقامت مدارس الديانة الهندوسية في كل مكان ، وتوزعت تلك المدارس الدينية إلى فرق ، فرقة تجعل وشنو هو الهادي الأكبر ، وفرقة تجعل برهما ، وفرقة تجعل گنيش هو الهادي الأعظم .

وكان ذلك كله في القرن الثامن والتاسع للميلاد .

بناء مسجد غيان وافي :

بعد ما تحولت زاوية البوذيين إلى طلل ، بقي ذلك المكان على حاله

إلى خمسة قرون ، حتى أراد الشيخ سليمان المحدث ، وكان تلميذًا ثريًا لصدر جهان الذي كان يشغل منصب صدر الصدور في عهد السلطان ابراهيم الشرقي الجونفوري ، أن يعمر ذلك المكان ، فأسس فيه مسجدًا ، وتمّ بناؤه في الفترة ما بين ٨٠٤- ٨٤٢هـ .

ولما ارتقى عل سدة الحكم الملك شاهجهان الذي له فضل في بناء المدارس والمساجد في الهند كلها ، فبنى مدرسة متصلة بالمسجد باسم « ايوان الشريعة » .

إن هذه المدرسة قد لعبت دورًا كبيرًا في نشر العلوم الدينية ، وخرجت أفواجًا من العلماء والفضلاء ، وبعثت قوافل من الدعاة إلى الله في المناطق الشرقية للهند .

وآل الحكم بعده إلى ابنه العادل الملك أورنك زيب ، فرأى أن هذا المسجد يكتظ بالمصلين ، فقام ببنائه الجديد وتوسعته .

مشكلة المساجد والمعابد في الهند :

إن هذه الحقائق التاريخية كلها تدل بكل وضوح وصرامة أن هذا المسجد وغيره لم يكن موضع نزاع يومًا ما ، ولكن بعد ما احتل الإنجليز الغاصبون أرض الهند واستولوا عليها بدهائهم المعروف ، ومؤامراتهم الدقيقة المعلومة لدى الجميع ، حاولوا تفريق المسلمين والهندوس بنظريتهم الخاصة « فرق وسد » لكي تبقى لهم السيادة في الهند .

فكتبوا التاريخ وملأوه بالأباطيل ، وأثاروا قضية المسجد والمعبد ، لكي يضيع المسلمون والهندوس قوتهم متخاصمين فيما بينهم ، فيبقى حكمهم مصونًا عن الخطر ، وقد نجحوا في خطتهم لحد ما ، وأوجدوا في

المسلمين والهندوس جو الشك ، وعدم الثقة .

وقد أقبل الهندوس - خاصة - على هذا التاريخ المزخرف ، ولم يدققوا فيه ، فتكونت لهم نفسية معادية للمسلمين ، فوقعت نتيجة عنها اضطرابات طائفية مبيدة للمسلمين مدمرة لممتلكاتهم .

ولذلك يكتب بابو كرشن پرشاد : « إن مما يثير العجب على الهنود ، أنهم لا يلتفتون إلى التحقيق والتدقيق ، بل يرددون كلام الآخرين كالببغاء » .

بعد هذه السطور العديدة يتكشف كضوء النهار أن المسجد لم ببن على أنقاض أي معبد هندوكي في عصر ما .

أما ما يعتقد المتطرفون من الهندوس أن الملك العادل أورنگ زيب بعد جلوسه على سرير الملك سنة ١٠٦٨هـ ، بنى هذا المسجد بعد ما هدم معبد بند مادهو سنة ١٠٧٩هـ ، فنقول لا يمتّ إلى الواقع والصحة بأيّ صلة .

وهذا هو السبب الذي دفع المستر ورما إلى أن يعترف بأن « المسجد لم يبن في موضع المعبد ، بل هذه سياسة إنجليزية خبيثة حيث إنهم أثاروا الشكوك والشبهات في أذهان الهندوس بأن الملك أورنگ زيب هدم المعبد ، وبنى المسجد » .

والواقع أن هذا المسجد قد بنى قبل أن تقوم قائمة الحكم المغولي في هذه البلاد .

والله يقول الحق وهو يهدي السبيل .

++ ++

الأستاذ حيدر الغدير

رويدك يا دنيا فمهما تعـــــــــاسرت
لياليك لن أشكو إليـــــــــــك ولا ليا
فحسبي إيماني عيـــــــــوفًا و راضيًا
أداري به جرحي و إن كان عاتيــــــــــــا
يدمــدم في صدري حنين و إنمــــــــــا
أحنّ لدنيا شمتها في خياليــــــــــــــا
لدنيا من النعمى يصوغ إباءهــــــــــا
رجائي أن أحيا و ما هنت ناعيــــــــــا
هي الطهر و الزاد العزيز و جنـــــــــة
من النور في صدري تزين المعانيـــــــــا
هي الجنة الفيحاء و الوارف النـــــــدي
ألوذ به حرًّا عزيزًا مباليــــــــــــــــا
و أسمو علـــــــــــى الحساد أسخر منهم
و أرثى لدنياهم و مـــــــــا كنت جانيا
أنا النسر عزًّا حيث كنت . فهمتـــــــــي
عفـــــــــافي و كبري و ارتقائي المعاليا
دموعي غوال مـــــــــا رخصن لحادث
فهن السنا و الأفق ضحيان حاليـــــــــــا
و هن النجوم الزهر في غلس الدجـــــــى
و هن لآلي البحر رهوًا و عاتيـــــــــــا
و هل عادت الفرسان إلا حسيـــــــــرةً
إذا نازعت شمَّ الجبال المراقيـــــــــــا
و إني و إن خان الصديق مـــــــــودتي
وفائي كنور الفجر و المزن هاميــــــــــا
و قلبي - وعين الله تجلـــــــــوه رحمةً -
صفاءٌ و إيمان يجوب الدراريــــــــــا

بعض أخطاء فاحشة في سير أعلام النبلاء

الدكتور السيد رضوان علي الندوي

إن كتاب سير أعلام النبلاء لشيخ الإسلام الحافظ المؤرخ الإمام الذهبي من أهم وأضخم كتب هذا المحدث المؤرخ الجليل ، وإنه صدر في سبع طبعات من سنة ١٤٠١هـ-١٩٨١م حتى ١٤١٠هـ-١٩٩٠م بتحقيق وإشراف الأستاذ المحقق شعيب الأرنؤوط وغيره من الباحثين في ٢٥ جزءًا ، منها الجزءان الأخيران فهارس الكتاب المهمة ، وكان الإشراف له في تحقيق الكتاب كله .

ولا شك أنه من أمتع كتب هذا المؤرخ العظيم يؤرخ فيه للصحابة والتابعين والمحدثين والفقهاء والصوفيين والمؤرخين والكتاب والوزراء ورجال الحكيم والسياسة وأعلام الأدب والشعر ونوابغ القادة والمفكرين والفلاسفة حتى نهاية القرن السابع الهجري بل أوائل القرن الثامن للهجرة ، ونفس هذا المؤرخ الجليل فيه طويل ، وإنه بحق لموسوعة ثقافية علمية عظيمة ضخمة .

وقد أحسن الباحث المحقق الأستاذ شعيب الأرنؤوط وزملاؤه في إخراج هذه الموسوعة المفيدة الممتعة ، ولكن كجميع مثل هذه الموسوعات الضخمة من عمل مؤلف واحد فيه بعض الهفوات ، انتبه إلى بعضها محققوها وفاتهم الانتباه إلى أخطاء عديدة أخرى في مختلف مجلداتها ، وأريد أن أشير إلى بعضها في هذه العجالة خدمة للعلم وإفادة للقراء وأرجو أن يصححها محققوها في طبعات قادمة ، ومنها :

١- في الجزء الرابع ، صفحة/١٠٨ ، ما نصه المؤلف قائلاً : « قال

خليفة بن خياط : وفي سنة ثمان وتسعين ولّى الحجاج عبيد الله بن أبي بكرة سجستان » .

وهذا الكلام ظاهر الخطأ ، إذ أن الحجاج قد توفي في رمضان سنة ٩٥هـ فأنى له أن يولى رجلاً سجستان بعد وفاته بثلاث سنين ، والمؤلف نفسه ، في الجزء نفسه في ترجمة الحجاج أرخ وفاة الحجاج في سنة ٩٥هـ (ص/٣٤٣) ، ومحقق هذا الجزء في الهامش أحال إلى صفحة/٢٧٧ من تاريخ خليفة بن خياط ، وكأنه يؤيد الإمام الذهبي في نسبة هذا القول إلى خليفة بن خياط المتوفى في سنة ٢٤٠هـ على أرجح الأقوال ، ولكن عند رجوعي إلى تاريخ خليفة بن خياط (طبقة الدكتور أكرم ضياء العمري ، سنة ١٩٧٧م بيروت) تبين لي أنه دكر هذه التولية في حوادث سنة ثمان وسبعين [٧٨هـ] ، وهكذا فالسهو من المؤلف الناقل وليس من المؤرخ القديم خليفة بن خياط ، أستاذ الإمام البخاري .

٢- وفي الجزء نفسه أي الرابع في صفحة/٢٠٨ ، ذكر الإمام الذهبي قول ربيعة بن يزيد بهذه الصيغة ، قال : « جلست إلى الشعبي بدمشق في خلافة عبد الملك ، فحدث رجل من الصحابة عن رسول الله -ﷺ- أنه قال : اعبدو الله ربكم ولا تشركوا به شيئًا ، وأقيموا الصلاة ، وآتوا الزكاة ، وأطيعوا الأمراء ، فإن كان خيرًا فلكم ، وإن كان شرًا فعليهم ، وأنتم منه بُرآء ، فقال له : كذبت » .

وقال محقق هذا الجزء في الهامش رقم/١ : « رجاله ثقات خلا سعيد ابن عبد العزيز فإنه اختلط بأخرة » .

ولقد عقب المؤلف الجليل على قول الشعبي : « كذبت » نقلاً عن الحاكم صاحب المستدرك في سنده إلى عبد الوهاب : « فكأنه أراد بها

أخطأت » [ص/٢٠٩] ، وهذا تأويل على أساس أنه لا يتصور أن يقول الشعبي لصحابي : « كذبت » .

والحقيقة أنه سوء فهم لمعنى كلمة « الصحابة أو رجل من الصحابة » في عهد الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان ، فإن هذه اللفظة في عهد هذه الخليفة كانت تطلق على حاشية الخليفة كما يتأكد من كلام الحافظ المؤرخ ابن عساكر ، فإنه في تاريخ دمشق الكبير في ترجمة الإمام الزهري المطولة ، قد ذكر قصة بقاء الزهري لعبد الملك بواسطة قبيصة بن ذؤيب الذي كان كاتب عبد الملك ، وبعد أن تمّ هذا اللقاء ، ذكر ابن عساكر على لسان الزهري ، قال (أي الزهري) : « ثم خرج قبيصة بعد ذلك ، فقال : إن أمير المؤمنين قد أمر أن تثبت في صحابته ، وأن يجرى عليك رزق الصحابة ، وأن ترفع فريضتك إلى أرفع منها ، فالزم باب أمير المؤمنين » .

وأورد بعد ذلك الزهري قائلاً : « وكان على عرض الصحابة رجل فظّ غليظ ، يعرض عرضًا شديدًا (١) .

وظاهر من هذا النص المهم أن الصحابة هنا ليس في معنى صحابة رسول الله -ﷺ- ، فلا يتصور أن يُلزم الصحابة - رضوان الله عليهم أجمعين بالحضور على باب عبد الملك ، إذ كانوا هم أجلّ وأكرم من ذلك ، وكان عبد الملك يحترمهم غاية الاحترام ولم يبق منهم في عهد عبد الملك إلا عدد ضئيل جدًا في الكوفة والبصرة أو المدينة ، وليس منهم على أغلب الظن في دمشق أحد .

---

(١) الزهرى ، وهي ترجمة له مستخرجة من تاريخ مدينة دمشق بتحقيق شكر الله بن نعمة الله قوجاني ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ١٩٨٢م ، ص/٧١ .

وقد أحسن محقق كتاب الزهري (أي ترجمته المستخرجة من تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر المتوفى سنة ٥٧١هـ) في هامش رقم/٢ ، ص/٧١ في تفسيره على كلمة الصحابة الواردة هنا قائلاً : الصحابة هنا هم حاشية السلطان . وقد ألفت في « الصحابة » رسائل وكتب ، كرسالة عبد الله بن المقفع في صحابة أبي جعفر المنصور وهي مشهورة منشورة وكتاب « أسماء الخلفاء وكتابهم والصحابة » لأحمد بن الحارث الخزّاز المتوفى سنة ٢٥٨ . ولقد ذكره ابن النديم (والصواب فيه النديم) في الفهرست ص/١١٧ (طبعة رضا تجدد الإيرانية الحديثة) .

وهكذا فقول الشعبي ردًا على « رجل من الصحابة » في هذا النص « كذبت » ليس موجها إلى أحد من صحابة رسول الله -ﷺ- حتى يضطر الإمام الذهبي أن يورد تأويلاً له بمعنى « أخطأت » بل إنه موجه إلى أحد حاشية بلاط عبد الملك بن مروان الذي روى حديثًا مكذوبًا في مجلس ضمّ الشعبي .

ومن المؤسف أن محقق هذا الجزء لسير أعلام النبلاء لم ينتبه إلى هذه الحقيقة فلم يعقب عليه في الهامش .

٣- وفي الجزء العاشر في صفحة/٤٦١ ذكر الذهبي نقلاً عن نفطويه : « كان عليّ بن الجعد أكبر من بغداد بعشر سنين » .

وكتب محقق هذا الجزء محمد نعيم العرقسوسي الهامش رقم/٥ على هذه العبارة . فقال : « وفي معجم البلدان : ١/٤٥٧ أن أبا العباس السفاح شرع في عمارة بغداد سنة ١٤٥هـ ونزلها سنة ١٤٩هـ » .

وهذا التعقيب من المحقق خلاف الواقع التاريخي فإن جميع البلدانيين والمؤرخين يقولون إن الذي اختط بغداد وبناها هو أبو جعفر المنصور (انظر مثلاً تاريخ بغداد لابن طيفور . وصورة الأرض

لابن حوقل ، وتاريخ الطبري ، ذكر الخبر عن بناء مدينة بغداد في حوادث سنة ١٤٥هـ ، وتاريخ بغداد للخطيب البغدادي وغيرهم) . وهذا التحديد من قبل المحقق باسم أبي العباس السفاح خطأ فاحش بداهة ، فكيف يشرع هو في عمارة بغداد وقد توفي سنة ١٣٦هـ بدون خلاف بين المؤرخين .

هذا ، والمحقق الفاضل قد أخطأ في فهم عبارة ياقوت في معجم البلدان ، إذ أنه بدأ كلامه على بغداد قائلاً : « كان أول من مصرها وجعلها مدينة المنصور بالله أبو جعفر عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس ثاني الخلفاء ، وانتقل إليها من الهاشمية ، وهي مدينة كان قد اختطها أخوه أبو العباس السفاح قرب الكوفة ، وشرع في عمارتها سنة ١٤٥هـ ونزلها سنة ١٤٩هـ » .

فكلام ياقوت : « وهي مدينة كان قد اختطها أخوه العباس السفاح » متعلق بمدينة الهاشمية ، العاصمة الأولى للعباسيين ، بدليل « قرب الكوفة » وبغداد بعيدة جدًا عن الكوفة ، ثم قوله : « شرع في عمارتها سنة ١٤٥هـ » كلام مستأنف متعلق بالمنصور بالله أبي جعفر في أول العبارة ، ثم إذا قرأ المحقق كلام ياقوت فيما بعد مفصلاً عن اختيار موقع بغداد وجد أن المنصور نفسه ارتاد موقع بغداد مع بعض حاشيته ، و وضع أول لبنة في أساس هذه المدينة في حفل كبير حضره رجال الدولة والأعيان والعلماء تاليًا آية القرآن الكريم بعد التسمية والحمد : ﴿ إن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين ﴾ .

هذا ما عنّ لي في هذه العجالة ، ومهما كان الأمر فإنه لا يقلل من قيمة هذا الكتاب العظيم النفع وجليل القدر وجهود محققيها الموفقة المفيدة في إخراجه . والله أعلم بالصواب .

إلى رحمة الله تعالى :

فضيلة الشيخ عبد العزيز العلي المطوع في ذمة الله تعالى

قلم التحرير

فجعت أسرة ندوة العلماء ومجلة « البعث الإسلامي » بنبأ وفاة العالم الجليل والكاتب القدير فضيلة الشيخ عبد العزيز العلي المطوع الذي وافاه الأجل في اليوم ١٩/من شهر ذي القعدة ١٤١٦هـ - الموافق ٧/من شهر أبريل ١٩٩٦م ، في منزله بالكويت ، فإنا لله وإنا إليه راجعون .

لقد كان الراحل الكريم أحد أعضاء أسرة عريقة في العلم والتجارة في الكويت ، وكانت له شهرة جميلة في التعامل مع الناس بأخلاق حسنة وروح طيبة ، وكان يتميز بالنشاط العلمي والدراسي بجانب أعماله التجارية ، فقد كانت له دراسات وبحوث في التفسير ، نشر كثير منها في مجلتنا « البعث الإسلامي » التي كان يُعتبر من كتابها البارزين في يوم من الأيام .

كانت له صلة مخلصة بندوة العلماء ورجلها الكبير سماحة العلامة الشيخ السيد أبي الحسن علي الحسني الندوي فكان يعطف دائمًا على المشاريع الإسلامية والتي كانت تتولاها ندوة العلماء ، ولذلك فإن اسهاماته الغالية في ذلك لا تُنسى .

وقد كان عضوًا في المركز الإسلامي بأوكسفورد فيتابع اجتماعات المركز باهتمام بالغ ويجتمع فيها برئيس المركز سماحة العلامة الشيخ الندوي ، يتبادل معه الآراء حول قضايا العالم الإسلامي والأحداث العالمية . حظيتُ باللقاء معه في الكويت مرات كثيرة ، فكان يحيطني برعايته ويبذل اهتمامه بشئون ندوة العلماء ومجلة «البعث الإسلامي » وكان آخر اللقاء معه في الكويت في عام ١٩٩٠م قبل الغزو العراقي ، ولما تيسر لي الحضور إلى الكويت بعد الغزو في مؤتمر الافراج عن الأسرى ، لم أجده هناك وكان في رحلة استجمامية إلى أوربا حيث يتوافر له العلاج ، وكان ذا علاقة وثيقة بمصر ، نظرًا إلى أسرة له

كانت تقيم في القاهرة ، فيقضي وقتًا لا بأس به في القاهرة ، كل عام .

وله كتابات دعوية وتوجيهية وكتيبات عديدة حول موضوعات إسلامية ، وقد نشرنا له رسالة عن تعدد الزوجات باللغة الأردية والإنجليزية من مكتبة الفردوس في لكناؤ ، نالت إعجابًا كبيرًا من أصحاب العلم والدراسة .

كان موفقًا من الله تعالى إلى بذل اهتماماته بالقضايا الإسلامية ، ونشر الخير والفضيلة في كل مكان ، رحمه الله رحمةً واسعةً ، وأكرمه بالجنة والنعيم ، ويلهم أهله وأنجاله وأقاربه وذويه ، وعلى رأسهم شقيقه العزيز سعادة الشيخ عبد الله العلي المطوع - حفظه الله تعالى- بالصبر والسلوة ، ﴿ كل نفس ذائقة الموت • وإنما توفون أجوركم يوم القيامة ﴾ .

وفيما يلي نص رسالة العزاء التي بعثها سماحة العلامة الشيخ السيد أبي الحسن علي الحسني الندوي إلى شقيقة سعادة الشيخ عبد الله العلي المطوع :

حضرة الأخ الكريم سعادة الشيخ عبد الله العلي المطوع - حفظه الله تعالى - ذخرًا للإسلام   السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

وبعد فقد أخبرني الأخ العزيز الأستاذ سعد الأعظمي بعد عودته من الكويت بالنبأ الحزين عن وفاة صديقنا الحبيب ، شقيقكم الأكبر فضيلة الشيخ عبد العزيز العلي المطوع القناعي ، في اليوم ١٩/من شهر ذي القعدة ١٤١٦هـ ، فإنا لله وإنا إليه راجعون .

لقد تألمت بهذا الخبر المفاجئ الذي صدم قلبي ، وقد كنت أظن انه لا يزال على قيد الحياة قائمًا بالخير في سبيل الحق ، ومساهما في المشاريع الإسلامية برحابة صدر وإخلاص تام ، فطالما اجتمعنا في المركز الإسلامي بأوكسفورد في اجتماعاته السنوية ، وكان عضوًا مهما فيه ، ولا أنسى ما كان يتمثل في شخصه من العلم والإخلاص والرغبة في إعلاء كلمة

الإسلام ، والاسهام في ذلك بالنفس والنفيس ، جزاه الله عن كل ذلك بأحسن ما يجزي به عباده المؤمنين المخلصين ورفع مكانته إلى أعلى عليين وجعله مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقًا – عظم الله أجركم في فقيدكم الغالي وعزى نفوسكم جميعًا بالصبر الجميل .

أرجو إبلاغ العزاء إلى جميع أنجاله وبناته وأهله وذويه ، وأدعو الله سبحانه أن يحسن عاقبتنا ويجعل آخرتنا خيرًا من الأولى ، ولا تنسونا في صالح دعواتكم .

وتفضلوا بقبول أصدق آيات الحب والإخلاص .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

أخوكم المخلص

أبو الحسن علي الحسني الندوي

رئيس ندوة العلماء لكناؤ (الهند)

البروفيسور النجرامي

رئيس جديد لأكاديمية أردو الحكومية

قامت حكومة ولاية اترابراديش الهندية بتعيين البروفيسور محمد يونس النجرامي مستشار رابطة العالم الإسلامي لشئون القارة الهندية ورئيس جمعية المثقفين المسلمين في الهند كرئيس لأكاديمية أردو الحكومية في ١٨/٢/١٩٩٦م المنصب الذي يساوي بدرجة وزير الدولة .

وقد شغل البروفيسور النجرامي هذا المنصب مرتين في الماضي وقد جاء هذا القرار للمرة الثالثة نظرًا إلى أهميته ونشاطاته في مجال الثقافة والاعلام والأدب .

والبروفيسور النجرامي الحائز على جائزة الدولة التقديرية كاتب إسلامي معروف ، وتصدر مقالاته و تحليلاته الصحفية في صحيفة «الرائد» بانتظام . ويكتب تعليقات صحفية عن العالم الإسلامي في صحف إسلامية أخرى وله نشاطات في حقل الدعوة الإسلامية في المناطق القروية الهندية .

... في العالم الحالي ، حتى يملأ الفراغ الموجود ويقصر الأمة ... في القضايا والمشكلات التي تجتازها اليوم ، وتترقب ... على أرضيتها .

... واقع المسلمين ، وانحطاط أحوالهم في جميع البلدان التي يسكنون فيها ، إلا أن تمزّق وحدتهم وصفوفهم ، وتوزعهم بين فرق وأحزاب ، ومنى الأمة الإسلامية بالخنوع ، والرضا بالذلة ، وفقدان الحمية والغيرة الإيمانية ، وأقامها في صف العجزة والكسالى ، فلم تعد لها شخصيتها ولا وزنها في ميزان الأخلاق والسياسة والاجتماع وتداعت عليها الأمم وتكالبت في كل مكان ، فانطبق عليها قول رسول الله -ﷺ- الذي رواه الإمام أحمد عن ثوبان - رضي الله عنه - ، قال : قال : رسول الله -ﷺ- يوشك الأمم أن تداعى عليكم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها ، قال قائل : أوَ من قلة نحن يومئذ يا رسول الله ، قال : بل أنتم يومئذ كثير ، ولكنكم غثاء كغثاء السيل ، ولينزعن الله من صدور عدوكم المهابة منكم ، وليقذفن في قلوبكم الوهن ، فقال قائل : وما الوهن ؟ قال : حُبّ الدنيا وكراهية الموت » .

لقد كان في هذا الواقع الذي رضيه المسلمون اليوم ، رصيد كاف لأن يتحولوا من أمة الإسلام إلى أمة ضعيفة ... ت

... حائز على جائزة الدولة التقديرية كاتب ... صدر مقالاته و تحليلاته الصحفية في صحيفة «الرائد» بانكهنؤ . ويكتب تعليقات صحفية عن العالم الإسلامي في صحف إسلامية أخرى وله نشاطات في حقل الدعوة الإسلامية في المناطق القروية الهندية .

السبب فيما إذا كانت المؤامرات اليهودية والمخططات الأجنبية للقضاء عليها نهائيًا ، تبوء بالفشل ، وأحيانًا ترتد مكايدهم ضد الإسلام والمسلمين إلى نحورهم بالذات ، وما قصة عودة كثير من دعاة اليهودية والمعتنقين بها ممن كانوا يمثلون آمالاً مشرقة للعالم اليهودي ، ونشاطه في العالم الإسلامي ، إلى الإسلام ، إلا مؤشرًا صادقًا إلى هذه الحقيقة .

هنا يجب أن نشير إلى ما تعيشه الأمة الإسلامية اليوم من انحراف في العقيدة وفساد في الأخلاق ، وتشتت للشمل ، وتمزّق كبير للوحدة ، وتهافت على المادة ، واللذات ، نتيجة لما تدبره اليهودية العالمية من مكايد ومخططات بصرف المسلمين عن دينهم ، ومنصبهم ، وإن ذلك لا يتم إلا بحكمة فائقة وتخطيط دقيق ، لا تكاد جماهير الأمة أن تدرك خطورة المؤامرات التي تحاك خيوطها ضدها ، والحبائل التي تمدّ لتصيّدها في الماء العكر ، فلم تترك اليهودية العالمية منفذًا من منافذ صيد المسلمين سواء من طريق التعليم والاعلام أو بترويج التعامل الربوي في المعاملات التجارية والاقتصادية كلها ، وذلك بحيث لا يمكن التخلص منه بسهولة ، ورغم أننا نعرف هذه الأساليب الماكرة التي يعاملنا بها عدونا ويقطع بها الطريق على عقيدتنا و إيمـــاننا ، نظل صامتين صابرين ، ونتجرع مرارة الذلة والهوان ، ونستسيغها على غصص ، ثمّ لا ننبس ببنت شفة .

... [illegible] ... أو عددًا من [illegible]

سعيد الأعظمي

[illegible]

المستقبل الذي تطلعوا إليه بواسطة الإيمان بالله ورسوله .

و هذه الاستقامة الإيمانية التي لازمتهم طوال هذه الرحلة الجديدة التي بدأوها ، هي التي تحول دون كل العوامل المادية التي تحاول زعزعة إيمانهم، وإضعاف شأنهم ، وهم ينظرون بها إلى ما يستقبلهم من البشائر والوعود التي تتحقق في الآخرة ، وبذلك يكونون أسوة لغيرهم بل ولكثير من المسلمين الذين يرثون الإسلام أبا عن جد ، ويتجردون عن القدوة والنموذج العملي في حياتهم ، ولو أنهم اعتمدوا الحياة التي يعيشها المسلمون ، واتخذوها مثالاً للدين لكرهوا أن يتبعوهم أو يقلدوهم في شئ ، وقد يكون ذلك باعثًا لهم على إعادة النظر في الدين الذي اعتنقوه ، إلا أن الله سبحانه وتعالى يلطف بهم فيجعل الإيمان يخالط بشاشة قلوبهم ، ويسرح بلحومهم ودمائهم ، ويظللهم بظلال من الأمن والسعادة والهدوء والراحة ، ويكمن وراء ذلك سرّ هدايتهم واقتناعهم بالدين الذي ينسجم مع الطبيعة ويوفر الغذاء الطيب للقلب الذي إذا صلح ، صلح الجسد كله ، وإذا فسد ، فسد الجسد كله .

ولقد أخبرنا بذلك الرسول الصادق الأمين محمد -ﷺ- فقال : « ألا إن في الجسد مضغة إذا صلحت ، صلح الجسد كله ، وإذا فسدت ، فسد الجسد كلـــــــه ، ألا وهي القلب » وقال الله تعالى : ﴿ ألا بذكر الله وتطمئن القلوب ﴾ .

والله يقول الحق وهو يهدي السبيل ٧

سعيد الأعظمي

لماذا بعث النبي في جزيرة العرب ؟

سماحة العلامة الشيخ السيد أبي الحسن علي الحسني الندوي

قد اقتضت حكمة الله أن تطلع هذه الشمس التي تبدد الظلام ، وتملأ الدنيا نورًا وهداية ، من أفق جزيرة العرب الذي كان أشد ظلامًا ، وكان أشد حاجة إلى هذا النور الساطع .

وقد اختار الله العرب ، ليتلقوا هذه الدعوة أولاً ، ثم يبلغوها إلى أبعد أنحاء العالم ، لأن ألواح قلوبهم كانت صافية ، لم تكتب عليها كتابات دقيقة عميقة يصعب محوها وإزالتها ، شأن الروم ، والفرس ، وأهل الهند ، الذين كانوا يتيهون ويزهون بعلومهم وآدابهم الراقية ، ومدنياتهم الزاهية ، وبفلسفاتهم الواسعة ، فكانت عندهم عقد نفسية وفكرية ، لم يكن من السهل حلها ، أما العرب فلم تكن على ألواح قلوبهم إلا كتابات بسيطة خطتها يد الجهل والبداوة ، ومن السهل اليسور محوها وغسلها ، ورسم نقوش جديدة مكانها ، وبالتعبير العلمي المتأخر كانوا أصحاب « الجهل البسيط » الذي تسهل مداواته ، بينما كانت الأمم المتمدنة الراقية في هذا العصر مصابة بـ « الجهل المركب » الذي تصعب مداواته وإزالته .

وكانوا على الفطرة ، وأصحاب إرادة قوية ، إذا التوى عليهم فهم الحق حاربوه ، وإذا انكشف الغطاء عن عيونهم ، أحبوه واحتضنوه ، واستماتوا في سبيله .

يعبر عن هذه النفسية العربية خير تعبير ، ما قاله سهيل بن عمرو ، حين سمع ما جاء في كتاب الصلح في الحديبية « هذا ما قاضى عليه محمد رسول الله -ﷺ- : والله لو كنا نعلم أنك رسول الله ، ما صددناك عن البيت ولا قاتلناك (١) » . وما قاله عكرمة بن أبي جهل حين حمي الوطيس في معركة اليرموك ، واشتد عليه الضغط : « قاتلت رسول الله -ﷺ في كل موطن وأفر منكم اليوم ؟ ! » ثم نادى من يبايع على الموت ، فبايعه من بايعه ، ثم لم يزل يقاتل حتى أثبت جراحًا وقتل شهيدًا (٢) » .

وكانوا واقعيين جادين ، أصحاب صراحة وصرامة ، لا يخدعون غيرهم ولا أنفسهم ، اعتادوا القول السديد ، والعزم الأكيد ، يدل على ذلك دلالة واضحة ما روي عن قصة بيعة العقبة الثانية ، التي تلتها الهجرة إلى المدينة . قال ابن إسحاق :

« لما اجتمعت الأوس والخزرج في العقبة ليبايعوا رسول الله -ﷺ- قال العباس بن عبادة الخزرجي : « يا معشر الخزرج ! هل تدرون علام تبايعون هذا الرجل ؟ قالوا : نعم . قال : إنكم تبايعونه على حرب الأحمر والأسود من الناس ، فإن كنتم ترون أنكم إذا نهكت أموالكم مصيبة ، وأشرافكم قتلا ، أسلمتموه ، فمن الآن ، فهو والله إن فعلتم خزي الدنيا والآخرة . وإن كنتم ترون أنكم وافون له بما دعوتموه

---

(١) صحيح مسلم ، كتاب الجهاد والسير ، باب صلح الحديبية

(٢) راجع تاريخ الطبري ، ج/٤ ، ص/٣٦

إليه على نهكة (١) الأموال وقتل الأشراف فخذوه ، فهو والله خير الدنيا والآخرة . قالوا : فإنا نأخذه على مصيبة الأموال ، وقتل الأشراف . فما لنا بذلك يا رسول الله إن نحن وفينا ؟ قال : الجنة . قالوا : ابسط يدك . فبسط يده فبايعوه (٢) » .

وقد صدقوا ما عاهدوا الله عليه وبايعوا رسوله . وقد قال سعد بن معاذ على لسانهم يوم بدر :

« فو الله لئن سرت حتى تبلغ البرك من غمدان لنسيرن معك . والله لئن استعرضت بنا هذا البحر خضناه معك (٣) » .

وقد تجلى هذا الصدق في العزم ، والجد في العمل ، وروح الامتثال للحق ، في الجملة التي تؤثر عن عقبة بن نافع القائد العربي المسلم ، فقد خاض البحر الأطلسي بجيشه وخيله . ثم قال : « يا رب لو لا هذا البحر لمضيت في البلاد مجاهدًا في سبيلك » (٤) .

أما اليونان والرومان ، وأهل إيران ، فقد اعتادوا مجاراة الأوضاع ومسايرة الزمان ، لا يهيجهم ظلم ، ولا يستهويهم حق ، ولا تملكهم فكرة ودعوة ، ولا تستحوذ عليهم استحواذًا يتناسون فيه أنفسهم ، ويجازفون فيه بحياتهم ولذاتهم .

---

(١) نقصها

(٢) سيرة ابن هشام ، القسم الأول ص/٤٤٦ (طبع مصطفى البابي الحلبي الطبعة الثانية) .

(٣) زاد المعاد ، ج/١ ، ص/٢٤٢-٢٤٣ ، سيرة ابن هشام : ق/١ ، ص/٦١٥ والقصة في الصحيحين . (٤) الكامل لابن الأثير : ج/٤ ، ص/٤٦ .

وكان العرب بمعزل عن أدواء المدنية والترف ، التي يصعب علاجها ، والتي تحول دون التحمس للعقيدة والتفاني في سبيلها .

وكانوا أصحاب صدق وأمانة وشجاعة ، ليس النفاق والمؤامرة من طبيعتهم ، وكانوا مغاوير حرب ، وأحلاس خيل ، وأصحاب جلادة وتقشف في الحياة ، وكانت الفروسية هي الخلق البارز الذي لابد أن تتصف به أمة تصطلع بعمل جليل ، لأن العصر كان عصر الحروب والمغامرات ، والفتوة والبطولة .

وكانت قواهم العملية والفكرية ، ومواهبهم الفطرية ، مذخورة فيهم ، لم تستهلك في فلسفات خيالية ، وجدال عقيم « بيزنطي » ومذاهب كلامية دقيقة ، وحروب إقليمية سياسية ، فكانت أمة بكرًا ، دافقة بالحياة والنشاط ، والعزم والحماس .

وكانوا أمة نشأت على الهيام بالحرية والمساواة ، وحب الطبيعة ، والسذاجة ، لم تخضع لحكومة أجنبية ، ولم تألف الرق والعبودية ، واستعباد الإنسان للإنسان ، ولم تتمرس العطرسة الملوكية الإيرانية أو الرومانية ، واحتقارها للإنسان والإنسانية ، فكان الملوك في إيران - المملكة المجاورة للجزيرة - فوق مستوى الإنسان والإنسانية ، فكان الملك إذا احتجم ، أو فصد له ، أو تناول دواء ، كان ينادى في الناس ألا يمارس إنسان من رجال البلاط ، أو سكان العاصمة عملاً ، ويكفوا عن كل صناعة أو ممارسة لنشاط (١) ، وإذا عطس فلا يسوغ لأحد من

---

(١) « إيران في عهد الساسانيين » : ص/٥٢٥-٥٢٦ .

رعاياه أن يدعو له ، وإذا دعا أن يؤمن عليه ، لأنه فوق مستوى البشر ، وإذا زار أحدًا من وزرائه أو أمرائه في بيته كان يومًا مشهودًا خالدًا يؤرخ به في رسائله ويصبح تقويمًا جديدًا ، ويعفى عن الضريبة إلى مدة معينة ، ويتمتع باستثناءات أو مسامحات وتكريمات ، لأن الملك شرفه بالزيارة (١) .

هذا فضلاً عن الآداب الكثيرة التي يتقيد بها رجال البلاط ، وأركان الدولة ، وأفراد الشعب ، ويحافظون عليها محافظة دقيقة ، من الوقوف بحضرته ، والتكفير له (٢) ، وقيام كقيام العباد أمام الرب في الصلوات ، وهو تصوير حال كانت عليه إيران الساسانية في عهد أفضل ملوكها بالإطلاق ، وهو كسرى الأول المعروف بأنوشيروان العادل (٥٢١-٥٧٩م) فكيف في عهد الملوك الذين اشتهروا في التاريخ بالظلم والعسف والجبروت ؟

وقد كانت حرية إبداء الرأي والملاحظة - فضلاً عن النقد - مفقودة تقريبًا في المملكة الإيرانية الواسعة ، وقد حكى الطبري حكاية طريفة

---

(١) نفس المصدر ص/٥٤٢

(٢) كفر له خضع بأن يضع يده على صدره ويطاطئ رأسه ويتطامن تعظيمًا ، وكانت عادة متبعة في إيران ، ومن هنا شاع هذا التعبير ، ودخل في لغة العرب ، جاء في « لسان العرب » والكفر تعظيم الفارسي لملكه والتكفير لأهل الكتاب أن يطاطئ أحدهم رأسه لصاحبه كالتسليم عندنا ، وقال في شرح شطر بيت لجرير فضعوا السلاح وكفروا التكفيرا ، كما يكفر العلج للدهقان يضع يده على صدره ويتطأمن له (لسان ج/٧ ، ص/٤٦٦ ، مادة كفر) .

عن عهد أفضل ملوكها وأعدلهم « كسرى أنوشيروان العادل » تدل كل الدلالة على مدى ما وصل إليه الحكم الإيراني من الاستبداد والحظر على إبداء الرأي الحر والتعليق الجرئ في البلاط الإيراني ، فيقول :

« أمر الملك قباذ بن فيروز في آخر ملكه بمسح الأرض سهلها وجبلها ، ليضع الخراج عليها ، فمسحت ، غير أن قباذ هلك قبل أن يستحكم له أمر تلك المساحة ، حتى إذا ملك ابنه كسرى أمر باستتمامها واحصاء النخل والزيتون والجماجم ، ثم أمر كتابه فاستخرجوا جمل ذلك ، وأذن للناس إذنًا عامًا ، وأمر كاتب خراجه أن يقرأ عليه الجمل التي استخرجت من أصناف غلات الأرض وعدد النخيل والزيتون والجماجم ، فقرأ ذلك عليهم ، ثم قال لهم كسرى : إنا قد رأينا أن نضع على ما أحصى من جريان هذه المساحة من النخل والزيتون والجماجم وضائع ، ونأمر بانجامها في السنة في ثلاثة أنجم ، ونجمع في بيوت أموالنا من الأموال ما لو أتانا من ثغر من ثغورنا أو طرف من أطرافنا فتق أو شيء نكرهه واحتجنا إلى تداركه أو حسمه ، ببذلنا فيه مالاً كانت الأموال عندنا معدة موجودة ، ولم نرد استئناف اجتبائها على تلك الحال ، فما ترون فيما رأينا من ذلك ، وأجمعنا عليه ؟ فلم يشر عليه أحد منهم فيه بمشورة ولم ينبس بكلمة ، فكرر كسرى هذا القول عليهم ثلاث مرات ، فقام رجل من عرضهم ، وقال لكسرى : أتضع أيها الملك - عمرك الله - الخالد من هذا الخراج على الفاني من كرم يموت ، وزرع يهيج ، ونهر يغور ، وعين أو قناة ينقطع ماؤها ؟ فقال له كسرى : يا ذا الكلفة المشئوم ! من أي طبقات الناس أنت ؟ ، قال : أنا

رجل من الكتاب ، فقال كسرى : اضربوه بالدوي حتى يموت ، فضربه بها الكتاب خاصة تبرّؤا منهم إلى كسرى من رأيه وما جاء منه ، حتى قتلوه ، وقال الناس : نحن راضون » (١) .

ولم يكن الرومان يختلفون عن الإيرانيين كثيرًا ، وإن لم يبلغوا شأوهم في الوقاحة وامتهان الإنسانية واهدار كرامتها ، فقد روى المؤرخ الأوربي (Victor Chopart) في كتابه : « العالم الروماني » ما ترجمته :

« كانت القياصرة آلهة ، ولم يكن ذلك عن طريق الوراثة ، بل كان كل من تملك زمام البلاد كان إلهًا ، وإن لم تكن هناك أمارة تدل على وصوله إلى هذه الدرجة ، ولم يكن لقب : « أعسطس » الملوكي المفخم ينتقل من إمبراطور إلى إمبراطور بموجب دستور أو قانون ، ولكن لم يكن من شغل مجلس الشيوخ الرومانى إلا أن يؤكد صحة كل حكم يصدر بحد السيف ، ولم تكن هذه الإمبراطورية إلا صورة لدكتاتورية عسكرية » (٢) .

ولم يكن السجود للملوك نادرًا ، فقد حكى أبو سفيان بن حرب في القصة التي رواها عن هرقل قيصر الروم حين بلغه كتاب رسول الله -ﷺ- يدعوه فيه إلى الإسلام ، وقد جاء في آخر هذه القصة :

« فلما رأى هرقل نفرتهم ، وأيس من الإيمان ، قال : ردوهم علي ، وقال : إني قلت مقالتي آنفًا أختبر بها شدتكم على دينكم ، فقد رأيت ،

---

(١) تاريخ الطبري : ج/٢ ، ص/١٢١-١٢٢ ، وروى القصة بطولها مؤلف كتاب « إيران في عهد الساسانيين » نقلاً عن الطبري .

(٢) The Roman World. (London 1928) p 418

فسجدوا له ورضوا عنه . فكان ذلك آخر شأن هرقل (١) » .

أما الهند فقد بلغ فيها اهدار كرامة الإنسان ، وازدراء الطبقات التي اعتبرها الشعب الآري المحتل للبلاد ، والقانون المدني الذي وضعه مشرعوه ، مخلوقًا خسيسًا لا يتميز عن الحيوان الداجن إلا بأنه يمشي على اثنين ، ويحمل صورة الآدمي ، وإن كانوا سكان البلاد الأصليين ، مبلغًا يصعب تصوره ، فقد نص هذا القانون على أنه : «إذا مد أحد من المنبوذين إلى برهمي يدًا أو عصًا ، ليبطش به ، قطعت يده ، وإذا رفسه في غضب قدعت رجله (٢) وإذا ادعى أنه يعلمه سقي زيتًا فائرًا (٣) ، وكفارة قتل الكلب ، والقطة ، والضفدع ، والوزغ ، والغراب ، والبومة ، ورجل من الطبقة المنبوذة سواء » (٤) .

إذا قورن ذلك بما اعتاده العرب من الحرية ، وعزة النفس ، والاقتصاد في التعظيم والأدب قبل ظهور الإسلام ، ظهر فرق هائل بين طبيعة الأمتين ، ووضع المجتمعين : العجمي والعربي ، فكانوا يخاطبون ملوكهم بقولهم : « أبيت اللعن » و « عم صباحًا » وقد بلغت هذه الحرية والتماسك والاحتفاظ بالكرامة بالعرب إلى حد كانوا يمتنعون في بعض الأحيان عن الخضوع لمطالب بعض ملوك العرب وأمرائهم ، ومما يستطرف في ذلك أن أحد ملوك العرب طلب من رجل من بني تميم في

---

(١) رواه البخاري في الجامع الصحيح باب « كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله - ﷺ - »

(٢-٣) « منو شاستر » الباب العاشر

(٤) R C Dutt, Ancient India p 324-343

الجاهلية فرسًا له ، يقال لها «سكاب» فمنعه إياها، وقال أبياتًا أولها :

أبيت اللعن أن سكاب علــق　　　　نفيس لا تعار ولا تبــــاع

وآخرها :

فلا تطمع أبيت اللعن فيهــا　　　　و منعكها بشئ يستطاع (١)

وقد سرت هذه الحرية ، والاعتداء بالنفس ، والأنفة من التذلل ، إلى جميع طبقات الشعب ، وعمت الذكور والأناث ، يدل على ذلك ما ذكره المؤرخون العرب عن سبب قتل عمرو بن كلثوم الفارس المشهور والشاعر الفحل ، لعمرو بن هند ملك الحيرة ، فقد ذكروا أن عمرو بن هند ملك الحيرة أرسل إلى عمرو بن كلثوم يستزيره ويسأله أن يزير أمه ، فأقبل عمرو من الجزيرة إلى الحيرة في جماعة من بني تغلب ، وأقبلت ليلى بنت مهلهل في ظعن من بني تغلب ، وأمر عمرو بن هند برواقه ، فضرب فيما بين الحيرة والفرات ، ودخل عليه عمرو بن كلثوم في رواقه ، ودخلت ليلى وهند في قبة من جانب الرواق ، وقد كان عمرو بن هند أمر أمه أن تنحي الخدم إذا دعا بالطرف ، وتستخدم ليلى ، فدعا عمرو بمائدة ، ثم دعا بالطرف ، فقالت هند : « ناوليني يا ليلى ذلك الطبق ! » فقالت ليلى : « لتقم صاحبة الحاجة إلى حاجتها » فأعادت عليها وألحت ، فصاحت ليلى : « وادلاه يا لتغلب » فسمعها عمرو بن كلثوم ، فثار الدم في وجهه ، و وثب إلى سيف لعمرو بن هند معلق بالرواق ، فضرب به رأس عمرو بن هند ، وانتهب بنو

---

(١) ديوان الحماسة ، باب الحماسة : ص/٦٧-٦٨

تغلب ما في الرواق وساروا نحو الجزيرة ، وقال في ذلك عمرو بن كلثوم قصيدته المشهورة التي عدت من المعلقات السبع (١) .

ولما دخل المغيرة بن شعبة رسول المسلمين على رستم ، وهو في أبهته وسلطانه ، جلس معه - على عادة العرب - على سريره و وسادته ، فوثبوا عليه ، وأنزلوه ومغثوه ، فقال : كانت تبلغنا عنكم الأحلام ، ولا أرى قومًا أسفه منكم ، إنا معشر العرب سواء لا يستعبد بعضنا بعضًا ، إلا أن يكون محاربًا لصاحبه ، فظننت أنكم تواسون قومكم كما نتواسى ، وكان أحسن من الذي صنعتم أن تخبروني أن بعضكم أرباب بعض ، وأن هذا الأمر لا يستقيم فيكم فلا نصنعه ، ولم آتكم ، ولكن دعوتموني (٢) » .

وفي جزيرة العرب ، وفي مكة كانت الكعبة ، التي بناها ابراهيم واسماعيل - عليهما السلام - ليُعبد الله فيها وحده ، ولتكون مصدر الدعوة للتوحيد إلى آخر الأبد .

﴿ إن أول بيتٍ وضع للناس للـذي ببكة (٣) مباركًا و هدًى للعالمين ﴾ [سورة آل عمران ، الاية : ٩٦]

وقد بقيت كلمة « وادي بكة » في التوارة على ما دخل فيها من التحريف والتغيير ، إلا أن المترجمين حولوها إلى « وادي البكاء »

---

(١) مقتبس من كتاب « الشعر والشعراء » لابن قتيبة ، ص/٢٦ .

(٢) الطبري ج/٤ ، ص/١٠٨

(٣) بكة « علم للبلد الحرام ، ومكة وبكة لغتان فيه وكثيرًا ما يقع التبادل بين الميم والباء في اللغة العربية ، كلازم ولازب ، وثميط ونبيط .

وجعلوها اسم نكرة بدل علم ، وقد جاء في مزامير داؤد ما نصه :

« طوبى لأناس عزهم بك ، طرق بيتك في قلوبهم ، عابرين في وادي البكاء يصيرونه ينبوعًا » [مزامير (١) ٨٤-٥-٦-٧] .

وقد انتبه علماء اليهود بعد قرون إلى أن هذه الترجمة كانت خاطئة ، فقد جاء في دائرة المعارف اليهودية اعتراف بأنه واد مخصوص لا ماء فيه ، وأن في ذهن من صدرت عنه هذه العبارة صورة لواد له أوضاع طبيعية عبر عنها بهذه الكلمة (٢)

وقد كان ناقلو هذه الصحف إلى الإنجليزية أكثر أمانة ودقة في الترجمة من الذين قاموا بالترجمة العربية ، فقد تركوا كلمة « بكة » كما كانت في الأصل ، وكتبوها بالحرف الاستهلالي ، كما تكتب الأعلام ، ففي الترجمة الإنجليزية كما يلي (٣)

Blessed is the man whose strength is in the Thee In whose heart are the ways of them who passing thorough the Valley of Baca make it well (Psalms 89-5-6)

وكانت بعثته -ﷺ- استجابة لدعاء ابراهيم واسماعيل عند رفعهما لقواعد الكعبة ، وكان دعاؤهما كما نقله القرآن الكريم :

﴿ ربنا وابعث فيهم رسولاً منهم يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب

----

(١) الكتاب المقدس في مطبعتها في ساحة استور من مدينة نيويورك ، لندن ١٨٠٤م

(٢) Jewish Encyclopedia Y 11 p 415

(٢) مستفاد من « التفسير الماجدي » للأستاذ الكبير عبد الماجد الدريابادي ، وكتاب « رحمة للعالمين » . ج/١ . للقاضي سليمان المنصورفوري

والحكمة و يزكيهم • إنك أنت العــزيز الحكيم ﴾ . [سورة البقرة ، الآية : ١٢٩] .

وقد جرت سنة الله باستجابة أدعية المخلصين المبتهلين - فضلاً عن الأنبياء والمرسلين - والصحف السماوية والأحبار الصادقة مشحونة بأمثلتها ، وقد جاء في التوراة نص يدل على استجابة هذا الدعاء الذي دعا به ابراهيم ، فقد جاء في سفر التكوين ما لفظه :

« وعلى اسماعيل استجبت لك هو ذا أباركه وأكبره وأكثره جدًا ، فسيلد اثني عشر رئيسًا وأجعله لشعب كبير » .

ولذلك صح عن رسول الله -ﷺ- أنه كان يقول عن نفسه : « أنا دعوة ابراهيم وبشرى عيسى » (١)

وفي التوراة - على ما أصابها من التحريف - شواهد على أن هذا الدعاء قد استجيب ، فقد جاء في كتاب التثنية (١٨-١٥) على لسان نبي الله موسى ، ما نصه :

« يقيم لك الرب إلٰهك نبيًا من وسطك من اخوتك مثلـي ، لـــه تسمعون »

وقد دلت كلمة « اخوتك » على أن المراد بها هم بنو اسماعيل ، الذين هم أبناء عمومة بني اسرائيل ، وقد جاء ما يؤيد هذا ، بعد آيتين (١٨-١٩) من نفس الصحيفة ، وهو كما يلي :

« قال لي الرب قد أحسنوا فيما تكلموا . أقيم لهم نبيًا من وسط

---

(١) رواه الإمام أحمد - رحمه الله تعالى - في مسنده .

اخوتهم مثلك ، وأجعل كلامي في فمه ، فيكلمهم بكل ما أوصيه به » ، (سفر التثنية : ١٧-١٨) .

وكلمة « اجعل كلامي في فمه » يعني محمدًا -ﷺ- فهو النبي الوحيد الذي جاء بكلام الله نصًا وفصًا ، وأعلن الله عن ذلك بقوله : ﴿ وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى ﴾ [سورة النجم ، الآيات : ٣-٤] ، وبقوله : ﴿ لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه • تنزيل من حكيم حميد ﴾ [سورة فصلت ، الآية : ٤٢] .

أما صحف أنبياء بني اسرائيل ، فهي لا تدعي أنها من كلام الله لفظًا ومعنًى ، ولا يتحرج علماء هذه الطوائف من إضافة تأليفها إلى الأنبياء ، فقد جاء في دائرة المعارف اليهودية ما يلي :

« إن الكتب الخمسة الأولى من الكتاب المقدس (العهد القديم) كما تقول الأحبار اليهودية القديمة ، من تأليف النبي موسى ، باستثناء ثماني آيات أخيرة جاء فيها الحديث عن موت موسى ، وما زال الربيون يعنون بتناقضات واختلافات وردت في هذه الصحف ، وما زالوا يصلحونها بحكمتهم ولباقتهم » (١)

وأما الأناجيل الأربعة التي تسمى « العهد الجديد » فهي أبعد من أن تكون كلامًا إلٰهيًا لفظًا ومعنًى ، يقتنع بذلك كل من أجال النظر فيها وتصفحها . وفي الحقيقة هي بكتب السيرة والأخبار أشبه منها بالكتب المنزلة من الله ، المبنية على الوحي والإلهام (٢) .

---

(١) Jewish Encyclopedia Vol 9 p 589

(٢) راجع للتفصيل كتاب المؤلف « النبوة والأنبياء في ضوء القرآن » >>>

ثم إن موقع الجزيرة العربية الجغرافي ، يجعلها جديرة بأن تكون مركزًا لدعوة تعم العالم ، وتخاطب الأمم (١) ، فهي مع كونها جزءًا من قارة آسيا تقع بمقربة من قارة إفريقيا ، ثم قارة أوربا ، وكل منها مركز الحضارات ، والثقافات ، والديانات ، والحكومات ، القوية الواسعة ، وتمر بها القوافل التجارية ، التي تصل بين بلاد مختلفة ، وقد تصل بين قارات تحمل من بلد ما يستطرف وينتج فيه إلى بلد يفتقر إليه .

وتقع هذه الجزيرة بين قوتين متنافستين : قوة المسيحية وقوة المجوسية ، وقوة الغرب وقوة الشرق ، وقد ظلت رغم ذلك كله محتفظة بحريتها وشخصيتها ، ولم تخضع لإحدى الدولتين إلا في بعض أطرافها ، وفي قليل من قبائلها ، وكانت في خير موقف لتكون مركزًا لدعوة إنسانية عالمية ، تقوم على الصعيد العالمي وتتحدث من مستوى عال ، بعيدة عن كل نفوذ سياسي ، وتأثير أجنبي .

لذلك كله اختار الله الجزيرة العربية ، ومكة المكرمة ، لتكون مبعث الرسول ومهبط الوحي ، ونقطة انطلاق للإسلام في العالم .

﴿ والله أعلم حيث يجعل رسالته ﴾ .

>>> فصل الصحف السماوية السابقة والقرآن في ميزان العلم والتاريخ : ص/١٩٨-٢١٢ الطبعة الرابعة

(١) أعلن الدكتور حسين كمال الدين رئيس قسم الهندسة المدنية بكلية الهندسة بجامعة الرياض ، في حديث صحفي نشر في القاهرة ، أنه توصل إلى ما يشبه النظرية الجغرافية التي تؤكد أن مكة المكرمة هي مركز اليابسة في الكرة الأرضية ، أي مركز الأرض ، وقد بدأ بحثه برسم خريطة تحسب أبعاد كل الأماكن على الأرض عن مدينة مكة المكرمة - وذلك لتصميم جهاز عملي رخيص يساعد على تحديد القبلة - وفجأة اكتشف على الخريطة أن مكة المكرمة تقع في وسط العالم

ومن خلال بحثه هذا توصل إلى معرفة الحكمة الإلهية في اختيار مكة المكرمة لتكون مقرًا لبيت الله الحرام ، ومنطلقًا للرسالة السماوية «الأهرام» ١٥/١/١٣٩٧هـ الموافق ٥/١/١٩٧٧م العدد ٢٢٨٩٨ السنة ١٠٢ .

بيان حكم الشرع

في الجارودي على ضوء المقابلة معه في مجلة المجلة

بقلم . سماحة العلامة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز
مفتي عام المملكة العربية السعودية
ورئيس هيئة كبار العلماء وإدارة البحوث العلمية والإفتاء - الرياض

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على رسوله نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين. أما بعد !

فقد كثر في الآونة الأخيرة في الصحف والمجلات الكلام عن الرجل المسمى بـ (روجيه جارودي) الشيوعي الفرنسي الذي ادعى أنه دخل الإسلام عن اقتناع ومحبة . ففرح بذلك بعض المسلمين وأظهروا حفاوة به وأكرموه ومنحوه الثقة وجعلوه عضوا في المجلس الأعلى العالمي للمساجد في رابطة العالم الإسلامي وصار يحضر الندوات واللقاءات التي تعقد في العالم الإسلامي عن الإسلام متحدثا ومناظرًا . ثم لم يلبث أن تكشفت حقيقته وافتضح أمره وبان ما كان يخفيه في صدره من حقد على الإسلام والمسلمين وأنه لم يزل على كفره وإلحاده فانضم إلى أشكاله من المنافقين الذين قال الله فيهم : ﴿ وإذا لقوكم قالوا آمنا وإذا خلوا عضوًا عليكم الأنامل من الغيظ ﴾ وآخر ما نشر عنه الحوار الذي أجري معه مجلة المجلة في عددها ٨٢٩ حيث جاء فيه أنه لم يتخل عن اعتقاداته الخاصة وأنه لم يعتنق الإسلام الذي عليه المسلمون وإنما اعتنق إسلامًا آخر تخيله بذهنه . زعم أنه خليط من الأديان : اليهودية والنصرانية ومن الإسلام الذي تخيله هو . لا الإسلام الذي بعث الله به نبيه محمدًا -ﷺ- . وقال : إن هذا

الإسلام المزعوم هو دين إبراهيم - عليه السلام - ، فإبراهيم بزعمه هو أول المسلمين ، فالإسلام بدأ من عهد ابراهيم قال : ولم يكن إبراهيم يهوديًا ولا مسيحيًا ولا مسلماً بالإسلام التاريخي للكلمة أي الذي عليه المسلمون اليوم ، وكذب في ذلك فإن الإسلام الذي هو توحيد الله بالعبادة وترك عبادة ما سواه هو موجود من قبل ابراهيم من عهد آدم ونوح والنبيين من بعده وهو دين جميع الرسل ، وهو الذي بعث الله به نبيه محمدًا -ﷺ- كما قال تعالى : ﴿ ثم أوحينا إليك أن اتبع ملة ابراهيم حنيفًا وما كان من المشركين ﴾ وهو دين المسلمين اليوم من أتباع محمد -ﷺ- . قال تعالى : ﴿ إن الدين عند الله الإسلام ﴾ . وقال تعالى : ﴿ قل هذه سبيلي ادعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني • وسبحان الله وما أنا من المشركين ﴾ . وقال تعالى : ﴿ قل صدق الله فاتبعوا ملة ابراهيم حنيفًا وما كان من المشركين ﴾ . ولم يكن دين ابراهيم - عليه الصلاة والسلام - خليطًا من الحق والباطل كما زعم هذا الضال بل كان دينه التوحيد الخالص لله -عزوجل- والبراءة من الشرك وأهله ، قال تعالى : ﴿ قد كانت لكم أسوة حسنة في ابراهيم والذين معه إذ قالوا لقومهم إنا برءاء منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبدًا حتى تؤمنوا بالله وحده ﴾ وهو الدين الذي بعث الله به محمدًا -ﷺ- ، ويرى هذا الضال أن البراءة من الكفر والشرك وما عليه اليهود والنصارى من الوثنيات والتحريفات الباطلة دين تفرقة لأن الإسلام في مخيلته معناه التوحيد والتقارب بين المسلمين وغير المسلمين ، يريد إسلامًا يجمع بين المتناقضات والمتضادات ويكفر المسلمين الذين

يخالفونه في ذلك .

ويرى أيضًا أن سنة الرسول -ﷺ- وأن الفقه الإسلامي المستنبط من الكتاب والسنة انتهت صلاحيتهما في هذا الزمان لأنهما كانا لزمان معين وأنه يجب إحداث فقه جديد ، وهذا معناه ترك دين الرسول -ﷺ- لأنه لا يصلح لهذا الزمان وإحداث دين جديد ، وهذا كفر بعموم رسالة الرسول لكل زمان ومكان ولكل جيل ولكل البشرية إلى أن تقوم الساعة وكفر بختم الرسالة بمحمد -ﷺ- خاتم النبيين وكفر بصلاحية رسالته لكل زمان ومكان ، وهذا كفر صريح وقول قبيح مناقض لقول الله سبحانه : ﴿ قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعًا ﴾ وقوله سبحانه : ﴿ وما أرسلناك إلا كافّة للناس بشيرًا ونذيرًا ﴾ وقوله -عزوجل- : ﴿ وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين ﴾ وقوله سبحانه : ﴿ تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرًا ﴾ .

وقول النبي -ﷺ- : « كان النبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس عامة » [متفق على صحته] ، وقوله -ﷺ- : « والذي نفسي بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أهل النار » [أخرجه الإمام مسلم في صحيحه] والآيات والأحاديث في هذا المعنى كثيرة .

وقد أجمع العلماء -رحمهم الله - من الصحابة - رضي الله عنهم - ومن بعدهم إجماعًا قطعيًا على أن محمد بن عبد الله بن عبد المطلب -ﷺ- هو رسول الله إلى جميع الثقلين الإنس والجن وهو خاتم النبيين لا نبي بعده ، ثم يتناول هذا الملحد الركن الثاني من أركان الإسلام الخمسة وهو

الصلوات الخمس الثابت بالكتاب والسنة والمعلوم من الدين بالضرورة ، فيرى أن الصلوات ثلاث صلوات في اليوم والليلة لا خمس صلوات ، ويزعم أن هذا هو ما يدل عليه القرآن ، وهذا القول الباطل بل الكفر الصريح ناتج عن كفره بالسنة التي بينت الأوامر التي جاءت في القرآن ومن ذلك الصلوات فقد بينت السنة الصحيحة المتواترة أنها خمس صلوات في اليوم والليلة وأجمع المسلمون على ذلك .

ثم بين هذا الضال الصلاة التي يعنيها وأنها ليست الحركات التي هي عبارة عن القيام والقراءة والركوع والسجود وإنما هي التفكير العميق في الذات الإلهية وذلك يستغرق عنده ساعات الليل والنهار الأربع والعشرين ساعة ، وهذه صلاة الباطنية الملاحدة لا صلاة الأنبياء وأتباعهم وهذا القول كفر صريح وردة عن الإسلام عند جميع أهل العلم ، ثم تناول الركن الرابع من أركان الإسلام وهو الصيام ، وقال : إنه ليس هو الامتناع عن الأكل والشرب وإنما هو معاني الصيام وأهدافه ، ثم إنه أعفى سكان المناطق القطبية من الصيام لأنه لا يمكن تطبيقه في مناطقهم لأنه ليس عندهم طلوع فجر ولا غروب شمس .

وهذا تكذيب لله ولرسوله ولإجماع المسلمين في أن الصيام ترك الأكل والشرب وسائر المفطرات . قال تعالى : ﴿ وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر ثم أتموا الصيام إلى الليل﴾ وقال النبي -ﷺ- : « إن بلالاً يؤذن بليل فكلوا واشربوا حتى يؤذن ابن أم مكتوم » [متفق على صحته] .

فمن أعظم منافيات الصيام الأكل والشرب ، وأما الاقتصار على معاني

الصيام وأهدافه فليس صيامًا شرعيًا وإنما هو صيام الباطنية الذين يقولون الصيام هو كتم الأسرار، وهذا إلحاد في دين الله -عزوجل- ، وكذلك لا يعفي أحد من الصيام في جميع أقطار الأرض لأن أحكام الشريعة عامة للبشرية أينما كانت ، وإنما يصوم المسلم حسب استطاعته ، وكيفية صيام أهل المناطق القطبية قد بحثها علماء المسلمين قديمًا وحديثًا وقرروا فيها رأيهم حسب ما ظهر من أدلة الكتاب والسنة ، ثم إن هذا الملحد يجهّل علماء المسلمين فيقول : قد عملت معهم عندما كنت عضوًا في المجلس الأعلى العالمي للمساجد واكتشفت أنهم أناس جهلة ، بل إنهم من أجهل الناس إطلاقًا يرددون بطريقة آلية الأحاديث النبوية وآراء فقهاء القرون الوسطى التي حفظوها عن ظهر قلب ولا أعتقد أن لديّ استعدادًا للتعاون مع هؤلاء بشأن أي موضوع كان بسبب الانطباعات السيئة التي تركوها في ذهني .

هذا شعوره نحو علماء الإسلام الذين اغتر الكثير منهم به وأحسنوا به الظن وأكرموه وأشركوه معهم في مؤتمراتهم وندواتهم ، وإنها لموعظة للعلماء أن لا يتسرعوا بمنح الثقة لكل من يتظاهر بالإسلام خصوصًا من أمثال جارودي ممن عرفوا بالإلحاد والزندقة والشيوعية قبل إدعاء الإسلام حتى يتثبتوا في شأنه .

ومن كفر جارودي الصريح أنه يدعو إلى تعطيل حد السرقة وتغيير مقادير المواريث فيرى أن قطع يد السارق اليوم غير مناسب ، وهذا اتهام للإسلام بالقصور وعدم صلاحيته لكل زمان ومكان ، بل هو وصف لله سبحانه بالجهل وأنه لا يعلم ما يجدّ في المستقبل وما يناسبه من العقوبة ،

فإن الله سبحانه أمر بقطع يد السارق والسارقة جزاء بما كسبا ثم ختم الآية بقوله سبحانه : ﴿ والله عزيز حكيم ﴾ فهو سبحانه يشرع لكل ذنب من العقوبة ما يناسبه ويمنع وقوعه في كل زمان ومكان ، ثم يقول : لو كنت قاضيًا وجاءني أخ وأخت يتنازعان في قضية ميراث لأعطيت البنت ضعف ما أعطى الذكر ، وهذا مصادم لقول الله تعالى في شأن الإخوة في آخر سورة النساء . ﴿ وإن كانوا إخوة رجالاً ونساءً فللذكر مثل حظ الأنثيين ﴾ ولقوله تعالى في أول السورة : ﴿ يوصيكم الله في أولادكم للذكر مثل حظ الأنثيين ﴾ فهو اعتراض على الله في حكمه وكفى بذلك كفرًا وإلحادًا .

ثم يدعو علماء الإسلام أن يتمردوا على شرع الله كما تمرد المسيحيون على البابا وثاروا في وجه الكنيسة فهو يسوي بين الدين الحق الذي هو دين الإسلام ودين الكفر الذي هو دين البابوات ورجال الكنيسة المغير لشرع الله تعالى .

وأخيرًا فإن روجيه جارودي لا يحكم عليه بأنه مرتد عن دين الإسلام كما توهمه بعضهم وإنما هو كافر أصلي لم يدخل في الإسلام كما اعترف هو بذلك حيث يقول : « انتهيت إلى الإسلام دون التخلي عن اعتقاداتي الخاصة وقناعاتي الفكرية » .

إن دين الإسلام لا يجتمع مع القناعات الإلحادية ولا يجتمع مع اليهودية والنصرانية لأنهما ديانتان محرفتان ومنسوختان بدين الإسلام الذي بعث الله به نبيه محمدًا - ﷺ- وأمره أن يقول : ﴿ يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعًا الذي له ملك السماوات والأرض لا إله إلا هو

يحيي ويميت فآمنوا بالله ورسوله النبي الأمي الذي يؤمن بالله وكلماته واتبعوه لعلكم تهتدون ﴾ ، وقال -ﷺ- : « والذي نفسي بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أهل النار » [أخرجه مسلم في صحيحه كما تقدم] وفي الصحيحين عن جابر بن عبد الله - رضي الله عنهما - عن النبي -ﷺ- أنه قال : « أعطيت خمسًا لم يعطهن أحد قبلي : نصرت بالرعب مسيرة شهر وجعلت لي الأرض مسجدًا وطهورًا ، وأحلت لي المغانم ولم تحل لأحد قبلي وأعطيت الشفاعة ، وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس عامة » وبذلك نعلم أنه لا يسع أحدًا من هذه الأمة جنّها وإنسها إلا اتباع محمد -ﷺ- ولا يقبل الله من أحد بعد بعثته إلا دينه .

ودينه هو الإسلام وهو صالح لكل زمان ومكان إلى أن تقوم الساعة ، قال الله تعالى : ﴿ اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينًا ﴾ وقال تعالى : ﴿ إن الدين عند الله الإسلام ﴾ وقال سبحانه : ﴿ ومن يبتغ غير الإسلام دينًا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين ﴾ وقال تعالى : ﴿ وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قال أأقررتم وأخذتم على ذلكم إصري قالوا أقررنا قال فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين ﴾ .

وتقدم قوله -ﷺ- : « والذي نفسي بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أهل النار » . وذلك أن الله سبحانه أخذ الميثاق على الأنبياء كلهم من

أولهم إلى آخرهم بالإقرار بنبوة محمد -ﷺ- وعموم رسالته وأنه لو بعث واحد منهم حيًّا وجب عليه اتباعه وطاعته ومناصرته وهذا الحكم يتناول أتباعهم أيضًا فإن من زعم أنه يتبع موسى وعيسى يجب عليه أن يؤمن بمحمد -ﷺ- بعد ما بعثه الله ويتبعه لأن رسالته ختمت الرسالات وشريعته نسخت الشرائع ولم يبق دين مقبول عند الله سوى الدين الذي بعثه الله به ، كما قال تعالى : ﴿ ومن يبتغ غير الإسلام دينًا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين ﴾ وهذا الحكم واجب على جميع المكلفين من الجن والإنس إلى يوم القيامة ، كما تقدم ذلك في قوله سبحانه آمرًا نبيه محمدًا -ﷺ- أن يقول للناس : « قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعًا ﴾ [الآية من سورة الأعراف] . وتقدم قوله سبحانه : ﴿ وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيرًا ونذيرًا ﴾ وقوله -عز وجل- : ﴿ وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين ﴾ وقول النبي -ﷺ- : « كان النبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس عامة » [متفق على صحته] وقوله -ﷺ- : « والذي نفسي بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أهل النار » .

والآيات القرآنية والأحاديث النبوية في هذا المعنى كثيرة ، وأسأل الله سبحانه بأسمائه الحسنى وصفاته العلا أن يصلح أحوال المسلمين جميعًا وأن يثبتنا وإياهم على دينه ، وأن يمنحنا جميعًا الفقه فيه والاستقامة عليه وأن يعيذنا وجميع المسلمين من شر أعداء الله ومكائدهم كالجارودي وأشباهه من سائر الملحدين والكافرين ، إنه على كل شئ قدير . وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه ، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

الغزو الفكري في حياة المسلمين

منافذ دخوله . و وسائل مقاومته

[الحلقة الخامسة]

بقلم : سعادة الدكتور عمر يوسف حمزة

كلية الشريعة والدراسات الإسلامية قسم التفسير والحديث - جامعة قطر

المحور الثاني : أساليب الغزو الفكري في التشكيك :

١- الطعن في القرآن الكريم .   ٢- الطعن في السنة .

٣- اعتماد ما جاء في كتب السيرة .

٤- النظريات لبعض الفرق الإسلامية الشاذة .

٥- محاربة الفكر الإسلامي والدعوة إلى فصله عن حدوده وقواعده .

وسوف أتناول كل موضوع من هذه الموضوعات بشئ من التفصيل ، حتى يتضح لنا مدى خطورة الغزو الفكري ، وأثره في تشويه الإسلام ، وزعزعة العقيدة الإسلامية عند ضعفي الإيمان .

أولاً : الطعن في القرآن الكريم :

إذا كان للمسلمين تراث يعتزون به فليس هناك أعز عليهم من القرآن الكريم ، ذلك أن القرآن رسالة السماء إلى الأرض حملها المسلمون ليكونوا خلفاء في أرض الله ، و قـــادة هذا العالم ، و بناة حضارته ، و هداته الراشدين .

ومنذ تلقاه الرسول الأعظم -ﷺ- بدأت أولى خطواته في دنيا الناس ليأخذ مسيرته ، وأخذ المسلمون إذ ذاك يرصدون حركته ، ولقد كان

لمعاصريه حلي الهبرة واضح القسمات والمعالم ، فقد شاهدوا كيف تلقاه النبي -ﷺ- وحيًا منزلاً على مدي ثلاثة وعشرين عامًا ، لا تغيب عنهم شاردة ولا واردة ، حتى يقسم ابن مسعود - رضي الله عنه - على أنه ما من آية نزلت من كتاب الله إلا وهو يعلم فيمن نزلت : وأين نزلت .

قال ابن كثير : « قال عبد الله بن مسعود : والذي لا إله غيره ما نزلت آية من كتاب الله إلا وأنا أعلم فيمن نزلت وأين نزلت ؟ ولو أعلم أحدًا أعلم بكتاب الله مني تناله المطايا لأتيته » (٥٦) وسئل عكرمة عن آية من القرآن ، فقال : نزلت في سفح ذلك الجبل وأشار إلى (سلع) (٥٧) .

وجند الصحابة جهدهم مع النبي -ﷺ- فنقلوه عنه حفظًا في الصدور وتسجيلاً في السطور ، حتى غدت أعمالهم في العناية به والدفاع عنه جزءًا من تاريخ الإسلام والمسلمين .

ومحاولة تشويه القرآن الكريم قديمة ممتدة في التاريخ الإسلامي ، مواكبة لحياة الرسول -ﷺ- حمل لواءها أعداء الإسلام من يهود ، ومن النصارى والوثنيين أجيالاً بعد أجيال إلى يومنا هذا .

إن من أخطر ما يواجه المثقف المسلم اليوم أن يجدوا بين أيديهم موسوعات ومؤلفات تقدم لهم الفكر الإسلامي ، من وجهة نظر « غربية نصرانية » تختلف اختلافًا أساسًا عن مفهوم الإسلام الأصيل ، وقد كتبت هذه الدراسات والموسوعات من خلال هدف واضح هو « تغريب » الفكر الإسلامي وتزييف مفاهيمه وإثارة الشبهات حول حقائقه (٥٨) .

ومن دوائر المعارف التي عبثت بالقرآن الكريم وتعمدت تشويهه كتاب « دائرة المعارف الإسلامية » وبخاصة من كتب منهم في التعريف بكلمة :

« الله » سبحانه وتعالى ، وهو المستشرق الحاقد الخطر « ماكدو نالد » حيث أساء هذا المستشرق وأخطأ وتخبط وأضر بنفسه وبالحقيقة العلمية أكثر مما أضر بالإسلام أو بالقرآن الكريم أو بالرسول محمد -ﷺ- .

وإن المطلع على ما كتبه هذا المستشرق في دائرة المعارف (٥٩) يرى ما تخبط فيه هذا الكاتب من جهل بتاريخ العقائد عند الجاهليين ، ولا يعرف أصول التعبير العربي الصحيح ، وقد أعماه تعصبه عن الحق ، فقد اتهم هذا المستشرق القرآن بأنه من عند محمد -ﷺ- ، وليس من عند الله ، وتلك هي الطعنة التي يوجهونها للقرآن ويلحون في إثباتها ، يقول «ماكدو نالد » في حديثه ذاك : « .. كما أنه من المحقق أن أهل مكة جعلوا بينه وبين الجنة نسبا .. وجعلوهم شركاء الله .. وقدموا لهم القرابين وكانوا يعوذون بهم ، ولسنا نعلم علم النفس : هل كانت قد وجدت لديهم فكرة عن الملائكة ، أو أنهم جعلوهم شركاء لله ، وربما كان هذا تعبيرًا من عند محمد -ﷺ- » (٦٠) .

والذي يعنينا من هذه العبارة ادعاؤه أن القرآن الكريم تعبير من عند محمد -ﷺ- ، والعجيب أنه بينما يدعي هذه الدعوة الباطلة نجده يعتمد في كلامه أحيانًا على آيات قرآنية : وممن قال بمثل رأي هذا المستشرق مستشرق آخر وهو « جب » فقد تحدث هو الآخر عن القرآن الكريم وأنه من تأليف محمد فيقول : « إن محمدًا ككل شخصية مبدعة قد تأثر بضرورات الظروف الخارجية المحيطة به من جهة ، ثم هو من جهة أخرى قد شق طريقًا جديدًا بين الأفكار والعقائد السائدة في زمانه والدائرة في المكان الذي نشأ فيه » .

ثم بواصل « جب » حديثه عن محمد والقرآن فيقول : « إن مكة كانت في حياة زاخرة بالتجارة والسياسة والدين ، وأنه وجدت فيها زعامة وزعماء ، وأنه وجد ظلم اجتماعي بين سكانها ، وأن الرسول محمدًا انطبعت في نفسه كل هذه الجوانب ، وكان على وعي تام بها ، ترى آثارها في حياته وفي قرآنه وفي كفاحه إلى أن مات » (٦١) .

وافتراءات « جب » واضحة البطلان بينة البهتان تفقد المنطق وتجانب الصواب ، وخلاصة ما يرى « جب » أن محمدًا -ﷺ- ، قد تأثر بالبيئة التي عاش فيها وسن طريقه بين الأفكار والعقائد الشائعة في بيئته ، فالقرآن كما يرى « جب » من صنع محمد -ﷺ- ومن ملاءمات هذه البيئة التي عاش فيها .

وقمة الباطل عند « جب » ادعاؤه بأن القرآن الكريم كان أثرًا من آثار إحساس الرسول -ﷺ- بالظلم الاجتماعي الذي ساد أهل مكة ، وأن أثر هذا الإحساس وهو القرآن الكريم بدأ واضحًا في حياة الرسول -ﷺ- وفي كفاحه إلى أن مات » (٦٢) .

وقد ردد نفس التهم المستشرق « هـ. ج. ويلز » ، والهدف من ذلك واضح وهو تشويه القرآن وتشويه الإسلام ، فقد ردد هذا المستشرق أن القرآن الكريم من صنع محمد -ﷺ- وقد ذكر ذلك في مواضع من كتابه الذائع الصيت : « معالم تاريخ الإنسانية » الذي ترجم إلى العربية ، وطوف آفاق العالم الإسلامي ، وحظي بالرضا والقبول من الدارسين (٦٣).

كما أثار المستشرقون -بمنهجهم الاستشراقي الذي يقوم على جمع الآراء والظنون والأوهام - شبهات أخرى حول القرآن ، تحاول أن

تجتث أصوله لتأتي على قواعد هذا الدين ، وهم نصبوا أنفسهم للقضاء عليه .

وبحسبي أن اذكر بعض هذه الشبهات حول تاريخ القرآن الكريم ، على سبيل الإجمال دون الخوض في تفاصيلها لأن ذلك يحتاج إلى بحث منفصل وهي كما يلي :

أ - روايات وشبهات حول تدوين القرآن الكريم :

ثبت في صحيح السنة أن النبي -ﷺ- ، جمع القرآن حفظًا ، ثم ظاهر الحفظ وأكده بكتابة النص القرآني ، فاتخذ كتابًا للوحي بلغت عدتهم على ما جاءت به الروايات ، ثلاثة وأربعين ، وكان من بينهم الخلفاء الأربعة ، والزبير بن العوام ، وغيرهم ، وكان زيد ألزم كتاب الوحي للنبي الكريم -ﷺ- (٦٤) وقد وردت روايات أخرى صحيحة تؤكد صحة ما دون من القرآن الكريم (٦٥) كما وردت روايات أخرى تتعلق بتدوين القرآن الكريم - وهي روايات مرسلة - كتلك التي أوردها السيوطي في الاتقان عن زيد بن ثابت - رضي الله عنه - ، قال : « قبض رسول الله -ﷺ- ، ولم يكن القرآن قد جمع في شئ » وروايات أخرى في الإتقان (٦٦) .

وقد نقد العلماء أسانيد السيوطي وبينوا أنها تشمل على بعض الرواة الضعفاء والمجهولين كما في كتب الرجال والطبقات (٦٧) .

على الرغم من ضعف رواية السيوطي فهي أرجح في نظر المستشرقين لمطابقتها ما روى من خوف عمر ، وأبي بكر - رضي الله عنهما - لما استحر القتل بالقراء في موقعة اليمامة فلو كان القرآن قد كتب وجمع لما كانت هناك علة لخوفهما (٦٨) كما أورد ابن أبي داؤد وغيره ، بعض

الروايات الضعيفة ، التي تؤكد الروايات السابقة التي تعلق بها المستشرقون وراحوا يؤكدون من خلالها عدم تدوين الوحي في حياة النبي -ﷺ- (٦٩) .

ب - روايات وشبهات حول جمع القرآن الكريم :

وإذا انتقلنا من التدوين في عهد النبي -ﷺ- ، إلى جمع القرآن في عهد أبي بكر - رضي الله عنه - ، طالعتنا روايات عدة في قضية من قضايا التسجيل في عهده تشير إلى أن زيدًا - رضي الله عنه - افتقد بعض آيات القرآن .. ومن تلك الروايات المنسوبة إلى زيد - رضي الله عنه - ، قوله : « دعاني أبو بكر - رضي الله عنه - أن أجمع القرآن .. فجعلت أتتبع القرآن ففقدت آية كنت أسمعها من رسول الله -ﷺ- ، لم أجدها عند أحد ، فوجدتها عند رجل من الأنصار ، وهي قوله تعالى : ﴿من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه .. ﴾ [سورة الأحزاب ، الآية ٢٣] فألحقتها في سورتها (٧٠) وجاء في رواية أخرى طويلة ، يقول فيها زيد : فتتبعت القرآن أجمعه من العسب واللخاف وصدور الرجال ، حتى وجدت آخر سورة التوبة مع أبي خزيمة الأنصاري (٧١) لم أجدها مع أحد غيره ﴿ لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم ﴾ حتى خاتمة براءة ، فكانت الصحف عند أبي بكر حتى توفاه الله ، ثم عند عمر حياته ، ثم عند حفصة بنت عمر » (٧٢) .

وقد يقع قارئ هذا النص في إشكال منشؤه تصريح زيد بأنه لم يجد آخر سورة التوبة إلا مع أبي خزيمة الأنصاري ، ويزول هذا الإشكال سريعًا إذا علم القارئ أن غرض زيد أنه لم يجدها مكتوبة إلا مع أبي

خزيمة (٧٢) .

وقد كان ذلك كافيًا لقبوله إياها ، لأن كثيرًا من الصحابة كانوا يحفظونها ، ولأن زيدًا نفسه كان يحفظها : ولكنه أراد - ورعًا منه واحتياطًا - أن يشفع الحفظ بالكتابة ، وظل ناهجًا هذا المنهج في سائر القرآن الذي تتبعه في عهد أبي بكر : فكان لابد لقبول آية أو آيات من شاهدين ، هما الحفظ والكتابة (٧٤) .

وخلاصة القول : في تلك الروايات : أن أبا بكر - رضي الله عنه - اتخذ الصحف المودعة في بيت النبي -ﷺ- ، ركيزة جمعه ، وطلب القرآن ممن عندهم محفوظًا أو مكتوبًا ، ليعارض المتفرق بالمجتمع ، وليشترك الجميع في علم ما جمع فلا يغيب عن جمع القرآن أحد عنده منه شيء ولا يرتاب أحد فيما يودع المصحف ، ولا شك في أنه جمع عن ملأ منهم (٧٥) وأن يشهد شاهدان من حفظ أو كتابة على ما يجئ مخالفًا لتلك الصحف أو مفقودًا منها .

أما عمل عثمان - رضي الله عنه - فهو لا يتعدى النسخ أبي بكر المجمع عليه ، في عدد من المصاحف لينشر النص القرآني المجموع في عهد أبي بكر المأخوذ مما كتب بين يدي النبي -ﷺ- باملائه ، حين دعت الضرورة إلى نص مكتوب يكون للناس إمامًا لحسم الخلاف حول ما اعترى القرآن على ألسنتهم من تحريف بالزيادة والنقص واستبدال لفظ بلفظ ، وليمتاز به التنزيل عما اختلط به من التأويل في المخطوطات المتداولة ، وكما جرى على ألسنة العامة توهمًا أنه من الوحي المنزل ، وليكون مرجع الناس في الأخذ بالمستيقن المعلوم من نصوص الوحي المنزل

، وكل نص خالف عنه ترفض قرآنيته ، بل وكل مصحف عداه ليست له شرعية البقاء معه ، ومن ثم وجب إحراقه وقاية من كل خلاف ، وحماية من أي اختلاط (٧٦) .

وقد جاء في رواية ضعف العلماء سندها أن حفصة - رضي الله عنها- حين أرسل إليها عثمان - رضي الله عنه - ، يطلب منها أن ترسل إليه الصحف التي كانت عندها أبت أن تدفعها إليه حتى عاهدها ليردنها إليها فبعثت بها إليه أخيرًا » (٧٧) .

وعلل المستشرقون رواية الامتناع هذه بأن حفصة قد ورثت هذه الصحف عن أبيها ذمة مالية شخصية إذ أن المصحف الذي بدأه أبو بكر في حياته لم يتمه إلا في عهد عمر لقصر حياة أبي بكر في الخلافة ، ومن ثم رجحت لديهم رواية أن عمر هو أول من جمع القرآن على حد ما زعمه ابن سعد في « الطبقات » .. وأن دوافع هذا الجمع لدى أبي بكر ، بمشورة عمر كانت الرغبة في تملك نسخة من القرآن حتى لا يكون رئيس الجماعة في وضع أقل من بعض الصحابة الذين يملكون نسخًا منه فكلف أحد كتاب الوحي ممن سبق أن استخدمهم محمد في هذه الوظيفة بأن يهيئه لهما ، ولم يكن في ذهن أبي بكر وعمر أمر فرض مصحف إمام على جماعة المؤمنين (٧٨) .

فلقد أراد المستشرقون ، أن يضفوا طابع الشخصية على هذا العمل ، ليجردوا هذا المصحف من كل ما تميز به من صفة التواتر وقطعية الثبوت ، ليستوي مع غيره من مخطوطات الصحابة وبالتالي فليس هو أولى منها بالالتزام والمتابعة (٧٩) حتى إذا جاء عثمان ليعرض مصاحفه التي حوت

ما كان في مصحف أبي بكر وعمر ، مع ما ضمه إليها من مقطوعات ظلت مبعثرة أو محفوظة غيبًا - لم يستطع ذلك دون مقاومة ، فإن الصحابة الذين بذلوا أنفسهم في خدمة محمد حتى التضحية بالنفس مثل ابن مسعود قد شعروا بالجور إذ تبينوا أن نصوصهم لم تعتمد أساسًا للمصحف الرسمي (٨٠) .

ج - روايات وشبهات حول القراءات :

كما أورد المستشرقون بعض الشبهات حول القراءات ، وقد استندت هذه الشبهات إلى روايات ضعيفة ، وخلاصة هذه الشبهات وهي أن ما فعله عثمان بمصاحف الصحابة لم ينه مشكلة الاختلاف حول النص القرآني ، لأن القرآن نزل على سبعة أحرف ، وأن نص القرآن بحرفه ليس مهمًا ، وإنما المهم هو روحه ، وأن القراءة التي تقوم على الترادف المحض أمر لا بأس به (٨١) فقد صور المستشرقون « قصة القراءات » على أنها اختيار محض ، وتصرف غير مسئول في ألفاظ القرآن ومعناه ، وأثاروا من خلال هذا التصور شكوكًا حول النص القرآني المسجل في صحة معناه ، وسلامة ألفاظه من التحريف والتبديل .

واعتمدوا في مزاعمهم هذه على روايات تصيدوها من هنا وهناك ، مثل قول النبي -ﷺ- : « القرآن كله صواب ما لم تجعل مغفرة عذابًا ، أو عذابًا مغفرة » وقوله -ﷺ- : « اقرأوا ولا حرج ولكن لا تختموا ذكر رحمة بعد عذاب ، ولا ذكر عذاب برحمة » (٨٢) كما رووا عن أبي شامة قوله : أنزل القرآن أولاً بلسان قريش ومن جاورهم من العرب الفصحاء ، ثم أبيح للعرب الآخرين أن يقرأوه بلغاتهم على اختلافهم في

الألفاظ والإعراب (٨٣) . ولو ذهب استقصي شبهات المستشرقين حول القرآن الكريم لما وسعتني مئات الصفحات لأن القرآن الكريم كتاب مقلق للغربيين ، ومحير لهم ، ومبلبل لأفكارهم .

يقول « بلاشير » : « قلما وجدنا بين كتب الديانة الشرقية كتابًا بلبل بقراءته دأبنا الفكري أكثر من القرآن الكريم » (٨٤) .

ولكن الأمر في الواقع ليس مجرد قلق أو حيرة أو بلبلة فكرية ، وإنما الأمر أبعد من ذلك بكثير . إنه الشعور بخطورة هذا الكتاب ، وقد كان للاستشراق دوره في التحذير من خطورة القرآن على العالم الغربي ، فقد تكفل بالكشف عن أخطاء القرآن طائفة من المستشرقين الذين أخضعوا بحوثهم العلمية للأهواء الشخصية أو الأهداف السياسية والدينية فأعماهم ذلك عن الحق وأضلهم عن سواء السبيل .

[يتبع]

++ ++

الهـــــوامش .

(٥٦) تفسير ابن كثير : ج/١ ص/٢ . مطبعة عيسى البـــــابي الحلبي ، بدون تاريخ

(٥٧) قارن بما جاء في كتاب مباحث في علوم القرآن . د/صبحي الصالح : ص/١٣٢

(٥٨) سموم الاستشراق والمستشرقين في العلوم الإسلامية ، أنور الجندي : ص/١٦ . دار الجيل بيروت

(٥٩) دائرة المعارف الإسلامية : ٤/٢٤٤ ، طبعة دار الشعب بالقاهرة .

(٦٠) المرجع السابق : ج/٤ ، ص/٢٤٥ .

(٦١) حب : المذهب المحمدي : ص/٢٥ وما بعدها .

(٦٢) قارن بما جاء في الغزو الفكري والتيارات المعادية للإسلام: ص/٢٠. مرجع سابق.

(٦٣) راجع ما كتبه : هـ. ج. ويلز: معالم تاريخ الإنسانية ٣/٦٢٦ وما بعدها: ٦٤٠-٦٥٧ .

(٦٤) انظر: تاريخ القرآن لابن عبد الله الزنجاني . ص/٤٢ .

(٦٥) راجع: صحيح البخاري : ج/٥ . ص/١٨٣ . والترمذي : ج/١١ . ص/٢٢٥ .

(٦٦) الاتقان في علوم القرآن للسيوطي . ج/١ . ص/٥٧ .

(٦٧) دراسات في القرآن : د/السيد خليل . ص/٨٨ .

(٦٨) آثر جعفري . كتاب المصاحف : ص/٥ .

(٦٩) كتاب المصاحف : لابن أبي داؤد ، أثر جعفري : ص/٨-٩ و ٢٠ ، وانظر القرآن : بلاشير ترجمة رضا سعاده ص/٢٩-٣٠

(٧٠) راجع . تاريخ القرآن بين تساهل المسلمين وشبهات المستشرقين . ص/٢٧٣ . د/اسماعيل الطحان بحث حولية كلية الشريعة . بجامعة قطر ، العدد الثامن ١٤٠٤هـ-١٩٨٤م

(٧١) وفي روايه : « مع ابن خزيمه الأنصاري الذي جعل النبي -ﷺ- ، شهادته بشهادة رجلين » البرهان ١/٢٣٤ . لكن الذي في تهذيب التهذيب ٢/١٤٠ أن خزيمه بن ثابت الأنصاري هو ذو الشهادتين . فهو غير أبي خزيمه . وفي البخاري : « فضائل القرآن » أن زيدا وجد عند خزيمة هذا آيه من سوره الأحزاب ، فهل اختلط الأمر على الرواه والمؤرخين ؟

(٧٢) صحيح البخاري : كتاب « فضائل القرآن الكريم » الباب الثالث والباب الرابع وكتاب الأحكام ، الباب السابع والثلاثون . وفي مسند أحمد : ج/١ ،

ص/١٢ . وفي طبعة شاكر: ١/١٨٥ رقم الحديث/٧٦ وقارن بما في « طبقات ابن سعد ج/٢ . ق/١ . ص/٢٠١ » .

(٧٣) الاتقان ١/١٠١ وينقل السيوطي هنا عن أبي شامه قوله : « لم أجدها مع غيره أي لم أجدها مكتوبة مع غيره » .

(٧٤) قارن بما جاء في : مباحث علوم القرآن . د/صبحي الصالح : ص/٧٦ . دار العلم للملايين : ط.١٢ . ١٩٨١م .

(٧٥) راجع البرهان ١/٢٢٨

(٧٦) انظر: تفصيلاً أكثر في كتاب : « من قضايا القرآن » د/اسماعيل الطحان : ص/٧٧-٧٩

(٧٧) راجع كتاب المصاحف ص/٩

(٧٨) انظر. المدخل إلى القرآن . بلاشير: ص/٢٢-٢٦ . وقارن بالقرآن لبلاشير : ص/٣٠ .

(٧٩) تاريخ القرآن د/عبد الصبور شاهين ص/١١٠

(٨٠) القرآن (بلاشير) ص/٣٤-٣٥

(٨١) راجع المدخل إلى القرآن بلاشير . ص/٦٩-٧٠ . وانظر : مقدمه المصاحف . آثر جفري ص/٧

(٨٢) هذه الروايات باطله المعنى واهيه الإسناد وهي مخالفة للمعقول . وما صح من المنقول وما أجمع عليه المسلمون من عهد الصحابه إلى يومنا هذا ، وقد اعتمدت هذه الروايات على كتاب (الأغاني . ج/٢ . ص/٦١) وانظر : الرد على هذه الشبهه وغيرها في كتاب . المدخل لدراسة القرآن . د/محمد محمد أبو شهبه : ص/٢٠٩ . ط. ٢ . فإن هذه الأحاديث لم تصح نسبتها إلى النبي -ﷺ- ، ولا الى واحد من صحابته - رضي الله عنهم -

(٨٣) المرشد الوجيز لأبي شامه ص/٩٥ .

(٨٤) القرآن : بلاشير : ص/٤١ .

الدعوة الإسلامية :

الظن .. أكذب الحديث

بقلم سعادة الدكتور محمد بن سعد الشويعر
رئيس تحرير مجلة « البحوث الاسلامية » الرياض

يتكبر هذا الإنسان ، حيث يحمل نفسه في بعض الأحيان فوق طاقتها ، فهو عندما يحس من نفسه قدرة في الاعتداء ، ومن لسانه دراية في القول ، فإنه يطلق لذلك العنان ، فيصول ويجول ليظهر بالآخرين الظنون ، ويلصق بهم ما هم منه برآء ، وإن أحس بقدرة ، وجمهور يلتصق به ، جعل من نفسه منظّرًا لأعمال الآخرين ، ومن أحكامه ميزانًا يوزن به البشر ، وما ذلك إلا أن مركب النقص ، وعيوبه التي يريد تحميلها غيره ، وغير ذلك من الصفات التي تعلو كواهل بعضهم ، تجعله يمتطي أي شبح يظنه محققًا لأوهامه في الشهرة ، وإذا تعلقت به بعض العقول الصغيرة ، وجدها فرصة ليمتهن ما طبعت عليه نفسه من إشاعة الظن بالآخرين الغافلين ، وليس بخاف على من يقرأ القرآن الكريم قول الله سبحانه : ﴿ إن بعض الظن إثم ﴾ [سورة الحجرات ، الآية : ١٢]

ولم يكن مثل هذا من التنافس بين طلبة العلم ، كما يظن بعضهم ، لأن التنافس منه المحمود ، ومنه المذموم ، والرسول الكريم -ﷺ- قد قال : « المؤمن يغبط والمنافق يحسد » ويقول -ﷺ- لأصحابه : « ألا أخبركم من المفلس » فقالوا : المفلس فينا من لا درهم ولا دينار ، قال : « المفلس من يأتي يوم القيامة بصدقة وصلاة وصيام وحج فيأتي وقد سفك دم هذا ، وأخذ مال هذا ، واغتاب هذا ، فيعطى هذا من حسناته وذاك ، حتى إذا انتهت حسناته أخذ من سيئاتهم فأعطيت له فكب

في النار » .

فالتنافس المحمود هو ما كان رائده التماس الرأي الصائب ، ومنهجه مستمد من تربية رسول الله -ﷺ- ، وهو الذي يحرص صاحبه على التماس حقيقة ما يحصل بعض الناس ، ويلتمس لهم العذر والمخارج ، ليقتدي رسول الله -ﷺ- في عدم ذكر الأسماء ، بل يقول : ما بال أقوام يقولون كذا وكذا ، أو يفعلون كذا و كذا ، ولكن يأتي في هذا الزمان ، من يتأول ، ومن يجهل الناس ليصوب رأيه فما كان في حدود ما يبيحه شرع الله تعالى ، من يقين لا يقبل الشك ، وليس فيه إصرار بالآخرين ، أو تمني زوال ما أفاء الله عليهم ، فإن هذا لا يسمى حسدًا ، وإنما يسمى غبطة ، لعدم الإيذاء ، لأن الله قد نهى عن إيذاء المؤمنين بغير ما اكتسبوا ، فقال سبحانه : ﴿ والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا • فقد احتملوا بهتانا وإثمًا مبينًا ﴾ [سورة النور ، الآية : ٥٨]

ولقد أوذى رسول الله -ﷺ- ، وأوذي أصحابه وأزواجه ، وأوذي كثير من سلف الأمة ، وحصل إيذاء بين طلبة العلم منذ عهد التابعين ، بسبب الحسد والظنون السيئة ، فكان أعلمهم يتحمل ويفيئ إلى أمر الله وأمر رسوله -ﷺ-، ليهتم بتخريج المسائل من مظانها بعد التحري : بحثا ودراسةً ، وفقهًا ودراية ، فيما سبوا أنفسهم ويردعونها قبل الانزلاق في الموبقات ، ولنا فيهم أسوة حسنة .

وهناك تنافس مذموم ، منبعثه حقد دفين ، وأوهام من قلب حاقد أو غافل ، فيحمل تبعتها الآخرين ، تسلطا ونكايةً وإصرارًا ، وهذه نظرة تشاؤمية ، وعدم رضا بما قسم الله تعالى ، وعدم اعتراف بما يجب على

المرء من تسليم لله بالأمور وأداء ما عليه . وسؤال الله ماله - إن كان يعتقد نفسه مسلوبًا شيئًا يستحقه - .

إن من يحمل علمًا ، عليه دور كبير في محاربة ما جبلت عليه نفسه من الحقد والكراهية ، وحفظ لسانه عن التسلط والإيذاء ، فالنفس البشرية يجب كبح جماحها بأمر الله تعالى . وقدوة برسوله ، واتباعًا لمنهج شريعة الإسلام .

ولا مطية لهذا التنافس المذموم إلا الكذب أولاً . الذي منشأه أوهام أو وشاية ، فيكبر ذلك خيال الحاقد ليراها شبه حقيقة ، ثم يريدها من أخذها منه ، لتعاد للأول على أنها حقيقة . بعد ذلك لا يتورع من الحلف كذبًا وبهتانًا على صحتها . والله يقول : ﴿ ولا تجعلوا الله عرضة لأيمانكم ﴾ مع إضافات من هنا وهناك تحليها له ، كما توضع الأبازير على الطعام .

أذكر هذا بعد أن قال لي أحدهم إن زيدًا من الناس قال فيك : كيت وكيت ، قلت له · ويعلم الله أنني صادق هذا غير صحيح ، وإن أريد مني أن أقسم على صدق ما أقول فعلت ؟ لأنني أعرف نفسي . قال : هو أيضًا يقسم على ما يقول بصحته . قلت : حسبنا الله ونعم الوكيل : أيهما تصدقه ، الواشي أم المدافع عن نفسه ؟ وأنت تعرف أن القاضي في حكمه يطبق حديث رسول الله -ﷺ- : « البينة على المدعى واليمين على من أنكر» فالواشي والنمام ، وصاحب الغيبة ، والنميمة والبهتان ، في إدلائهم بأي أمر ، يجب استبعاد كلامهم لأنهم ذوو أعراض مشينة ، أو في حالة الشك يطالبون بالبينة ، ولا تطلب اليمين حسب نص الحديث .

أما من وقعت عليه الوشاية فهو الذي تقبل يمينه ، لأنه يلجأ إلى الله تعالى ، في الدفاع عن نفسه مما أُلصق به ، وهو منه براء ، بيمين ينفي ، ودعاء يتضرع به لله في الخلوات ، بأن يكفيه لله شر الواشين والحاقدين ، بما شاء لأنه أمر بالدعاء سبحانه وتعالى ، و وعد بالاستجابة ، و وعده حق .

وما أشد أن يتولى كبر أمر لا أساس له ، من ينتسب للعلم ، ليشيع على حسب هواه ، ما يضر أخاه المسلم ، ويؤذيه بغير حق ، اللهم إلا نزوة من طمع حملت عليه بعض النفوس ، و وهم جاء تخيلاً مثل الأحلام التي تضمحل ، ويعلم الله أنه لو انصف وتحقق وتوثق ، مراقبًا الله، وطاردًا الهوى ، ومعصيًا عدو الله الشيطان ، لبان له الأمر، حيث لا يعدو وشاية معرض وشبهًا وظنونًا

إن علماء الإسلام - رحمهم الله - يحصل بينهم شحناء ، والقرناء دائمًا يدخل بينهم الشيطان ، ليجعل كل واحد ينتصر لنفسه ، وتختلف الأمور شدة ولينًا ، بحسب المكانة العلمية ، ويغلب العقل على النزعات ، والحلم على الأثرة وقد يحتد بعضهم ، انتصارًا لرأيه ، كما حصل لابن حزم - رحمه الله - مع بعض علماء عصره ، وردوده العنيفة شاهد على ذلك ، وقد ذكر صاحب كتاب نفح الطيب ، نماذج من ذلك كرسالته لابن الربيب .

وكما حصل في الردود بين بعض العلماء ، وبين الأحناف الذين كانوا يسمونهم أهل الرأي ، لما اتهموهم به من قصور وعدم دراية ، إذ كتاب السنة لعبد الله بن أحمد بن حنبل - رحمه الله - نموذج لذلك ، فقد هاجم عبد الله أهل الرأي ، وما يستندون عليه من آراء في

أحكامهم وقصورهم عن الاستشهاد بحديث رسول الله -ﷺ- ، ولا أحب ذكر شيء من ذلك ، خشية الإطالة ، لكثرة ما حصل بين علماء الإسلام في الأندلس وبغداد والشام ومصر وغيرها ، من خلافات علمية ، وآراء في بعض المسائل ، إذ بطون الكتب حافلة بذلك .

لكن - من باب الاستئناس - سأذكر بعضًا مما حصل بين عالمين من التابعين في المدينة ، ومن أبرز فقهائها ، كأنموذج فقط ، هما : ربيعة الرأي المتوفى عام ١٣٦هـ ، وأبو الزناد المتوفى عام ١٣١هـ ، فقد ذكر الذهبي في سير أعلام النبلاء ، أن بين هذين العالمين معاداة وشحناء ، فكان كل منهما ينتقص الآخر ، وكان ربيعة إذا سئل عن أبي الزناد ، قال : ليس بثقة ولا رضي ، مع أن الذهبي علق على ذلك بقوله انعقد الإجماع على أن أبا الزناد ثقة ورضي .

قال الليث بن سعد : رأيت أبا الزناد وخلفه ثلاث مائة تابع ، من طالب فقه ، وشعر وصنوف ، ثم لم يلبث أن بقي وحده ، وأقبلوا على ربيعة ، وكان ربيعة يقول : شبر من حظوة ، خير من باع علم ، أما أبو الزناد فكان يروى له قوله : كفّ من حظّ ، خير من جراب علم .

وسبب انتقاد ربيعة وتلاميذه ، لأبي الزناد ، أنه تولى عملاً لبني أمية ، قال مصعب بن عبد الله : كان أبو الزناد ، فقيه أهل المدينة ، وكان صاحب كتاب وحساب ، وكان كاتبًا لخالد بن عبد الملك بن الحارث بن الحكم بالمدينة ، وكان معاديًا لربيعة الرأي ، وكانا فقيهي البلد في زمانهما .. وكان الماجشون يعقوب بن أبي سلمة يعين ربيعة على أبي الزناد ، وكان الماجشون أول من علم الغناء من أهل المروءة بالمدينة .

قال أبو الزناد : مثلي ومثل ذئب ، كان يلح على أهل قرية ، فيأكل صبيانهم ودواجنهم ، فاجتمعوا له ، فخرجوا في طلبه ، فهرب منهم ، فتقطعوا عنه إلا صاحب فخار ، فألحّ عليه ، فوقف له الذئب ، وقال : هؤلآء عذرتهم ، أرأيتك أنت مالي ولك ؟ والله ما كسرت لك فخارة قط ، ثم قال : مالي وللماجشون .. والله ما كسرت له كبرًا ولا بربطًا - الكبر: طبل له وجه واحد ، والبربط : العود ، أعجمي ليس من ملاهي العرب .

قال إبراهيم بن المنذر الحزامي : كان أبو الزناد سبب جلد ربيعة الرأي ، قال ابن هرمز : رأيت ربيعة ، جُلِدَ وحُلِقَ رأسه ولحيته ، قال ابن المنذر سببه سعاية أبي الرناد به ، ثم لما ولي بعد ذلك المدينة فلان التيمي ، أرسل إلى أبي الزناد ، فطين عليه بيتًا ، فشفع فيه ربيع ، إذ لما رأى ربيعة أن أبا الزناد ، يكاد يهلك بسببه ، ما وسعه السكوت ، فأخرجوا أبا الزناد ، وقد قارب الموت وذبل ، ومالت عنقه ، نسأل الله السلامة .

ثم عقب على ذلك الذهبي بقوله : قلت : تؤول الشحناء بين القرناء إلى أعظم من هذا . [سير أعلام النبلاء : ٥/٤٤٨]

وإن مبعث ذلك الحسد الذي ينتشر بين بعض طلبة العلم ، وعلاجه طرد الأوهام ، وتسليم الأمور لله -عزوجل- ، وقصة بني المصطلق التي جاءت في القرآن الكريم ، كانت بسبب تخيل رجل أنهم أرادوا به شرًا، وهم إنما خرجوا احتفاء به و لاستقباله ، فرجع إلى النبي الكريم -ﷺ- في المدينة ، وأخبر بما هو مغاير لواقع الحال ، كما جاء الخبر في كتاب الله تعالى ، والأمر بالتثبت ، فقال سبحانه وتعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قومًا

بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين ﴾ [سورة الحجرات ، الآية : ٦]
وخبرها الذي ذكره ابن كثير - رحمه الله - في تفسيره ، فيه عظة لمن يريد أن يتعظ ، وتنبيه للغافل ، فقد قال : يأمر تعالى بالتثبت في خبر الفاسق ، ليحتاط له لئلا يحكم بقوله ، فيكون في نفس الأمر كاذبًا أو مخطئًا ، فيكون الحاكم بقوله ، قد اقتفى وراءه ، وقد نهى الله -عزوجل- عن اتباع سبيل المفسدين ، ومن ههنا امتنع طوائف من العلماء من قبول رواية المجهول في حاله ، لاحتمال فسقه ، في نفس الأمر ، وقبلها آخرون لأنا إنما أمرنا بالتثبت عند خبر الفاسق ، وهذا ليس بمحقق الفسق ، لأنه مجهول الحال ، وقد قررنا هذه المسألة في كتاب العلم من شرح البخاري ..

وقد ذكر كثير من أهل المفسرين : أن هذه الآية نزلت في الوليد بن عقبة بن أبي معيط ، حين بعثه رسول الله -ﷺ- على صدقات بني المصطلق ، وقد روي ذلك من طرق وأحسنها ما رواه الإمام أحمد في مسنده من رواية ملك بني المصطلق ، وهو الحارث بن أبي الضرار والد جويرية بنت الحارث أم المؤمنين - رضي الله عنها - ، قال الحارث : قدمت على رسول الله -ﷺ- فدعاني إلى الإسلام ، فدخلت فيه وأقررت به ، ودعاني إلى الزكاة ، فأقررت بها ، وقلت : يا رسول الله أرجع إليهم فأدعوهم إلى الإسلام ، وأداء الزكاة ، فمن استجاب لي جمعت زكاته ، وترسل إليّ يا رسول الله رسولاً إبان كذا وكذا ، ليأتيك بما جمعت من الزكاة ، فلما جمع الحارث الزكاة ، ممن استجاب له ، وبلغ الوقت الذي أراد رسول الله -ﷺ- أن يبعث إليه ، احتبس عليه الرسول ، ولم يأته ، وظن الحارث أنه قد حدث فيه سخط من الله تعالى

ورسوله ، فدعا بسروات قومه ، فقال لهم : إن رسول الله -ﷺ- كان وقت لي وقتًا يرسل إليّ رسوله ، ليقبض ما كان عندي من الزكاة ، و ليس من رسول الله -ﷺ- الخلف ، ولا أرى حبس رسوله إلا من سخطه ، فانطلقوا بنا نأت رسول الله، وبعث رسول الله -ﷺ- الوليد بن عقبة ، إلى الحارث ليقبض ما كان عنده ، مما جمع من الزكاة ، فلما أن سار الوليد ، حتى بلغ بعض الطريق ، فرِق أي خاف ، فرجع حتى أتى رسول الله -ﷺ- ، فقال : يا رسول الله ، إن الحارث قد منعني الزكاة ، وأراد قتلي ، فغضب رسول الله -ﷺ- وبعث البعث إلى الحارث - رضي الله عنه - ، وأقبل الحارث بأصحابه ، حتى إذا استقبل البعث ، وفصل عن المدينة لقيهم الحارث ، فقالوا : هذا الحارث ، فلما غشيهم ، قال لهم : إلى من بعثتم ؟ قالوا : إليك ، قال : ولم ؟! قالوا : إن رسول الله -ﷺ- بعث الوليد بن عقبة ، فزعم أنك منعته الزكاة ، وأردت قتله ، قال - رضي الله عنه - · والذي بعث محمدًا بالحق ما رأيته بتّة ولا أتاني ، فلما دخل الحارث على رسول الله -ﷺ- ، قال : « منعت الزكاة ، وأردت قتل رسولي ؟ » قال : لا والذي بعثك بالحق ، ما رأيته ولا أتاني ، وما أقبلت إلا حين احتبس عليّ رسول رسول الله خشيت أن يكون كانت سخطة من الله تعالى ورسوله ، قال : فنزلت الحجرات .. ورواه ابن أبي حاتم عن المنذر بن شاذان التمار عن محمد بن سابق به ..

فنسأل الله أن يهدينا جميعًا لمعرفة الحق والرجوع إلى الصواب ، وسامح الله من نقل لي ، ومن نقل عنه .

أبو رافع لا يكذب : جاء في العقد الفريد لابن عبد ربه : أن امرأة لأبي

رافع - مولى رسول الله -ﷺ- ، ومن خيار الصحابة - رأته في نومها بعد موته ، فقال لها : أتعرفين فلانًا الصيرفي ؟ قالت : نعم ، قال : فإن لي عليه مائتيّ دينار ، فلما انتبهت غدت إلى الصيرفي فأخبرته ، وسألته عن المائتي الدينار ، فقال : رحم الله أبا رافع ، والله ما جرت بيني وبينه معاملة قط .

فأقبلت إلى مسجد المدينة فوجدت مشايخ آل أبي رافع ، كلهم مقبول القول ، جائز الشهادة ، فقصت عليهم الرؤيا ، وأخبرتهم خبرها مع الصيرفي ، وإنكاره لما ادّعاه أبو رافع .

قالوا : ما كان أبو رافع ليكذب في نوم ولا يقظة ، قرّبي صاحبك إلى السلطان ، ونحن نشهد لك عليه .

فلما علم الصيرفي عزم القوم على الشهادة لها ، وعلم أنهم إن شهدوا عليه لم يبرح حتى يؤديها ، قال لهم : إن رأيتم أن تصلحوا بيني وبين هذه المرأة على ما ترونه ، فافعلوا ؟ قالوا : نعم والصلح خير ، و نعم الصلح الشطر ، فأدّ إليها مائة دينار من المئتين ، فقال لهم : أفعل ، ولكن اكتبوا بيني وبينها كتابًا يكون وثيقة لي ، قالوا : وكيف تكون هذه الوثيقة ؟ قال : تكتبون لي عليها ، أنها قبضت مني مائة دينار صلحًا عن المئتي دينار ، التي ادعاها أبو رافع في نومها ، وأنها قد أبرأتني منها ، وشرطت على نفسها ألا ترى أبا رافع في نومها مرة أخرى ، فيدعي علي بغير هذه المئتي الدينار ، فتجئ بفلان وفلان يشهدان علي لها ، فلما سمعوا الوثيقة ، انتبه القوم لأنفسهم ، وقالوا : قبحك الله ، وقبح ما جئت به .   [العقد الفريد : ٢٠٤/٤]

++ ++

القدوة الصالحة وأهميتها لإصلاح الأمة

سعادة الأستاذ عبد الحفيظ نصار

يفتقد العالم الإسلامي إلى حد كبير النخبة الصالحة العاملة المتقدمة في مواقعها كقدوة لغيرها ، فقد أصبحت السلبية وفقد الإحساس بالمسئولية من الصفات الغالبة على الكثيرين حتى على من هم في موضع القيادة والإدارة ومن يفترض فيهم أن يكونوا قدوة لمكانتهم في مواقعهم أو لما أعطاهم الله من سلطان في إدارتهم أو ولايتهم فهم أولى الناس بأن يحسنوا العمل ويقدموا المثل في تصرفاتهم وسلوكهم ، وقد قيل (الناس على دين ملوكهم) وجاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : " إن الله تعالى يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها " عن أبي داؤد والحاكم والبيهقي ، وقد قيل : " إن الله يزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن " فغياب القدوة من أهم أسباب ضعف الأمة ، خاصة وإن الشباب يفتقدها في كثير من الكبار والمسئولين ، في كثير من المواقع وأخطرها في ميدان التعليم أو الدعوة ، وأصبحت وسائل الإعلام كثيرًا ما تصوغ لهم المثل الزائفة في نجوم السينما والكرة والغناء الهابط والموسيقي الصاخبة في رتابة مملة أو في نماذج غربية منحلة ، وقد تقدم نماذج من شخصيات لها دورها القيادي في وطنها والتي تحاول السيطرة على أمم أخرى في صورة مبهرة للشباب في غياب القدوة عندنا وغياب الفهم الصحيح لسياستهم وسياستنا وأذواقهم وتقاليدهم التي تخالف تقاليدنا ومثلنا وديننا .

ومن أخطر ما يهز ثقة الشباب في الكبار ما يسمعون من انحراف بعضهم – على مستوى العالم العربي مؤثرين العمل لصالحهم على حساب الدولة فيستحلون الرشوة أو العمولة أو الهداية تحت أي مسمى أثناء خدمتهم

في مشترياتهم أو مبيعاتهم لحساب الدولة فيربطون بين مصالحهم ومصالح دولتهم أو مصالح المسلمين التي وكل إنجازها إليهم فيجعلون الأولوية للمصالح الشخصية مع أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : " لعنة الله على الراشي والمرتشي في الحكم " {رواه أحمد والترمذي وابن حبان}، وعن ابن عباس – رضي الله عنهما – أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " هدايا الأمراء غلول " عن كتاب الهدايا لابراهيم الحربي والسياسة الشرعية لابن تيمية ، وفي الصحيحين عن أبي حميد – رضي الله تعالى عنه – قال : " استعمل النبي صلى الله عليه وسلم رجلاً من الأزد يقال له ابن اللتبية على الصدقة ، فلما قدم قال هذا لكم وهذا أهدى إلى فقال النبي صلى الله عليه وسلم : " ما بال الرجل نستعمله على العمل مما ولانا الله فيقول هذا لكم وهذا أهدى إلى ! فهلا جلس في بيت أبيه أو بيت أمه فينظر أيهدي إليه أم لا ؟ والذي نفسي بيده لا يأخذ منه شيئًا إلا جاء به يوم القيامة يحمله على رقبته أن كان بعيرًا له رغاء أو بقرة لها خوار أو شاة تيعر (أي تأتي بأسواتها) ثم رفع يديه حتى رأينا عفرتى أبطيه (بياضها) قائلاً : اللهم هل بلغت ثلاثًا {متفق عليه} ، و قد نهى الله عن تقديم المال للحكام لتحقيق أغراض شخصية أو أكل حقوق الناس بالباطل ، قال تعالى : { و لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل وتدلوا بها إلى الحكام لتأكلوا فريقًا من أموال الناس بالإثم و أنتم تعلمون } [سورة البقرة ، الآية :١٨٨] ، فحرم الإسلام على المسلمين أن يتخذوا طريق الرشوة للحكام أو من بيدهم مصالح الناس ليأكلوا حقوق غيرهم أو لتكون لهم محاباة في أعمالهم أو توليتهم للوظائف ولو باستخدام النفوذ الشخصي وتخطى من هو أحق ، وأصلح،وفي ذلك قول النبي صلى الله عليه وسلم : " من ولي من أمر المسلمين شيئًا فولى رجلاً وهو يجد من هو أصلح للمسلمين منه فقد خان الله ورسوله والمؤمنين "

[رواه الحاكم في صحيحه] ، وروى في ذلك المعنى قول لعمر بن الخطاب : " من ولى من أمر المسلمين شيئًا فولى رجلا لمودّة أو قرابة بينهما فقد خان الله ورسوله والمسلمين " ، ولهذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم حريصًا على أن يولى من هو أصلح للعمل فولى خالد بن الوليد على الحرب مع أنه صلى الله عليه وسلم أنكر عليه بعض التصرفات ومع أنه قال عنه يومًا : " اللهم إني أبرأ إليك مما فعل خالد " ولم يول أبا ذر – رضي الله عنه – أيّ ولاية مع أمانته وتقواه ، فقال له صلى الله عليه وسلم : " يا أبا ذر ! إني أراك ضعيفًا وإني أحب لك ما أحب لنفسي لا تأمرن على اثنين ولا تولين مال يتيم " [رواه مسلم] وكذلك كان الأمر في خلافة أبي بكر وعمر – رضي الله عنهما – وغيرهما من الحكام الراشدين ، وبذلك تتعمق القدوة وتكون الأسوة برسول الله صلى الله عليه وسلم والخلفاء والحكام المهديين من بعده ، قال تعالى : { لقد كان لكم في رسول اللّه أسوة حسنة لمن كان يرجو اللّه و اليوم الآخر } ، [سورة الأحزاب ، الآية : ٢١] وقال صلى الله عليه وسلم : " اقتدوا باللذين من بعدي أبي بكر وعمر " [رواه الطبراني] .

والمسلمون في أيامنا للأسف يعانون من المحاباة سواء في مجال الوظائف أو في قضاء المصالح سواء كان ذلك عن رشوة أو رعاية لأصحاب الجاه ، ومن فعل ذلك من المسلمين فقد فضل دنياه على أخراه ، وما أعظم من يكون قدوة ملتزمًا في عمله بما يرضى الله – وما أكرم من يسعى في حاجة الآخرين ممن لا يستطيعون السعي عملا بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : " أبلغوني حاجة من لا يستطيع إبلاغها فإنه من أبلغ ذا سلطان حاجة من لا يستطيع إبلاغها ثبت الله قدميه على الصراط يوم تزل الأقدام " عن السياسة الشرعية لابن تيمية ، وعن ابن عباس – رضي الله عنهما – : " من مشى في حاجة أخيه وبلغ فيها كان خيرًا له من اعتكاف

عشر سنين ومن اعتكف يومًا ابتغاء وجه الله تعالى جعل الله بينه وبين النار ثلاثة خنادق أبعد مما بين الخافقين " [رواه الطبراني] .

وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قدوة للمسلمين في قضاء حاجات المسلمين وفي كل أخلاقه كان قدوة للمسلمين في حياته وبعد مماته ، وقد مدحه الله بقوله : { وإنك لعلى خلق عظيم } [سورة القلم ، الآية : ٤] ، وقد سئلت السيدة عائشة – رضي الله عنها – عن خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت : " كان خلقه القرآن " [رواه أحمد] وقد أوجزت فأبلغت – رضي الله عنها – ، فقد كان المثل الرفيع لما جاء به القرآن الكريم من فضائل ، وما أحسن قول القاضي عياض : كان النبي صلى الله عليه وسلم أحسن الناس وأجود الناس وأشجع الناس لقد فزع أهل المدينة ليلة فانطلق ناس قبل الصوت فتلقاهم رسول الله راجعًا وقد سبقهم إليه واستبرأ الخبر على فرس لأبي طلحة عرى والسيف في عنقه وهو يقول : " لن تراعوا " وقال علي – رضي الله عنه – : إنا كنا إذا حمى البأس واحمرت الحدق (في شدة القتال) نتقي برسول الله صلى الله عليه وسلم فما يكون أحد أقرب إلى عدو منه .

وتغيب القدوة عند ما لا ينصح القريبون من الحكام أو كبار المسئولين عن الأعمال بالصالح للأمة أو العمل الواجب وإرضائهم بأن كل شئ تمام أو على ما يرام .. وإذا تدبرنا الحديث الشريف المتفق عليه الذي رواه عبادة ابن الصامت – رضي الله عنه – وجدنا السياسة النبوية الشريفة الواجبة للعمل بها مع الحكام وفي مقدمتهم رسول الله – عليه الصلاة والسلام – ، قال : بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم على السمع والطاعة في العسر واليسر والمنشط والمكره ، وعلى أثرة علينا وعلى أن لا ننازع الأمر أهله إلا أن تروا كفرًا بواحا (أي ظاهرًا) عندكم من الله تعالى فيه برهان ، وعلى

أن نقول الحق أينما كنا لا نخاف في الله لومة لائم ، فقد أوصى رسول اللّه صلى الله عليه وسلم أن يتخذوا من الصحابة قدوة في قوله : " أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم " وكانوا قدوة في الأمانة والعدالة ، وقد ساوى عمر بن الخطاب في مجلس القضاء بين يهودي والامام علي .. فقد شكا يهودي عليًا فاستقدمه عمر وأجلسه بجوار اليهودي ، وقد خاطب عمر اليهودي باسمه وخاطب عليًا بكنيته (يا أبا الحسن) وقد حكم عمر لليهودي الذي أنكر الحق بحلفه ، وقد لاحظ عمر تغير وجه علي ، فقال له : أكرهت أن يكون خصمك يهوديًا وأن تجلس بجواره ، فقال علي : لا ولكني غضبت لأنك لم تسو بيني وبينه بأن فضلتني عليه فناديتني بكنيتي - والخطاب بالكنية تكريم على عادة العرب - عند ذلك أعلن اليهودي إسلامه واعترف بالحق لعلي .

ورسالة عمر بن الخطاب في القضاء تعتبر دستورًا في القضاء فقد تناول ما يجب أن يكون عليه القاضي في مجلسه وحكمه ، ومنها في خطابه لأبي موسى الأشعري : (آس بين الناس في مجلسك و وجهك حتى لا يطمع شريف في حيفك ولا ييأس ضعيف من عدللك ، البينة على من ادعى واليمين على من أنكر والصلح جائز بين المسلمين إلا صلحا أحل حرامًا أو حرم حلالاً ، ولا يمنعك قضاء قضيته بالأمس فراجعت فيه نفسك وهديت لرشدك أن ترجع إلى الحق فإن الحق قديم لا يبطله شئ ، ومراجعة الحق خير من التمادى بالباطل ، ومنها : وإياك والقلق والضجر والتأذى بالناس والتنكر للخصوم في مواطن الحق التي يوجب الله بها الأجر ويحسن الذخر، وقد كان عمر وأمثاله ذخرًا وقدوة للأمة ، ونذكر من هؤلآء سعد بن أبي وقاص قائد المسلمين في انتصارهم على الفرس وقد أرسل كنوز وسوار كسرى للخليفة عمر بن الخطاب ، فقال عمر : إن قومًا أدوا هذه لأمناء ، فقيل له : لقد كنت أمينا ولو رتعت لرتعوا ، وسعد بن أبي وقاص الذي أرسل

هذه الكنوز احتاج لبعض المال وهو القائد العام للقوات المسلحة المنتصرة على الفرس فيضطر للاقتراض من بيت المال وكان متوليا أمره أبو موسى الأشعري ، ويتأخر سعد عن موعد السداد فيشكوه أبو موسى للخليفة عمر :
وفي غياب القدوة في المجتمع يلمع الإمعات نجومًا زائفة تظهر في أفق الأهواء وتجرى مع التيار الغالب خوفًا من الاقصاء و ضياع المنافع والاثراء ، وفي غياب القدوة يطفو ضعفاء النفوس النكرات الذين لا رأى لهم الامعات ، وقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن هذه الصفات، فقال: " لا يكن أحدكم إمّعة يقول أنا مع الناس إن أحسن الناس أحسنت وأن أساءوا أسأت ، ولكن وطنوا أنفسكم إن أحسن الناس أن تحسنوا وأن أساءوا أن تتجنبوا إساءتهم " [رواه الترمذي] .

فأمثال هؤلآء يكونون سببا في احباط الشباب وانصرافهم عنهم وعن أحاديثهم و نصائحهم ، فهم ممن ينطبق عليهم قول اللّه تعالى : { أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم ...} [سورة البقرة ، الآية : ٤٤] ، خاصة إذا كانوا في موقع المسئولية أو من العلماء أو من المربين أو الآباء ، ينصرف الشباب عنهم باحثين عن مثل أخرى قد تضللهم وتنتهي بهم إلى الانحراف أو حتى ما يسمى بالإرهاب ، هذا إذا لم ينته الأمر بهم إلى السقوط في هاوية الشهوات أو ضلال المنكرات أو السير في طريق هؤلآء الإمعات .

إذا كان رب البيت بالدف ضاربا فشيمة أهل البيت كلهم الرقص

و من قبل و من بعد نذكر بقول اللّه تعالى : { يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارًا وقودها الناس والحجارة عليها ملائكة غلاظ شداد لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون } [سورة التحريم ، الآية : ٦] .

وقوله صلى الله عليه وسلم : " من سن سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة ، ومن سن سنة سيئة فعليه وزرها و وزر من عمل بها إلى يوم القيامة " .

تجربتي في الدعوة الإسلامية في اليابان

[الحلقة الثانية الأخيرة]

بقلم الدكتور صالح مهدي السامرائي

والحقيقة أني كنت ساكنا مع الحاج عمر ميتا مد الله في عمره حين شرع في الترجمة وكتبت في حينه رسالة للأستاذ عبد الرشيد أرشد - رحمه الله - حيث كان يعمل مهندسًا لمد التلفونات بين مكة المكرمة والمدينة المنورة أخبرته فيها عن مشروع الحاج عمر ميتا فاتصل عبد الرشيد في الحال برابطة العالم الإسلامي فاستدعته إلى مكة وعمل عبد الرشيد على مساعدة عمر ميتا في الترجمة وقام بذلك خير قيام ، توفي عبد الرشيد في حادث سيارة وهو في ملابس الإحرام على الطريق بين المدينة ومكة وكان معه الحاج عمر ميتا الذي سلمه الله ليتمم هذا العمل الجليل ، وسلم معه الحاج مصطفى كومورا مساعد عمر ميتا وتلميذه وأسلم بواسطة أهل التبليغ أناس عدد من أمثال البروفيسور عبد الكريم سايتو رئيس جمعية مسلمي اليابان سابقًا ، وهو من الدعاة المخلصين ، حرص على أن يسلم جميع أفراد عائلته وأرسل أكبر أبنائه إلى الجامعة الإسلامية في المدينة المنورة فتوفي في حادث تدهور عمارة فاتبعه بولده الثاني ليتابع الدراسة وهذا غاية الإخلاص والتفاني في خدمة الإسلام ، وممن أسلم عليهم الأخ كيبا الذي يعتبر من خيرة الشباب المسلم في اليابان وهو في إيمانه وإبائه وعفة نفسه أشبه بأعرابي نشأ على الإيمان منذ نعومة

أظفاره ، وقد حدثني خالد كيبا عن كيفية إسلامه قائلاً : « كنت أبحث عن دين يحدد هدفي في الحياة ويجلب لنفسي الطمأنينة والراحة ويجيب على الأسئلة التي تدور في ذهني عن الإنسان والكون والحياة ، ولم أجد ضالتي في دين آبائي وأجدادي وحاولت الاستعانة بالمسيحية فإذا هي الأخرى لم تطفئ ظمئي فدعاني مرة أحد الطلبة المسلمين من جامعة طوكيو لملاقاة جماعة من الدعاة المسلمين جاءوا من باكستان وكان من بينهم عبد الرشيد أرشد فاستقبلني بحرارة وبدأت استفسرهم عن الإسلام ، فقالوا : إن كنت تريد أن تعرف الإسلام فصاحبنا ثلاثة أيام فوافقت على ذلك وكنت أشاركهم مأكلهم ومشربهم وغدوهم ورواحهم فشعرت بالإخلاص ينبعث من قلوبهم وأدركت سر الإسلام من سلوكهم ، حتى إن عبد الرشيد كان يترك لي فراشه الوثير في عز الشتاء وينام هو على الأرض ولا يقر له قرار حتى يطمئن على كفاية غطائي فيضع يده على صدري متثبتًا من راحتي ، وكلما كان يضع يده على صدري أشعر بنفحة إيمانية تلامس قلبي ولم تمض الثلاثة أيام إلا وشرح الله صدري للإسلام ، كذلك عمل جماعة التبليغ على نشر الإسلام في مناطق ما شهدت مسلماً من قبل ولا عرفت الإسلام ، مثل مدينة طوكوشيما في جزيرة شكوكو والتي تبعد حوالي ٨٠٠ ك.م. جنوب غرب طوكيو وهي مسقط رأس خالد كيبا ومحل إقامته الحالي .

لقد زارتها أول مجموعة من التبليغ عام ١٩٥٦م ومعهم الحاج عمر ميتا مترجمًا فحان وقت الصلاة فأذنوا وأقاموا وصلوا فاجتمع الناس حولهم ، وبعد الانتهاء تحدثوا لهم عن الإسلام فأسلم البعض منهم ورجع

أهل التبليغ إلى بلادهم ، ثم أعادوا الكرة في العام التالي واتصلوا بالمسلمين القدامى الذين جاءوا ومعهم أقرباؤهم وأصدقاؤهم فأسلم البعض وهكذا بدأ عدد المسلمين يزداد ، وكنا من طوكيو نذهب إلى طوكوشيما بين الحين والآخر لتفقد المسلمين هناك ولإدخال من يهديه الله في الإسلام ، وحدث أن كان يسكن في مدينة كوبي الميناء المشهور والذي يبعد حوالي ١٥٠ ك. م. عن طوكوشيما رجل باكستاني يعمل في تجارة اللؤلؤ ، وكان أهل التبليغ كلما مروا به يدعونه لمصاحبتهم إلى طوكوشيما فسخر منهم ، ومن كثرة إلحاحهم عليه تثاقل على نفسه فصحبهم ورأى إقبال الناس على الإسلام فشرح الله صدره لعمل الدعوة والتبليغ ، وكان يتعهد مسلمي طوكوشيما في غياب جماعة التبليغ ، بل بدأ بتفنن في طرق الدعوة وجذب الناس إلى الإسلام ، زد على ذلك أنه كان يعرف اليابانية فهدى الله به خلقًا كثيرًا واسم هـذا الرجل أحمد موتي والا ، وتعني باللغة الأردية أحمد أبو اللؤلؤ .

إن المراقب وهو يرى عملية التحول إلى الإسلام وخصوصًا في طوكوشيما تتكرر عنده الصورة ولو مع الفارق لما كان يجري في المجتمع الذي جاءته دعوة الرسول -ﷺ- في مكة والمدينة ، كما ويلاحظ اختلاف الناس في مدى تقبلهم وانطباعهم بهذا الدين ، فالسيد زكريا ناكاياما رجل متوسط العمر من قرية قرب طوكوشيما أسلم وأسلمت عائلته معه (الياباني في كثير من الحالات لا يحرص أولاً على بذل الكثير في نقل عقيدته إلى أهله) وفتح الله صدره للعمل الإسلامي الجاد فهو نشيط في دعوة أصدقائه إلى حضور مجالس التبليغ كلما جاءوا للمنطقة وهدى الله

به خمسة وثلاثين شخصًا ، ومن عجائب الأقدار أن الأخ زكريا هذا ورث عن أبيه رقعة مخطوطة بالمقاطع الصينية تحتوي على حكمة من الحكم ، ومن المعلوم أن المقاطع الصينية يمكن قراءتها بعدة أوجه وتعطي عدة معان ، ولما رأى الحاج عمر ميتا القطعة وهو بروفيسور للغة الصينية ، قال : إن أحد معاني هذه الكتابة هو بذل ما في الوسع لنصرة الإسلام ، وهذا ينطبق فعلا على المهتدي زكريا ، مع العلم أن والده لم يكن مسلماً وقضى أول عمره على غير دين الإسلام ، أما الشخص الآخر فهو أمين ياماموتو من طوكوشيما ، فقد ظل هذا الرجل سنتين يقوم بكافة الخدمات التي نحتاجها عند ما نذهب إلى بلدته إلا أنه لم يعلن إسلامه ولم نكن نلح عليه في تقبل الإسلام وفي إحدى سفراتنا إلى هناك أعلن قبوله لدين الإسلام ، وأسلمت معه ابنته وابنه ، ومن الأمور التي تلفت النظر أن الأخ خالد كيبا حدثني مرة أنه كان يحب أكلة خاصة يشتبه أن يكون فيها لحم خنزير وظل يأكلها لسنتين بعد إسلامه ، ويقول : « لو أن أحدًا من الناس ألح علي ألا آكل هذه الأكلة لتخليت عن الإسلام إلا أنه بعد أن قوي إيماني بدأت أشعر كلما تناولت هذا الطعام بوجع في معدتي فعزوت ذلك إلى أن فيها طعامًا حرامًا فتركتها نهائيًا والحمد لله » وشخص آخر من طوكيو اسمه معاذ ، أسلم على يد أهل التبليغ وسافر معهم إلى باكستان لعدة شهور وعاد ثم غاب عن مسجد طوكيو سنتين ، وفي أحد الجمع جاء إلى المسجد وصلى معنا الجمعة ، وقال : « يا أيها الاخوان ! إن إيماني السابق لم يكن صادقًا إلا أنى الآن جددت إيماني و ولائي للإسلام وقد فتح الله على أبواب رحمته فزاد في صحتي وبسط في رزقي » ، وهذا

يذكرني بما رواه الإمام البخاري في الأدب المفرد أن عثمان بن مظعون الصحابي الجليل (على ما أتذكر) ، قال : « إني لم أسلم إلا حياءًا من الرسول الكريم ، فناداني ، وقال : أعلمك آية من القرآن نزلت على وأطنه ذكر هذه الآية إذ أني لست متأكدًا منها : ﴿ إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر ﴾ فيقول عثمان : فعرفت أن هذا الكلام ليس من عند البشر فحددت إيماني .

وأخيرًا أعطي من الأمثلة فتاة في كلية تبشيرية في مدينة هيتاشي الصناعية التي تبعد عن طوكيو حوالى المائة كيلو متر ، وإن كل طالب وطالبة في هذه الكلية يرعاه عائلة أمريكية في الولايات المتحدة وتتحمل كافة مصاريفه ، إلا أن هذه الفتاة تعرفت بطريقة على أهل التبليغ أسلمت واسمها حسنة في عام ١٩٦٠م ، وعلى ذكر الفتاة فإن النساء ربما يكن أكثر إقبالاً على الإسلام من الرجال ، وفي الأيام الأخيرة بدأنا نتردد في قبول إسلامهن لأنهن يكوّنّ مشكلة في إيجاد الزوج المسلم لهن ، وكنا نجلس في المسجد بعد صلاة الجمعة ويأتين يردن الإسلام وكنا نقول لهن بصراحة : إن الإسلام يعني ألا تتزوجن إلا مسلماً وهذه مشكلة في اليابان حيث إن عدد الرجال المسلمين قليل فارجعن وفكرن في الأمر مليًا وتعالين في الأسبوع القادم ، ويأتين في الأسبوع التالي ويعلن إصرارهن على قبول الإسلام ، كما نقول للأخت حبيبة وهي المسلمة الوحيدة في مدينة هيتاشي : « أنت زهرة في واحة وسط الصحراء ، ولو كنت شاطرة فتفتشي عن شاب ياباني يسلم على يديك وتزوجيه ، وفعلا جاءت مع خطيبها لمسجد طوكيو عام ١٩٦٥م وأسلم

وعقدنا لهما القرآن ورجعت ، وذهبت عام ١٩٧٢م إلى اليابان وبدأت أفتش عن حبيبة وزوجها فباءت محاولاتي بالفشل ، وهكذا الانقطاع يضيع كل شئ .

والآن دعنا نتساءل ما هي حصيلة هذه الجهود المتعددة ؟ لا توجد إحصائية مضبوطة عن عدد المسلمين اليابانيين وإنما يتراوح عددهم بين الألفين والثلاثة آلاف يمثلون كافة قطاعات المجتمع ، وقد يبدو العدد قليلاً إلا أنها بداية ودائمًا تكون البدايات صعبة ، لقد بذلت جهود مخلصة في نشر الإسلام نتائجها كانت مبشرة واكتسبت الدعوة الإسلامية خبرة مما حصل من نجاحات وفشل في العمل الإسلامي ، وقد أظهرت جميع هذه المحاولات استعداد الشعب الياباني الكبير لتقبل الإسلام ، وقد ذكر علامة العراق المرحوم أمجد الزهاوي أنه من استقرائنا للتاريخ ثبت لنا أن الشعوب المشركة هي أكثر تقبلاً للإسلام من الشعوب النصرانية واليهودية ، فماء ملئون من الشعب الياباني ممن لا دين لهم أو من كان له دين فهو غير كتابي نرى فيهم الكثير ممن هم مسلمون بالفطرة يتقبل الإسلام بمجرد عرضه عليه ، وأنا متأكد أنه ما عرض الإسلام على مجموعة من اليابانيين إلا وقام منهم من يعلن إسلامه أو إعجابه بهذا الدين ، وهناك عوامل تجعل الياباني أكثر استعدادًا لتقبل الإسلام ، منها :

١- موافقة دين الإسلام للفطرة الإنسانية التي لم يفسدها التعصب .

٢- الفراغ العقيدي الذي يعانيه الشعب الياباني وهذا يجعل عنده حرية كاملة للاختيار فإذا عرض عليه الإسلام فضله على غيره .

٣- لكل فرد داخل البيت والمجتمع حرية في أن يعتنق أي دين فقد تجد

الأب شنتو والأم بوذية وأحد الأبناء نصرانيًا فإذا صار الابن مسلماً تجد هناك تعايشًا سلميًا عجيبًا لا تراه إلا في المجتمع الياباني .

٤- كون الإسلام دينًا شرقيًا ليست عليه شبهات استعمارية وارتباط بمطامع غير شريفة .

إن الشعب الباباني وفي مقدمته المفكرون وأولو الأمر راعهم الفراغ الفكري عند شبابهم والتحلل من القيم الأصيلة الممتازة لشعبهم وهم يفكرون جديًا في إدخال مادة الأخلاق في المدارس لتربية النشء الجديد على المبادئ الفاضلة . فاليابان في الحقيقة تفتش عن شئ يحفظ لها كيانها ومقوماتها الخلقية ويرد لشعبها المثل الإنسانية التي لا غنى عنها ، ولقد كتب لي أستاذي رسالة أخبرًا ذكر لي بكل صراحة أن الشعب الياباني بدأ يظهر تبرمه من نمط الحياة التي يعيشها وبدأ يكفر بالتفسير المادي لظواهر الحياة والذي عبر عنه بـ : « و بدأ يفتش عن غذاء روحي وتفسير حقيقي لسر وجود الإنسان » وما ذكره أستاذي هو عين ما عبر عنه الكاتب والأديب الياباني الحائز على جائزة نوبل والذي قدم على الانتحار، فقد ذكر في كتبه الأخيرة كفره بمادية حضارة الغرب والشرق ، وهنا يأتي دور الإسلام وما يمكن أن يقدمه للشعب الياباني ، ولو توفر الدعاة المخلصون الحكماء لاستطاعوا أن يطفئوا ظمأ هذا الشعب ، وما دامت اليابان الآن على مفترق الطرق بين المسيحية والماركسية والبوذية فأحرى بالإسلام أن يدخل منافسًا رابعًا إذن لكي يُصبح دين المستقبل في اليابان .

إن الشعب الياباني مثقف ومدرك وقد جرب أنواع الحكم المختلفة

والأديان والأنظمة الكثيرة ، إنه شعب يمقت العنف والتحكم ويحب الحرية ، ومن هنا فلا مستقبل للماركسية في بلاده ، كما أنه يحتاج لعقيدة إيجابية توافق بين حاجاته الروحية والمادية وتوجد توازنا بين تقدمه التقني وفقره الروحي ، والمسيحية والبوذية تعجزان عن تحقيق هذه الأهداف ، والإسلام وحده هو الجواب على مشاكل الشعب الياباني فهو يضمن حرية الفرد ويحارب استعباد العباد ، كما أنه في نفس الوقت دين يجمع بين المادة والروح والدنيا والآخرة في إتساق عجيب ، وهذا ما يجعله صالحًا لكل زمان ومكان ولكل شعب ، إن الياباني عنصر قوي نشيط ومخلص فإذا أخذ الإسلام أخذه بقوة ، والرسول الأعظم -ﷺ- يقول : « خياركم في الجاهلية خياركم في الإسلام إذا فقهوا » واليابان تعتبر من أكبر الدول الصناعية ، وتلعب دورًا مهمًا في اقتصاد العالم ، فكسبها إلى جانب الإسلام قوة له وحماية لظهره من طعنة صليبية أو ضربة شيوعية ، وهذه فرصة للعالم الإسلامي يستفيد منها قبل أن تتحول اليابان مسيحية أو شيوعية أو بوذية متعصبة وحينذاك يصعب العمل الإسلامي فيها وقد يمتنع ، لهذا لا بد من إنشاء مراكز إسلامية ولو مبسطة في اليابان وإرسال الدعاة المتفرغين وتدريب أكبر عدد من اليابانيين المسلمين على الدعوة ، ولا أرى أي بلد يقوم بهذه المهمة مثل المملكة السعودية العزيزة ، فقد هيأ الله لها قيادة مؤمنة وشعبًا مسلماً ، كما أن وجود المصالح الاقتصادية المتبادلة مع اليابان فرصة هيأها الله لهذا البلد أن يلعب دورًا في نشر الدعوة الإسلامية في اليابان ، والبشائر تدل على ذلك ونأمل المزيد - إن شاء الله تعالى - .

ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

من أعلام التاريخ الإسلامي في الهند :

الشيخ أحمد السرهندي

بقلم الدكتور علي القاسمي - القاهرة

إقبال يتحدث عنه :

تحدث الشاعر العبقري إقبال عن ذلك الرجل العظيم فقال : ذلك الرجل الكبير الذي نهض لصيانة تراث الإسلام وأكرمه الله تعالى بالعلم والمعرفة . ذلك الرجل الذي لم يحن رأسه أمام الملك جهانگير ونفخ في الأحرار روحًا وثابة من الايمان والحنان .

الإمبراطور أكبر والدين الإلهي :

الإمبراطور أكبر إمبراطور عظيم حكم الهند في القرن العاشر الهجري وهو رجل ذو عزم أكيد وذكاء نادر قاد حركة تهدف إلى تغيير وجهة الهند من الإسلام إلى دين جديد اخترعه الإمبراطور أكبر وسماه (الدين الإلهي) ذلك لأن قوانين البلاد الأكبرى كانت أقرب إلى الديانة الهندوكية منها إلى دين الإسلام وأكثر حماية لها .

وقد انضم إلى ذلك الإمبراطور عدد من عباقرة العلماء والمثقفين في الهند . فأصبحت المؤامرة ضد الإسلام واضحة وعميقة تتولاها مملكة كبيرة وعقلية منحرفة . وكان الناس يعلنون جهارًا أن القرن العاشر أوشك على النهاية والقرن الحادي عشر على الأبواب وإن ألف سنة ، مدة كبيرة لأي دين من الأديان . وقام رجال من المثقفين الذين لم يكونوا على جانب كبير من العلم والورع وكانوا يحرصون على المناصب . فوفروا لذلك دلائل في ضوء تاريخ الأديان وأشاعوا أن دينًا لم يدم أكثر من هذه المدة . وكلما مر عليه ألف سنة حل محله دين جديد وقيادة فكرية جديدة . وقالوا : إن الدين العربي قد قضى حاجته

ومر على نبوة محمد ألف سنة ، والجيل الجديد بحاجة إلى شيعة جديدة وما أكثر الفتن التي تنشأ من فلسفات تتحرر من قيود الدين والأخلاق .

وهذا الإمبراطور مشهور بالقوة والشكيمة وكانت الهند كلها ترتجف أمام سيفه الذي ذلل كل العقبات وما كان يعرف للفشل معنى ، وكان دم الشباب يجرى في عروقه ويقتفى آثار آبائه وأجداده في حل المشكلات وقد خلف وراءه كتابات تشهد بعبقريته وفرط ذكائه .

يقول الداعية الإسلامي الكبير أبو الحسن الندوي : كانت كل الدلائل تحمل في طيها ثورة ضد الإسلام وأنبئ بأن الإسلام لم يعد له قرار في هذه البلاد ويكاد يودع أهلها ، الأمر الذي يعني أن السلطة الدينية تكاد تنتقل من أهلها إلى طاقات وفلسفات جديدة ، مع انتقال السلطة الإلهية إلى غير أهلها ، إن هذه الثورة كادت تقضى على تلك المجهودات التي بذلها الغزاة المغامرون لفتح هذه البلاد منذ عدة قرون ، وفي جانب آخر كادت تضيع ثمار ذلك الجهاد الذي قام به الشيخ معين الدين الچشتي وخلفاؤه المخلصون ، أولئك الذين وجهوا من داخل زواياهم إلى أرواح سعيدة دروس الإنسانية والحب والمساواة والعدالة الاجتماعية وأشرفوا على الحكومة الحاضرة دينيًا وخلقيًا من خارج زواياهم ، وهيؤوا للدولة والمجتمع أفرادًا صالحين أقوياء أمناء ورعين محبين للإنسانية ونفخوا في حركات البلاد العلمية والتربوية روحًا جديدة .

الشيخ أحمـــد السرهندي :

عالم هندي يقول عنه مسلمو الهند (إنه مجدد الألف الثاني ٩٧١-١٠٢٤هـ) وكان يعيش عيشة فقيرة في إحدى زوايا « سرهند » بالهند وقد سأل نفسه : لماذا يحرم المسلمون في هذه البلاد من أن

يعيشوا أحرارًا أعزاء متمسكين بشعائرهم الدينية ؟ ولماذا يضيق عليهم وحدهم مجال الحياة ؟

بدأ ذلك العالم الفاضل بدحض الأباطيل والمغالطات العلمية التي عمت ضد حاجة الناس إلى الإسلام وضد بقاء الرسالة المحمدية وضد مكانة الشريعة ودوام السنة وأعاد ثقة الناس إليها .

وكان ذا عقل حكيم وبصيرة نافذة فلم يحاول تنظيم قوة ضد الإمبراطور أكبر ، لقد فطن إلى أن ذلك قد لا يكون في صالح الدعوة الإسلامية إذا أبدى خصومته له وستغلق أمامه كل طرق العمل فبدأ يدعو إلى الله تعالى في هدوء ويجمع حوله مخلصين أكفاء ويتناولهم بالتربية الشاملة التي تنجو بهم من مزالق المال والحكم وتجعلهم لا يطمعون في الجاه والمنزلة .

ثم بدأ يخاطب قلوب الأمراء المسلمين الذين كانوا يشغلون مناصب سياسية عالية في بلاط جهانگير وحكومته وكتب إليهم يذكرهم بمسئولياتهم نحو الإسلام الذي يمر بمرحلة خطيرة حتى يقوموا بدورهم بأسلوب علمي فكري بناء وبثقة من القلب ويقين منه .

ونجحت هذه الفكرة ، وخلال عشرين عامًا تغير الوضع وأصبح مسلمو الهند موضع اهتمام العالم الإسلامي كله في الروحانيات وعلم الحديث واللغة العربية التي كان تعليمها قاصرًا على البلاد العربية في ذلك الوقت .

وبدأت نهضة جديدة :

اجتاز الإسلام في الهند هذه المرحلة القاسية بفضل جهود الشيخ أحمد السرهندي وبدأت نهضة جديدة وحظيت الهند بمكانة عظيمة في خدمة العلوم الإسلامية بفضل رجال العلم والدين الذين رباهم السرهندي وظلت مصابيح العلم تتوقد في أرجاء البلاد الهندية .

واستمرت هذه النهضة العلمية ، وبعد فترة ظهر الشيخ أحمد بن عبد الرحيم الدهلوي الذي أسس علم كلام جديد وقام بشرح وإيضاح معنى الخلافة وعرض مخطط الحكم الإسلامي الصحيح الذي لم يسبق له نظير مع ما بذل من محاولات لإنقاذ الحكومة الإسلامية في الهند التي لم يكن لها بديل في ذلك الوقت .

وقام أبناؤه من بعده بنشر علوم الكتاب والسنة في هذه البلاد وإنشاء دور لدراسة القرآن وتفهم معانيه وخدمة جليلة للحديث الشريف وإصلاح العقائد والأعمال والتقاليد .

لقد كانت حركة الإصلاح والجهاد وإحياء السنة والخلافة حلقة متينة ، وقد وفقت هذه الحركة لتقديم نماذج من السيرة النبوية والحمية الدينية وتربية الإنسان المسلم تربية كاملة متكاملة وصناعة الأجيال جددت ذكرى القرون الأولى . وقد تابعت هذه الجماعة جهودها على جبهة الدعوة والإصلاح الواسعة التي يتعذر نظيرها في تاريخ الإسلام .

المدارس الدينية :

ثم جاء عهد المدارس الدينية وتأسست دار العلوم بديوبند ومدرسة مظاهر العلوم بسهارنفور ودار العلوم ندوة العلماء في لكناؤ وغيرها من المدارس الإسلامية في أنحاء البلاد التي قامت على أساس الكتاب والسنة ونشر تعاليمها ، وقد تم ذلك بجهود مؤسس هذه المدارس الكبار والراسخين في العلم إصلاح العقائد والأعمال على أوسع نطاق ونشأ ذوق ديني وغيرة إسلامية في الناس ومن أجلهم أخفق مبدأ فصل الدين عن الدولة ولم تستغن جماهير هذه البلاد والطبقة المثقفة عن قيادة العلماء وتوجيهات أهل الدين فضلاً عن الثورة ضدهم .

وبفضل جهود هؤلآء العلمية تمتعت الهند بمركزية دينية حتى إذا

أراد أحد في اليمن أو مراكش أو غيرها من البلاد الإسلامية أن يبدع في الحديث الشريف ويتخرج فيه ، أمّ الهند ، وكذلك من أراد منهم أن يكمل تربيته الدينية والتزكية النفسية توجه إلى الهند .

ومن هؤلاء الشيخ خالد الرومي الذي ولد في الجزء الشمالي للعراق وأتم دراسته في دمشق .

وحين أراد أن يطفئ ظمأه الروحي ويقوى إيمانه بالله تعالى وحقائقه الغيبية قصد الهند و وصل إلى دلهي ونزل في زاوية الشيخ علي ولازمه حتى أذن له بعد تكملة دراسته الروحية بالعودة إلى بلده لإفادة الناس بعلمه وخلقه ونشر الحقائق الدينية في العراق والشام وتركيا ، ونفخ في هذه البلاد روحًا جديدة لا تزال آثارها واضحة .

الشيخ أبو الحسن الندوي يعلق :

ويعلق العالم الكبير الشيخ أبو الحسن الندوي على الأحداث المتتالية التي مر بها العالم الإسلامي وعلى الآمال المعقودة على المسلمين في مستقبل الأيام ، فيقول :

لقد أظل القرن الخامس عشر الهجري العالم كله وإن الأمة الإسلامية والعالم الإسلامي إن لم يكن لها حظ في هذا التراث عظيم وهذه الثروة الهائلة من العقيدة والفكر والعلم والسياسة والطبيعة والإنسان ، وهذه الحركات القومية والدول المستقلة الكثيرة والممالك الواسعة لم يكن هناك مبرر لليأس ولا داع إلى التشاؤم لأن لديهم صحيفة الله تعالى القرآن الكريم ورسالته الأخيرة الخالدة الإسلام ، اللذين ينفخان في جسم الأمة الميت وقلبها الهامد روحا من حياة جديدة في كل زمان ويأتيان بالعجائب والمعجزات .

ثم إن المسلمين هم وحدهم موئل آمال الإنسانية في هذا العصر وحرسة رسالة الله الأخير وأمناء البشرية ولعل هذا القرن يكون نقطة

تحول حاسمة ذات تأثير عميق في العالم البشري كله فلا ينبغي أن نيأس من روح الله فإن شقاء الإنسانية وذلة الإنسان بالغان إلى آخر المدى الساعة التي تتحرك فيه رحمة الله تعالى ويواجه فيها العالم ثورة كبرى ، إن الحضارة الغربية أشرفت على الانهيار وأذنت بالأفول والزوال .

إنها لا تعيش ولا تواصل سيرها بمجرد قوتها الذاتية وجدارتها للحياة والبقاء ، بل إنها ليست في هذا المجال ، من تعاسة الحظ ، حضارة تحل محلها وتسد فراغها ، بل إن جميع الحضارات المعاصرة والقيادة الحديثة اليوم لا تعدو نوعين :

= إما جاهلية مقلدة وصورة باهتة للحضارة الغربية .

= وإما ضنكة هزيلة منسحبة منهزمة لا تستطيع أن تواجه هذه الحضارة أو تقف معها جنبًا إلى جنب .

فإذا قامت هذه الدولة الإسلامية والعالم الإسلامي بصورة عامة لسد هذا الفراغ الذي سيحدث بعد نهاية هذه الحضارة وانسحابها عن مسرح القيادة رد إليه منصب قيادة الجنس البشري وتوجيه الشعوب المعاصرة مرة ثانية ، المنصب الذي لا يفوض إلا إلى فئة قوية أبية تحمل كل عناصر البقاء والاستمرار والتقدم والازدهار ، سنة الله في الأرض ولن تجد لسنة الله تبديلاً .

فلينظر الحكام المسلمون من ولّي منهم بمنصب قيادة الإنسانية وهداية الشعوب الضالة التي لا كرامة - بعد النبوة - مثل هذه الكرامة . ذلك المنصب العالي السامي الذي تتلاشى عنده جميع الألقاب والشعارات والهتافات والمناصب الرفيعة والحياة الناعمة المريحة والإغراءات المادية والجنسية ، انها سلعة غالية لا يخسر بها المشترى ولو ضحى بنفسه مائة مرة .

لقطاء لا أبناء !

بقلم : سعادة الدكتور غريب جمعة

وقفت طويلاً متأملاً قول الله تبارك وتعالى في سورة آل عمران :

﴿ يا أهل الكتاب لم تحاجّون في ابراهيم وما أنزلت التوراة والإنجيل إلا من بعده أفلا تعقلون • ها أنتم هؤلآء حاججتم فيما لكم به علم فلم تحاجّون فيما ليس لكم به علم والله يعلم وأنتم لا تعلمون • ما كان ابراهيم يهوديًا ولا نصرانيًا ولكن كان حنيفًا مسلماً وما كان من المشركين • إن أولى الناس بابراهيم للذين اتبعوه وهذا النبي والذين آمنوا والله ولي المؤمنين ﴾ [الآيات : ٦٥-٦٦-٦٧-٦٨] .

وهذه الآيات صريحة في نعيها على أهل الكتاب جدالهم حول أبي الأنبياء سيدنا ابراهيم - عليه السلام - على الرغم من سبقه الزمني على التوراة والإنجيل . وهو جدال لا يقوم على أثارة من علم !! ثم تحسم الأمر بالنسبة لدين سيدنا ابراهيم بأنه لم يكن على ملة طائفة منهم لا اليهود ولا النصارى ولكن كان مائلاً عن الشرك مسلماً لله ولم يكن مع الذين يشركون مع الله غيره من ولد أو صنم ونحو ذلك . ثم تبين من هم أولى الناس بابراهيم : إنهم الذين أجابوا دعوته واهتدوا بهديه في زمنه وكذلك رسول الله محمد -ﷺ- ومن آمن معه بأنهم أهل التوحيد الخالص وهو دين ابراهيم - عليه السلام - .

وقفت طويلاً أمام هذه الآيات وسألت نفسي : هل يحق لليهود اليوم

أن ينسبوا أنفسهم إلى سيدنا ابراهيم وأنهم هم الموعودون بأرض فلسطين أرض الميعاد حسب عقيدتهم التوراتية ؟

إن هذه الآيات تنكر هذا النسب تمامًا بينما تثبت أحقية رسول الله -ﷺ- رسول الإسلام والمسلمين في جلاء و وضوح .

وليست أبوة ابراهيم للمسلمين أبوة مدعاة بل هي أبوة ثابتة بنص القرآن أيضًا ، حيث يقول الله تبارك وتعالى : ﴿ وجاهدوا في الله حق جهاده هو اجتباكم وما جعل عليكم في الدين من حرج ملة أبيكم ابراهيم هو سماكم المسلمين من قبل وفي هذا ليكون الرسول شهيدًا عليكم وتكونوا شهداء على الناس ﴾ [سورة الحج ، الآية : ٨٧] .

والضمير في قوله تعالى ﴿ هو سماكم ﴾ يعود إلى الله تعالى لا إلى ابراهيم فإن الله تعالى هو الذي سمانا المسلمين في التوراة والإنجيل اللذين نزلا من عنده ، وكذلك في القرآن الكريم ، والله تعالى أعلم .

هذه عقيدة يجب أن تستقر في أذهان المسلمين وأن تكون هي المنطلق عند الحديث عن فلسطين .

إن اليهود - اللقطاء - استطاعوا أن يملأوا العالم بأضخم اكذوبة في تاريخ الشرق عامة وفي تاريخ فلسطين خاصة ، وهي :

أنهم أصحاب الحق فيها حسب فهمهم التوراتي الذي يعتبر المنطلق لتصرفاتهم من الألف إلى الياء .

أما الأبناء الشرعيون فراحوا يتحدثون باسم القومية تارة وباسم التراب والطين تارة أخرى فخسروا في الأولى وفي الثانية ، ولو تحدثوا باسم العقيدة والدين لاستمعت إليهم الدنيا ولو كانت كارهة لهم !

ولا يعنينا أن يستمع اليهود أو لا يستمعون لأن الغرور اليهودي لا تنكسر حدته إلا إذا أيقن أن العزة الإسلامية ستجعله مهدًا للأقدام . وتاريخهم مع رسول الله -ﷺ- في المدينة المنورة خير شاهد على ذلك وليرجع إليه من شاء،فهم أشبه بالحيوانات الجامحة لاتقاد إلا من انوفها .

هذه معان جاشت في الصدر حينما وقفت أمام هذه الآيات وهي معان تفيض بالحق وتهتف بالصدق وتحيى العرة في النفوس ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين . وقد أعجبني ما كتبه سعادة الأستاذ الكبير حامد مطاوع رئيس تحرير جريدة « الندوة » السعودية آنذاك في عددها الصادر في ١٨/من شعبان عام ١٤٠٤هـ في هذا الموضوع . حيث قال :

بمناسبة انعقاد ما يسمى (مجلس الطوائف اليهودية من أصل مغربي) في الرباط : (ومن المحاذير أو المخاطر في مؤتمر الطوائف هو ارتفاع أصوات تردد فرية أن نبي الله ابراهيم - عليه السلام - هو جد اليهود !! وابراهيم بنص القرآن ما كان يهوديًا ولا نصرانيًا . وأما من الناحية التاريخية فإن اليهود الذين احتاحوا فلسطين من شرق أوربا وبقية المنافي (جمع منفي) في العالم . هؤلآء ليس منهم أحد من بني إسرائيل (يعقوب) لأن معظمهم من يهود الحرر . وقولنا هذا نستدل عليه بالمراجع التاريخية الثابتة والتي معظمها غير عربي وغير إسلامي بل أن بعضها يهودي .

فمنذ العصر (النيولوتي) - وهو العصر الحجري - الذي يحدد

العلماء زمنه بخمسة آلاف سنة أو سبعة آلاف سنة قبل الميلاد منذ ذلك التاريخ . قال عالم (الانثروبولوجي) - علم الأجناس - الدكتور هنري فيلد : « إن هجرات من الجزيرة العربية توجهت إلى عمان والخليج والصومال وتجانيقا وكينيا والذين هاجروا من نجران ومأرب توجهوا إلى شبه جزيرة سيناء وفلسطين والأردن . وتدل المعلومات التي جمعها الخبراء من مختلف أنحاء جزيرة العرب على أنها كانت على اتصال بالسومريين والأكيديين والأشوريين والعموريين في وادي الرافدين كما أنها كانت على اتصال بالكنعانيين في فلسطين » .

ومن الثابت أن عصر نبي الله ابراهيم الخليل عليه السلام - كان في القرن التاسع عشر قبل الميلاد وهو عصر عربي بحت قائم بذاته ولغته وقوميته وديانته .

ومن الثابت أيضًا ونحن نستند على مرجع اسمه : « العرب واليهود عبر التاريخ » إن عصر نبي الله موسى - عليه السلام - بدأ في القرن الثالث عشر قبل الميلاد .

ومن الثابت كذلك أن اليهود لم يعرفوا إلا في القرن السادس قبل الميلاد فهم لم يكونوا موجودين ولا معروفين في عصر أبي الأنبياء ابراهيم - عليه السلام - . ومنه تناسل العرب وهو - أي ابراهيم - أبو اسحاق ومن نسل إسحاق يعقوب الذي عرف بـ « إسرائيل » وكل هؤلاء عاشوا في القرن التاسع عشر قبل الميلاد بينما لم يظهر اليهود ولم يعرفوا إلا في القرن السادس قبل الميلاد .

وهكذا فان بينهم وبين عصر ابراهيم وابنه اسماعيل وحفيده

يعقوب بن إسحاق حوالي أربعة عشر قرنًا .

وبعد سبعمائة عام !! من عصر ابراهيم بدأ موسى - عليه السلام - ومن اتبعه من بني إسرائيل الذين كانوا في مصر : لا صلة لهم بيهود القرن السادس قبل الميلاده وهكذا فلا صلة لهم بيهود اليوم أيضًا .

والشاهد على ذلك هو المؤرخ اليهودي (ارثركو ستيلر) الذي قال في كتابه : « امبراطورية الخزر» مخاطبًا يهود اليوم : « إنكم لستم من بني إسرائيل ، أنتم من الخزر » .

ويقول كوستيلر أيضًا : « إن فريقًا لا يستهان به من اليهود هم من شرق أوربا ومعظمهم - ومن ثم يهود العالم - من الخزر وليسوا من أصل سامي » .

والثابت تاريخيًا في علم الأجناس : إن الخزر من القوقاز وضفاف نهر الفولجا وبحر قزوين فيما كان يعرف بالاتحاد السوفيتي الذي هوت به ريح التمزق في واد سحيق .

هذه الحقائق التاريخية التي يجب أن تعرف بتوسع لكل عربي ومسلم وهي تزيل الزيوف التي يحاول اليهود طرحها بكثافة في كل وسط وموطن من أجل الخلط بين إسرائيل وموسى ، ومصطلح العربية ومسمى اليهودية من أجل أن يجعلوا لهم انتماء بأبوبة ابراهيم لهم وبنوتهم لإسرائيل .

هذا التفنيد التاريخي يصلح مدخلاً لمرجع وثائقي يجمع الحقائق من المصادر المتعددة وتبويبها في مؤلف يفصل بين الشك واليقين ويضع حدًا للتضليل اليهودي ويعيدهم إلى حجمهم الذي لا ينبغي أن

يتجاوزوه وهو أنهم مجرد طائفة تتمشى بموجب أسفار كتبها كهنة وحاخامات بأيديهم ، وقالوا : هي من عند الله !! .

﴿ فويل لهم مما كتبت أيديهم و ويل لهم مما يكسبون ﴾ انتهى كلام الأستاذ حامد ...

وهكذا نجد أن التاريخ الموثق والقرآن الكريم المهيمن على ما قبله يقطعان الصلة تمامًا بين يهود اليوم وبين أبي الأنبياء ابراهيم - عليه السلام - .

وما هم إلا شرادم من اللقطاء المنفيين والملفوظين من مجتمعاتهم وعليهم أن يبحثوا عن آبائهم الحقيقيين و وطنهم الحقيقي .

أما فلسطين فهي وطن الأبناء الشرعيين - بحق - وذلك بحكم التاريخ الموثق و بحكم القرآن المهيمن على ما سبقه من الكتب السماوية .

توقعات بنيامين فرانكلين :

هذه ترجمة حرفية لتوقعات السياسي الكبير (بنيامين فرانكلين) عن تأكيد سيطرة اليهود على إمريكا :

« هناك خطر كبير يهدد الولايات المتحدة وهذا الخطر الكبير هو اليهود لأن جميع البلدان التي أقاموا فيها انخفض فيها المستوى الخلقي وانخفضت الأمانة التجارية لقد بقوا وحدهم ولم يذوبوا فيمن يعيشون معهم .

إنهم يحاولون قتل وخنق الأمة ماديًا كما فعلوا بالبرتغال وأسبانيا فمنذ أكثر من ١٧٠٠ عام وهم ينتحبون ويندبون حظهم

المحزن مدعين انهم طردوا من وطنهم الأم ، ولكن يا أسياد ! إذا كان العالم المتحضر عليه أن يعيد لهم فلسطين فهم حالاً سيجدون أعذارًا لعدم ذهابهم إلى هناك .

لمـــــادا ؟

لأنهم وطاويط ومصاصو دماء ، والمصاصون لا يمكنهم الحياة مع مصاصين غيرهم ، لا يمكنهم أن يعيشوا مع أنفسهم لأن عليهم أن يعيشوا مع المسيحيين أو أناس آخرين لا ينتمون لعنصرهم .

واذا لم يطردوا من الولايات المتحدة خلال مائة عام سوف يأتون إلى هذه البلاد بأعداد كبيرة وسوف يحكموننا ويدمروننا بتغيير شكل حكومتنا التى بدلنا دماءنا وضحينا بحياتنا وممتلكاتنا وبحريتنا الشخصية في سبيلها .

وإدا لم يطردوا - أي اليهود - خلال ٢٠٠ عام سيكون أبناؤنا عمالاً بالحقول لإطعامهم بينما هم يبقون ليعدوا نقودهم ويفركوا أيديهم بفرح ، وأنا أحدركم يا سادة ! إذا لم تطردوا اليهود إلى الأبد فإن أولادكم وأحفادكم سيلعنونكم في قبوركم .

إن مثل اليهود العليا هي غير مثل الإمريكيين ولو أنهم عاشوا معنا أجيالاً ، إن النمر الأرقط لا يستطيع تغيير نقطه .. سوف يعرضون مؤسساتنا للخطر ويجب أن يطردوا بموجب دستورنا .

انتهى من (مضبطة الاتفاق الدستوري) عام ١٧٨٧م والنسخة الأصلية بمعهد فرانكلين في فيلادلفيا (بنسلفانيا) .

+|+ | +|+

السيدة الصالحة أمة العزيز

بنت العلامة الشريف عبد الحي الحسني

الأستاذ واضح رشيد الندوي

إن التاريخ حافل بذكر الأمهات اللاتي أنجبن أعلام التاريخ ، وكانت حياتهن حياة الكد والجهد والاجتهاد المتواصل من أجل إصلاح الآخرين وإسعادهم ، وكانت وظيفتهن أكبر من وظيفة الأم العادية التي تربى أولادها إلى أن يبلغ أولادها الحلم وسن الرشد ، فتنتهي وظيفتها ومسئوليتها ، وإن كانت هذه الوظيفة لها قيمة لا تساويها وظيفة أخرى ، ولذلك كانت منزلة الأم فوق جميع المنازل ، ومنها وإحسانها على أولادها لا تبلى جدته ، وحقوقها لا يمكن أن تؤدى كما يحق على أولادها طول الحياة ، فإنها لا تؤدى بإنفاق المال ، وخدمة الأم ، لأن ما احتملته الأم في مدة قصيرة ، تفوق كل ما يحتمله الأولاد طول الحياة ، ولكن هناك أمهات صنعن التاريخ ، وغيرن مجرى التاريخ ، وأنجبن عظماء التاريخ ، وكانت حياتهن أسوة ونموذجا في التربية والتأديب ، والتثقيف ، والتنشئة للأولاد واتسعت دائرة تربيتهن ، واجتازت أولادهن الحقيقيين ، الأولاد في النسب ، وشملت تربيتهن ورعايتهن كل من اتصل بهن ، وانضم إلى أسرتهن الواسعة ، فأثرت خصائصهن الشخصية على نشأته وتكوينه الفكري .

كانت السيدة أمة العزيز من هذا الصنف من النساء المربيات الصالحات المصلحات ، فقد كانت حياتها كلها حياة الكفاح والصبر ، والشكر ، والمثابرة ، وإجهاد النفس في سبيل التربية ، والتأديب ، والإصلاح ، وكان

محيط تربيتها أوسع من محيط أفلاذ كبدها ، وكانت بمثابة مدرسة تربوية مثالية ، وقد اقتبست مثل حياتها من أسلافها ، فكانت صورة حية متحركة لهم ، كانت خير أم لأولادها ، وخير زوجة لزوجها ، وخير أخت لإخوتها ، وخير بنت لأبويها ، وامرأة مسلمة مثالية خاشعة لله ، منيبة إليه ، متواضعة محتسبة في جميع أعمالها ، تصل الرحم وتواسي المحزون ، وتساعد المحروم ، وتجازي المسيئ بالنعماء ، وتخاف الله في السر والعلن وتتضرع إليه ، لا تخوض فيما لا يعنيها من الحديث ، دائمة العمل ، والفكر في الآخرة ، مستحضرة الموت ، وكانت إذا ذكر الموت وجل قلبها ، تناجي ربها في ظلام الليل ، لا تلوم أحدًا إذا قصر في العمل ، لا يغريها بهاء الدنيا ولا زخرفتها ، تعيش حياة الكفاف تحب المساكين وتنفق عليهم من مالها ، ولا تدخر منه شيئًا .

ورثت النبل والشرف عن أبويها الشريفين الصالحين العلامة الشريف عبد الحي الحسني صاحب " نزهة الخواطر" و " بهجة المسامع والنواظر" وهو والد سماحة العلامة الشيخ السيد أبي الحسن علي الحسني الندوي ، والدكتور عبد العلي الحسني ، وأمها السيدة خير النساء بنت العارف بالله الشيخ ضياء النبي الحسني ، من فضليات النساء .

وكان جد السيدة أمة العزيز من جهة الأم العارف بالله الشيخ ضياء النبي الحسني (م١٣٣٦هـ) من كبار المرشدين والمصلحين في عصره يؤمه الناس للتربية ، وله تلاميذ كبار استرشدوا على يديه ، وقاموا بعمل الإصلاح والتربية في أرجاء شاسعة في شمال الهند ، وخلدوا آثارًا طيبة بجهودهم الدعوية ، والجهادية ، وجدها من جهة الأب العالم الجليل المؤلف الكبير الشيخ فخر الدين الحسني (م١٣٢٦هـ) صاحب الموسوعة التاريخية "مهرجانتاب" والشاعر الملهم ، وأحد كبار المرشدين والمربين الصالحين في عصره .

وصف العلامة عبد الحي الحسني والده الشيخ فخر الدين الحسني بهـذه الخلال ومن شاهد السيدة أمةالعزيز التي كانت حفيدة له ، وجـد هـذه الخـلال متجسدة فيها .

" كان محمود السيرة والسريرة ، متعففًا قانعًا باليسير ، طارحًا للتكلف ، متجمعًا عن النـاس ، مشـتغلاً بخاصـة نفسه ، صـابرًا علـى نوائـب الزمـن ، وحوادث الدهر مع كثرة ما يطرقـه مـن ذلـك ، محافظًـا علـى أمـور دينيـة ، متواضعًا على الطاعة ، غير متصنع في كـلام ولا فـي ملبسـة لا يبـالي بـأي ثوب برز للناس ولا بأي هيئة لقيهم ، وكان سليم الصدر ، لا يعتريه غل ولا حقد ، ولا سخط ولا حسد ، لا يذكر أحدًا بسوء كائنًـا مـا كـان ، محسـنًا إلـى أهله ، قائمًا بما يحتاجون إليـه متعبًا نفسـه فـي ذلـك ، ولقـد كـان تغشـاه اللّـه برحمته ورضوانه فكان من عجائب الزمن " .

نشأت السيدة الفاضلة أمة العزيز في هذه البيئـة الصـالحـة ، البيئـة التـي كانت تـدوى فيهـا أناشـيد الجهـاد ، وقصـص البطولـة ، والصـلاح والإرشـاد للعلماء والدعاة والمجاهدين في العصر الحديث ، والعصور السـالفة ، وتعقد حلقـات لإحيـاء العاطفـة الدينيـة ، وبثّ الوعـي الدينـي ، وحلقــات المذاكـرة والدرس في المســائل الدينيـة ، وقـامت أمهـا السـيدة خـير النسـاء ، و والدهـا العلامة الشريف عبد الحي الحسني بتربيتها وتعليمها ، كما قرأت على الشـيخ عزيز الرحمن الحسني الذي كان له شغف زائد وعناية خاصة بأمور التربيـة والتعليم ، وكان ذا صلة وثيقة بالعلامة عبد الحـي الحسـني شـخصيًا ، وكـان يسهم في أعماله ويساعده ، وبقيت هـذه الصلـة إلـى آخـر أيـام حياتـه ، فظـل مرتبطًا بهذه الأسرة ، محتفظًا بحبه وعطفه على جميع أعضـاء هـذه الأسـرة ومهتمًا بتعليم الأولاد الصغار في العائلـة ، فنشـأت السـيدة أمـة العزيـز نشـأة علمية ، وكانت قد ورثت الذوق العلمي والأدبي مـن والديهـا ، فعكفت علـى الدراسة والكتابة ، بجانب تأدية الأمور المنزلية ، وانتقلت بعد زواجها بالسـيد

رشيد أحمد بن خليل الدين إلى منزل الشيخ خليل الدين الحسني ، الذي كان من مسترشدي الشيخ المصلح الكبير رشيد أحمد الكنكوهي .

وقد امتاز الشيخ خليل الدين باحترام العلم والعلماء والصالحين ، يدعو الصالحين لزيارة قريته ، فكان يزور القرية كبار العلماء والصالحين ، وبلغ حبه للرسول صلى الله عليه وسلم كل مبلغ ، فعزم على أن يسمى جميع أحفاده باسم محمد ، ومحمود ، فكان أكبرهم محمود حسن ، والثاني محمد الثاني إلى محمد الرابع ، ومحمد الخامس ، وانتقلت هذه العاطفة عاطفة إكرام العلم والعلماء وحب الصالحين ، والعمل بالتقوى إلى أولاده ، والتقى هذا الحب للعلم والعلماء والصلاح والإصلاح في السيد رشيد أحمد الحسني ، والسيدة أمة العزيز ، فلم يواجه أولادهما أي نزاع بين الأبوين في منهج التربية ، والتوجيه إلى العلم ، ومنهج الحياة والسيرة ، وكان ذلك فضلاً عظيمًا ومكسبًا كبيرًا .

ولهذا الحرص الشديد على التربية الدينية ، والاقتداء بالصالحين كانت السيدة أمة العزيز تعتني بنفخ هذه المشاعر في أذهان أولادها منذ الطفولة ، فتحكى لهم قصص المجاهدين والصالحين ، وتحث على الصدق وابتغاء رضي الله والإحسان والصبر ، والشكر ، وتردد الأشعار التربوية والأناشيد الدينية ، وتراقب تصرفاتهم ولا تهاون في أمر يخالف الخلق الحسن وتهوّن في نظرهم أهمية الدنيا ، وتعظم قيمة العلم والعمل الصالح .

كانت السيدة أمة العزيز شديدة الحرص على ترسيخ الغيرة الإيمانية ، والغيرة الخلقية في أولادها ، لا تحتمل أي تقصير فيه ، ولا تحتمل أدنى إساءة إلى من هو أدنى في المرتبة ، وكانت تحث أولادها على إكرام الناس مهما كانت منازلهم وخدمة العجزة والمحتاجين والضعفاء والمساكين وتشجع على هذه الأمور ، وتحث على إكرام الضيف ، والنازلين في منزلها ، وكان

كل من يزورها من النساء ينال النصيب الأوفر من إكرامها ، وحفاوتها ، والتفاتها ، وتشعر كل زائرة كأنها هي المفضلة لديها ، وأنها أقرب النازلين إليها لإكرامها وحفاوتها البالغة ، كذلك كان سلوكها مع أولادها وأحفادها ، فكان كل واحد منهم يشعر بحبها وحنانها الخاص كأنه هو أقرب إليها من غيرها ، فلا تميز أحدًا عن غيره بل تعامل كل واحد بالمساواة .

كان من عادتها أنها تنتهز كل فرصة مواتية للنصيحة ، وتوجيه العناية إلى سبل الخير والصلاح ، حتى أثناء الأكل ، والشرب ، والأعياد والأفراح، فتبين الخلق السليم ، والآداب الشرعية ، فكانت مجالسها مجالس ذكر وأمر بالمعروف ونهي عن المنكر ، كانت رقيقة القلب ، خاشعة ، خاشئة ، لكنها إذا رأت المنكر أو ما يخالف طريق الصالحين ، كانت لا تخفى استنكارها ، وكانت تقسو أحيانًا للزجر ، والتنبيه ، كما قال الشاعر :

قسا ليزدجروا و من يك حازمًا فليقس أحيانًا على من يرحم

وأحيانًا قسوتها للتربية كانت تجلب لها الحزن ، ويرق قلبها فتبكى قلقًا على قسوتها التي استلزمتها التربية ، وتستغفر اللّه إن كان في التأديب قسوة زائدة وتلوم نفسها ، وقد وهبها اللّه قدرًا وافيًا من المحبة ، فكانت المحبة شعارها وقد كانت هذه المحبة فائضة ، تفيض فتغمر جميع من يتصل بها من الأصاغر والأكابر ، تؤلف القلوب ، وترحم على الصغار ، وكان بيتها ملتقى يجتمع فيه الأقارب ويلعب في فناء الدار صبيان المنازل الأخرى ، وقد يتضايق بذلك سكان الدار الآخرون ولكنها لا تتضايق بل تعاملهم بالمحبة ، وتطعمهم ، وتزورها نساء القرية للدعاء وللإغاثة ، فتستجيب لدعوتهن ، وكانت تحفظ من مالها ، ومن طعامها وتخفيه لتقدمه إلى من يزورها من المساكين والمحتاجين بعد أن تنال منه الشئ اليسير مما لا يغنيها .

كانت تخفى أحوالها وآلامها حتى على أولادها ، فإذا سئلت عن حالتها

شكرت الله ، وأظهرت أنها في خير الأحوال وأسعدها ، ولذلك كانت آلامها تخفى أحيانًا ، ولا تعالج إلا بعد انقضاء مدة .

لم تكن السيدة أمة العزيز منقطعة عن الحياة لزهدها أو تورعها أو اهتمامها بالعبادة التي كانت تؤديها في أوقاتها ، فقد كانت حياتها حياة عمل دائم ، إلى أن عجزت عن العمل من آخر أيامها للشيخوخة والهرم ، فقد انكسر عظم ركبتها في السنين الأخيرة ، فعجزت عن المشي ، كانت تباشر أعمالها بنفسها ولا تستعين ولا تستخدم أحدًا ، وأحيانًا كانت تقوم بأعمال شاقة ، ولا تطلب من أولادها الموجودين بالمساعدة ، وقد كانت حاذقة في الطبخ ، والخياطة ، والتطريز ، فكانت تقوم بجميع هذه الأعمال وقد حولت جميع هذه الأعمال أعمالاً دينية بحسن النية ، والاشتغال بذكر الله تعالى .

كانت السيدة أمة العزيز لحرصها على أن يكون أولادها على خطى الصالحين من السلف ، تكثر من بيان قصصهم وتحثهم على أن يقتدوا بهم .

كان خوف الآخرة والحساب عند الله يتغلب عليها ، فكانت تناقش في أمور تربية النفس ، أخاها الشيخ أبا الحسن علي الحسني الندوي كلما جلس معها ، كما كانت أحيانًا تراسل بقية السلف العلامة المحدث الكبير محمد زكريا الكاندهلوي للاسترشاد في أحوال قلبها ، وقد تصاعد هذا الخوف في آخر حياتها ، فكانت تكثر من ذكر الموت ويوم الحساب ، لكنها رغم هذا الاستحضار للموت والآخرة لم تكن تغفل الأمور المنزلية ، وكانت توجه الاهتمام إلى ما يجب القيام به من شئون البيت ورعاية الصبيان ، وتلتفت إلى القادمين من الأقارب ، أو الضيوف ، وتأمر بإكرامهم وحسن وفادتهم ، والحفاوة بهم ، وتقدم إليهم الحلوى أو الشاهي أو تأمر بإحضاره لهم ، فكان يشعر كل قادم بالإكرام ويعود مسرورًا .

ولهذا الإكرام والحفاوة كان الناس يكثرون من زيارة بيتها ، ويقضون

فيه وقتًا طويلاً ويترددون إليه في النهار وفي أوائل الليل ، كما قال حسان بن ثابت الأنصاري :

أكثر أهلي من عيال سواهم و أطوى على الماء القراح المبرد

كانت السيدة - رحمها الله - تحب سماحة العلامة الشيخ السيد أبي الحسن علي الحسني الندوي محبة ، تساوى محبة الأم لأولادها ، وقد كانت تكبره سنًا وقد توفي والده وهو في التاسعة من عمره ، فكانت تنتظر دائمًا عودته من سفره ، وعند ما يعود تستقبله وتبدى السرور بقدومه كما تبدى الأمّ السرور بقدوم ولده وتسمع بشغف وشوق زائدين لما يحكيه من أحوال سفره ، وكانت تهتم بأموره اهتمامًا زائدًا ، وعند ما كانت تدعوه باسمه كان يبدو كأنّ في هذا الاسم لذة وحلاوة ، وكأنّ أمه تناديه ، وعند ما كان يجتمع الأخوان ، كان يجتمع أعضاء الأسرة كلهم ليستمتعوا بهذا المجلس الذي هي مجلس حب وحنان ، وذكر ، وصلاح ، وتقوى ، لا تثار فيه فلتات الناس ، ولا غيبة ، ولا خوض في حديث إلا الخير كما جاء في القرآن الكريم : { لا خير في كثير من نجواهم إلا من أمر بصدقة أو معروف أو إصلاح بين الناس } .

إن وفاة السيدة أمة العزيز وقد بلغت من العمر ٩٠سنة ، كانت خسارة للأسرة بكاملها ، بل لجميع الأسر التي كانت لها صلة بهذه الأسرة ، ولم تكن خسارة لمجرد أولادها ، وأهل بيتها ، إنها وفاة بقية السلف الصالح ، وفاة مؤمنة صالحة مصلحة ، ومربية ومحسنة ، وكل نفس ذائقة الموت ، والموت حق ، ولا ريب فيه ، وتتمنى الأمهات والآباء أن يرحلوا عن أولادهم وهم في أسعد حال ، ولكن موت بعض النفوس يترك فجوة ، وثلمة لا تلتئم ، ويتغير به مسير الحياة ، ويتشتت به الشمل ، ويحرم الناس من قلب داع ، ودعوة مستجابة ، وحنان لا عوض له ،

توفيت في ليلة ٢٣ من رمضان وشيّع جنازتها ألوف من الناس ، واغرورقت العيون ، ودفنت بجانب قبر والدها العلامة الشريف عبد الحي الحسني و والدتها السيدة خير النساء في مقبرة بجانب مسجد الشيخ علم اللّه الحسني .

لقد شعر بالحزن والأسى على وفاتها كل من عرفها ، أو علم عنها وعن خلقها ، وخاصة النساء اللاتي زرنها وقضين ساعات معها ، فتأثرن بخلقها وعطفها وحنانها ، وكان يدل على ذلك الزحمة الحاشدة للنساء والرجال على وفاتها ، وقد انهالت رسائل التعازى من البلدان الخارجية فكم يكون أسى من عاش معها فترة طويلة وعاش في كنفها وحضنها وتربى في رعايتها ، ولكن الحديث الشريف يخفف الآلام فقد روى أبو هريرة – رضي اللّه عنه – قال : قال رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم : " إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاثة أشياء : صدقة جارية ، أو علم ينتفع به ، أو ولد صالح يدعو له " . [رواه مسلم]

يحث هذا الحديث الشريف على العمل الصالح والدعاء للوالدين ، وذلك حق الوفاء لهما ، والولاء لهما ، وذلك ضريبة الحب ، رب أرحمهما كما ربياني صغيرًا ، وغفر اللّه لها ، وأدخلها فسيح جناته ، وألهمنا الصبر والسلوان .

••••

حقائق علمية :

النوم و أسراره

سعادة الدكتور يوسف أحمد حجر البنعلي

النوم .. ذلك السر العظيم الذي حير العلماء على مر السنين وذلك السؤال الذي لم يجد أحد جوابه ... لماذا ننام ؟ لماذا يقضي الإنسان ثلث حياته « عشرين سنة تقريبًا » في النوم ؟ وإن حرم منه أكثر مما يحتمل فإنه لا يقوى على التركيز ، وقد يؤدي به بعد مدة إلى الجنون ثم الوفاة .

لقد صال العلماء وجالوا في هذا الميدان ، فوضعت النظريات ، وأجريت التجارب لمعرفة هذا السر الغامض .

وأجد نفسي ميالاً لتجربة « بيرون » التي منع فيها كلبًا من النوم مدة تنيف على العشرة أيام ، أصيب الكلب بعدها بنوع من فقدان الذاكرة والإحساس ، كما وجد أنه قد أنتج مادة سامة منومة تسبح في جهازه العصبي (١) .

ومع كل التجارب التي أجريت ، يبقى السؤال محيرًا ، ولكن في الجانب الآخر نجد أن العلم قد تقدم في ماهية النوم أكثر من سببه .

فمن الحقائق المعروفة أن النائم يمر خلال نومه بمرحلتين ، تتناوبان بانتظام ، الأولى : وتدعى حركة العين الغير سريعة وتستمر [٩٠] دقيقة ، وفيها ينتظم التنفس ، وتهبط درجة الحرارة وتتباطأ موجات الدماغ ، أما المرحلة الثانية : فتسمى حركة العين السريعة وتستمر ٢٠/دقيقة ، وفيها يصبح التنفس أقل انتظامًا ، وترتفع درجة الحرارة ، ويزيد

تدفق الدم إلى المخ ، وخلال هذه المرحلة تتكون الأحلام .

وكلنا يعلم ما للضوضاء الناجمة عن أصوات الطائرات والسيارات من تأثير سئ على النائم ، وإن لم يستيقظ ، فهي تخل بمراحل النوم وتسبب تسارع ضربات القلب ، فلا تنعم بالنوم العميق ، وبالتالي يتأثر نشاطك في اليوم التالي ، ويبرز لنا ذلك السؤال الأبدي عند الحديث عن النوم ، وهو كم عدد الساعات الكافية للنوم في الليلة الواحدة ؟ يجيب الدكتور وليم فتشبين (٢) بقوله : إنه لا يوجد عدد معين من الساعات للنوم ، لأن النوم يختلف باختلاف الأشخاص ، بل يختلف في الفرد الواحد ، أي قد يحتاج الإنسان أحيانًا إلى ساعات كثيرة ، وأحيانًا إلى ساعات قليلة ، لذا أحب أن أنوه هنا إلى أن انتظام النوم يبدأ في سن [١٨] حتى سن [٦٠] ثم يحدث نوع من الأرق البسيط ، والسبب أنه كلما تقدمنا في العمر قل احتياجنا للنوم .

الأحـــــلام :

ما إن تسدل جفنيك وبغشاك النوم ، حتى تنتقل من هذا العالم إلى عالم آخر مجهول لا تعرف كنهه ، فتبقى سابحًا إلى أن تلج تلك المملكة الواسعة .. مملكة « مورفيوس » (٢) .

إن الجميع يحلم في كل ليلة ، حتى الحيوانات ، والمرء يحلم عادة بين ٤-٥ أحلام في الليلة الواحدة ، تتراوح مدة كل حلم بين خمس ثوان إلى ستين دقيقة .

ولكن ما هي الأحلام ؟ .. قبل البدء في الحديث عن الأحلام ، لابد لنا أن نتحدث قليلاً عن العقل ، يقول علماء النفس : إن لكل منا عقلين ، عقل ظاهر شعوري ، وبه المبادئ والقيم المثلى ، وعقل باطن لا شعوري ،

وبه الماضي بأفراحه وأتراحه والرغبات المكتوبة ، والتي لو قدر لها أن تخرج لأندت جبين الإنسان خجلاً ، وأغرقته إحراجًا ، لتنافيها مع العادات والتقاليد والأديان ، لكن الله سبحانه وتعالى وضع حارسًا خاصًا يمنع خروجها إلى العقل الظاهر أو الشعور كما يحلو للبعض أن يسميه ، بيد أنه عند استغراقك في النوم تضعف مقاومة هذا الحارس المسكين ، وإن كانت لا تزول نهائيًا ، فتقوم تلك الرغبات المكتوبة بالتنكر واستغفاله ، فتخرج على هيئة صور ورموز نسميها نحن البشر .. الأحلام .

إذًا الأحلام - وكما يعرفها فرويد - هي الصراع بين الرغبات المكتوبة في اللاشعور وبين المقاومة النفسية لها ، وقد يستثار الحلم بعوامل خارجية ، كمن يطرق عليك الباب وأنت نائم ، فإما أن تستيقظ أو تواصل نومك ، فتحلم بأنك وسط معركة تدوي فيها أصوات القنابل والمدافع ، أو قد تحس بالجوع والعطش وأنت نائم ، فتحلم بأنك تأكل ما لذ وطاب من أصناف المأكولات ، وتشرب ذلك الماء الزلال ، وبهذه الخدعة يكون هذا الحلم كالحارس للنوم من أن ينقطع .

إننا عند ما نحلم تكون أجسامنا في حالة من الشلل التام ، عدا بعض العضلات (التنفس ، العين .. إلخ) وذلك لحماية النائم ، مما يحتمل في نفسه من استثارة ، ولكن يحدث أحيانًا أن يتخطى النائم هذه الحماية ، فيسقط من سريره ، أو يمشي وهو نائم .

وما الكوابيس إلا نوع من الأحلام المفزعة ، وهي تكثر بين سني الثالثة والسادسة ، لأن الأطفال يكونون بين الواقعية واللاواقعية في هذه المرحلة ، إلا أننا لسنا بمنأى عن مخالبها .

وجد الباحثون أن للأحلام فوائد عدة منها شحذ الذاكرة ، وإعانة الجسم لاستعادة قواه ، وتخليص الدماغ من المعلومات المهملة ، حتى الكوابيس لا تخلو من فائدة ، فهي قد تحمل لنا في بعض الأحيان إنذارًا مبكرًا لمرض ما ، سواء كان نفسيًا أو عضويًا ، ولنأخذ مثالاً على ذلك ، فتاة تنتابها الكوابيس باستمرار ، وعلى نمط معين ، فترى فيما يرى النائم أن رجلاً يطلق الرصاص على صدرها ، أو يطعنها في قلبها ، وبتكرار رؤيتها لهذا النوع من الكوابيس ، يجب عليها الذهاب إلى الطبيب لعمل الفحوصات اللازمة للقلب ، قبل أن تسمع ما لا يحمد عقباه .

ولا بد لي أن أذكر هنا أن من الأحلام ما تتصل بالميتافيزقا (الغيبيات) والتي اختص الله سبحانه وتعالى بها بعض عباده من البشر ولا أقصد بهم الأنبياء أو الرسل .

إن كثيرًا من علماء الغرب قد تخبطوا في موضوع الأحلام ، فمنهم من أرجعها إلى الماضي ، وجعل الجنس محورها كفرويد ، ومنهم من فسرها بالمستقبل مثل يونج الذي يعتقد أن : « الحلم إشارة المستقبل .. وإلهام من الملأ الأعلى » (٤) .

ويأتي الرسول الكريم -ﷺ- ليزيل هذه الغشاوة ويصنف هذا العلم ، فيقول :

« الرؤية ثلاثة : فرؤيا الصالحة بشرى من الله .

ورؤيا تحرين من الشيطان ، ورؤيا مما يحدث المرء نفسه » .

وسيظل أولئك العلماء يدورون في فلك البند الثالث من هذا الحديث ، ما لم يؤمنوا بالله ، وما أخبرنا به من علم الغيب .

الأرق : في رحلة الحياة الجميلة ، قد تهاجمنا الأزمات بين الآونة والأخرى ، وتعصف بنا المصائب ، والتي نادرًا ما تأتي فرادى ، كما عبر بذلك شكسبير في مسرحيته « هملت » ، لذا قد تنتابنا بعض اضطرابات النوم ، سرعان ما تتلاشى بانتهاء الأزمة ، ولكن هناك بعض الناس من يتحول عندهم هذا الاضطراب إلى حالة من الأرق تحول لياليهم إلى جحيم لا تطاق ، مهما بذلوا من جهد في سبيل استدرار عطف النوم ، ليكحل أجفانهم ، ويطرد أرقهم ، فيكون نصيبهم الإرهاق والنعاس طوال اليوم التالي .

والأرق يكون إما عابرًا ، وهو الذي يدوم بضعة أيام بسبب الإثارة والاضطرابات المؤقتة ، على ألا يتجاوز الثلاثة أسابيع ، وإما مزمنًا ، وهو الذي يستمر شهورًا أو سنين ، وعلى من يقع في براثنه أن لا يتوانى عن مراجعة الطبيب .

وتأتي العوامل النفسية على قمة الأسباب المؤدية للأرق ، كالتفكير العميق في ما يجب عمله في اليوم التالي ، والقلق ، وتأنيب الضمير ، والخوف بكافة أنواعه ، حتى من الأرق نفسه .

كما تلعب العوامل البدنية دورها في إبعاد النوم وجلب الأرق ، كالحمية وآلام الظهر أو المعدة وغيرها .

والملاحظ أن النساء عرضة للإصابة بالأرق أكثر من الرجال ، وخصوصًا قبل الطمث بليلتين .

وهذه بعض النصائح القيمة التي اقتطفتها من مجلة « طبيبك » العدد/٢٥٦ علها تساعد في طرد شبح الأرق بعيدًا عنك :

= انهض من فراشك في نفس الموعد من كل يوم ، لأن ذلك يبقي ساعتك

البيولوجية مضبوطة .

= احصل على قدر كاف من النوم حتى تحس بالانتعاش .

= مارس الرياضة بانتظام ، ويفضل أن يكون عصرًا .

= تجنب الرياضة الشاقة بعد السادسة مساء (ممارسة الجنس عند الذهاب للفراش لا يعد من التمارين المجهدة ، بل إن بعضهم يرى أن الرعشة الجنسية من البواعث القوية للاستغراق في النوم) .

= اعزل غرفة نومك صوتيًا وضوئيًا .

= تجنب الكافين بعد الساعة الرابعة عصرًا ، ولا تدخن عند ما يحين وقت النوم ، لأن النيكوتين هو من المنبهات أيضًا .

= اجعل من فراشك وغرفة نومك مكانًا للنوم والجنس لا غير .

الشخير : لطالما قامت الزوجة المسكينة من نومها على ذلك العازف المزعج طالبة منه التوقف ، لتنعم بشيئ من النوم الهنيئ .. إنه الشخير ، ونقصد به الشخير العالي ، لا الشخير الهادئ الذي لا يمثل أي مخاطر صحية ، كما يقول كثير من العلماء .

ويحدث الشخير بسبب وجود عائق في مسالك التنفس ، كتضخم اللوزتين أو اللهاة ، و وجود اللحمية بالأنف ، والنوم على الظهر لدى بعض الأفراد .

ويزيد الشخير بتقدم العمر ، وزيادة الوزن ، فالبدين يشخر ثلاثة أمثال النحيف ، ويرجع ذلك إلى التضخم الزائد في البلعوم والحلق مما يسبب صعوبة مرور الهواء .

ويمكننا التخفيف من الشخير ، وذلك بإنقاص الوزن ، والنوم على أحد الجانبين ، ورفع الوسادة قليلاً ، لكي تبقى مسالك التنفس مفتوحة

، أما إذا لم تنجح كل هذه الوسائل ، فالليزر الآن وبتخدير موضعي هو الحل الأمثل للقضاء عليه .

ويصاحب الشخير العالي في بعض الأحيان ضيف ثقيل ربما هدد حياة النائم بالخطر ، إنه APNEA - أو انقطاع التنفس أثناء النوم ، وهو يحدث عدة مرات في الليلة الواحدة ربما تصل إلى المائة ، وتذكر د/كونستانس ج. مور (٥) أن مدة انقطاع النفس تتراوح بين خمس عشرة ثانية إلى أكثر من دقيقتين ، وهذا لا يسبب النعاس طوال اليوم التالي فقط ، بل إلى ارتفاع ضغط الدم ، وأمراض القلب والرئتين ، فإن كنت أحد الضحايا الذين وقعوا في شباكه ، فالطبيب هو الذي سيقف معك ضد هذا الضيف الخطر

وعند ما قرأت مرة أن الرجال يشخرون أكثر من النساء (٦٠٪-٤٠٪) بسبب اختلاف الهرمونات ، تبين لي سبب تعرض النساء للأرق أكثر من الرجال !!!

++ ++

الهوامش :

(١) النوم فن ، ترجمة أحمد رضوان .

(٢)

(٣) مورفيوس : إله الأحلام في الأساطير الإغريقية .

(٤) كتاب الأحلام - د/مصطفى محمود .

(٥)

في رياض الشعر الإسلامي :

غـــد ظافـــر

الأستاذ حيدر الغدير

عتبت علي صديقي الأعز | عتاب الصفي لأحبابه
ورحت تسائل فيم الأسى | أراه لدى الكيس النابه
سألت عتبت و أنت الأثير | و أنت الوفي لأصحابه
لك العتب إني على ماعهدت | لكالطود رأس بأطنابه
و لكن بكائي أخا المكرمات | بكاء على الحق مما به
بكاء على أمة حرة | و قد كشر الكفر عن نابه
فأنى التفت ظلام ثقيل | ينيخ علينا بأثوابه

+++ | +++

نظرت وحولي سدوف الظلام | وحزني ثقيل بأوصابه
وكدت أزلزل . لكن رأيت | دموع المنيب بمحرابه
و زمجرة المؤمنين الأباة | تدمدم كالليث في غابه
عليٌّ هناك . وسعدٌ هنا | و خالد يزهو بأصحابه
وموسى وعقبة زين الرجال | و حمزة سار بأترابه
وصوت الأذان وحادي الجهاد | لفجر أطل لطلابه
فأيقنت أنا غد ظافر | و أنا القلادة في بابـــه

صور و أوضـــــاع :

أوربا معلم الإرهاب

واضح رشيد الندوي

تنشر الصحف الأوربية حينًا بعد حين مقالات وتحليلات عن الإسلام والمسلمين ، ويحاول كل كاتب أن يشعر المتصفح لهذه المقالات والتحليلات أن الكاتب جمع في مقاله إحصاءات جديدة عن المسلمين ، واكتشف خطـــــرًا جديدًا على الحياة المعاصرة ، وأن المقال يشتمل على بحث ودراسة ومقارنة موضوعية .

وقد يدهش بهذه المقالات المتصفح الذي لا يحمل معرفة جيدة عن الإسلام ، وعن وضع المسلمين وقضاياهم ، في هذا العصر ، أو ليس لديه خبرة ، أو اطلاع واسع على ما تعودته الصحف والمجلات غير الإسلامية ، من نشر معلومات غير سديدة ، واعتمادها على مصادر غير موثوق بها ومحاولتها نسج فكرتها وتصورها من الخيوط المختلفة الواهية ، لتقدم خيالاً شاردًا ، ويسحر بعض القراء بأسلوب الكتاب الجدلي واستدلالهم الملفق وتنخدع عقول الناشئة .

من الموضوعات المطروقة التي تجددها الصحف المعاصرة ، موضوع الإرهاب ومحاولتها لربط صلته بالتعليم الإسلامي ، وقد أصبح هذا التصور كنتيجة منطقية تكررها الصحافة المعاصرة ، ولذلك توجه الصحافة الحكومات والمسئولين عن الأمن ، إلى مراقبة المدارس الدينية ، والحد من انتشارها ، ومنع تداول الكتب الدينية ، كما تدل عليه إحــــدى المقالات التي صدرت في صحيفة صادرة في ألمانيا الغربية ، وقد حذر كاتب المقال الحكومة الباكستانية من المدارس الدينية ، وقالت : إنها هي أوكار الإرهاب والعنف ، وقدم دليلاً على ذلك من الجهاد الأفغاني .

كانت هذه التهمة في العهد الماضي توجه إلى المسلمن في ضوء الدراسة الجانبية أو المتحيزة لتاريخ الإسلام ، وتاريخ بعض الحركات الإسلامية ، بدون دراسة مقارنة أو استعراض للخلفيات أو المسببات لهذه الأحداث ، فقد كانت كثير من تلك الأحداث رد فعل أو كانت دفاعية وكانت لها بواعث ومبررات ، ولكن المؤرخين الأوربيين عرضوا هذه الأحداث عرضًا جانبيًا وقطعوا صلتها عن بواعثها ، وأسدلوا الستار على أحداث أخرى كانت أكثر قسوة وعنفًا و أكبر حجمًا من الأحداث التي اتصلت بالمسلمين .

كذلك في العصر الحاضر انهم يعرضون بعض التصرفات الطائشة لبعض المتحمسين ، ولم تثبت بعدُ هويتهم ، ولا انتماءاتهم ولا مصدر إلهامهم ، واقتباسهم لتصرفاتهم، وإنما ألزق انتماؤهم بالحركة الإسلامية وبنشأتهم الدينية ، والحركة الإسلامية أو الدين الإسلامي بريئ من اجراءاتهم أو منهج أعمالهم ، وفي هذا الاستعراض ، يغفل هؤلاء الكتاب الجو السائد في العالم الذي يبعث على الإرهاب ، والمذاهب والنظريات الأوربية التي تسيطر على عقول الناشئة والحركات السياسية المعاصرة ويتجاهلون عن العمليات القاسية ، والإجراءات القمعية التي يتعرض لها الشباب في معظم الدول التي تقوم فيها نظم غير شعبية غير مستمدة من الشعب ، وقيام حكومات استبدادية ، ووجود قضايا معقدة لا تحل لعناد القيادات السياسية أو سوء التربية والتعليم للشباب ، وعبث وسائل الاعلام بهم .

إن الكفاح لنيل الحقوق ، سواء كانت هذه الحقوق المتصورة شرعية أم كانت غير شرعية ، أصبح ظاهرة متفشية في العصر الحاضر ، ويلاحظ هذ الكفاح الذي يتطور بالشعور بالخيبة في الوسائل السلمية إلى صراع

مسلح دام، في كثير من أنحاء العالم، والفرقاء في معظم هذه الصراعات التي توجد في مختلف دول العالم لا يمتون بصلة إلى الإسلام والمسلمين.

إن هناك صراعًا بين السود والبيض في معظم الدول الأوربية وفي أمريكا، ولا صلة لهم بالإسلام، وإنما يرجع إلى الشعور بالحرمان، وعدم المساواة في الطبقات المضطهده، وإحساسهم باستغلال الطبقات العليا التي احتلت البلاد بقوة السلاح وشردت السكان الأصليين، وقد شهد جنوب افريقيا اعنف نوع من هذا الصراع لأن سياسة التمييز العنصري كانت تمارس في تلك البلاد في أسوأ أشكالها وأخيرًا اضطر الجنس الأبيض إلى التنازل عن حكمه في حق السكان الأصليين للبلاد، ولم يكن الفريقان فريقين مسلمين، أو أحدهما مسلماً.

وشوهد في الأعوام الأخيرة صراع عنيف في رواندا و بروندي حيث ذهب نصف مليون شخص ضحية للأحداث الدامية، وكانت الكنيسة فريقًا من فرقاء هذا الصراع، ولم يكن في هذا الصراع للمسلمين سهم إلا أنهم كانوا في بعض المراحل ضحية، أو كبش الفداء في الصراع الدامي، وقد أوضحت مجلة «إكنومست» أن الرهبان لعبوا دورًا رائدًا في هذه المذابح.

إن هناك صراعًا عنيفًا في سري لانكا، حيث يستمر القتال والصراع المسلح، ويقوم ذلك الصراع بين فريقين غير مسلمين، وأحيانًا يستهدف المسلمون للأعمال الوحشية، وهم في مساجدهم، أو في بيوتهم لجذبهم إلى فريق من الفريقين، ولا صلة لهم بالقضية.

وفي الصين صراع عنيف، يجرى منذ قيام الدولة الشيوعية، وتجرى فيها عمليات التطهير العقدية، باسماء مختلفة وقد قتل عدة

آلاف شخص في الثورة الحمراء ، والثورة الخضراء ، ثم جرت عمليات قمعية شرد بها مآت الألوف من الناس من أوطانهم ، ولجأوا إلى البلدان المجاورة ، وكان الصراع بين الشيوعيين وفرقهم المتعارضة ، وبين الشيوعيين والبوذيين ، ولا يزال المسلمون في البلاد بعد أن سلبت مساجدهم ، ومدارسهم ، واجبروا على اختيار الشيوعية ، يعيشون كطبقة مضطهدة ، محرومة عن حقوقها الأساسية ، وفي كمبوديا استمر صراع عنيف بين الشيوعيين وغير الشيوعيين ، وكان المسلمون كبش الفداء فقتل ألوف منهم .

ومثل هذه المواضع للصراع كثيرة في العالم ، في منطقة الاتحاد السوفيتي السابق وفي منطقة بوغوسلاوبا السابقة ، وفي الهند الصينية ، وفي إفريقيا ، وفي الهند ، حيث بجرى الصراع بين مختلف القبائل ، ومختلف العناصر ، والأجناس ، ويجرى الصراع أيضًا حول توزيع المياه ، وملكية البترول أو المناجم ، وتوجد حركات انفصالية ، تحارب لإنشاء كيانات خاصة لها،وجميع هذه الفرق التي تحارب غير إسلامية ، سوى بعض المناطق المعدودة .

وفي أوربا نفسها تقع حوادث الانفجار ، والحريق ، وحرب العصابات ، تتحمل مسئوليتها طوائف ساخطة على نظام الحكم ، أو مطالبة لحقوق طائفية أو عنصرية ، أو اقتصادية .

وفي خضم هذه الأحداث العالمية الواسعة النطاق إذا وضعت الحوادث التي يرتكبها بعض الأفراد المتحمسين الذين ينتمون إلى المسلمين بأسمائهم ، لا إلى الإسلام بامتثالهم لأوامره ، وتعاليمه ، إذا وضعت هذه

الحوادث المتشتتة موضع الاعتبار كانت قطرة في بحر لجي من الأحداث العالمية ولو كلف أحد نفسه بدراسة بواعث هذه العمليات ومحركاتها ، وخلفياتها لما كان من الصعب عليه أن يجد ورائها الأيدي المحركة لعملاء أو وكلاء الدول الأوربية التي لا تريد أن تستقر الظروف في الدول غير الأوربية ، وأن تتقدم وترتقى الدول الفقيرة لتبقى سيادتها ، وسلطتها عليها .

إن الإرهاب والقسوة ليست نتيجة للسياسة الأوربية وحدها وإن كانت عنصرًا من عناصر انتشار هذه الظاهرة في العالم وإنما ترجع إلى الثقافة الأوربية ومعطياتها الفكرية والنفسية التي شاعت في العالم بعد الحرب العالمية ، فإن بعض هذه المذاهب تدعو بصراحة إلى العنف ، وإلى أخذ الحقوق بكل قسوة بل بخسّة بدون رأفة ، وتعتبر الرحمة والمحبة ، والرأفة و المساواة و الأثرة ، جبنا ، و نفاقًا و خداعًا ، و قد دعا إلى هذا الموقف العنيد عدد من رواد الفكر الأوربي ، وتقدم وسائل الاعلام المعاصرة صوراً حية لذلك الفكر ، سواء كان ذلك مكيافيليا ، أم كان فكرًا واقعيًا أو اشتراكيًا ، فإن جميع هذه الأفكار هي أفكار الإرهاب ، والعنف .

وقد كان الدين والأخلاق أكبر رادع لانتشار هذه الأفكار الهدامة التي تستشرى في المجتمع العالمي اليوم ولكن قادة الفكر في أوربا يحبون أن تنتشر هذه المذاهب الهدامة والاتجاهات القاسية فتحارب من يحارب هذه الأفكار لكيلا يبقى في العالم من يتحدى لسيادة الغرب وأفكاره .

++ ++

Tel 3 72336-73864 Regd. No. LW/NP 59

MAJALLAH ALBAAS-EL-ISLAMI (MONTHLY)

JULY – AUGUST – 1996

صدر حديثاً : أبو الحسن علي الحسني الندوي

على الحركات والدعوات الدينية والإصلاحية
ومدارسها الفكرية ومراكزها التعليمية والتربوية في الهند

ودورها ونجاحها

في إصلاح العقيدة ومحاربة الجاهلية والخرافية والدعوة
إلى الدين الحنيف الخالص والانتفاضة الإسلامية

يطلب الكتاب من :

المجمع الإسلامي العلمي

ص.ب: ١١٩ لكهنؤ (الهند)

قام السيد شاهد حسين بالطبع و مطبعة باريك أوفست لكناؤ
من مؤسسة الصحافة والنشر، ندوة العلماء - رئيس التحرير: سعيد الأعظمي